

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

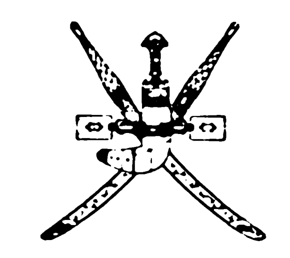
هيميان الزاد إلى دار المعاد

العالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي

الجزء الرابع عشر

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

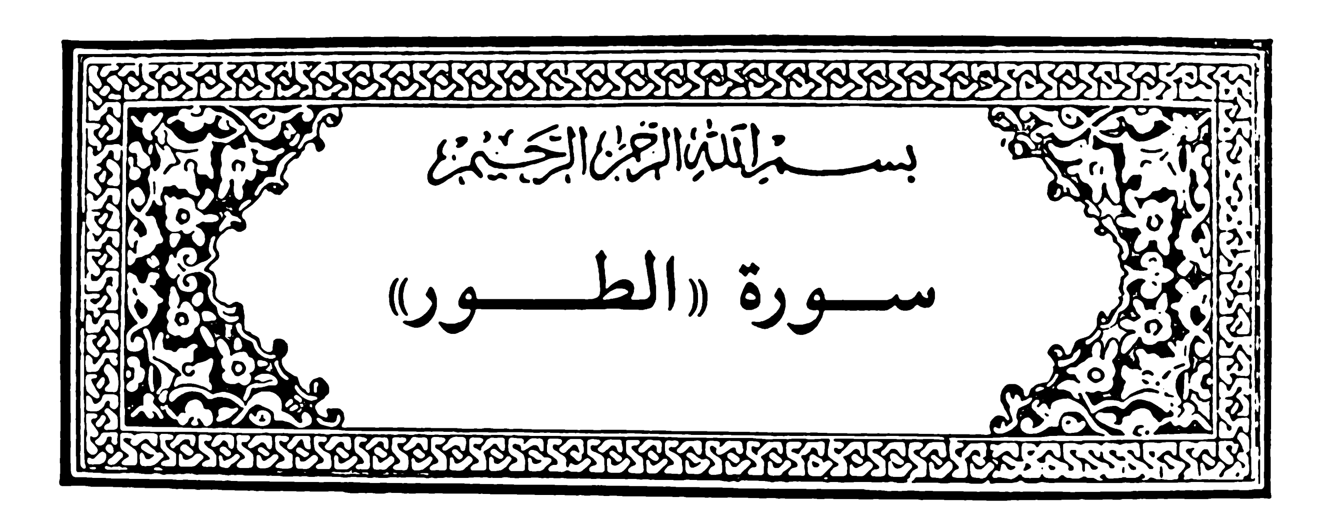


هميان الزاد إلى دار المعاد

للعالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الاباضي المصعبي

الجزء الرابع عشر

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الطور»

مكية آيها تسع وأربعون وقيل: ثمان وأربعون وكلمها ثلاث مائة واثنتا عشرة كلمة وحروفها ألف وخمسمائة، وعنه ﷺ «من قرأ سورة الطور كان حقا على الله سبحـانه أن يأمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته» وإذا أستدام قراءتها معتقدا سهل خروجه ولو كان عليه ما كان وإذا قرأها المسافر حُرس وأمن في طريقة من كل سوء وإذا رش ماءها على العقرب قتلها باذن الله تعالى.

بســم الله الرحمـن والرحيـــم

﴿والـطـــور﴾ الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين وهو طور سينين، أقسم به لفضله على الجبال عند بعض وقيل: الجبل الذي كلم عليه موسى وهو بالارض المقدسة، والطور بالسريانية الجبل قال بعض اللغويين كل جبل طور، أقسم الله بالجبال وقال آخرون كل جبل أجرد لاينبت شجراً أو ما طار من لوج الايجاد الى حضيض المواد ومن عالم الغيب الى عالم الشهادة.

﴿وكتــاب مســـطور﴾ السطر ترتيب الحروف والمراد القرآن، وقيل: التوراة، وقيل: ما كتب لموسى عليه الصلاة والسلام وهو يسمع صرير القلم وقيل: ما كتب في اللوح المحفـوظ وقيل: ما في قلوب أوليائه من المعارف والحكم وقيل: ما يكتبه الحفظة وقيل: كتب أعمال الخلق وقيل: ما كتبته الملائكة من اللوح المحفوظ مما يتصرف في العالم وقيل الكتب المنزلة والكتاب للجنس اذا فسر بالجمع.

﴿فــي رق﴾ الورق الذي يكتب فيه وهو مرقق ولذلك سمي رقاً، وقيل الجلد الذي يكتب فيه والمراد التمثيل والامكان وعن بعض الجلد مستعار لما يكتب فيه وهو الورق وقيل على الحقيقة إذا علم أنه سيكتب ذلك في الرق

وإلا فاللوح المحفوظ جبهة ملك أو درة أو رق يعلمه تكتب فيه الملائكة وعن كعب: ينزل رق من السماء السابعة فيكتب فيه عمل المؤمن ويرفع وقيل: الرق المنشور كتاب الذي يموت مرابطاً فإنه لا يطوي الى يوم القيامة يجري عليه أجر الرباط وكتاب غيره يطوي ويختم عليه.

﴿منشور﴾ مبسوط وهو خلاف المطوي ﴿والبيت المعمور﴾ بالملائكة للعبادة يحجونه ويجاورونه تحريها له كالكعبة وقيل: يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يسبحون ويقدسون لا يعودون إليه أبدا، بنته الملائكة وقيل خلقه الله لهم وهو في السماء السابعة قدام العرش محاذيا الكعبة لو وقع منه شيء إلى الارض لوقع على الكعبة، واسمه الضراح من الضراحة وهي المقابلة ويسمى الضريح أيضاً وقيل: هو في السادسة وقيل: في الرابعة وقيل: في الثالثة وقيل: في الاولى وقال قتادة ومجاهد وابن زيد: في كل سماء بيت معمور وفي كل أرض والكل على خط من الكعبة وكذا روي عن علي وعن السهيلي يسمى البيت المعمور عريباء وهو في السماء السابعة وعن وهب بن منبة من قال سبحان الله وبحمده كان له نورا يملأ ما بين عريباء وجريباء وهي الأرض السابعة وعن علي: أيضاً أن البيت المعمور في السماء السادسة وقيل: البيت المعمور الكعبة تعمرها الحجاج وتجاورها وقيل: الكعبة رفعت في زمان الطوفان صوناً لها فصارت معمورة في السماء ثم تبع ابراهيم صلى الله عليه وسلم الأساس فبناه عليه وقيل: قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والمحبة والانس وتحجه قال الملائكة: لكونه بيت توحيد الله.

﴿والسقف المرفوع﴾ هو السماء ومن البيت المعمور هو قلب المؤمن قال: السقف المرفوع عمله المرضي البعيد عما يفسده. ﴿والبحر المسجور﴾ أي المملوء، قاله قتادة قيل وهو المحيط، وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعلي: المسجور المحمي الموقد عليه بمنزلة التنور. روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها في نار جهنم، وروى أن البحر موقع جهنم وروي لا يركبن رجل البحر إلا غازياً أو معتمراً أو حاجاً فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً. وعن ابن عباس المسجور

المحبوس لولا أن الله يحبسه لفاض وقيل: المسجور الفائض يفيض يوم القيامة على الارض فتسعه الأرضون فتكون لحجج الأرض ورؤوس الجبال سواء وقيل: البحر المسجور جهنم لتموجها وسعتها وقيل: البحر الذي ذهب ماءه ويبس فالمسجور الفارغ وهو مروي عن ابن عباس روي أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة، وقيل: المسجور المختلط العذب بالمالح وعن على بحر تحت العرش غمرة ما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحوان يمطر العباد بعد النفخة بأربعين يوما فينبتون من قبورهم، وعن على ايضا أنه سأل يهوديا أين موضع النار من كتابكم قال: في البحر، قال: ما أراه إلا صادقا لقوله والبحر المسجور والجمهور على أنه بحر الأرض. وأقسم الله بتلك الأشياء تذكيراً الى الاعتبار بها ونكر ما نكر للتعظيم والاشعار بأنه مخالف للمتعارف بين الناس وذلك كتاب مسطور ورق منشور.

﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ بالمشركين في الآخرة ﴿ما له من دافع﴾ سمع عمر قارىء والطور وكتاب مسطور قال: هذا قسم حق ولما بلغ ان عذاب ربك لواقع ظن وقوعه عليه فغشى عليه، وجاء جبير بن مطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في الاسارى من بدر قال: فسمعته من خارج المسجد يقرأ والطور الخ.... يصلى بأصحابه المغرب وبلغ إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع فما كنت أظن أن أقوم من مكاني حتى يقع العذاب فاسلمت خوفا وإقسامه بتلك الأشياء الدالة على كمال قدرته وحكمته دلالة على صدق أخباره وضبط أعمال العباد للجزاء.

﴿يوم﴾ متعلق بواقع ﴿تمور السماء مورا﴾ تدور كالرحاء وقيل: تذهب وتجيء بالرياح منتظمة، وقيل: تتحرك وتموج وقيل: تتحرك وتتخلف أجزائها بعضها عن بعض، وقيل: كالسفينة بأهلها. ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ تزول عن وجه الأرض فتصير هباء منثورا، وقيل: تسير أولا ثم تتفتت كالعهن المنفوش والمور والسير اعلام بان لارجوع ولا عود إلى الدنيا لأن ما في الدنيا خلق لعمارتها ولا عمارة لها بعدِ. ﴿فويل﴾ أي شدة عذاب أو غير ذلك كما مر.

﴿يومـئذ﴾ يوم إذا مارت السماء وسارت الجبال والسماء الجنس أو هذه وخصت لرؤيتنا ولها وغيرها مثلها أو يوم إذا وقع العذاب وذلك كله يوم القيامة ﴿للمكذبين﴾ للرسل ﴿الذين هم في خوض﴾ باطل، ﴿يلعبون﴾ لاهون عما يراد بهم، ﴿يوم﴾ بدل من يوم الاول أو الثاني. ﴿يدعون الى نار جهنم دعا﴾ يدفعون إليها بعنف مغلولة أيديهم الى أعناقهم ونواصيهم إلى أقدمهم تفعل ذلك بهم الخزنة وتلقيهم فيها على وجوهم وأقفيتهم ودعا مفعول مطلق. وقرأ زيد بن علي يدعون بضم الياء واسكان الدال وتخفيف العين من الدعاء أي يقال لهم هلموا إليها فدعا بالفتح والتشديد حال أي مدعوين أو ذوي دع أو يقدر يدعون مشددا أو يفسر به المخفف ويضمنه ويجوز تعليق اليوم بقول مقدر مسلط على قوله. ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ أي يقال لهم في ذلك اليوم هذه النار الخ اذا دنوا منها قالت الخزنة ذلك توبيخاً وتقريعاً.

﴿أفسحر هذا﴾ العذاب كما أن الوحي سحر عندكم وقدم الخبر لأنه المقصود بالانكار والتوبيخ أو للحصر فانهم كانوا يقولون إن هذا إلا سحر، فقيل لهم على طريقتهم أسحر هذا أي اليس هذا إلا سحرا فافهم. ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ هذا العذاب كما كنتم لا تبصرون ما يدل عليه وتقولون إنه سحر غطى الابصار إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وذلك تقريع وتهكم وفي الفاء والهمزة ما مر ﴿اصلوها﴾ قاسوا شدة النار وادخلوا النار.

﴿فاصبروا﴾ عليها أو لا تصبروا صبركم وجزعكم. ﴿سواء عليكم﴾ لا ينفع الصبر اليوم لانه صبر على الجزاء في العاقبة كما علل بقوله على الاستئناف ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا لا ما تعملون اليوم لأنه يوم العقاب الذي لا بد من وقوعه فلا يكشفه الصبر. ﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾ عظام مخصوصة بهم كاملة، ﴿فاكهين﴾ ناعمين متلذذين مسرورين وقرىء بإسقاط الألف والمعنى واحد وهو حال من ضمير الخبر في قوله في جنات وبالاسقاط. قرأ أبو جعفر وخالد وقرىء بالرفع

على أنه خبر ثاني أو هو الخبر وفي جنات متعلق به أو بمحذوف حال من ضمير ويجوز أن يكون فاكه وفكه للنسب أي ذوي فاكهة وعليه أبو عبيدة.

﴿بما آتاهم ربهم﴾ إياه وقيل: ما موصول حرفي. ﴿ووقاهم﴾ منعهم؛ ﴿ربهم﴾ واعاد الظاهر ترحما لهم باضافته اليهم. ﴿عذاب الجحيم﴾ الواو واو الحال داخلة على الماضي ومن منع دخولها عليه قدر قد أو لمبتدأ أي وقد وقاهم أو وهم وقاهم وليست الصلة معطوفة على الصلة لعدم الرباط إلا إن جعلنا ما موصولا حرفيا فيجوز العطف أي بإيتاء ربهم إياهم خيراً وكرامة ووقايته إياهم عذاب الجحيم وصاحب الحال ربهم المرفوع بأتى أو هاء أتاهم أو كلاهما ويقال لهم ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ أي أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغص فيه ولا تخمة ولا سقم وأفرد لأنه فعيل بمعنى فاعل أي سالما خالصا مما يكون في طعام الدنيا فهو نعت لمصدر محذوف ويجوز كونه حالا أي مهنئين أو مصدر إنابياً عن فعله أي هناكم الاكل والشرب هنيئاً أو هناكم ما كنتم تعملون هنيئاً فحذف هناكم ما كنتم تعملون فجيء بقوله ﴿بما كنتم تعملون﴾ به أو متعلقا متعلقا بكلوا أو اشربوا والباء المسببية أو الباء زائدة وما فاعل هنيئا.

﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ بعض الى جنب بعض حال من الضمير في قوله في جنات حال متعددة أو من ضمير فاكهين حال متداخلة قال غير واحد دخول الجنة برحمة الله وفضله ورتبها ونعيمها بحسب الاعمال ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ عطف على خبر ان والباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق أو للسببية إذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن أو لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق قاله القاضي. والحور جمع حوراء وهي القوية بياض العين وسوادها والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العين مع جمالها وقرأ ابن مسعود والنخعي بعيس عين جمع عيساء وهي البيضاء قال ﷺ «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون ذلك رشحا مسكا ويلهمون الحمد والتسبيح ويعطى الواحد قوة مائة في الطعام والشراب والجماع» وقال «يقال لهم هنيئا لكم شهواتكم فيرشحون مسكا»، وقال «إنه

يتنعم في تكأة واحدة سبعين عاما فتناديه واحدة من غرفة اخرى أما لنا منك دولة فليتفت إليها من أنت فتقول من المزيد، فيتحول ويتنعم معها سبعين أيضاً في تكأة واحدة فتناديه أخرى كذلك فيقول من أنت فتقول هما أخفى من قرة أعين فيتنعم معها سبعين في تكأة، فهم هكذا يدورون» قال علي: وإذا دخل الجنة ودخل منزله اتى الآرائك فإذا فيها سرير عليه سبعون فراشا وعليهم سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقهن من باطن الحلل يقضهن في مقادر ليلة من لياليكم هذه.

وعن مجاهد: الحور يحار فيهن البصر وينظر الناظر وجهه في عنقها قال ابن عمر: شعر عينيها أطول من جناح نسر وقيل الحور العين بيض الالوان صفر الحلى خضر الثياب يقلن في الجنة نحن الناعمات فلا نبوس ونحن الخالدات فلا نموت ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نطعن طوبى لمن كُنا له وكان لنا وقال صلى الله عليه وسلم «لو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الدنيا لملأتها ريح مسك»، وعن عمر بن ميمون يرى مخ ساقها من فوق سبعين حلة كما يبدوا الشراب الاحمر في الزجاج الابيض وقال ﷺ «ما حضر قتال إلا تزخرفت الجنة ونزلت الحور فإذا أقبل للقتال قلن اللهم انصرهم واذا أدبر قلن اللهم ثبتهم وإذا قتل غفرت ذنوبهم باول قطرة وتهبط زوجتا المقتول من الحور فتجلسانه وتمسحان دمه والغبار عنه وتقولان مرحبا بك ويقول مرحبا بكما وإذا صرف وجهه عنهما ثم التفت اليهما قال: قد إزددتما في عيني سبعين ضعفا جمالا وإذا صرفتا وجوههما قالتا مثل ذلك مكتوب بين ثدييها انت حبيبي وأنا حبيبتك والذي بعثني بالحق إنها لتكون عليها سبعون حلة مثل شقائق النعمان وإنه ليرى مخ ساقها من وراء ذلك وتمسك بين أصبعين من أصابعها سبعين حلة من رقتها وحسنها وقلوبهن معه كقلب واحد وقلوب أهل الجنة كواحد لا اختلاف ولا تباغض يسبحون الله بكرة وعشيا».

﴿الذين آمنوا﴾ عطف على حواري قرناهم بحور عين وبالذين آمنوا فتارة يتمتعون بملاعبة الحور وتارة بمأنسة الاخوان فالمراد بالتزويج مجرد القرن

وجملة ألحقنا مستأنفة، والذين مبتدأ وألحقنا خبر، وما بينهما اعتراضي ويجوز جعل اتبعتهم ذريتهم معطوفا، فالواو عاطفة أو حالا فالواو حالية وعلى كل فجملة اتبعتهم ذريتهم لبيان الواقع لان المراد بالذرية من لم يبلغ ومن لم يبلع مؤمن على كل حال كلا مولود يولد على الفطرة ولاسيما أولاد المؤمنين ولكن اصحابنا لا يؤلون إلا ولد المؤمن ويقفون في ولد غيرهم وبسط المسألة في الفقه ولك ان تقول العطف والحال للتقييد لا لبيان الواقع أي شرط الحاق الذرية بهم ايمانها بان تموت غير بالغة فلا يصدق عليها اسم الكفر أو يموت من يموت وهو بالغ مؤمن وللحق بأبيه إيناسا لا استحقاقا لضعف عمله عن درجة أبيه هذا ما يلحق من التقرير بمذهب الاصحاب فشد عليه يديك وقد تقرر عندنا كغيرنا ان الوليد يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه وممن قال المراد بالذرية من لم يبلغ ابن عباس يجمع له ذريته في الجنة كما يحب جمعها في الدنيا ويلحقهم بدرجته من غير ان ينقص من درجته وفي الحديث «ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بها عينه» ثم قرأ «والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم». وكذلك الآباء ترفع إلى الأبناء اذا كانوا ابنائهم وفي الحديث «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحلم إلا ادخله الله الجنة برحمته» فافهم وقال ﷺ: «لان أقدم سقطا خير من ان اخلف مائة فارس كلهم يجاهدون في سبيل الله». واستدل بعضهم على ان اولاد المشركين في النار بان خديجة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ عن ولديها ماتا في الجاهلية فقال في النار فرأى الكراهية في وجهها فقال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت: يا رسول الله فولدي منك قال: في الجنة ان المشركين واولادهم في النار والمؤمنين واولادهم في الجنة وقرأ الآية والله اعلم بصحة هذا الحديث. عنه صلى الله عليه وسلم الحديث الصحيح قوله «الله أعلم باولاد المنافقين والمشركين كيف يعملون لو عملوا والظاهر انهم للجنة اقرب منهم إلى النار لانه تعالى يمن بالرحمة ولا يظلم بالعذاب ولولادتهم على الفطرة والقول باختيارهم باقتحام نار توضع لهم يوم القيامة ضعف وبايمان متعلق بالحقنا وقدم للحصر والاهتمام والتنكير للتعظيم والمراد ايمان الاباء او متعلق باتبعتهم فهو ايمان الذرية ويجوز ان يعلق بالحقنا ويكون المراد ايمان

الذرية فالتقديم لما مر والتنكير للتوهين اي بايمان ضعيف.

وقرأ ابن عامر ويعقوب واتبعتهم ذرياتهم بتشديد تاء اتبع وجمع الذرية والرفع مبالغة في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابـو عمـرو واتبعناهم ذرياتهم بقطع الهمزة واسكان التاء ونصب الذريات بالكسر مجموعا وقرأ ذرياتهم بكسر الذال وضم التاء بعد اتبعتهم بتشديد التاء الاولى وقيل: بايمان حال من الضمير والذرية او منهما قيل وتنكير ايمان بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان واعترض بجملة اتبعتهم للتعليل وعن بعضهم الحقنا بهم ذرياتهم في المواراة والدفن في مقابر الاسلام وفي الجنة.

﴿ومـا ألتـنـاهـم﴾ نقصـانهم؛ **﴿مـن﴾** ثـواب؛ **﴿عملهم من شـيء﴾** بهذا الالحاق لانه الحاق تفضل على الاباء والابناء وقيل: المعنى لم ينقص من ثواب عملهم شيئا لا بالحاق ولا بغيره والمضارع يألت بالكسر أو من ألات يليت حذف الألف للساكن بعده وقرأ ابن كثير التنا بكسر اللام والمضارع بفتحها وروي عنه لتنا بكسر اللام من لات يليت والتنا بالمد والفتح والمضارع يولت بضم الياء وكسر اللام ولتنا بفتح اللام والمضارع يلت كوعد يعد والمعنى واحد.

﴿كـل امـر بمـا كـسـب رهـين﴾ كل احد مرهون عند الله بعمله فان فك نفسه بالعمل الصالح وإلا اهلكها وقيل الكسب الشرك اي كل امرىء كافر مرهون في النار بما كسب من الشرك. **﴿وامددناهم بفاكهـة ولحـم مما يشـتهـون﴾** زدنـاهم في وقت بعد وقت ما يشتهون من فاكهة ولحم فمما يشتهون عائد إلى فاكهة ولحم لا للحم فقط وقيل له وعلق الزيادة بالاشتهاء فلهم ما اشتهوا ولو لم يطلبوه قال ﷺ: «والذي نفسي بيده ان اهل الجنة ليتناولون قطوفها وهم متكئون على فرشهم فما تصل إلى فـي احدهم حتى تبدل أخرى والذي نفسي بيده ان في الجنة لطيرا امثال البخت فقال أبو بكر يا رسول الله ان ذلك الطير لناعم فقال والذي نفسي بيده إن الذي يأكل منها انعم منها واني ارجو ان تأكل منها يا أبا بكر». قال بعضهم: تقف الطير بين يدي الرجل فإذا اشتهى احدها اضطرب ثم صار بين يديه نضجا ولا

ذلج ولا سلخ ولا طبخ ولا كلفة بل كل ما أرادوا حضر.

وعن علي اذ اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع اجنحتها فيأكلون من جنوبها أي الالوان شاءوا وفيها من كل لون ياكلون ثم يطير فيذهب وعن بعض تصف الطير بين يديه فرسخا في فرسخ والطير امثال الابل فيقول الطائر يا ولي الله اما انا فقد رعيت في واد كذا واكلت من ثمار كذا وشربت من عين كذا وسمني كذا وريحي كذا فكل مني فإذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته وقع ذلك في نفسه قبل ان يتكلم به فيقع على مائدته نصفه قدير ونصفه شواء فيأكل اربعين سنة كلما شبع القى عليه الف باب من الشهوة ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور وليس بهذا الكافور وطعم الزنجبيل وليس بهذا الزنجبيل وريح المسك وليس بهذا المسك فإذا شرب هضم ما اكل من الطعام وتوضع المائدة بين يديه قدر عمره في الدنيا ويعطى قوة مائة رجل شاب في الجماع والطعام والشراب يجامع مقدار اربعين سنة لكل يوم مائة عذراء وروي احسن إلى غنمك فانها من دواب الجنة.

﴿**يتنازعون فيها**﴾ في الجنة اي يتعاطون في مجالسهم. ﴿**كأسا**﴾ اي خمرا سمي باسم المحل قيل ولذلك انت الضمير في قوله ﴿**لا لغوٌ فيها ولا تأثيم**﴾ والواضح ان الكأس يجوز تأنيثه فهم يتعاطون الكاس نفسها وفيها الخمر ولا لغوٌ في الكأس اي لا ياتي لغوٌ بسببها كما ياتي بكاس الدنيا من حيث ان شرب ما فيها يورث اللغو وان ارجعنا الضمير للخمر معبرا عنها بالكاس فالمعنى انها لا تورث اللغو كخمر الدنيا ويجوز ان يكون المراد انه لا لغوٌ ولا تأثيم عند شربها كما يفعل شرابها في الدنيا عند تناولها، ويجوز رجوع الضمير للجنة وعن الفخر انه يجوز ان يكون التنازع التجاذب تجاذب ملاعبة وفيه لذة وفيه بيان لما عليه حال الشراب في الدنيا يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل والكاس الإناء فيه الشراب ولا يقال كأس ان فرغ قاله الزجاج واللغو الحديث الباطل قال ابن عطاء الله اي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن والساقي فيه الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله والقوم اضياف الله.

وعن الحسن : اللغو المعصية وعن الكلبي : الحلف والتأثيم فعل ما يقال اثمت به كما هو عادة الشارب في الدنيا لان شراب الجنة لا يغير العقل فالتأثيم النسب للاثم ويجوز ان يكون بمعنى ايجاد الاثم وعن مجاهد لا يسمعون لغوا ولا تأثيما وقيل لا ياثمون في شربها وقرىء بفتح الواو والميم وعليه ابن كثير وابو عمرو.

﴿ويطوف عليهم﴾ للخدمة، ﴿غلمان لهم﴾ نعت غلمان أي مماليك ثابتة لهم وقيل اولادهم الذين هم سبقوهم وفي ضمن قوله لهم انهم مخلدون لا يموتون ولا يشيبون، ﴿كأنهم لؤلؤ﴾ في الحس والبياض والصفا. ﴿مكنون﴾ مستور في الصدف لم تمسه الايدي او مخزون مصون لا يتسخ أو غال ثمين لانه لا يخزن إلا الغالي الثمين قال عبد الله بن عمر ما من احد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل يخدم عمل غير عمل صاحبه وفي الحديث عنه ﷺ: «ان ادنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك» ولما ذكر صفاءهم قيل لقتادة هذا الخادم فيكف المخدوم فقال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» وفي رواية قال قتادة: ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال: فضل المخدوم الخ..

وعن جابر بن عبد الله : خدم اهل الجنة نور وجوههم كنور الشمس لو كانوا في الدنيا لاقتتل أهل الدنيا عليهم قيل وهذا تقريب للأفهام وجمال أهل الجنة اعظم وفي حديث اخر ان اول من يدخل الجنة من امتي وجوههم كالقمر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري ثم بعد ذلك منازل وهذا ايضا تمثيل. وورد في الحديث ان في الجنة سوقا ياتونه كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم ويزدادوا حسنا وجمالا فيقول اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله كذلك قال الغزالي: ولا يبعد ان تكون النعم واللذات متزايدة ابدا قال الشاذلي: لو كشف عن نور المؤمن الذي صدرت منه معاص كثيرة لعبد من دون الله ويطيق السماء والارض

فكيف بغيره وعن جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه وسلم «حسن المخدوم عن الخادم كالقمر ليلة البدر بجنب كوكب مظلم» وبلغنا ان اولياء الله يخبرن قبل الدخول باماان الله ورضوانه ثم تزلف لهم الجنة وتفتح ابوابها فيخرج المسك مقدار خمس مائة سنة أو ما شاء الله وتخرج الحور العين قد عرفت كل واحدة زوجها فيقال لهم لكم وازواجكم ما تحبون ثم تقدمهم الملائكة الى الجنة واذا دنوا من أبوابها استقبلتهم الملائكة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دار الخلد والملك والامان والنعيم والفرح والدوام ابشروا فيقولون الحمد لله الذي صدقنا وعده الخ . . فينزل كل واحد بعمله في درجة ازواج وخدم وفرش واسرة وانهار لبن وعسل وماء وخمر تجري في غير اخدود وفاكهة والوان الرياحين والاكاليل على الرؤوس واللباس من سندس واستبرق وحرير وريح المؤمن اطيب من ريح المسك الذكي اسكنهم الرحمن في داره وهي الجنة ليس كجنان الدنيا ارضها رخام من فضة بيضاء وترابها الورس والزعفران وكثبانها مسك اذفر وضواضها الدر والياقوت وقصورها الذهب والفضة والياقوت والزبرجد وألوان الجوهر وعلى الجنة كلها حائط طوله خمسمائة سنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت وجذوع نخلها ذهب أحمر وكربها در وزبرجد اخضر وسعفها حلل ورطبها اشد بياضا من فضة احلى من العسل ألين من الزبد ولا نوي فيها وطيرها كالبخت وهم جرد مرد مكحلون مسورون متوجون بالذهب والفضة واللؤلؤ والجوهر فإذا شاء احدهم ركب فرسا من ياقوت حمرا فطار به الى أي جهة ولكل واحد جبة من ياقوت أحمر لها اجنحة بيض اشد بياضا من الثلج ورحلها در وياقوت وجانباه ذهب وفضة وزمامها ياقوت أحمر لين من الحرير خطوتها قدر مد بصرهم ولا حيض ولا بول ولا غائط ولا بزاق يجد ريح زوجته خمس مائة عام عاشقة لزوجها والحلة الواحدة خير من الدنيا وما فيها من أولها لآخرها.

﴿**واقبل بعضهم على بعض يتساءلون**﴾ حال من بعضهم قيل وبعض اي يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وبما استوجب الثواب وعن ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من تعب الدنيا وخوفها والخوف من النار وكم

نال كل واحـد، ﴿قـالـوا إنـا كنـا قبـل﴾ قـبـل المـوت ﴿في أهلنـا مشـفقـين﴾ أرقـاء القلوب من خشية الله خائفين من معصية الله معتنين بطاعته وجلين من عقابه وفي اهلنا متعلق بكـنـا أو مشفقين أو حال من ضمير احدهما والاشفاق أشد الخوف وهذا إيماء الى علة الوصول. ﴿فمن الله علينـا﴾ بالـرحمـة والتـوفيق والمغفـرة. ﴿ووقـانـا﴾ منعنـا ﴿عـذاب السـموم﴾ أي عذاب النار لان النار تدخل في المسام فهي نافذة في المسام نفوذ السموم وهي الريح الحارة وقيل: السموم الحرارة وقيل: اسم من اسماء جهنم وقرىء بتشديد القاف للتوكيد. ﴿انا كنا من قبـل﴾ اي قبل الموت ﴿نـدعـوه﴾ نعبـده او نطلبـه الوقاية، ﴿انـه﴾ اي لانه وقرأ غير نافع والكسائي بالكسر على التعليل الاستئنائي الجملي، ﴿هـو البـر﴾ المحسن الصادق في وعده وقال ابن عباس اللطيف وقيل المحسن إلى جميع خلقه، ﴿الـرحيـم﴾ للمؤمنين: أو يرحم جميع الخلق فان رحمته عمت الكافر في الدنيا وخصت المؤمن في الآخرة وهو كثير الرحمة عظيمها، اذا عُبِد اثاب واذا سُئِل أجاب ﴿فـذكـر﴾ دم على التذكير ولا تكترث بقولهم كاهن مجنون شاعر لبطلانه او تناقضه لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله والشاعر كلامه موزون وانت بخلاف ذلك ولا يتأتى ذلك من مجنون.

﴿فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنـون﴾ بنعمة متعلق بها اي انتفى بحمـد الله وانعامه ورحمته وعصمته عنك التكهن والجنون لست مجنونا ولا كاهنا كما يقولونه بل نبي وراجح عقل وعن بعض ان النعمة النبوة والكاهن الذي يدعي علم ما غاب باخبار الجن او غير اخبار كذا قيل والمشهور انه باخبارهم و انها نزلت في المقتسمين وما ذكرت من التعلق بها هو مذهب ابن الحاجب قال ولو علق بمجنون لأفاد نفي جنون خاص وهو الجنون الذي يكون من نعمة الله وليس في الوجود جنون هو نعمة ولا المراد نفي جنون خاص وللزوم تقديم معمول المعطوف على العاطف قال ابن هشام: وهو كلام بديع إلا ان جمهور النحويين لا يوافقون على صحة التعليق بالحرف فنبغي على قولهم ان يعلق بانتفى محذوفا.

﴿ام يقولون﴾ اي بل يقولون هو، ﴿شاعر نتربص به ريب المنون﴾ حادث الدهر المقلق فالريب الحادث المقلق والمنون الدهر قاله مجاهد وفي الحديث فاطمة بضعة مني يريبني ما ارابها وقال ابن عباس: المراد بالمنون الموت وهو فعول من المن بمعنى القطع سمي به الدهر والموت لقطعهما الاجل والتربص الانتظار أي ننتظر به نوائب المنون فيهلك كما يهلك من قبله الشعراء كزهير والنابغة ويتفرق عنه اصحابه وان اباه مات شابا ولعله يموت شابا اجتمعت قريش في دار الندوة فكثرت آرآءهم في النبي ﷺ حتى قال قائلهم ذلك فافترقوا ونزلت ﴿قل تربصوا﴾ اهلاكي، ﴿فإني معكم من المتربصين﴾ اتربص اهلاككم قتلوا يوم بدر وسبوا وتربصوا وعيدي في صورة الأمر. ﴿أم﴾ أي بل ﴿تأمرهم احلامهم﴾ اي عقولهم، ﴿بهذا﴾ التناقض في القول يقولون شاعر أو مجنون أو ساحر وكانت قريش تدعي اهل الاحلام فازرى بعقولهم حيث لم يتميز لهم الحق أي لا احلام لهم وقيل المراد لا تأمرهم أحلامهم بهذا وأمر الاحلام مجاز عن ادائها إلى ذلك واجاز بعضهم رجوع الإشارة إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام.

﴿أم﴾ بل، ﴿هم قوم طاغون﴾ مجاوزون الحد بعنادهم في الكفر وقرىء بل هم. ﴿أم﴾ اي بل، ﴿يقولون تقولة﴾ اختلق القرآن من نفسه والتقول تكلف القول ولا تستعمل إلا في الكذب، ﴿بل لا يؤمنون﴾ بالقرآن استكبارا وقد علموا بطلان قولهم ولكن يقولون عنادا، ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ مثل القرآن، ﴿إن كانوا صادقين﴾ في قولهم ساحر مجنون كاذب كاهن اذ فيهم فصحاء والامر للتعجيز ويجوز ان يكون ذلك رداً لتقول وقرىء بحديث مثله بالاضافة فالضمير له ﷺ اي ان مثل محمد في فصاحته ليس مفقودا في العرب فان قدر محمد على نظم القرآن كان مثله قادرا عليه.

﴿ام﴾ بل، ﴿خلقوا من غير شيء﴾ من غير محدث فلذلك لا يعبدون الله أو من غير أمر ونهي وعليه ابن كيسان وقيل: لغير ثواب وعقاب وعلى الاول الغزالي والفخر ونسب لابن عباس وروي عنه انه قال من غير أب وأم فهم كالجماد غير مكلفين وعن جبير بن مطعم سمعت النبي ﷺ يقرأ في

المغرب بالطور ولما بلغ أم خلقوا من غير شيء إلا المسيطرون كاد قلبي يطير وذلك أول ما وقر الايمان في قلبي وعنه اتيت النبي ﷺ في فداء اهل بدر فسمعته يقرأ في المغرب بالطور فكانما تصدع قلبي حين سمعت القرآن.

﴿أم هم الخـالقــون﴾ لانفسهم فلا يعبدون الله وهذا يؤيد التفسير الأول وهذا اشد في البطلان لانهم لم يكونوا ثم كانوا والمعدوم لا يفعل شيئا ولا يخلق نفسه فلا بد لهم من خالق فلم لا يعبدونه ويؤمنون وللتاييد المذكور عقب ذلك بقوله ﴿أم خلقــوا الســموات والأرض﴾ أم في الايات السابقة والاتية بمعنى بل وهمزة الانكار ولا يقدر على خلقهن إلا الله كما أقروا فلم لا يعبدونه ﴿بل لا يــوقنــون﴾ بالله وإلا لصدقوا نبيه وما يقول من القرآن والبعث وأطاعوه. ﴿أم عندهم خزائـن ربــك﴾ من النبوة والرزق والحكمة فيخصوا من يشاء بها وقيل: خزائن المطر والرزق وقيل: علم الغائب.

﴿ام هــم المســيطرون﴾ اسم فاعل سيطر كبيطر وبيقر أي المتسلطون الجبـارون الغـالبون على الاشياء يديرونها كيف شاءوا كأمر الربوبية وقرىء بالصاد بدل السين والاولى لحفص وهشام وقيل وقرأ حمزة بين والصاد والزاء وقيل المسيطر الـرب. ﴿أم لهم سـلم﴾ منصوب إلى السماء ﴿يسـتمعون فيــه﴾ كلام الملائكة وما يوحى اليهم حتى يعلموا ما يكون من هلاكه قبلهم وظفرهم عليه ويتمكنوا من منازعته وفيه متعلق بيستمع وقيل: بمحذوف حال اي صاعدين فيه وقيل: في بمعنى على وقيل من ان اعدوا ذلك.

﴿فليـأت مستمعهم﴾ أي مدعي السـماع او مكتسبـه، ﴿بسلطـان مبــين﴾ بحجـة واضحة على صحة الاستماع وانهم على الحق وذلك اشبه بقولهم للملائكة بنات الله ولأجل هذا ولأجل التسفيه لهم والاشعار بان من هذا رأيه لا يعد من الفضلاء فضـلا عن ان يترقى إلى عالم الملكوت بروحه أو جسده قال ﴿ام لـه البنـات ولكـم البنــون﴾ تعالى عن الولادة جعلوا له ما كرهوه لانفسهم.

﴿**أم تسألهم أجرا**﴾ عن تبليغ الرسالة ﴿**فهم من مغرم**﴾ مصدر ميمي اي غرم متعلق بقوله ﴿**مثقلون**﴾ ومن للتعليل او بمعنى الباء والمغرم قيل ان نلتزم ما ليس عليك ان لزمهم مغرم ثقيل اثقلهم فزهدهم في اتباعك ﴿**ام عندهم الغيب**﴾ اي علم الغيب فيعلموا انك تموت قبلهم فهو راجع إلى قولهم نتربص به ريب المنون وقيل فيعلموا ان ما يخبرهم به من البعث وغيره باطل وقال ابن عباس الغيب اللوح المحفوظ.

﴿**فهم يكتبون**﴾ ذلك حتى يمكنهم نزاع النبي ﷺ وقيل: يحكمون به وقال ابن عباس يكتبون من اللوح المحفوظ ويخبرن بها فيه ﴿**أم يريدون كيدا**﴾ مكرا بك أو بالمؤمنين وهو كيدهم في دار الندوة بكم ﴿**فالذين كفروا هم المكيدون**﴾ المهلكون المكور بهم وهو اسم مفعول اصله المكيودون عاد عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو بمعنى المغلوبين في الكيد كايدوه فكادهم أي غلبهم في الكد، ﴿**أم لهم إله غير الله**﴾ يرزقهم ويمنعهم من العذاب ﴿**سبحان الله عما يشركون**﴾ ما مصدرية اي عن اشراكهم أو اسم موصول على حذف مضاف أي عن شركة ما يشركونه به نزه نفسه عن ذلك.

﴿**وان يروا كسفا**﴾ قطعة ﴿**من السماء ساقطا**﴾ عليهم تعذيبا لهم كما قالوا: ما سقط علينا كسفا من السماء، يقولون لشدة طغيانهم وعنادهم هذا. ﴿**سحاب مركوم**﴾ متراكب يرتوي به ولا يؤمنوا.

﴿**فذرهم**﴾ اتركهم وما هم فيه قبل منسوج باية السيف والحق انه لا نسخ لأن هذا الترك ترك ولو مع القتال ﴿**حتى يلاقوا**﴾ يعاينوا وقرىء يلقوا بفتح فاسكان وبضم فتشديد وفتح ﴿**يومهم الذي فيه يصعقون**﴾ يموتون والصعق التعذيب في الجملة وان كثر استعماله فيما يصيب الانسان من فرط الصيحة وقرأ ابن عامر وعاصم بالبناء للمفعول من صعق الثلاثي المتعدي أوهن اصعق بالهمزة وذلك اليوم هو يوم الفزع يفزعون بالنفخة الأولى فيموتون وهي هلاك آخر هذه الامة وهم كفار قاله الحسن ونسب للجمهور

وقيل ايام موتهم واحدا واحد قبل أو يوم بدر او المراد بالصعق السكرة بالنفخة.

﴿يــوم﴾ بدل من يوم ﴿لا يغني عنهم كيدهم شيئا﴾ من الاغناء في رد العذاب ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله سبحانه، ﴿وان للذين ظلموا﴾ انفسهم وغيرهم بالشرك وعيره والمراد العموم أو كفار مكة أي لهؤلاء الظلمة فاقام الظاهر مقام المضمر للتشنيع باسم الظلم.

﴿عذابا دون ذلك﴾ العذاب الذي في الاخرة وهو عذاب القبر عند مثبتيه وعليه البراء بن عازب وابن عباس ومجاهد وقال ابن زيد: هو مصائب الدنيا كلها وقال الحسن: القتل يوم بدر ونسب لابن عباس وقيل الجوع والقحط سبع سنين ونسب لمجاهد وقيل: الجميع وما سوي بدر عام في كل مشرك قاله الفخر ويرد عليه القحط وقرأ ابن مسعود دون ذلك قريبا.

﴿ولــكن أكثــرهم لا يعــلمون﴾ الحق أو أن العذاب نازل بهم واراد بالاكثر من لم يؤمن. ﴿واصبر لحكــم ربك﴾ بامهالهم وما يلحقك من المشقة وزعم بعض أنها نسخت بآية السيف، وأنا أقول أنه الصبر المأمور به في كل وقت فلا نسخ له ويجوز ان يكون اصبر لما يحكم لله عليك بعد وهو الأمر بالقتال.

﴿فإنــك بأعينــنـــا﴾ بمرأى ومنظر وحفظ نراك ونسمع قولك فلا يصلون اليك بمكروه وقرىء بأعيننا بالادغام وهذه الاية ينبغي ان يقررها كل مؤمن في نفسه فانها تفسح مضائق الدنيا والباء بمعنى في اي في حفظنا وجمع العين في كثرة الحفظ قال ابن عباس: ترى كل ما يفعل بك او جمعة نظرا لضمير المتكلم وهو نا فانه ولو وضع لاثنين فصاعدا حقيقة لكن الجماعة أسرع مبادة فيه وأيضا اثنان جماعة حقيقة أو مجاز.

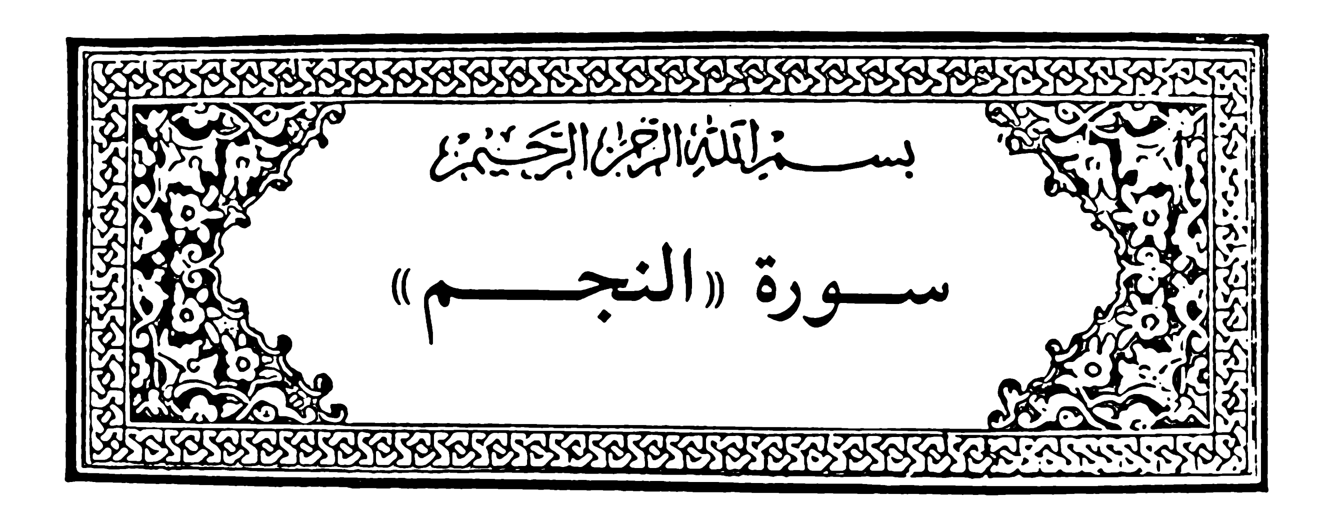
﴿وســبـح بحمــد ربــك﴾ ملتبسا بحمد ربك على ما مر اى قل سبحانه وبحمده. ﴿حــين تقــوم﴾ من كل مجلس فان كان مجلس خير ازددت به احسانا وإلا كان كفارة له وفي الحديث «من كثر لغطه فقال قبل

ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا إله إلا انت استغفرك واتواب اليك كان له كفارة وعليه عطاء» وقال ابو الاحوص يريد سبح بحمد ربك في كل قيام وعن ابن عباس حين تقوم من منامك وعن الحسن يعني صلاة الفجر وقيل حين تقوم في الليل إلى ان تدخل صلاة الفجر وقيل حين تقوم الى الصلاة وقاله ابن المسيب وسأل عاصم بن حميد عائشة رضي الله عنها بماذا يفتتح ﷺ قيام الليل فقالت ما سألني عنه احد قبلك، يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويهلل عشرا ويستغفر عشرا ويقول اللهم اغفرلي وارحمني واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وروي انها قالت اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك، وعن ابن زيد اراد صلاة النفل وقال الضحاك المفروضة.

﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل المراد مجرد التسبيح. ﴿وادبار النجوم﴾ من آخر الليل يسبح في آخره وقبل صلاة الفجر وقبل سنته وقرىء بفتح الهمزة جمع دبر اي اعقاب النجوم والمكسور مصدرا والمراد بالادبار خفاؤها بالضوء او غروبها كان منها اول الليل او بعد اوله في اوائل مطلعه او بعد ذلك او في وسط السماء او بعد وسطه قال القاضي وجل ثناءك ولا اله غيرك، وعن ابن زيد اراد صلاة النفل وقال الضحاك المفروضة.

﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل المراد مجرد التسبيح. ﴿وادبار النجوم﴾ من اخر الليل يسبح في اخره وقبل صلاة الفجر وقبل سنته وقرىء بفتح الهمزة جمع دبر اي اعقاب النجوم والمكسور مصدرا والمراد بالادبار خفاءها بالضوء او غروبها كان منها اول الليل او بعد اوله في اوائل مطلعه او بعد ذلك او في وسط السماء او بعد وسطه قال الماضي قدم من الليل على سبح وافرد بالذكر لان العبادة فيه اشق وابعد عن الرياء.

اللهم ببركة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبركه السورة اكسر شوكة النصارى واهنهم واخرهم وانصر المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «النجم»

ويقال سورة النجم وكذا في الطور ونحوها وهي مكية وقيل «إلا الذين يجتنبون» الي و قيل «الا افرأيت الذي تولى» الايات التسع وآيها اثنتان وستون وقيل: احدى وستون وكلمها ثلاثمائة وستون وحروفها ألف وأربعمائة وخمسة أحرف، قال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدَّق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة، ومن كتبها في رق غزال طاهر وعلقها عليه قوي سلطانه ولم يخاصمه أحد إلا قهره ونُصر عليه».

بســم الله الرحمــن والرحيـــم

﴿والنجــم إذا هــوى﴾ يعني الثريا اذا غربت وغابت والعرب تسمي الثريا نجماً وفي الحديث «ما طلع النجم وفي الأرض شيء من العاهات إلا رفع» يعنى الثـريا ويقولون اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وهو علم بالغلبة عليها اذا أطلق وكذا قال ابن عباس وسفيان ومجاهد وقيل للجنس فالمـراد النجـوم وهويها وغروبها او غيوبها او وقوعها على مسترق السمع قال بعضهم قال الجمهور هويا غروبها وقال ابن عباس انقضاضها وقيل طلوعها وقيل انتثارها يوم القيامة وممن قال بان النجم الجنس الحسن وقيل المراد نجم القرآن أي القطعة النازلة منه لأنه نزل نجوماً، وقيل القرآن لنزوله نجوماً والهوي النـزول، ونسب لابن عباس روي أن عتبة بن أبي لهب زوج بنت رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى الشام فقال لأتين محمداً فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد أنا كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه بنته وطلقها فقال رسول الله ﷺ اللهم سلط عليه من كلابك، وكان أبو طالب حاضرا فاشتد حزنه وامسك عن الكلام ثم قال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة إلى ابيه فاخبره ثم

خرج الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد لتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله قال حسان:

من يرجع العام الى اهله   فما اكيل السبع بالراجع

وقيل النجم الوحي ونسب لابن عباس ايضا وقيل النجم محمد ﷺ وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء بروحه وقيل بجسده ولا باس به سوى قولهم رأى ربه فمنكر عظيم وقيل النبات الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وارتفاعه ونموه قال ابو البقاء ناصب اذا فعل القسم المحذوف وهذا منه اخراج «إذا» عن الشرط وإلا لم يعمل ما قبلها فيها إلا ان اراد فعل القسم المقدر بعدها جوابا لها للدلول عليه بالقسم قبلها والتحقيق خروجها عن الشرط.

وقد نص ابن هشام على انها خارجة بعد القسم نحو والليل اذا يغشى والنجم اذا هوى قال ولو كانت شرطية كان ما قبلها جوابا في المعنى واقسمت لا يكون جوابا لانه انشاء لا يقبل التعليق لان الانشاء ايقاع والمعلق يحتمل الوقوع وعد منه وان قدرنا فعل القسم بعدها جوابا خبريا لم يدل عليه الانشائي المقدر سابقا لتباين حقيقة الاخبار والانشاء واما ان جاء فوالله لاكرمه فالجواب في الحقيقة فعل الاكرام والقسم انما جاء تأكيد وفعل الاكرام هو المسبب عن الشرط وجاوب النجم هنا ماض مستمر الانتفاء فلا يتسبب عن المستقبل وهو فعل الشرط والحق عندي ان الطلب لا يمتنع التعليق معه وإنما يمتنع مع الانشاء الذي هو كفعل القسم والاستفهام فلا يرد عليه وقوع الجواب طلبا في القرآن وغره كثيرا.

﴿ما ضل صاحبكم﴾ جواب القسم **﴿وما غوى﴾** قال الرازي: اكثر المفسري لم يفرقوا بين الضلال والغي وبينهما فرق فالغي في مقابلة الرشد والضلال أعم منه، وقيل: الضلال والغي وبينهما فرق فالغي في مقابله الرشد

الباطل وقيل: الغي الجهل، وقيل: الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا اصلا والغي ان يجده ولا يتبعه والضلال اكثر استعمالا والصاحب النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش والمراد نفي ما نسبوه اليه وهذه أول سورة اعلن بها رسو ﷺ وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس إلا ابا لهب فانه رفع حفنة تراب إلى جبهته وقال يكفني هذا وقال امية بن خلف وقتل كافرا.

وسبب نزولها قولهم أنه يختلف القرآن والأقوال والقرينة الثانية في الآية وهي: ﴿**ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ أطول من الأولى وهي: ﴿**والنجم إذا هوى**﴾ وأحسن السجع ما تساوت قرائنه نحو ﴿**في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود**﴾ ثم ما طالت قرينته الثانية كالآية، أو الثالثة نحو ﴿**خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه**﴾ إن لم تقل خذوه فغلوه قرينة واحدة.

﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ رد عليهم اي لايتكلم بما يهواه من تلقاء نفسه وفاعل ينطق ضمير الصاحب وقيل ضمير القرآن وهو بعيد، قيل: وعن بمعنى الباء، وال عوض عن الضمير أي عن هواه أو الضمير مقدر أي عن الهوى له، قال ابن هشام: والظاهر أنها للمجاوزة أي وما يصدر قوله عن هوى.

﴿**إن هو إلا وحي يوحى**﴾إن نافية ولفظ هو ضمير النبي ﷺ على حذف مضاف اولا وآخرا اي ان قوله إلا وحي او ان هو إلا ذو وحي ويوحى صفة وحي او وحي بمعنى موحى اليه فحذف واوصل ويجوز رجوع هو الى المطوق. وقيل: الضمير للقرآن باجماع ودعوى الاجماع باطلة والوحي يطلق علي الارسال والالهام والكتابة والاشارة واحتج بالآية من لم ير الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم وأجيب بأنه إذ اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا ورد بان ذلك حينئذ بالوحي لا بالموحى والصحيح جواز اجتهاده ووقوعه لقوله ما كان لنبي أن تكون له اسرى الخ . . . أفي الله شك الخ، عوتب على استبقاء اسرى بدر بالفداء وعلى الاذن لمن ظهر نفاقهم في التخلف عن غزوة تبوك ولا يكون العتاب فيما صدر عن وحي وحجة المانع

انه قادر على اليقين بالوحي بان ينتظره ورد بان نزل الوحي ليس في قدرته وقيل بالجواز والوقوع في الرأي والحرب فقط جمعا بين الادلة وبسط ذلك في اصول الفقه.

﴿علمه﴾ أي النبي، ﴿شديد القوى﴾ هو جبريل علمه القرآن وغيره ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه إلى السماء حتى سمعوا صياح الديك وبكاء الصبي ثم قلبها وصاح بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فضربه بجناحه فالقاه في اقصى جبل بالهند.

واضافة شديد القوي اضافة الصفة المشبهة لقائلها وهي لفظية قرأ حمزة والكسائي اواخر أى هذه السورة من قوله اذا هوى الى قوله من النذر الاولى بالامالة وأمال أبو عمر ومن ذلك ما فيه رأي وما عدا ذلك بيّن والباقون باخلاص الفتح.

﴿ذو مرة﴾ ذو احكام واتقان في عقله ورأيه ودينه من مراية الحبل وهي فتله واحكام عمله وقال قتادة: المرة القوة وقال ابن عباس: ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل. ﴿فاستوى﴾ جبريل اي استقر على صورته التي خلق عليها لا الصورة التي يتمثل بها للانبياء وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم في صورة دحة.

﴿وهو بالافق﴾ أي فيه. ﴿الأعلى﴾ افق الشمس عند مطلعها فملاه والأفق الجهة من السماء فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان بحراء قد سد الافق له ستمائة جناح غطى بها المغرب والمشرق فغشي عليه ﷺ وكان طلب أن يراه على صورته ولم يره أحد من الانبياء عليها سواه فنزل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه كما قال.

﴿ثـــم دنـــا﴾ جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم. ﴿فتـــدلـــى﴾ زاد في القرب من غير ان ينتقل من موضعه كما يدلي الرجل رجله من السرير فهذا تقرير لشدة قوته وقد قيل في معنى استوى انه استوى واستولى لقوته على ما اجعل له من الامر وقيل الفاء هذه عطفت سابقا على لاحق اي تدلى فدنا لان التدلي سبب القرب والحق ما مر لو هي للترتيب الذكرى وقيل ضمير تدلى للنبي اي تعلق بجبريل ليعرج إلى السماء فالمراد الاعراج ورأى جبريل على صورته في السماء فثبت انه رآه مرتين على صورته مرة في الارض ومرة في السماء وعن بعضهم: ان لفظ هو عائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم خبره بالافق والجملة حال وقيل: معطوف على ضمير استوى اي استوى جبريل والحال ان محمدا معه بالافق او استوى جبريل ومحمد في الافق معا.

وعن مسروق بن الاجدع وانس والضحاك ان الذي دنا فتدلى هو الله عز وجل عن ذلك ويدعون أنه رآه وهذا كذب وكانت عائشة رضي الله عنها من اشد الناس انكارا لذلك قال لها مسروق بن الاجدع فاين قوله ثم دنا فتدلى الخ.. قالت ذلك جبريل اتاه في صورته فقالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم الفرية على الله لانه يقول لا تدركه الابصار ومن زعم انه انقص من الوحي شيئا فقد اعظم الفرية على الله لقوله يا ايها الرسول بلغ... الخ، ومن زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية لان الله يقول ان الله عنده علم الساعة... الخ، فقول الضحاك ان المعنى دنا من ربه فتدلى اهوى للسجود افتراء منه.

﴿فكـــان﴾ جبرائيل وقيل محمد ﴿قـــاب﴾ مقـــدار ﴿قـــوســـين﴾ قـرب من النبي صلى الله عليه وسلم مقدارها. ﴿أو أدنـــى﴾ اقرب من ذلك حتى أفاق وسكن روعه وأو للشك باعتبار المخلوق اي يشك احدكم لو رآهما انه ادنى او للاضراب وقيل ذلك اشارة إلى تأكيد القرب كقولهم هو مني معقد الازار والمقصود تمثيل الاتصال وتحقيق استماعه لما يوحى بنفي البعد الملبس ونكتة التعبير بالقوس ان الحليفين من العرب إذا ارادا عقد الصفا والعمـل بينهـما خرجـا بقـوسيهما والصفا بينهما يريدان انهما يتحاميان والمراد

القوسان العربيان والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار كما قرأ زيد بن علي قاد، وقرأ غيره قيد، وقرأ قدر، وقيل: ألقاب وتر القوس، وقال ابن مسعود: القوس الذراع الذي يقاس به وقيل القاب المقيض وزعمت البطلة ان القرب كان بين الله ونبيه وما روي عن ابن مسعود روي ايضا عن ابن عباس وعن قتادة القاب من طرف العود إلى طرفه، وعن الحسن ومجاهد من الوتر إلى العود في وسط القوس عند المقبض وقيل المراد بينهما من القرب ما بين القاب الى القوس الملصقين والمراد احد قابيهما وقيل القاب النصف والقوس الاصبع فافهم.

وفي الكلام حذف ثلاث مضافات أي كان مقدار مسافة قربه وقدر الزمخشري أيضا مثل قاب قال ابن هشام: للقاب معنيان المقدار وما بين مقبض القوس وطرفها وعلى التفسير بالثاني فقيل هي على القلب اي قابي قوس ولو اريد هذا لا غنى عنه ذكر القوس ويبحث فيه بانه لا يغني ذكره عن ذكر القابين لأن المراد القرب باعتبار ان مابين طرفي القابين وهو مقبض القوس ولولا ذلك لالتقيا فهما في غاية القرب وهذا لا يفيد ذكر القوس مجردا عن اضافة القابين اليه وما ذكره الزمخشري يصح على تفسير القاب بالقدر وان فدر بما بين مقبض القوس وطرفها قدر مضاف اخر أي مثل قدر قاب ففي الاية القلب وما زعموا عن ابن عباس وابي ذر وكعب والحسن وابن مسعود وابي هريرة من أنه رأى ربه ليلة الإسراء غير صحيح، بل اشتهر عن ابن مسعود وأبي هريرة المنع ووقف بعض قومنا لكن قال رؤيته في الدنيا جائزة.

وأما سؤال موسى الرؤية فالكلام عليه في آيته وزعم بعض عن ابن مسعود وابن عباس وجعفر بن محمد انه كلمه الله بلا واسطة وان صح عن ابن عباس وابن مسعود والحسن انه دنا من الرب وتدلى فما ذلك الأقرب تشريف وقاب قوسين او ادنى تأكيد لذلك وايضاح للمعرفة واشراف على حقائق كما قال عياض.

﴿فاوحى إلى عبده ما أوحى﴾ الضمائر لله لدليل المقام وقيل ضمير اوحى لجبريل في الموضعين والهاء لله اي اوحى جبريل اليه ما اوحى مثل

فغشيهم من اليم ما غشيهم وقيل ضمير اوحى الاخير عائد إلى الله اي اوحى اليه ورفعنا لك ذكرك وألم يجدك يتيما وما بينهما وقيل اوحى ان الجنة محرمة على الانبياء حتى ندخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك واول ما يرى الوحي في المنام ثم خرج لحاجة من حوائجه فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا فرفع بصره فرأى جبريل واضعا احدى رجليه على الآخرين في الهواء فدخل في الناس فنظر فلم يره وخرج منهم فرآه في الهواء كذلك ثم دخل فلم يره وخرج فرأى قال عروة بن الزبير عن عائشة فذلك الدنو التدلي.

﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أي ما أنكر فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل وملكوت الله وآياته وعلم انه جبريل وانه حق او المعنى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره والأمور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم بالبصر كالملك وزعم بعض انه رأى ربه بقلبه فببصره وانه تحقق ذلك وقيل بقلبه وزعموا انه قال: رأيته بفؤادي وعن بعض انه جعل بصره في فؤاده وزعموا عن ابن عباس انه اصطفى محمدا بالرؤية وموسى بالكلام وابراهيم بالخلة وزعموا عن كعب ان موسى كلمه مرتين ومحمدا رآه مرتين وذلك المدعى من الرؤية باطل. سأل مسروق عائشة رضي الله عنها فقالت قد اقشعر شعري من قولك اين انت من ثلاث من حدثهن فقد كذب وقد مرت وقوله في سورة التكوير ولقد رآه بالافق المبين دليل على ان المراد في هذه السورة جبريل وقرأ هشام بتشديد الدال أي صدقه ولم يشك أنه جبريل.

﴿افتمارونه على ما يرى﴾ أي فتجادلونه في رؤية جبريل وقيل انهم جادلوه حين قال لهم اسري بي وقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن غيرنا في الطريق وكلامي على ذلك في محله مشتق من مراى الناقة باسكان الراء وهو مسح ضرعها لتدور كل من المتجادلين يخرج ما عند الآخر وقرأ حمزة والكسائي قال القاضي ويعقوب: أفتمارونه بفتح التاء وإسكان الميم أي أفتغلبونه في المراد، أو أفتمجدونه فيما رآه حقه إذا جحده واختار هذا أبو

عبيدة وزعم انهم لا يمارونه بل جحدوه وعدي بعلى لان الجاحد والمتماري قاصدان بفعلهما الاستعلاء على الخصم.

﴿ولقد رآه نزلة اخرى﴾ رأى النبي جبريل مرة اخرى على صورته وزعم هؤلاء ان المعنى انه رأى ربه مرة اخرى بعين رأسه وقيل بعين قلبه والصواب الاول عليه الجمهور وزعم هؤلاء انه رآه في نزلة من النزولات المتعددة حين كان يتردد طلوعا ونزولا للتخفيف عن الامة في اعداد الصلوات والمنزلة فعلة من النزول نصبت على الظرفية قياما مقام المرة اشعارا بان روية جبريل في هذه المرة كانت بدنو ونزول وقيل مصدر أي نازلا نزلة اخرى قال القاضي والمراد به نفي الرؤية عن المرة الاخيرة.

﴿عند سدرة المنتهى﴾ في السماء السابعة يميز العرش وعن كعب انها في اصل العرش على رؤوس حملة العرش يعني انها مستعلية عليهم وسميت بذلك لانه ينتهي اليها على الخلائق لا يعلمون ما خلفها ولا ما فوقها واليها ينتهي ما يعرج من الارض ومن السموات فيقبض منها وما ينزل فيؤخذ منها وتنتهي اليها روح المؤمن فتُصف الملائكة المقربون حولها يصلون عليه صلاة الميت وقيل لانها في منتهى الجنة وآخرها قال القاضي ولعلها سميت سدرة وهو شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها واوراقها كآذان الفيلة ونبقها كقلال هجر بسير الراكب في ظل غصن واحد مائة سنة وروي انه يستظل بظلها مائة الف راكب ومن اصلها نهران الى الجنة ونهران الى الدنيا النيل والفرات وعن مقاتل تحمل الحلي وجميع ألوان الثمار وأنها شجرة طوبى في سورة الرعد وأن ورقة منها تضيء لأهل الارض.

﴿عندها جنة المأوى﴾ تأوي إليها الملائكة أو أرواح الشهداء أو المتقون أو المرد الكل روي عن الحسن انها جنة المؤمنين وفي ذلك تعظيم لسدرة المتنهى بان الجنة عندها والمنتهى والمأوى اسمان مكانين أو مصدران ميميان وفتحه اذا كان اللهم مكان على غير قياس لان المضارع ياوى بالكسر وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنة المأوى بضم الهاء بلا نقط فيكون جن فعلا أي ستره بظلاله وانكرت عائشة ذلك وقالت من قرأ به فاجنه الله.

﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ متعلق برأي والابهام للتعظيم والتكثير لما يغشاها وحذف مفعول يغشى للمفاصلة والمعنى يغطيها ما يغطيها أي يأتي عليها جم غفير من الملائكة يعبدون الله عليها وفي الحديث «على كل ورقة ملك قائم يسبح لله واغصانها من لؤلؤ وقيل يغشاها ملائكة كالغربان وقيل امثال الطير» وفي حديث «يغشاها رفرف من طير خضر» وعن ابن مسعود وكعب يغشاها فراش من ذهب بفتح الفاء وهو طير صغار كالذباب يقع على نار المصباح وروي انه ﷺ رآها ثم وضع الله عليها نورا فما من احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وعن بعض ان تفسير الغاشي تكلف اذ ورد مبهما وقال ﷺ «غشيها ألوان لا أدري ما هي».

﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ أي ما مال بصره ﷺ عما رآه يمينا ولا شمالا بل اثبته وتيقنه وما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوز ما امر به يقال طغى جاوز فلم يقطع بصره عن المقصود وفي ضمن ذلك وصف بالادب العظيم في مقام عظيم لم يسبق له ﷺ ووصف بالثبات اذ لم يصعق كموسى قبل وان قلنا الغاشي فراش من ذهب فالمعنى انه لم يشتغل به ولم يلتفت اليه وانه لم يكن مقصودا فلم يقطع بصره عن المقصود.

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ من البيان أي والله لقد رأى محمد الآيات الكبرى وهي آيات ربه وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج في مسيره ورجوعه فالكبرى مفعول رأى أو من للتبعيض والكبرى نعت الآيات والمفعول محذوف أي شيئا منها أو من زائدة في الايجاب والمعرفة عند مجيز ذلك.

وعن ابن عباس وابن مسعود: رأى رفرفا اخضر من الجنة سد الافق، وعن ابن مسعود: رأى جبريل على صورته وله ستمائة جناح. وقال عياض: قصرت الاحلام عن تفصيل ما اوحي وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى، وزعم بعض أنه رأى ربه، وزعم عن الحسن انه رأى ربه ليلة الاسراء.

وزعم عن ابن عباس انه قال تعجبون ان تكون الرؤية لمحمد والخلة لابراهيم والكلام لموسى صلى الله عليهم وزعم ان ابن عمر راجع ابن عباس وراسله فاثبت له الرؤية فان صح ذلك عن ابن عباس فليس الحق معه في هذه المسألة ولو كان خبر الامة واعلم من عائشة بل الحق معها في نفي الرؤية وما تقرر في الاصول من ان المثبت مقدم على النافي محله ما اذا لم يمنع مانع من الاثبات وقد قام المانع هنا وهو ان المرئي لون ذو أجزاء وجهات فوق ومكان وتحت آخر وجسم والله منزه عن ذلك وغيره مما تستلزمه الرؤية كما قال ﴿لا تدركه الابصار﴾ وقال ﴿او من وراء حجاب﴾ أي لا يراه خلق وان قلنا معنى الحجاب لم يجاهرهم بالكلام ففي الدلائل المذكورة ما يغني وابن عباس قال ما قال غفلة منه عن تلك الدلائل اثباتا منه لا سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف عائشة فنفت الرؤية بالآيات والسماع منه صلى الله عليه وسلم سالته عن الآيات السابقة في هذه السورة قال لها هو جبريل.

قال عياض: وحديث عائشة قاطع بكل تأويل في اللفظ وذكر بعد تلك القدرة والصفات العلية الاصنام ذما لها لحقارتها وبعدها من تلك القدرة والصفات فقال ﴿افرأيتم﴾ مفعوله الثاني محذوف أي قادرة على تلك القدرة والصفات فتعبدوها دون الله القادر وقدره بعضهم افرأيتموهن بنات الله او ملائكته وقد يجعل المفعول الثاني جملة الكم الذكر معلق عنه بالاستفهام وذلك انهم ينسبون الاصنام المذكورة بنات الله وهو ضعيف.

﴿اللات﴾ اسم صنم مشتق من اسم الله وكان بالطائف وقيل ببطن نخلة تعبده قريش وقرىء اللات بالتشديد واصله رجل يلت السويق للحاج فلما مات عبدوا قبره وقيل رجل يطعمهم الحيس ببطن نخلة عبدوه بعد موته وقيل صرمة بن غنم من ثقيف يضع السمن على صخرة فتلت العرب به اسوقتهم فحولها ثقيف بعد موته الى منازلهم وعلى التخفيف فهو علة من لوى لمعنى اعتكف وطاف كانوا يعتكفون ويطوفون على الصنم والتشديد قراءة يعقوب في رواية البزي وورش وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقال الشيخ خالد ان المخفف اصله التشديد من لت السويق يلته وال فيه وفي العزي زائدة لازمة

﴿والـعـزى﴾صنـم مشتق من اسم العزيز الذي هو اسم الله وقيل تأنيث الاعز وهي شجرة لغطفان يعبدونها بعث اليها ﷺ خالد بن الوليد فقطعها وجعل يضربها بالفاس ويقول

يا عزي كفرانك لاسبحانك   إني رأيـت الله قـد أهانـك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها كذا قيل والحق ما ذكره الزمخشري والشيخ خالد انه قطعها فخرجت الشيطانة كذلك جعل يضربها وتقول البيت، وقيل أنه قطعها فقال ﷺ ما رأيتم شيئا فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فاجتث أصلها فخرجت عريانه فقتلها فأخبر النبي حين رجع فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل صنم لغطفان وضعه سعد بن ظالم الغطفاني وقيل قدم مكة فرأى الصفا والمروة يطوف اهل مكة بينهما فرجع إلى بطن نخلة فقال لا صفا ولا مروة ولا إله لكم وكان ذلك لاهل مكة فقالوا ما تأمرنا فقال: انا أضع لكم ذلك فاخذ حجرا من الصفا فوضعـه لهم كالصفـا وحجـرا من المروة فوضعه كالمروة واخذ ثلاثة احجار فوضعهـا الى شجـرة فقال هذا ربكم فطافوا بين الحجرين وعبدوا الحجارة الثلاثة ولما فتحت مكة امر صلى الله عليه وسلم برفع الحجارة وأمر خالد بقطع الشجرة وقيل: بيت بالطائف تعبده ثقيف والصحيح الصخرة.

﴿ومنـــاة﴾ صنـم وهو صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقيل لخزاعة بقديد وعن عائشة كان الانصار يهلون اليها وكان اهل مكة يعبدونها ووزنه مفعلة بفتح الميم والعين من مناة اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون فيها القرابين وقرىء منآءة بالمد لان دماء القرابين تمنى عليها أي تراق وعزيت لابن كثير وقيل عنه منآءة بالهمزة على الالف مفعلة من النوء كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا والنوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبة من المشرق وكانت العرب تضيف الامطار الى الساقط وقيل للطالع وعن بعضهم اللات صنم تعظمه العرب والعزى صخرة بيضاء تعبدها ومناة بالشلل من قديد وهي اعظمها وتهل لها الأوس والخزرج.

﴿الثـالـثـة الاخــرى﴾ الصفتان لمناة للتأكيد وزعم بعض ان العرب لا تقول الثالثة اخرى وانما الاخرى نعت الثالثة وزعم بعض ان الاخرى نعت للعزى وفيه تقديم العطف على النعت المفاصلة وقيل الاخرى نعت مناة من تأخير الرتبة لا تأخير العدد كانه قال: وهي المتأخرة المقدار الوضيعة كما قيل في قوله عز وجل: وقالت أخراهم لأولاهم أي ضعفاؤهم لاشرافهم وان اللات اشرف لأنه على صورة آدمي والعزى شريفة لأنها شجرة فهي نبات ومناة وضيعة لأنها جماد وادعي بعض انه لا بدل اخرى عل مدح ولا دم والحق انه قد يدل على ذلـك وقيل الـلات والعزى ومناة اصنام من حجارة وضعت في جوف الكعبة يعبدونها وكانوا يقولون الملائكة وتلك الاصنام بنات الله وانها شفعاؤهم مع كراهتم البنات ووأدهم لهن فقال ﴿ألكـم الـذكـر ولـه الانثى﴾ انكر هذه القسمة كيف تجعلون اندادا لله من تنافون ان يولد لكم وهو البنات واكد الانكار بقوله.

﴿تلـك إذاً قسـمة ضـيزى﴾ قال الحسن: جائزة من ضازة بمعنى ضامة وجار عليه وكذا عن ابن عباس وقال: مجاهد معوجة وقال سفيان: منقوصة وقال ابن زيد: مخالفة واصله ضيزى بضم الضاد لانه ليس في الصفات فعلى بالكسر لكن قلبت الضمة كسرة لتبسلم الباء من قبلها واواً كما فعل في بيض الاصل بوض كحمرة بضم فسكون وقرأ ابن كثير ضئزي بالهمز بعد كسر من ضئزة بالهمز ظلمه وهو صفة وقال القاضي: مصدر وصف به وقرأ ضيزى بالفتح.

﴿إن هـي إلا أسـماء سميتمـوها﴾ أي ما الأصنام المذكورة باعتبار الالوهية إلا أسماء تذكرونها وتطلقونها ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالوهية لما هو ابعد شيء منها ويجوز عود الضمير للاسماء التي قولهم اللات والعزى ومناة أي ما هذه الاسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم لا ببرهان وكانوا يطلقون اللات باعتبار استحقاقها للعكوف عليها والعزى لعزتها ومناة لاعتقـادهم استحقاقها التقرب إليها بالقربان ولسن أهلا لذلك فأسماء بلا مسمى ويجوز عوده للصفات التي يصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء وقيل سميتموها أصله سميتموا بها.

﴿أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ من حجة على انها آلهة.
﴿ان يتبعون﴾ أي ما يتبغون ﴿إلا الظن﴾إلا توهم إنما هم عليه حق تقليدا توهما باطلا وقرىء تتبعون بتاءين. ﴿وما تهوى﴾ تشتهي.

﴿الانفس﴾ وزينه الشيطان فعادتهم بمقتضى شهواتهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في المسجد الحرام يصلي بالسورة ولما قرأ الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه انهن لمن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجي فاعجب ذلك المشركين ولما ختمها سجد المؤمنون والمشركون والجن والانس معه فنزل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذ تمنى.... الخ وقيل حدث نفسه في الصلاة ولما بلغ ذلك القى الشيطان ما ذكر على لسانه بتذكير الضمير جمعا أو تانيثه افرادا وعنى الملائكة وروى مع بدل من فقالوا ذكر آلهتنا بخير فقال ﷺ والله ما كذلك نزلت فنزل جبريل فاخبره النبي ﷺ فقال والله ما هكذا علمتك ما جئت بها هكذا فنزل وما ارسلنا.... الخ وقيل نزل واذا ذكر الله وحده اشمأزت..... الخ.
﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه من الشرك. ﴿ام للانسان﴾ بل اله. ﴿ما تمنى﴾ وقيل الانسان الكفار يظن ان له ما تمنى من الايمان بآلهته وقيل طمعهم في شفاعة الآلهة وقيل هو قول بعضهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل تمنى بعضهم ان يكون نبيا ويقول قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل.... الخ وقيل ذلك كله ونحوه والانسان الجنس.
﴿فلله الآخرة والاولى﴾ يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا يتحكم احد عليه في شيء منها شفاعة وغيرها ومن عيوب النفس كثرة التمني وهو الاعتراض على الله في ملكه وقضاياه وقدره ومداواته ان تعلم انه ما تدري ما يعقبه ما تتمنى الخير الى خيرا أو إلى شرا وإذ تيقن ابهام عاقبة تمنيه اسقط عن نفسه ذلك ورجع الى الرضا والتسليم فيستريح إلا العبادة فتمنيها عبارة ان اتى بها تيسر في الحال.

﴿وكم من ملك﴾ أي كثير ﴿في السموات﴾ لهم الزامي ﴿لا تغني شفاعتهم﴾ في اقل شيء ولو اجتمعوا عليه ﴿شيئا﴾ من الاغناء ﴿إلا من بعد ان يأذن الله﴾ في الشفاعة.

﴿لمن يشاء﴾ من الملائكة أو الناس ان يشفع. ﴿ويرضى﴾ يراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبادها فذلك رد على قريش وانما الشفاعة للمسلمين في المسلمين. ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وهم المشركون انكروا البعث.

﴿ليسمون الملائكة تسمية الانثى﴾ يقولون بنات الله والانثى الجنس واختاره عن الاناث للمفاضلة أو باعتبار كل ملك فانهم سموا كل ملك بالانثى يقولون كل واحد بنت.

﴿وما لهم به من علم﴾ أي بما يقولون وقيل الضمير لله وذلك انهم اشركوا به وجعلوا له بنات وقيل ما ايقنوا ان الملائكة اناث وانهم بناته تعالى و قرأ أبي بها أي بالملائكة أو بالتسمية.

﴿ان يتبعون إلا الظن﴾ في تسمية الملائكة اناثا. ﴿وان الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ أي انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وانما العبرة بالظن في العمليات لا في الاعتقادات وقيل لا يغني الظن عن الحق الذي هو العلم وقيل الحق الله.

﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾ أي القرآن وقيل الايمان نسخت بآية السيف ونقول يصح ان يراد بالاعراض ان انذارك لا يفيدهم فكف فقد بلغت فلا نسخ.

﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فهي منتهى همته فلا يزيده الانذار إلا عنادا أو لا يريدون الآخرة فيعملوا لها. ﴿ذلك﴾ أي امر الدنيا وكونه شهوة واختيار على الآخرة وقولهم الملائكة بنات الله يشفعون لهم. ﴿مبلغهم من العلم﴾ نهاية علمهم وقيل رأيهم ومبلغ اسم مكان والجملة قيل معترضة بين اعرض وتعليله الذي هو قوله ﴿إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله

وهو اعلم بمن اهتدى﴾ فيجازي الضال والمهتدي ولست تعلمهم انت فلا تتعب نفسك في دعوتهم بعدما دعوت وبلغت وهذا وعيد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم.

﴿ولله ما في السموات وما في الارض﴾ خلقا وملكا ويهدي من يشاء ويضل من يشاء فهو لكمال قدرته وسعة ملكه يجازي كلا بما عمل كما قال. ﴿ليجزي﴾ متعلق باعلم أو بمحذوف أي خلق الخلق للجزاء أو ميز الضال والمهتدي وحفظ احوالهم للجزاء وقرىء بالنون.

﴿الذين أساءوا﴾ أشركوا وهم المراد بمن ضل أو أراد أصحاب الكبائر مطلقا. ﴿بما عملوا﴾ بعقاب ما عملوا من السوء وبمثله أو بسبب ما عملوا. ﴿الذين﴾ نعت الذين أو بدل أو بيان أو خبر لمحذوف أي الممدوحون أو مفعول أي أمدح.

﴿ويجزي﴾ بالياء. ﴿الذين أحسنوا﴾ آمنوا وعملوا ﴿بالحسنى﴾ الجنة أو ما حسن من اعمالهم أو بسبب الاعمال الحسنى ﴿الذين﴾ نعت الذين أو بدل أو بيان أو خبر لمحذوف أي الممدوحون أو مفعول أي أمدح.

﴿يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم﴾ وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم علي ارادة الجنس فهي كقراءة الجمهور في المعنى وقيل على ارادة الشرك والكلام على الكبيرة في سورة النساء والاثم قيل الكبائر فالاضافة للبيان والحق انه الذنب مطلقا والفاحشة ما عظم قبحه من الكبائر واللمم الصغائر وليست معلومة عند جمهور اصحابنا لئلا يجترىء عليها لأنها تغفر باجتناب الكبيرة وعد بعضهم منها كشف العورة ليلا وكشفها نهارا حيث لا ترى والدخول بغير إذن والتبسم غير المباح والهم بالمعصية ونيتها وقيد بعضهم التعري ليلا بحيث لا أحد.

قيل: وقول ﴿أف﴾ قال ابن محبوب: والغمزة والهمزة والنظرة قال والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا من مقدماته والحق انها كبيرة ولعل المراد النظرة

الاولى قال بعضهم والدفعة لا بعنف والركدة والكذبة على غير الله ورسوله حيث لا ضربها على احد والرضى بالمعصية والامر بها مالم تفعل قيل واخذ حبة أو حطبة أو خلال أو نباته من مال الغير ولبس ثوبه وركوب دابته واستعمال خادمة يسيرا أو معارا في غير ما استعير له ووطىء حرثه وقعوده على سريره أو حصيرة وكتابة من ادواته أو بقلمه أو في قطعة قرطاس له وسقى بدلوه وزجر على دابته وشرب من انائه.

وقال ابن محبوب الصغيرة كل ما قام بالقلب من ذكر المعصية والهم بها ونيتها وما دان بالتوبة منه ولا ظلم فيه قيل واللطمة، إن لم توجب تلف مال أو نفس أو دم وعن المحلي سرقة الشيء القليل صغيرة إلا إذا كان المسروق منه مسكينا لا غنى به عن ذلك فكبيرة وقال ايضا قذف الصغيرة والمملوكة والحرة المتهتكة كبيرة قال ابن عبد السلام: قذف المحصن في خلوة بحيث لا يسمع أحد إلا الله والحفظة صغيرة قال قوم وشرب مالا يسكر لقلته من الخمر صغيرة وقال بعض اصحابنا لا صغير ولو حمل القول بعدم علمها على هذا القول لصح لان السالبة عند المناطقة تصدق بنفي الموضوع والاستثناء منقطع وقيل الاستثناء متصل واللمم من الكبائر والفواحش أي إلا ان يلم بالفاحشة ويتوب.

وعليه ابو هريرة والحسن ومجاهد وعن ابي صالح قلت لابن عباس هي ان يلم بالذنب ولا يعود اليه فقال اعانك عليها ملك كريم أي وان عاد وتاب غفر له وكان صلى الله عليه وسلم يتمثل بقوله

ان تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا الما

وقيل اللمم ما فعلوا في الجاهلية قال زيد بن ثابت وزيد بن اسلم كان المشركون يقولون للمؤمنين انكم بالامس تعملون معنا فنزلت وروي عنه صلى الله عليه وسلم كتب على ابن ادم حظه من الزنا، فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وزنا الأذنين السمع وزنا اليد المس وزنا الرجل الخطا فقالوا ان ذلك صغائر قال والفرج يكذب ويصدق وقال الكلبي:

الصغيرة كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا والاصرار علي الصغيرة كبيرة.

﴿ان ربك واسع المغفرة﴾ لمن تاب من الكبائر والفواحش ويغفر الصغيرة باجتناب الكبائر وقال هذا لئلا ييأس صاحب الكبيرة والله لا يخلف وعيده. ﴿هو اعلم بكم﴾ باحوالكم منكم وذلك أنهم عالمون بأحوال انفسهم بل ببعضها بعد خلقهم وتمكنهم من العلم والله اعلم منهم وقت الانشاء كما قال ﴿اذ أنشأكم﴾ تقول زيدا علم في كل وقت منك حال تمكنك من العلم والله أعلم في كل وقت ويجوز كون اذ تعليلية وقيل عالم بمعنى عالم والمعنى اذ خلق آباءكم.

﴿من الارض﴾ فانتم مخلوقون من الارض بواسطة خلق ابيكم منها ويقوى الظرفية قوله ﴿وإذا انتم اجنة في بطون امهاتكم﴾ جمع جنين وهو الصغير في البطن سمي لاستتاره فهو عالم بكم حين ابتدأ خلقكم وحين تصويركم في الارحام وان جعلنا اذ الأولى تعليليه فهذه مفعول لمحذوف أي واذكروا وقت استقراركم في الارحام قيل: إذ الأولى ويجوز ان يريد انشأكم من الارض انشاء غذاءكم منها.

﴿فلا تزكوا انفسكم﴾ لاتمدحوا انفسكم بزكاء العمل وزيادة الخير أو بالطهارة عن المعاصي ولو عند انفسكم. ﴿هو﴾ لا غيره أي الله. ﴿اعلم بمن اتقى﴾ قيل ان يخلقكم وبعده فاتقى بمعنى يتقي أو المراد المضي اخبار بالعلم وقت التقى نزلت في ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وقيل لا تقولوا انا خير منك فان الله هو العالم بالخاتمة والتقاء الطاعة والاخلاص وترك المعاصي وفي الحديث «لا يقولن احدكم اني قائم رمضان كله» والله اعلم.

قال ذلك خوف التزكية ام لانه لابد من رقاد وغفلة وقال رجل لاصحاب ابن مسعود لقد قرأت البارحة كذا وكذا سورة فذكروه لابن مسعود فقال اخبروه ان حظه من ذلك الذي تكلم به قال الشيخ هود رضي الله عنه عن

بعض كانت اليهود تقدم اولادها فيصلون بهم يقولون لا ذنوب لهم فنزل ﴿الم ترى الى الذين يزكون انفسهم. . .﴾ وعن ثابت بن الحارث الانصاري كانت اليهود تقول لاولادها صديق فقال صلى الله عليه وسلم كذبت اليهود ما من نسمة يخلقها الله إلا وهو شقي أو سعيد فنزل ﴿هو اعلم بكم﴾ الخ. . . . .

وقال الكلبي لا يزك بعض الناس بعضا وهذا في التزكية لغير الله اما تزكية الامام والقدوة مثل احد ليؤتم به اوليتهم الناس بالخير فجائز وليس من مدح النفس ذكر العمل سرورا به لا رياء وعجبا لان السرور بالطاعة طاعة وليس منه ذكر العمل ليتبع فيه واعرف الناس بربه اشدهم ايقاعا بنفسه واعرفهم بها واشدهم تهمة لها واجهلهم من زكاها واحسن بها ظنه لانها مقبلة على عاجل حظوظها معرضة عن الاستعداد لاخرتها واصل كل معصية الرضى عنها واصل كل طاعة عدم الرضى عنها وكان عثمان بن عفان كثير الصدقة فقال له اخوه من الرضاع عبد الله بن السرح بن أبي سرح يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان إن لي ذنوبا اطلب بالصدقة العفو عنها فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها واتحمل ذنوبك كلها وقيل من يومك الى يوم تموت فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء أو عن بعضه فنزل ﴿افرأيت الذي تولى﴾ ادبر عن الصدقة واعانة المجاهدين يوم احد فعاد عثمان الى احسن ما كان واجمل.

﴿واعطى﴾للناس. ﴿قليلا﴾ وهو ما كان قبل ذلك. ﴿واكدى﴾ قطع الاعطاء كقولك اكدى الحافر اذا بلغ الدية وهي الصخرة الصلبة فيترك الحفر كما يقال اجبل الحافر اذ صادف جبلا في الحفر ثم استعير لا فحارم الشاعر فقيل اجبل الشاعر أي لم يستطع الشعر، وعن الثعلبي اصله. من الكدية وهو حجر في البئر يؤيس من الماء.

وقال مجاهد وابن زيد: وغيرها وعليه الاكثر نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كان يتبع رسول الله ﷺ واسلم وقيل سمع قراءة النبي ﷺ ووعظه فقرب من الاسلام وطمع ﷺ في اسلامه وعاتبه رجل من المشركين انك تركت دين آباءك والاشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله فقال له ارجع الى

دينك واتحمل لك بكل ما تخاف في الآخرة لكن علي ان تعطيني كذا وكذا من المال فرجع واعطاه بعض ما وعده وهو القليل وامسك عن البقية، فالتولى رجوعه الى الشرك.

وقال السدي نزلت في العاصي بن وائل السهمي كان يوافق النبي ﷺ في بعض الامور وقبل في ابى جهل قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الاخلاق.

﴿اعنده علم الغيب فهو يرى﴾ يعلم ما غاب وان صاحبه يتحمل عنه ذنوبه حقا والجملة قيل مفعول ثان لرأيت بمعنى أخبرني.

﴿ام﴾ بل ﴿لم ينبأ﴾يخبر ﴿بما في صحف﴾ قال الزمخشري وقرأ بإسكان الحاء. ﴿موسى﴾ أي اسفار التوراة وكتبه كلها.

﴿وإبراهيم﴾ أي وصحف ابراهيم وقدم صحف موسى وهي التوراة لانها اشهر عندهم أو المراد بالصحف صحفهما وقدم موسى لذلك وايضا اخر ابراهيم لكمال الفاصلة بقوله ﴿الذي وفَّى﴾ بالتشديد للمبالغة في الوفاء أو لمعنى وفر وتمم وكهل وقرىء مخففا وحذف المعمول للتعميم فانه شديد الوفاء في كل ما عاهد الله به وعمال بالنفالة بلغ النبوة وصبر على ذبح الولد ونار نمرود وقام بالضيف وخدمته وكما يمشي فرسخا يطلب ضيفا فان وافقه اكرمه وإلا نوى الصوم وذلك كل يوم وعن عطاء بن السائب عهد أو لا يسأل مخلوقا ولما قذف في النار قال له جبريل، قيل: وميكائيل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليكما فلا، قال ابن عباس وفى عشر الخصال التي في الجسد خمس في الرأس وخمس في سائر الجسد.

وقيل وفي بما فرض عليه في سهام الاسلام وهو قوله ﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات﴾ وقيل وفى بركعتين قبل الفجر، وفي الحديث وفَّى عمله باربع ركعات اول النهار وهي صلاة الضحى وفي الحديث الرباني «يا ابن آدم اركع لي أربع ركعات أول النهار أكفك آخره» وفي رواية «يا ابن آدم أتعجز ان تصلي لي أربع ركعات من أول نهارك أكفيك آخره وقيل وفىَّ بذبح ولده أي قام به ورضي، وقيل بالمناسك، وقيل: كان بينه وبين نوح يؤخذ الرجل

بجـريرة غيره يقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده والسيد بعبده فأول من خلفهم إبراهيم وقيل وفـىً سهام الاسلام وهي ثلاثون؛ عشرة في التـوبـة التـائبـون العـابـدون الـخ وعشرة في الاحـزاب ان المسلمـين والمسلمات. . الـخ وعشرة في المؤمنـين قد افلح المؤمنـون. . . الخ وروي الا اخـبركم لما سمى الله خليله الـذي وفـىً، كان يقـول إذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى حين تظهرن.

﴿**ألا تـــزر**﴾ مخففـة واسمهـا ضمـير الشأن محذوفا وهي مصدرية والمحل جر بدل مما أو الرفع على انه خبر لمحذوف أي هو ان لا تزر جواب لسؤال محذوف أو نصب مفعول لمحذوف. ﴿**وازرة وزر اخـــرى**﴾ أي لا تصف مذنبه بذنب أخرى وينسب إليها أولا تحمل ذنب أخرى فكيف يحمل عن عثمان اخوه ذنوبه أو يحمل الرجل ذنوب الوليد وكيف يؤخذ احد بذنب قريبه فيقتل الرجل بابيه واما ماورد من انه من سن سنة قبيحة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فمعناه وزر كوزر من عمل بها لانه السبب.

﴿**وأن**﴾ مخففة. ﴿**لـيــس للانســـان إلا ما ســعـى**﴾ أي عمل وهذا مما في صحف موسى وابـراهيم ونسخ بدليل الحقنا بهم ذرياتهم فدخلوا الجنة بصلاح الاباء وان امرأة ماتت فقال ابنها «اينفعها يا رسول الله ان تصدقت عليها قال نعم». وفي رواية «ان أُمي افلتت ولو تكلمت لتصدقت فهل لها اجر إن تصدقت عليها قال نعم» وروي ان الله يجعل الأبناء في ميزان الآباء ويشفع الابن في الاب والاب في الابن قال الله ﴿**آباءكم وابناءكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**﴾ .

وورد في الاحاديث ان الصدقة والحج والدعاء والقراءة تنفع الميت وادعى بعضهم الاجماع على نفع الصدقة والدعاء وقضاء الدين وتنفع حجة الفرض وكـذا حج النـافلة عند الشافعي والصحيح نفع الصوم الواجب عليه وفي الباب الخامس والعشرين من الوصايا من التاج انه لا خلاف في الصدقة على الميت تنفعـه والصدقة عن الحي تنفعه واختلف في عمل الحي عن الميت كصيام وصلاة وطواف فقال الاكثر لا يجوز عنه ولا عن ميت وكان عطاء يقول

لابنه ولمولاه قم فطف عني وقيل ان قراءة القرآن تنفع الميت الى اربعين من جيرانه انتهى.

والمشهور عن الشافعي ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه تصله وهو قول أحمد واما الصلوات وسائر التطوع فلا يصله عند الشافعي والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع واما ماروي ان امرأة رفعت صبيا فقالت يا رسول الله : ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر فلا دليل فيه لأن المراد ان لها اجر قيامها به في الحج وقيل ان الآية مخصوصة بالكفر واما المؤمن فله ماسعى غيره قال القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره فالمراد بالانسان الكافر ليس له إلا ما عمل فيثاب عليه في الدنيا بالرزق والصحة وغيرهما واعطي عبد الله بن أبيّ بن سلول العباس قميصا ألبسه إياه فلما مات ارسل اليه صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم تبق له في الاخرة حسنه وقيل ليس للانسان إلا ما سعى على جهة العدل.

اما من باب الفضل فيزيده الله وفي الحديث من مات وعليه صوم صام عنه وليه وقال للذي حج عن غيره حج لنفسك ثم حج عن غيرك وقال يدخل الله الجنة الموصى والنافذ والحاج وقد اعتكفت عائشة عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وقال سعد للنبي ﷺ «إن امي توفيت أفأتصدق عنها قال: نعم، قال: أي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء».

وجعلت جدة عمة عبد الله بن ابي بكر على نفسها المشي الى مسجد قبا وماتت فافتى ابن عباس ابنها ان يمشي عنها وقيل الانسان ابو جهل وقيل عقبة بن ابي معيط وقيل الوليد بن المغيرة وقيل اخبار عن شرع من قبلنا ابراهيم وموسى ودل شرعنا ان للانسان ما سعى وما سعى له وقيل الانسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم فصار ثواب منهم له بعد موته من سعيه وقيل: الانسان في الآية الحي دون الميت.

وقال الزمخشري أما ان سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا مصدقا وكذلك الاضعاف الوارد في الحديث ان الصدقة والحج عن الميت أو الحي الاضعاف كان سعي غيرها كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه واما ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له فهو في حكم الشرع كالنائب والوكيل القائم مقامه قبل والصحيح وعليه الجمهور أن الآية عامة مخصوصة بما تقدم من الأجوبة وشهر عن مالك ان ثواب القراءة لا يصل الميت ونقل عن جماعة من الحنفية وعن أحمد القراءة على القبر بدعة وصحح ابن قطان وصول ثواب القراءة للميت قريبا أو اجنبيا قال كما ينفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالاجماع وقال القاضي حسين الاستئجار لقراءة القرآن على رأس القبر أي عنده جائز كالاستئجار للاذان وتعليم القرآن.

وعندنا معشر الاباضية لا يجوز أخذ الأجرة على ذلك ولا ينبغي لمعطيها إلا ان لم يجد احياء ذلك إلا بها وقيل لا ثواب للمستأجر أو ميته وقيل لميته ثواب ان اعقب القراءة بالدعاء للميت فانه يلحقه ثواب الدعاء فقط لان الدعاء بعد القراءة أقرب إجابة واكثر بركة وقيل للميت ثواب القراءة إن جعله القارىء له بعد القراءة ونفع الميت بالدعاء موقف على الاجابة.

واطلق القوم اجابة الدعاء للميت لسعة الرحمة وعن الرافعي والنووي يستوي في الصدقة والدعاء الوارث والاجنبي ولا ينقص من اجر المتصدق والداعي وغيرهما شيء ولو نواه لغيره ومن ذلك توقيف المصحف وغيره والتضحية لغيره وقيل لا تجوز التضحية عن الغير إلا باذنه فلا يضحي عن الميت إلا ان اوصى وروي ان عليا أو غيره من الصحابة ضحى عن النبي ﷺ بعد موته وضحى ابن السراج عنه ﷺ سبعين اضحية.

واما اهداء القراءة له فانكره جماعة لان الصحابة لم يفعله احدهم وهو بدعة واستحبه بعضهم وعن بعض انه غني عن ذلك فان له اجر كل من عمل من امته من غير ان ينقص من اجره شيء وكذا الشيخ له مثل اجر تلميذه وتلميذ تلميذه وهكذا وكذا كان من علّم أحدا شيئا له اجر الشيء.

﴿وان سعيه سوف يرى﴾ أي سوف يرى المؤمن عمله فيفرح والكافر عمله فيحزن فهذه بشارة ووعيد وقيل يراه في ميزانه والميزان كناية عن التمييز وكذلك يبصر الناس عمل العامل. ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ الاكمل ونائب يجزى ضمير الانسان وهو المفعول الاول والهاء ضمير السعي مفعول ثان والجزاء بعدها.

﴿وأن الى ربك المنتهى﴾ أي الانتهاء فهو مصدر ميمي لاينتهي الخلق إلا إليه فيجازيهم وذلك مما في صحف موسى وابراهيم وقرىء بالكسر على الابتداء وكذا ما بعده فليس اخبار بما في الصحف والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تحزن فان الانتهاء اليه فهذه تسلية وقيل ابتداء المنة واليه انتهاء الامال وفي الحديث ان معناه لا فكرة في ربك وينتهي في وجوده ووحدانيته فلا يحيط به الفكر أو الخطاب لكل عاقل فيزداد المحسن ويكف المسيء وحق لعبد يعلم انه منته الى ربه ان يرفض هواه ويزهد في دنياه ويقبل الى مولاه ويقتدي بنبي فضله الله علي غيره وارتضاه ويتأمل كيف كان زهده في دنياه واقباله على مولاه وحسبك في اعراضه عنها انه مات ودرعه مرهونة عند يهودي .

وكان يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقالت عائشة «ما شبع ثلاثة ايام تباعا حتى مضى لسبيله». وروي عنها «ما امتلأ جوفه قط ولم يبث شكوى لاحد والفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليضل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه من صيام يومه ولو سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه لما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا قوتا فيقول: يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد فاجزل الله ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي عدا دونهم وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما قام إلا شهرا فتوفى صلى الله عليه وسلم» وعلى الفتح فالخطاب لابراهيم في صحفه ولموسى في صحفه أو لكل عاقل أو النبي بالمعنى فانه اذا قال في الصحف ان منتهى الخلق الى ربهم فكأنه قال منتهاك يا محمد الى ربك.

﴿وأنــه هــو أضحـــك﴾ من شاء إ ضحاكه أي إفراحه ﴿وأبــكى﴾ من شاء إبكاءه أي إحزانه وهو خالق الضحك والبكاء والفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وعن جابر بن سمرة جالست النبي ﷺ اكثر من مائة مرة ويتناشد اصحابه الشعر واشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا.

وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله ﷺ يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل وعن انس خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها فقال «لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» فغطى اصحابه وجوههم لهم خنين بالخاء المعجمة أي بكاء يخرج معه صوت من الانف وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك اهل الجنة فيها وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك المطيع بالرحمة وابكى العاصي بالسخط وقيل اضحك قلوب اوليائه بنور معرفته وابكى قلوب اعدائه بظلمات سخطه وقيل قدر علي ايجاد الضدين في محل واحد وفيه اشارة الى ان كل ما عمل الانسان فبقضائه وقدره حتى الضحك والبكاء.

﴿وأنــه هــو أمــات وأحيــا﴾ امات الخلق واحياهم للبعث ولا يقدر على ذلك سواه والقاتل إنما ينقض البنية والموت يحصل عنده وهو خالق الموت والحياة وهـو المميت لا القـاتل وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء، وقيل: أمات قلوب الأعداء بالظلم والكفر وأحيا قلوب الأولياء بالايمان وأانوار المعرفة ويجوز ان يراد بالإحياء إحياء الدنيا.

﴿وانه خلــق الزوجــين الذكــر والانثى﴾ من كل حيوان وهو ضدان تواردا على نطفة يخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى ولا يصل الى ذلك فهم وهوبقدرة لا بطبيعة.

﴿من نطفــــة اذا تمـنى﴾ أي تدفق في الرحم أو يخلق الولد منها أو يقدر منها من مني اذا قدر وعليه الاخفش أو تقطع من الجسد وقد ثبت في الآية حذف جواب إذا وشرطهـا مضـارع ووقوع شرطها مضارعا. ﴿وان عليــه

النشــأة﴾ أي الحياة يحيي الخلق إياها أو بمعنى الاحياء والانشاء من نشأ المتعدي وقرأ ابن كثير وابو عمر والنشأة بالمد.

﴿الاخــرى﴾ وهي البعث ولفظ على لانه لابد منها وفاء بالوعد لا لوجوب شيء عليه. ﴿وانــه هــو اغنــى﴾ النـاس بالكفاية بالاموال كلهم وقيل الاغنياء. ﴿واقــنى﴾ اعطى القنية واكسبها قنيت المال أي كسبته وهي المال المتخذ اصلا لشرفه ويعزم على أن لا يخرج من اليد وهو بعد الكفاية وافرده بعد العموم لشرفه وقيل أغنى بالذهب والفضة والمساكن وصنوف المال وما يدخر بعد الكفاية واقنى بالابل والبقر والغنم والعبيد وقال الحسن اقنى اخدم وقال ابن عباس معنى اغنى واقنى اعطى فارضى وقيل عنه اقنى اقنع وقيل اغنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا واقنى زاد في الغنى وعن رجل يخدم رسول الله ﷺ انه صلى عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه قال «اللهم لك الحمد على ما انـعـمـت واطعمت وسقيت أو قال انت اطعمت وسقيت واغنيت واقنيت فلك الحمد».

﴿وأنــه هــو رب الشــعـرى﴾ يعني الشعرى العبـور وهي يمانية اشد ضوء من الشعرى القميصا وهي شامية سميت القميصا لقلة ضوئها ووصفت بالعبور من صفات المبالغة لانها تقطع السماء وتعبرها طولا والنجوم عرضا ولهذا عبدها ابو كبشة وهو جد ام آمنه بنت وهب وقيل جد عبد المطلب لامه وهي مخالفة للكواكب في القطع وابو كبشة مخالف للعرب في عبادتها وهم يعبدون الاوثان كما خالف رسول الله ﷺ قريشا بعبادة الله ولذلك سمى ابن ابي كبشة وقيل كبشة اخوه من الرضاع وتبعت خزاعة ابا كبشة وهو اشرفهم في عبادة الشعرى العبور وهو كوكب يضيء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار والجبار هو الجوزاء وخصت بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه في عبادتها إلى عبادة خالقها.

﴿وأنـــه أهــلك عـــاداً الأولــى﴾ النعت لبيان الواقع أي القدماء وهم اول الخلق هلاكا غير قوم نوح أو المقدمون في الدنيا شرفا وقيل هم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقال

الطبري سميت الأولى لأن ثم عادا أخرى كانت بمكة مع العمالقة وهم بنوا القيس بن هزال والاول للجمهور واللام مضمومة نقلا من الهمزة بعدها مشددة ادغاما للتنوين فيها وذلك قراءة نافع وابي عمرو وقرىء بالنقل بلا تشديد وبعدم النقل واذا لم تشدد فبعض كسر التنوين وبعض سكنه واثبت همزة ال واثبت قراءة الهمزة مكان الواو وساكنة.

﴿وثمود﴾ باعتبار الجمع والأب وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين باعتبار القبيلة فيقفان بالاسكان وهم قوم صالح وذلك عطف على (عادا) مفعول بـ (أبقى) لصدارة فاء العطف وما النافية قاله القاضي وابن هشام.

﴿فما ابقى﴾ قاله القاضي وقيل فما ابقى منهم احدا ﴿وقوم نوح﴾ بالغرق عطف على ثمود وعاد ﴿من قبل﴾ قبل عاد وثمود ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم لبث الف سنة إلا خمسين عاما وهم يؤذونه ويضربونه مكذبين له وكثيرا ما اسكروه بالضرب حتى لا يتحرك قال ابن عباس يضربونه ويلقونه في لبد ويلقى في بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم وقيل يضربونه ويلقونه في المزبلة كالميت.

وجاءه يوما رجل يتوكأ على عصى فقال يا بني انظر الى هذا الشيخ اياك ان يغرك فقال يا ابت مكني من العصا فاعطاه اياها ثم قال ضعني في الارض فوضعه ومشى اليه بالعصا فضربه ضربا شديدا فقال نوح الهي قد ترى ما يفعل بي عبادك فان تكن لك في عبادك حاجة فاهدهم وان يكن غير ذلك فصبرني إلى ان تحكم بيننا وانت خير الحاكمين فاوحى اليه انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن الخ، واخبره انه لم يبق في صلب رجل ولا رحم انثى مؤمن فدعا ربه انهم عصوني الخ وهم اول قوم كذبوا في الارض نبيهم ويحذرون صبيانهم ان يسمعوه.

﴿والمؤتفكة﴾ مفعول لاهوي أي والقرى المؤتفكة باهلها أي المقلبة بهم قلعت عند بعض من سبع ارضين وهي قرى قوم لوط وقرىء والمؤتفكات بالجمع بالف وتاء والنصب بالكسر.

﴿اهـــوى﴾ امر جبريل باهوائها أي باسقاطها من علو بعد رفعها الى اسفل رفعها بجناحه حتى سمع اهل سماء الدنيا صوت الكلاب والدجاج والصبيان .

﴿فـغشّـاهـا ما غشّـــى﴾ أي البسها الله ما البسها وغطاها به وابهم تفخيما وتهـويلا وفي هود فجعلنـا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل فهو حجارة منضودة مسومة وقيل رمى بها اهل السفر ومن كان خارج القرية ويجوز ان يكون التشديد للمبالغة فتكون ما فاعلا .

﴿فبـــأي﴾ متعلق بتتـــمارى واداة الاستفهـــام لها الصـــدر. ﴿آلاء﴾نـعم ﴿ربـــك﴾ الـدالة على وحدانيته وقدرته وقيل المراد بالآلاء ما يشمل النقم من حيث ان النقم عبر ومواعظ والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل احد وقيل لكل كافر وقيل للوليد بن المغيرة .

﴿تتمـــارى﴾ أي تشك ، وقال ابن عباس تكذب قال مالك الغفاري ان قوله ان لا تزر الى نتمارى في صحف موسى وإبراهيم .

﴿هـــذا﴾ النبي عند قتادة وغيره وقيل القرآن واختار بعضهم الاول . ﴿نذيـــر من النـــذر﴾ النذير وصف واجاز بعضهم كونه مصدرا وهو صحيح فإن ارسال النبي أو القرآن انذار والنذر جمع نذير.

﴿الاولـــى﴾ أنث لتأويل الجماعة ويجوز كون الاشارة الى الانذار أي انذار من جنس الانـذارات الاولى وكذا القرآن من جنس الكتب قبله والنبي من جنس الـرسـل قبله وقيل انـذر محمد كما انذر الرسل قبله . ﴿أزفـــت﴾ أي قربت . ﴿الآزفـــة﴾ أي القريبـــة وهي القيامة أو الساعة التي توصف بالازوف .

﴿ليس لـهـا من دون الله كاشـفـة﴾ أي ليس لها نفس كاشفة أي مبينه متى تقوم وقيل حال كاشفة وقيل ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها اذا وقعت لكن الله يقدر غير انه لا يكشفها وقيل كاشفة بالتأخير وقيل كاشفة لأهوالها وقيل كاشفة مصدر بمعنى الكشف كالمراقبة وقرأ طلحة ليس لها مما تدعون من دون الله كاشفة وزاد وهي علي الظالمين بئست الكاشفة .

﴿أضمن هذا الحديث﴾ أي القرآن ﴿تعجبون﴾ إنكارا، ﴿وتضحكون﴾ استهزاء. ﴿ولا تبكــون﴾ خشوعا من وعظه ووعيده ووعده والخشوع عليكم حق ولم ير صلى الله عليه وسلم ضاحكا بعد نزول ذلك وقال «ان هذا القرآن نزل بخوف فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» وقال «لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبييل الله ودخان جهنم في منخر أبدا، ويروى في جوف، ولا يجتمع الشح والايمان في قلب أبدا، وقال: عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله». وقال «اياكم وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه».

وقال «صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني كلمات يعمل بهن ويعلمهن من يعمل بهن فقال ابو هريرة انا يا رسول الله فاخذ بيده فعد خمسا اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرته تميت القلب» وقرىء باسقاط واو العطف إما الجواز حذفها سعة وإما لان ما بعدها بدل انتقال.

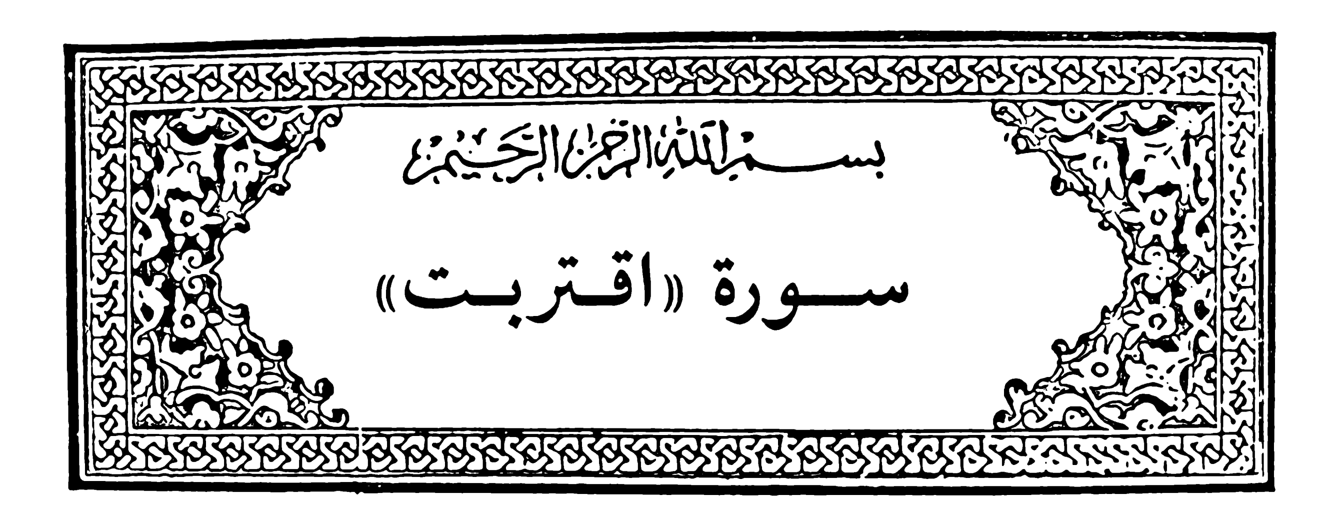
﴿وأنتــم ســـامدون﴾ قال ابن عباس لاهون لاعبون غافلون عما يطلب منكم وعنه السمود الغناء بلغة اليمن كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، قال بعضهم لجاريته اسمدي لنا أي تغني واصلة من سمد البعير إذا رفع رأسه وجد في السير وقيل متكبرون اشرون بطرون شامخون وقال مجاهد غضاب معرضون.

﴿فاســجدوا لله واعبــدوا﴾ أي اسجدوا ايها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل سجـود التلاوة وقيل سجود الفرض واعبدوا الله وحذف لفظ الجلالة للعلم بها ولاختصـاص العبـادة به وقيل الخطاب لكل الناس وهو خالقكم ولا تسجدوا للاصنام ولا تعبدوها وقرأ صلى الله عليه وسلم السورة فسجد هو ومن معه الا شيخا قرشيا اخذ كفا من حصباء أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا، قال ابن مسعود لقد رأيته قتل كافرا وهو أمية بن خلف.

وهذه أول سورة نزلت فيها السجدة وقال زيد بن ثابت: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها وهو دليل على انه لاسجود فيها واستدل الشافعي به على ان سجود التلاوة غير واجب واثبت السجدة هنا.

وعن عمر ان الله لم يكتبها علينا إلا ان نشاء والصحيح عدم الوجوب وانه سنة وهو مذهب الجمهور ولا سجدة عندنا هنا وكان مالك يسجدها في خاصة نفسه وقول ابى سفيان واصحاب الرأي وجوب سجود التلاوة وفي الحديث «مثل الصلوات الخمس كمثل رجل على بابه نهر جار عذب ينغمس فيه كل يوم خمس مرات فماذا يبقى من درنه».

اللهم بحق نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وحق هذه السورة علينا اخز النصارى واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «اقتربت»

ويقال سورة اقتربت الساعة وتسمى القمر واخرج البيهقي عن ابن عباس انها تدعى في التوارة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه وقال انه منكر وهي مكية كلها عند الجمهور وقال بعض (سيهزم الجمع) الآية مدنية وقال بعض (إن المتقين) الآيتين مدني والصحيح قول الجمهور وقيل ان (سيهزم) الآية تاخر حكمه عن نزوله نزل بمكة (سيهزم) الآية، فقال عمر بن الخطاب أي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتا سيفه يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكانت ليوم بدر.

وآيها خمس وخمسون وكلمها ثلاثمائة واثنتان واربعون وحروفها الف واربعمائه وثلاثة وعشرون حرفا وفي الحديث «من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر» أي يقرأها يوما ويتركها يوما، قالوا من كتبها وقت صلاة الجمعة وعلقها تحت عمامته كان عند الناس وجيها وسهلت عليه الامور الصعاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقتربت الساعة﴾ يوم القيامة وامرها مجهول التحديد وكل ما يروى في عمر الدنيا من التحديد ضعيف وفي الحديث «إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين (لاصبعه الوسطى والسبابة)» وقال «بعثت حين بعث الى صاحب الصور فاهواه الى فيه فقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر فينفخ إلا فاتقوا النفخة».

وقال «كيف أنعم أي أتلذذ وصاحب الصور قد أحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر الاذن»، قال السيوطي: دلت الاحاديث والاثار على ان مدة هذه الامة تزيد على الف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلا وإنما تزيد نحو أربعمائه سنة تقريبا.

﴿وانشق القمر﴾ عطف لاحق على سابق وقيل سابق على لاحق وعن ابن مسعود: انشق القمر شقين حتى رأيت ابا قبيس بينهما يعني جزأين. وعنه رأيت حراء بين فلقي القمر وعنه فلقه فوق الجبل وفلقه دونه ونحن معه صلى الله عليه وسلم بمنى وقال «اشـــهـدوا». وعن ابن عمر: فلقة سترها الجبل وفلقة فوقه وعن ابن عباس: انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وانظر هل ذهابها زوالها انتقالها ثم التأمت مع الاخرى هذا هو المشهور وعن أنس أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ انه فانشق القمر مرتين ظاهر الكشاف أنه أراد بمرتين فلقتين.

ورواية البخاري فأراهم أنشقاق القمر مرتين وكذا مسلم تدل على تعدد الانشقاق وهو ظاهر الاول فقال سائلوه وهم قريش من اهل مكة سحر محمد أعيننا فقال بعضهم ما يقدر أن يسحر الناس كلهم فكانوا يتلقون الركبان فيجزنهم بالانشقاق فيكذبونهم وهذا الانشقاق حق الاحاديث السابقة ولظاهر القرآن وأنكره ناس وزعموا انه سينشق يوم القيامة وأن الماضي بمعنى المضارع ويرده الاحاديث وأن الاصل كون الماضي للمضى لا للاستقبال إلا بقرينة ولا قرينـة بل قوله ﴿وان يــروا آيــه يعــرضوا﴾ عن تأملها والايمان بها وهي الانشقاق دليل على الانشقاق في عصره كأنه قال من عادتها الاعراض عن المعجزات وكل ايه رأوها يعرضون عنها وقد اعرضوا عن الانشقاق ويعرض للاستمرار لا للاستقبال وحده والانشقاق معجزة دالة على صدقة ويدل له قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي اقتربت وقد حصل من ايات اقترابها انشقاق القمر.

يقال أقبل الامير وقد جاء البشير بقدومه وقوله خاطبا بمدين إلا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم ومع هذا الانكار للعقل فيه كما يفنيه الله ويكوره في اخر امره.

وقول المانعين انه لو صح لاشترك اهل الارض برؤيته مردود لان من نظر الى السماء حينئذ رآه ومن غفل أو نام أو استتر لم يره وكم من ايه في الليل لا يراها إلا "ناظر الى السماء وانما يراه من تأهب لرؤيته من السائلين ومن

وافق أو كم من مواضع لم يظهر فيها القمر وقتئذ لستر الجبل اياه كما يرى الكسوف قوم دون قوم وانشق وهو باق في علوه وان صح نزوله وطوافه بالبيت ودخوله وخروجه ومن كمه صلى الله عليه وسلم فالله قادر على تصغير الجثة العظيمة وتكبير الصغيرة ولما لم يؤمنوا.

وقد ترادفت المعجزات انزل الله ﴿**وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا**﴾ هي ﴿**سحر مستمر**﴾ مطرد دائم وقيل قوي محكم يقال امررته فاستمر أي احكمته فاستحكم فهو يعلو كل سحر وقيل مستبشع أي اشتدت مرارته علينا لا نقدر على قبوله وقيل مار ذاهب لا يبقى ويبطل وذلك تمنيه وتعلل والاخرى قول قتادة وقرىء وان يروا بضم الياء بناء للمفعول من أرى الرباعي.

﴿**وكذبوا**﴾ النبي والقرآن ﴿**واتبعوا اهواءهم**﴾ ما زين لهم الشيطان وقيل قولهم سحر القمر، قال القاضي ذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهم من عادتهم القديمة ينكرون العيان وروى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين جمع اهله وعشيرته وقام فيهم خطيبا وقال «يا معشر قريش ان الله بعثني الى العرب والعجم والحر والعبد والابيض والاسود وانزل علي انذر عشيرتك الاقربين».

فقام ابو جهل لعنه الله تعالى وقال: يا محمد وحق اللات والعزى والصنم الاعلى لئن لم تقطع هذا الكلام ليكونن عليك شأن فقام اليه الصديق رضي الله عنه وقال: «يا عدو الله مالك ولمحمد لئن لم تكف لسانك لأعجلن به» فقام ابو جهل وجمع سادات العرب واهل مكة وشيوخ الحرم ورؤوس العرب وانطلقوا الى حبيب بن مالك فاستأذنوا فاذن لهم فدخلوا عليه فوجدوه في قبة من الديباج الاحمر منسوجة بقضبان الذهب والفضة وسلموا عليه وفرح بهم واجلسهم وقال مرحبا بسادات العرب وشرفائهم فيم جئتم وما تريدون.

فقال ابو جهل: يا سيدنا وكبيرنا انك تعلم ما لنا عماد غيرك ولا احد سواك وان بني هاشم اصحاب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاهد العظام ونحن عارفون بحقهم وبقدرهم مقرون بفضلهم وقد ظهر فيهم غلام يتيم فزعم انه نبي ارسله الله رب العالمين الى العرب والعجم ونحن قد اتيناك في

امره قاصدين وبك مستجارين ونريد ان تسير معنا انت وقومك الى بطاح مكة تبعث الى هذا الغلام وتفضحه على رؤوس الملأ فإذا قطعت حجته اخرجناه من بلادنا وقتلنا كل من كان معه في دينه فاجابهم حبيب بن مالك لما سألوه واقاموا عنده تلك الليلة واكرمهم ورحب بهم.

وكان حبيب بن مالك قد بلغ عمره مائة واربعين سنة وقد تهود وتنصر وتمجس ولم يبق له دين إلا ودخل فيه ولا كتاب إلا واطلعه ودرسه فلما طلع الفجر ركب حبيب بن مالك وركب معه عشرون الفا من قومه فلما طلعت عليهم الشمس اشرفوا على مكة وخرجت الهوادج والقباب والخيل والرجال وجاء الناس من كل جانب ولما نظر ابو بكر الى حبيب نزل بالبطاح وضربت له قبه عظيمة من الديباج الاحمر وضرب له كرسي من ذهب فجلس عليه فدارت عليه العرب اقبل مسرعا الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره ان الناس تناهضوا من كل واد وشعاب فاطرق ﷺ مغتما فقالت له خديجة ـ رضي الله عنها ـ مالي أراك يا رسول الله مهموماً مغموماً وهذا مالي اعطيه لك في الاستطاعة وأستدع العرب واعطهم واخلع عليهم وأقاتل من قاتلك حتى يظهر امرك. وقال له ابو بكر: كذلك وإذا بحاجب حبيب قرع الباب قرعا خفيفا فخرج ﷺ فقال ما شأنك فجعل الحاجب يقبل يديه ورجليه وقال له يا سيدي اجب دعوة حبيب فقال حبا وكرامة اعلمه اني في اثرك فاعلمه فلبس ثيابا ما لبسها قط لبس قبطية من قباطي مصر وتعمم بعمامة خضراء واسبل ذوائبه حتى وصلت خاصرته وترد برداء عدني وطيبت خديجة رأسه بالمسك والكافور فخرج وبكت حتى بلت ثيابها وكادت يغشى عليه خوفا عليه.

ونزل جبريل قيل على صورته بيده حربة غضب لها شعلتان شعلة بالمشرق واخرى بالمغرب فناداه يا محمد السلام عليك ربك يقرؤك السلام ويقول وعزتي وجلالي ما ارسلت نبيا ولا أمة افضل منك ولا اكرم منك ولا من امتك يا محمد انا معك محيط وحارس وموكل وقد بعث اليك ثلاثون الف ملك فرفع رأسه فرآهم صفوفا بأيديهم حراب من نار ولو رآهم أهل الأرض لماتوا فزعا ينادونه السلام عليك يا محمد يا حبيب القلوب ويسيرون بسيره ويقفون بوقوفه

فرد عليهم السلام، ولما وصل الى حبيب أجلسه على كرسيه وأتى بكرسي اخر وجلس إزاءه فشخصت الابصار وامتدت الاعناق وسكتوا باهتين في وجه رسول الله ﷺ.

ثم قال حبيب: يا أبا القاسم ان لكل نبي آيه ومعجزة تدل على نبوته ورسالته، نوح وكانت له السفينة، وكانت لسليمان الطير والجن والخاتم وبها اطاعه كل شيء و لأبراهيم برد النار ولموسى العصا تتحول ثعبانا ولعيسى ابراء الأكمه والابرص واحياء الموتى فائت بمعجزة تدل على نبوتك فقال: أي معجزة اردت يا حبيب قال هذا وقت الزوال سل ربك ان يرسل ظلمة حتى لا يرى انسان صاحبه وتصعد الى ابى قبيس وتنادى القمر وتأمره ان يستدير كاملا من ناحية المشرق ويقف على الكعبة ويطوف ويسجد فتناديه ان يصعد اليك ويقول السلام عليك يا محمد انت رسول حقا ثم يدخل في كمك الايمن ويخرج من الايسر وينشق نصفين فيأخذ النصف الى المشرق والنصف الى المغرب ويلتئم في الهوى مستديرا كاملا كأول مرة وصفق ابو جهل لعنه الله بيديه وقال يا حبيب واللات والعزى والصنم الاعلى لقد كشفت الكروب وفرجت عنا.

فقال له صلى الله عليه وسلم: اسكت يا كلب قومه واهبه يا عدو الله وقال يا حبيب اغير هذا فقال: يا ابا القاسم ان فعلت هذا ففيه عبرة للسائلين وآيه للمتفكرين ولكن اسأل ربك ان يعلمك بما في نفسي وما اريد ان اسألك عنه فاطرق رسول الله ﷺ رأسه الى الارض ورفع رأسه وقال ان الله اوحى الي انك سألت عن بنتك سطيحة بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر يا حبيب انطلق اليها وكلمها تكلمك فإن ربي رد عليها سمعها وبصرها ويديها ورجليها وهو القادر على ما يشاء.

فانطلق فوجدها صحيحة فقال هذه آيه ونزل جبرائيل وناداه من الحرام وقال له: يا محمد ارفع رأسك فإن الله يقول وعزتي وجلالي وارتقاعي في علو مكاني لو سألتني على اطباق السموات على الارض لفعلت ذلك تعظيما لقدرك واعلم ان هذه المعجزات خلقتها لك قبل آدم باربعة آلاف سنة فاقدم على

قومك وعشيرتك واوثقهم بالعهد والميثاق انهم إذا رأوا هذه المعجزة يقرون لك بالنبوة ولي بالربوبية وتنادي القمر وتأمره بما شئت فإنه يطيعك فوعزتي وجلالي يا محمد لولاك ما خلقت شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ففرح وتلألأ وجهه نورا. وقال جبريل: يا محمد لا تخف ولا تحزن فاني معك إلى ان تقوم دلالتك وتظهر للناس معجزتك فرقى هو وابو بكر وحمزة والزبير وطالب بن طالب وعلي وهو ابن اثنتي عشر سنة وكان طالب يعدل بسرجه اربعة آلاف فارس والزبير لا يقوم به احد فقال: إن اتيتكم بالمعجزة فهل تؤمنون يا حبيب؟ فقال: اشهدوا يا معشر العرب إن أتى بها لا يختلف عليه احد وتكن له الرفعة ولقومه الى يوم القيامة وإلا اخرجناه من بلادنا.

فرفع رأسه ونادى ربه ودعاه فاوحي الى ملك الظلمة ان يفتح مقدار سم الخياط فاقبلت الظلمة متراكبة براً وبحراً وكادت نفوسهم تذهب فنادوا حسبك قد رأينا فادع القمر فدعا ربه ونادى القمر وطلع راكضا ينظرون اليه ووقف بازاء الكعبة واشار اليه فنزل فطاف وسجد ووقف بين يديه صلى الله عليه وسلم مرتعدا كالورقة قائلا فصيحا السلام عليك يا محمد انت رسول الله حقا حقا اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فدخل من كمه وخرج من الاخر والناس باهتون.

فاشار اليه فانشق نصفين نصف للمغرب وآخر للشرق وطلعا فأجتمعا في كبد السماء وقال مُرني يا محمد بما شئت ودهشوا فقال ابو جهل: حاربكم سحر محمد فقال ﷺ يا حبيب كيف رأيت قدرة الله ولما سمع وثب قائما قائلا يا معشر العرب ومن حضر اعلموا ان محمداً رسول الله حقا مد يدك لا كفر بعد اليوم، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقال ابو جهل لعنة الله عليه أيها السيد أخذ سحر محمد سمعك وبصرك وقلبك وما ظنناك هكذا فاسلم هو ومن اشراف قومه سبعون رجلا ومائة فنزل جبريل فقال السلام عليك يا محمد ربك يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر...... الى شيء نكر﴾ ولما قرأ قبل يديه ورجليه حمزة والعباس وابو طالب وقد امتلات وجوههم

نورا وقال الناس وحق الكعبة ما رأينا اعظم من هذا.

واقبل الى منزل خديجة وقالت يا سيدي وحبيبي وقرة عيني قد رأيت القمر حين انحط وانت على الجبل وانا في عاليه داري رأيت منزلتك عند الله ولما خرج من دارها الى حبيب نادتها فاطمة من بطنها حين اشتد خوفها يا اماه لا تخشي على ابي سيد ولد آدم فإن الله معه فلما اخبرته خديجة بذلك تبسم وقال انها فاطمة اخبرني بها جبرائيل وهي لا تدري اذكر ما في بطنها ولا انثى ففرح بنو هاشم فرحا شديدا كذا قال اهل القصص».

وقال بعضهم ان طلوع القمر وانشقاقه ليلا بعد العشاء قبل وقت طلوعه ومنكر الانشقاق جاهل لان الكفار لا يعرضون في الاخرة ولا يقولون سحر مستمر فصح ان انشقاقه في الدنيا ولم ينشق لاحد غير نبينا ﷺ وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدلها شيء من معجزات الانبياء عليهم السلام وذلك انه ظهرت في ملكوت السموات خارجه عن طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليست مما يطمع فيه بالحيلة وهي متواترة منصوص عليها في القرآن رواها جماعة كثيرة من التابعين عن مثلهم من الصحابة.

اما انس وابن عباس فلم يحضراها لانها كانت بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين وابن عباس لما يولد وانس بالمدينة ابن اربع أو خمس وابن عباس رواها ابن مسعود وفي رواية عن ابن عباس انشق فصار قمرين وعن ابن مسعود انشق ونحن بمنى وهذا لاينافي الرواية عنه انشق ونحن بمكة لانه اراد لسنا في المدينة وممن طلبها الوليد بن المغيرة وابو جهل والعاصي وائل والاسود ابن المطلب والنضر بن الحارث ونظائرهم وقد انكرها جماعة من المبتدعين كجمهور الفلاسفة متمسكين ان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح ابواب السماء ليلة الاسراء ونحوه.

والجواب انهم ان كانوا كفار فلينظروا اولا على الإسلام فإذا اسلموا اشتركوا معنا في الكلام فتصح بيننا المناظرة ومتى سلم ليسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض أعني الموحد المتأول ولا سبيل إلى إنكار ماثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة.

﴿وكل أمر﴾ من امور محمد ﷺ ﴿مستقر﴾ غير مستمر أي غير ذاهب يظهر الى غاية انه حق قاله بعض وقيل كل امر من خير أو شر ثابت لاهله يجازي به أو مستقر باهله في الجنة أو النار وقيل كل شيء إلى غاية وان امر محمد ﷺ سيظهر انه حق أو باطل أو ستظهر لهم عاقبته أو كل امر منته في غاية من خذلان أو نصر في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الاخرة فان الشيء اذا بلغ غايته ثبت واستقر وقيل ما قدر كان ولامحالة وقريء بجر مستقر نعتا لامر وكل على هذا معطوف على الساعة لا مبتدأ وقال ابن هشام: مبتدأ محذوف الخبر أي موجودا وعند الله أو واقع أو هو حكمة بالغة وما بينهما اعتراض وقول بعضهم الخبر مستقر وخفضه على الجوار حمل علي ما لم يثبت في العربية وقرأ ابو جعفر بفتح القاف مصدر ميمي على حذف مضاف أي ذو استقرار أو أسم مفعول على الحذف والايصال أي استقر عليه أو اسم مكان أو زمان على تقدير مضاف أي ذو موضع استقرار أو زمانه.

﴿ولقد جاءهم﴾ في القرآن ﴿من الانباء﴾ اخبار القرون أو اخبار الاخرة من نحو عذاب الكفار واللطف على المؤمنين أو اخبار الكل فان القرون السالفة كذبوا رسلهم فاهلكوا دنيا واخرى وكل من كذب رسوله فكذلك يفعل به.

﴿ما فيه مزدجر﴾ مفتعل بفتح العين من الزجر مصدر ميمي ابدلت التاء دالا لاجل الزاي وهو مطاوع الزجر أي انتهاء عن شركهم للوعيد والعذاب المخبر به أو اسم مكان أي هو في نفسه موضع ازدجار ومظنة له وقريء مزجر بقلب التاء زايا وادغام الزاي فيها.

﴿حكمة بالغة﴾ لغايتها أي تامة بدل من ما أو خبر لمحذوف أي هوا والقرآن وقريء بالنصب حال من ما فانها معرفة ناقصة أو نكرة موصوفة أو حكمة بالرفع بدل من مزدجر. ﴿فما﴾ ناقبة أو استفهامية انكارية معمول لتغني. ﴿تغن﴾ بحذف الياء من الخط تبعا للنطق. ﴿النذر﴾ عمن لا يؤمن جمع نذير الذي هو مصدرا أو وصف أي الامور المنذرة لهم أو المنذر منها أي لا تغني اذا خالفوها.

﴿فتول عنهم﴾ لعلمك ان الانذار لا ينفعهم ونسخ بآيه القتال ﴿يوم﴾ متعلق بيخرجون وقال الرماني مفعول اذكر وعن الحسن فتول عنهم الى يوم. ﴿يدع﴾ باسقاط الواو من الخط تبعا للنطق. ﴿الداع﴾ اسرافيل أو جبريل والاظهر اسرافيل ينفخ على صخرة بيت المقدس وهو في نسخنا معشر المغاربة بياء منفصلة حمراء وكذا الاتي.

﴿إلى شيء نكر﴾ فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة وقرأ ابن كثير باسكان الكاف وقرىء نكر بضم النون وكسر الكاف وفتح الراء واثبت ياء الداعي نطقا ووصلا ووقفا البزي واثبتها وصلا ورش وابو عمرو واما الى الداعي فاثبت ياءه ابن كثير مطلقا ونافع وابو عمرو وصلا. ﴿خشعا﴾ في قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم لجواز جمع الحال والنعت السينين جمع تكسير اذا رفعا جمعا لان جمع التكسير شبه الفعل وهو يجري مجرى المفرد أو على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة وقرأ غيرهم خاشعا وهوحال من واو يخرجون سببية والتذكير لظهور الفاعل مع تأنيثه المجازي وايضا هو جمع تكسير وايضا مضاف لمذكر يغني عنه وقرىء خاشعة على الاصل ويجوز كون ابصار بدلا من ضمير في خشعا وقرىء خشع بالرفع على الخبرية وابصار مبتدأ والجملة حال ففيه دليل على جواز تقديم الحال الجملية على العامل.

﴿ابصارهم﴾ والخشوع الذل ووصف الابصار به لان ذل الذليل وعزة العزيز تظهران في اعينهما وكذا ما في نفس الانسان من حياء أو صلب وغيرهما ﴿يخرجون﴾ وقرىء بالبناء للمفعول من الرباعي ﴿من الأجداث﴾ من القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ في الكثرة والانتشار في الامكنة والتموج لا يدرون اين يذهبون من الخوف والحيرة وقيل شبههم بالجراد يلزم الارض ليلا واذا طلعت الشمس انتشروا الجملة حال من الواو ايضا ميلا الى معنى مشبهين الجراد المنتشر أو مقولا فيهم كأنهم جراد منتشرا وإلا فالجملة انشائية.

﴿مــهـطعـيـن﴾ مسـرعين مادي اعناقهم ﴿الــى الــداع﴾ أو ناظرين اليه لا يقلعون عن النظر اليه وهو حال اخرى وقيل معناه فاتحين اذانهم للصوت.

﴿يقـــول الكافــرون﴾ منهم ﴿هـــذا يــوم عســـر﴾ صعب لما رأوا من مخايل هوله وعلامات مشقة وفي ذلك اشارة الى انه عسير على الكافرين دون المؤمنين.

﴿كـذبــت قبــلهـم﴾ أي قبـل اهـل مكـة ﴿قـوم نــوح فكــذبـوا عبــدنا﴾ نوحا والفاء لعطف مفصل على مجمل وهو يختص بالفاء في الجمل أو المعنى كذب قوم نوح ايانا فكذبوا نبوة نوح أو كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب أو كلما خلا قرن مكذب اعقبه قرن مكذب أو كذبوه بعد ما كذبوا الرسل قبله أو بعد ما انكروا النبوة رأسا.

﴿وقــالـوا﴾ هـــو ﴿مجـنـون وازدجـــر﴾ زجـروه عن التبليغ بانواع الاذى كالضرب والسب والتهـديد بالقتل وقيل الجملة الفعلية معطوفة على الاسمية قبلها أو على مجنون وحده فهي من مقولهم أي قالوا هو مجنون وانه ازدجرته الجن ذهبت بعقله ﴿فــدعا ربه أنــــي﴾ أي بأني وقرىء بالكسر لتضمن دعا معنى قال أو لتقدير القول أي فقال ﴿مـغـلوب﴾ غلبني قومي أيس من ايمانهم روي انه بلقاء احدهم فيخنقه فيخر مغشيا عليه فيفق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. فانتصر لي منهم، أي انتقم.

﴿ففتحـنـا ابــواب السمـــاء﴾ حقيقـة فإن للسماء ابواباً تفتح وتغلق والمجاز في نزول الماء منها فانه من السحاب ونسب للجمهور وقيل الماء منها حقيقـة وقيل لا ابـواب للسماء ولكن السماء السحـاب أو شبه نزوله من السحاب بنزوله من السماء وخيل لها أبوابا وابواب السحاب ما ينزل منه الماء وقرأ ابن عامر ويعقوب بتشديد التاء مبالغة وتوكيداً للفتح أو لكثرة الابواب.

﴿بمــاء منـهـــمر﴾ منـصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وقيل شديد الانصباب وبعد فالتحقيق انه ليس المراد هنا حقيقة باب وابواب السماء

مسلمة غير منكرة وليس المراد السحاب فان ذلك الماء ليس ماء مطراً وماء مطر ولكن المراد المبالغة والتمثيل لكثرة الماء النازل من جهة السماء.

﴿وفجرنا الارض عيونا﴾ نبع أي جعلناها كلها عيوناً تنبع وتتفجر وقيل كأنها عيون وذلك ابلغ من اصله الذي هو قولك فجرنا عيون الارض وقرىء بعدم للتشديد. ﴿فالتقى الماء﴾ ماء السماء وماء الارض فأل فيه للجنس وقرىء الماء ان الاختلاف النوعين وقرأ الحسن ان الماء وان بقلب الهمزة واوا قياساً لانها بدل عن اصل وهوالهاء تقول كساءان وكساوان.

﴿على أمر﴾ حال ﴿قد قدر﴾ قضى في الازل فالقدر هنا بمعنى القضاء وقال الكلبي: على حال مقدرة مستوية وهي ان قدر ما نزل من السماء كقدر ما خرج من الارض وقيل على امر قدر في اللوح كونه وهوهلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿وحملناه﴾ أي نوحا. ﴿على﴾ سفينة ﴿ذات الواح﴾ اخشاب عريضة ﴿ودسر﴾ جمع دسار ككتاب وهو المسمار من دسره أي دفعه دفعا شديدا لانه يدسر به منفده وهذا قول الجمهور وقال الحسن: دسرها صدرها وقال الكلبي: دسرها عوارضها وقال مجاهد دسرها اضلاعها وقيل الالواح جانبها والدسر اصلها وطرفها.

﴿تجري﴾ السفينة ﴿بأعيننا﴾ أي بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا وقيل بامرنا واعلم ان ذات الواح ودسر من الصفات التي تغني عن ذكر موصوفها ولا يكاد يذكر معها إلا تأكيدا أو دفعا للبس ان وجد وانما ذكرته انا للبيان لمن قد لا يعلم وذلك من فصبح الكلام وبديعه.

﴿جزآء لمن كان كفر﴾ وهو نوح فإنه نعمة مكفورة فإن النبي رحمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وقال رجل للرشيد: الحمد لله عليك فقال: ما معنى هذا فقال انت نعمة حمدت الله عليها أو الاصل لمن كان كفر به فهو من الحذف والايصال أو كفر كلامه المرسل به فحذف المضاف وقرأ قتادة بالبناء للفاعل أي جزاء للكافرين وقرأ الحسن بكسر الجيم مصدر جازى

كالمجازاة وزعم بعضهم في قراءة البناء للمفعول ان من واقعة على النعم وهو خلاف الاصل وقليل حيث اوقع من على غير عالم بدون اقتران بعالم وبدون ارادة.

وقيل المراد بمن كفر نوح والمؤمنون لانهم مكفرون وجزاء مفعول لاجله لحمل أو فجر أو فتح على التنازع عند مجيز التنازع في المفعول لاجله فيقدر للمهمل ضمير مجرور باللام أو على عدم التنازع فيقدر له ظاهر مجرور أو مفعول لاجله لمحذوف أي فعلنا ذلك جزاء وعلى البناء للفاعل لا يتنازع فيه حمل بل فتح وفجر إلا على معنى حمله وابقاء الكفار أي ابقيناهم غير محمولين جزاء لهم.

﴿ولقد تركناها﴾ أي السفينة ﴿آية﴾ لمن يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر وقال قتادة ابقى الله سفينة نوح ﷺ ببلدة من أرض الجزيرة تسمى ردي حتى ادركها اوائل هذه الأمة وكم سفينة بعدها صارت رمادا وقيل تركها على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الأمة وقال مكي الضمير للفعلة والقصة.

﴿فهل من﴾ الاستفهام للاستبطاء أو للتوبيخ أو للامر أي تذكروا ومن صله. ﴿مدكر﴾ مبتدأ خبره محذوف أي فيكم أي معتبر متعظ والدال مهملة اصله مذتكربذال معجمة فتاء ابدلت التاء دالا مهملة وابدلت الذال المعجمة ذالا مهملة وادغمت الدال في الدال وقرىء مذتكر على الاصل بلا قلب ولا ادغام وقرىء مذكر بالاعجام أبدلت التاء ذالا معجمة وادغمت فيها المعجمة قال ابو حاتم: والاولى مروية عن النبي ﷺ وقراء ابن مسعود هذه الاخيرة على النبي فردها عليه.

﴿فكيف﴾ استفهام تعظيم ووعيد أو تقرير والمراد حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه بالمكذبين لنوح وكيف سؤال عن الحال وهي خبر كان التي في قوله ﴿كان عذابي ونذر﴾ جمع للنذير الذي هو وصف أو مصدر وكونه جمعاً للمصدر اولى لوافق عذابي وبه جزم بعض ويكتب نذرى في نسخنا بيا

حمراء وياء عذابي بيا سوداء وكذا في المواضع الخمس وتثبت في الاصل عند ورش فقط اعني ياء نذري وذلك رواية منه عن نافع وروي غيره عن الحذف وصلا واما وقفا فيسكن الراء.

﴿ولقد يسرنا﴾ سهلنا أو هيأنا. ﴿القرآن للذكر﴾ للحفظ والدرس أو للتذكير لعذوبة الفاظه واختصاره ومواعظه وعبره ويروى ان كتب اهل الاديان كالتوارة والانجيل لا يتلوها اهلها إلا نظرا.

﴿فهل من مدكر﴾ حافظ دارس أو متعظ وفي ذلك حث على تعلم القرآن والاشتغال به جعله الله بحيث يسهل حفظه على العرب والعجم والصغير والكبير. ﴿كذبت عاد﴾ هودا فاهلكوا. ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ لهم بالعذاب قبل نزوله أو لمن بعدهم في تعذيبهم وبين عذابهم بقوله ﴿إنا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ بارداً شديد الصوت والهبوب احرق اجوافهم وهي الدبور كما مر.

﴿في يوم نحس﴾ بالاضافة أي شؤم وقرىء بالنعت كقوله أيام نحسات. ﴿مستمر﴾ شومه أي دائم حتى أهلكهم كبيرا وصغيرا أو شديد المرارة وهو يوم اربعاء اخر الشهر وليس شؤم ذلك اليوم الى الان وقيل تحذر فيه اشياء منها النكاح والسفر. ﴿تنزع الناس﴾ من الشعب والحفر التي استتروا فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد وقيل يصطفون ايضا ويأخذون بعضهم ببعض وتفرقهم وتصرعهم موتى وقيل تنزع ارواحهم.

﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ أي كأنهم والحال ما ذكر اصول نخل منقلع ساقط على الارض قيل شبهوا بالنخل لطولها وعن بعض شبهوا بالاعجاز لان الريح اطارت رؤوسهم وطرحت اجسادهم فالتشبيه بنخل مقطوع الرأس وذكر هنا النخل وانثه في الحاقة المفاصلتين في الموضعين روعي في الحاقة المعنى للفاصلة وروعي اللفظ هنا للمفاصلة.

﴿فكيـف كان عذابـي ونـــذر﴾ أي كان شديد هائلا. ﴿ولقد يســرنا القرآن للذكر فهل من مذكــر﴾ و ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ جمع نذير بمعنى إنذار بمواعظ ومواعيد أو بمعنى الأمر المنذر بالكسر أو المنذر به بالفتح أو الرسول أو الكتاب أو كل ذلك وكذا في مثله لم يؤمنوا بصالح وما جاء به.

﴿فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه﴾ أي انتبع بشرا من جنسنا أو من جملتنا لافضل له علينا منفردا لا تبع له أو من أحادهم دون اشرافهم فحذف نتبع ودل عليه المذكور المشغول بضمير البشر أي لا نتبعه مفردا ونحن جماعة وقرىء بالرفع على الابتداء والنصب اولى لان الفعل بالهمزة اليق والاستفهام للانكار ومنا وواحد نعتان لبشر أو منا حال من بشر أو من واحدا وواحدا نعت أو منا نعت وواحد حال من ضمير الاستقرار وهما حالان.

﴿إنـا إذاً﴾ أي إذا اتبعنـاهم ﴿لفي ضلال﴾ ذهـاب عن الصـواب ﴿وســعر﴾ جمـع سعيـر عكـسوا عليه فرتبـوا علي اتباعهم اياه ما رتب على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال الشاعر

كان بها سعــرا إذا العيس هزهــا   ذميل وارخــاء من الســير متعب

وقيل السعر العناء وقيل البعد عن الصواب وقيل شدة العذاب وقال ابن عباس العذاب.

﴿أألقــي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وهو قراءتنا وعلامته في كتبنا معشر المغاربة جعل نقطة حمراء مكان الهمزة المسهلة والتسهيل قراءة الهمزة بين الهمـزة وبين الحرف المجانس لحركتها وادخال الف بينهما على الوجهين وتركه.

﴿الذكــر﴾ الكتاب أو الوحــي ﴿عليــه من بيننــا﴾ وفينا من هو أحق منه بذلك انكروا القاء الوحي عليه من بينهم وهو واحد منهم لا أشرف وفيه دليل على أن المراد بقوله أبشرا الخ.... كيف نتبع واحدا منا غير أشرفنا.

﴿بـــل هـــو كـــذاب﴾ في ادعـــاء الوحي اليه ﴿اشـــــر﴾ متكبر بطر حمله بطره وتكبره على الترفع علينا بدعوى النبوة. ﴿ســـيعلمـــون غـــدا﴾ هو يوم القيامة جعل قربه كقرب غد من اليوم قبله قاله الحسن وقيل: المراد بالغد وقت نزول العذاب عليهم في الدنيا وذلك حكاية لحالهم قبل نزوله وقرأ ستعلمون بالفوقية ابن عامر وحمزة ورويس على طريق الالتفات اشارة الى أن كفارة مكة مثلهم في الهلاك أو على حكاية ما أجابهم به صالح.

﴿مـن الكـــذاب الأشـــر﴾ وقرىء بضم الشين كحدث في حدث وحذر في حذر وقرأ ابو قلابة بفتح الشين وتشديد الراء ملحقا باسم التفضيل ورد همزتـه شذوذ لانها اصل مرفوض أي الابلغ في الشرارة وقيل الاشر بالكسر اللعاب والكافر في الدنيا لعاب.

﴿إنـــا مرســـلوا النـاقـــة﴾ مخرجـوهـا اليهم من الهضبـة وهي الصخرة المنبسطة على الارض كما سالوا ﴿فتنـــة لهـــم﴾ امتحانا وبلاء ﴿فارتقبـــــهم﴾ ما يصنعـــون﴿واصـــطبـر﴾ افتعـل من الصبر وطـأوه عن تاء اكتسب صبرا شديدا على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امري. ﴿ونبئـــــهم﴾ اخبرهـــم ﴿ان المـــاء قسمة﴾ أي ذو قمسة أو مقسوم أو أمر الماء قسمة.

﴿بينهـــم﴾ هذا الضمير لهم وهم جانب وللناقة وهي جانب لهم شرب يوم ولها شرب يوم وذكر الضمير تغليبا ﴿كـــل شـــرب﴾نصيب من الماء. ﴿محتضـــــر﴾ يحضره صاحبه في نوبته وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن والعسل في نوبتها من ضرعها وليس بمعنى يمنع عنه غير صاحبه لان ضاده غير مشالة كما يدل له كلام القاضي وداموا على تلك النعمة حتى ملوها وهموا بقتل الناقة.

﴿فنـــادوا صاحبـــــهم﴾ قدار بن سالف احيمر ثمود لقتلها وكانت عشراء ﴿فتعـــاطى﴾ تنـاول السيف ﴿فعـــقـر﴾ قتلهـا والتعـاطي تناول الشيء بتكلف وقيل تعاطى بمعنى اجترأ على الامر العظيم وهو قتلها وقيل تعاطى الناقة أي تناولها.

﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ بين هذا العذاب بقوله ﴿إنا ارسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ صاحها جبريل وقيل: الصيحة العذاب ﴿فكانوا﴾ بها ﴿كهشيم المحتظر﴾ الهشيم الشجر اليابس المنكسر والمحتظر الذي يتخذ حظيرة لماشيته أي حصنا من الشجر والشوك مانعا من السبع اما ان يتخذها من الشجر اليابس أو من الاخضر ثم ييبس ويتكسر وما داسته الماشية بارجلها فهو هشيم أو الهشيم الحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء أو الشجر المتخذ لها وقيل: الهشيم العظام النخرة المحترقة وقيل: التراب يتناثر من الحائط.

وقرأ الحسن بفتح الظاء أي كهشيم الشجر الذي اتخذ حظيرة أو اسم مكان أي موضع اتخاذ الحظيرة. ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا ارسلنا عليهم حاصبا﴾ ريحا يرميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف وإنما رمت من كان خارج المدينة أو مسافرا وخسف بالمدينة ويطلق الحاصب على نعس الحجارة والاية تحتمل.

﴿إلا آل لوط﴾ ابنتيه معه ﴿نجيناهم﴾ من العذاب ﴿بسحر﴾ في سحر متعلق بنجيناهم أو بمحذوف حال من الهاء أي كائنين في سحر وهو اخر الليل بل السدس الاخير وقيل: المراد بالسحر وقت طلوع الفجر وان السحر سحران وصرف لانه لم يعينه بل ابهمه. ﴿نعمة من عندنا﴾ مفعول لاجله أي انعاما أو مفعول لمحذوف أي جعلنا ذلك نعمة ﴿كذلك نجزي من شكر﴾ نعمتنا بالايمان والطاعة .

﴿ولقد انذرهم﴾لوط ﴿بطشتنا﴾ اخذتنا لهم بالعذاب ﴿فتماروا﴾ تجادلوا أو شكوا أو كذبوا يهدي بعض الى بعض ذلك بتعاطيهم الضلال والشبهة. ﴿بالنذر ولقد راودوه﴾ طالبوه ﴿عن ضيفه﴾ ان يتركهم له فيلوطون بهم وهم ملائكة جاءوه في صورة بني آدم.

﴿فطمسنا أعينهم﴾ أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه عالجوا الباب ليدخلوا فقالت الرسل دعهم يدخلوا إنا رسل ربك فدخلوا

فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا يترددون لا يهتدون الى الباب فاخرجهم لوط عميا قاله ابو عبيدة وقتادة وقال ابن عباس والضحاك: ليس طمسا حقيقة لكن رأوا الرسل ولما دخلوا الدار لم يروهم فسمي حجبهم عن الرؤية طمسا واشتق منه طمس.

﴿**فذوقوا**﴾ أي قلنا لهم بالحال أو بالسنة الملائكة ذوقوا. ﴿**عذابي ونذر**﴾ ما انذركم به لوط من العذاب أو ماتضمنه النذر من الوعيد ﴿**ولقد صبحهم بكرة**﴾ وقت الصبح قيل: عند طلوع الفجر والظروف مؤكدا لعامله وقرأ زيد بن علي بمنع الصرف اخبارا بوقت معين.

﴿**عذاب مستقر**﴾ دائم حتى يتصل بعذاب الآخرة ﴿**فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ وفائدة هذا التكرير ان يجددوا عند استماع كل نبي اذكارا واتعاظا وتنبيها واشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب وهكذا فـ «بأي آلاء ربكما تكذبان» و«ويل يومئذ للمكذبين» وكذا تكرير الأنبياء والقصص لتكون عبرة حاضرة للقلوب فليس ذلك توكيدا لفظيا لأنه لا يكون أكثر من ثلاث مرات بالمؤكد.

﴿**ولقد جاء آل فرعون**﴾ تباعة واكتفى بذكرهم عن ذكره لانه اولى ﴿**النذر**﴾ موسى وهارون وقيل وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون أو كتب موسى أو آياته التسع ويصح في النذر ان يكون مصدرا مفردا وكذا فيما سبق.

﴿**كذبوا بآياتنا كلها**﴾ الضمير لجميع الأمم المذكورة وقيل لآل فرعون والايات الايات التسع. ﴿**فاخذناهم**﴾ بالعذاب ﴿**أخذ عزيز**﴾ غالب ﴿**مقتدر**﴾ لا يعجزه شيء ﴿**اكفاركم**﴾ يا أهل مكة أو معشر العرب.

﴿**خير من اولئكم**﴾ الكفار المعدودين قوة وعدة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل اولائكم الذين هم أقوام هود وصالح ونوح ولوط وفرعون بل شر منهم ﴿**أم لكم براءة**﴾ من العذاب ﴿**في الزبر**﴾ الكتب

المتقدمة والاستفهام انكاري ﴿ام يقولون نحــن جميــع﴾ جماعة أمرنا مجتمع منتصرون بقوتنا كما قال.

﴿منتصــــر﴾ ممتنع لا يرام أو منتصر على الأعداء ومحمدا وينصر بعضه بعضا وافراده نظر للفظ جميع وهو نعته فلا حاجة الى ان نقول أفرد لرؤوس الاي أو الى أن نقول أفرد على معنى كل واحد منا منتشر وهذا أولى من الذي قبله قيل ضرب أبو جهل فرسه يوم بدر فقدم في الصف وقال: ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزل ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبــــر﴾ وقد مر أن الآية مكية وقول بعض أنها نزلت في يوم بدر ضعيف وال للجنس أي ادبارهم أو لان كل أحد يولي دبره ووقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن أبي عمر وتولون بالفوقية وقيل: نكتة الافراد مع الفاصلة

ومع ما تقدم الاشارة الى انهم كنفس واحدة في الادبار لم يتخلف واحد وكان صلى الله عليه وسلم يقول يوم بدر اللهم ان تهلك هذه الطائفة فلن يعبدك احد.

﴿بــل الســـاعة﴾ يــوم القيامــة ﴿مـــوعدهم﴾ زمان وعد الله عذابهم اليه وما يحيق بهم في الدنيا فطلائع منه وقيل يهلك كفار آخر الأمة ﴿والساعة أدهـــى﴾ أعظم بلية من كل هزم وقتل واشدد اهبة والداهية الامر العظيم الـذي لا يهتـدي للخـلاص منـه﴿وأمــرّ﴾ أشـد مرارة من عذاب الدنيا قال الحسن: يعذب الله كفار آخر هذه الأمة عذابا لم تعذبه أمة وهو النفخة الأولى وقرأ سينهزم.

﴿ان المجـرمين في ضـــلال﴾ عن الحق في الدنيا ﴿وســعــر﴾ نيران في الآخـرة وقيل: الضلال عذابهم في الدنيا والسعر عذابهم في الآخرة وقيل: السعـر الجنـون والأكثـرون ان المجـرمين هنا المشركون وقيل السعر الشقاء ﴿يـــوم﴾ مفعول اذكر أو ظرف للاستقرار باعتبار قوله سعر ان فسر بعذاب الآخرة ونارها أو متعلق بقول مقدر عامل في قوله ذوقوا مَسّ سقر.

﴿يســحبون﴾ يجــرون ﴿في النــار على وجوهــهم﴾ يقال لهم ﴿ذوقــوا مــس ســقــر﴾ من سقرته النار أو صقرته حرقته أي ذوقوا ايها المكذبون حر النـار وألمهـا فإن مسها سبب للتألم أو شبه اصابتها إياهم بالاحراق بمس الحيوان للاخر مسا موجعا ﴿إنا كل شيء خلقنــاه بقــدر﴾ بنصب كل على الاشتغال وهو نص في ان كل شيء هو مخلوق لله وانه بقدره فهو أولى من قراءة الرفع لانها تحتمل ان يكون الخبر هو خلقناه فيكون المعنى كمعنى قراءة النصب وهو الصواب ويحتمل ان يكون الخبر بقدر وخلقناه صفة كل أو شيء فيوهم ان ثم مخلوقا لغير الله كما هو مذهب المعتزلة وهو باطل قاله ابن هشام وخالد ومذهب المعتزلة ان الافعال الاختيارية والشرية مخلوقة لهم والشيء اسم للموجود أو معقد بالوجود فلا يرد انه لم يخلق جميع الممكنات.

وعن الروداني ان ايهام الوصفية حاصل مع النصب ايضا لجواز نصب كل بخلقنـا محذوفا على غير الاشتغال أي خلقنا كل شيء مخلوق مثل وفعلت فعلتـك التي فعلت ويدفـع بان ايهـام الوصفية على النصب ضعيف عن احتمالها عن الرفع والتقدير الترتيب على مقتضى الحكمة أو الكتابة في اللوح قبل وقوعه أو سبقه في علم الله بلا اول قال سعيد بن جبير: كل شيء بقدر حتى هذه وضع السبابة على طرف اللسان ثم على طرف ابهام اليسرى وفي الحديث «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالله وبي وبالبعث والقدر خيره وشره». وعن علي: «لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطئه». قال ابن مسعود: ما كفر قوم بعد نبوة إلا كان مفتاح ذلك التكذيب بالقدر.

وفي الحديث «بني الاسلام على ثلاثة الجهاد ماض منذ بعثت الى آخر فئة من المسلمين تقاتل الدجال والكف عما لا تعلم والايمان بالقدر خيره وشره وانما اخاف على امتي حيف الائمه والتصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر وعن بعض نزل أن المجـرمـين إليَّ بقــدر في القــدرية منهم أسقفـا نجـران جاءا إليه ﷺ فقــالا : يا محمــد تزعم أن الســماء بقــدر والبحــار بقــدر وهــذه الامور بقدر ونحن نقول الا المعاصي فنزلت وقيل: اختصمت قريش في القدر

فنزلت وفي الحديث «كتب الله مقادير الاشياء كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة» وقال: كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس.

وقال لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة القدرية لا تشهدوا جنائزهم ولا تعودوا مرضاهم وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم به ولا تجالسوهم ولا تفاتحوهم بالكلام ولا نصيب لهم ولا للمرجئة في الاسلام وينادي يوم القيامة بمسمع الاولين والآخرين اين خصماء الرحمن فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار وذلك انهم يخاصمون كيف يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه بها قاله ابن الجوزي

وعن الحسن: لو صام قدري حتى يكون كالحبل وصلى حتى يكون كالوتد وذبح ظلما بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر وقيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر والقدر هنا تقدير الاشياء في الازل على صفة مخصوصة وامكنة وازمنة مخصوصة كالقضاء كما يطلب القضاء على معنى الايجاد كالقدر ومنه فقضاهن سبع سموات أي خلقهن وزعمت القدري انه لم يعلم بالاشياء حتى تقع لعنهم الله.

وقد انقرضت القدرية القائلون بذلك ولم يبق عليه احد من اهل القبلة وصار متأخروهم يثبتون القدر لكن يقولون الشر من غير الله لعنهم الله وقد موهت القدرية بقولهم السنا بقدرية بل انت لاعتقادكم القدر والجواب ان النسبة لادنى مخالطة أو انهم نسبوا الى القدر الذي اثبتوه لانفسهم وسموا مجوسا قيل لاضافتهم الخير لله والشر لانفسهم كقول المجوس الخير فعل النور والشر فعل الظلمة ونقول الكل لله خلقا وللعباد كسبا وليس القضاء والقدر جبرا كما توهم ومعنى التحديد بخمسين ألف سنة في الحديث تحديد وقت الكتابة واما علمه فلا أول له والكيس ضد العجز والمراد العجز والكيس في كل شيء. وادعى بعض ان المراد في الطاعة قيل: والمراد بالقدرية الجهمية.

﴿**وما أمرنا إلا واحدة**﴾ إلا فعلة واحدة وهي الايجاد بلا معالجة ومعاناة أو إلا كلمة واحدة أو قولة واحدة سريعة التكوين وهي ان يقول كن بلا

تكرير أو إلا مرة واحدة وقيل ما امر الساعة إلا مرة واحدة وقيل الا رجفة واحدة.

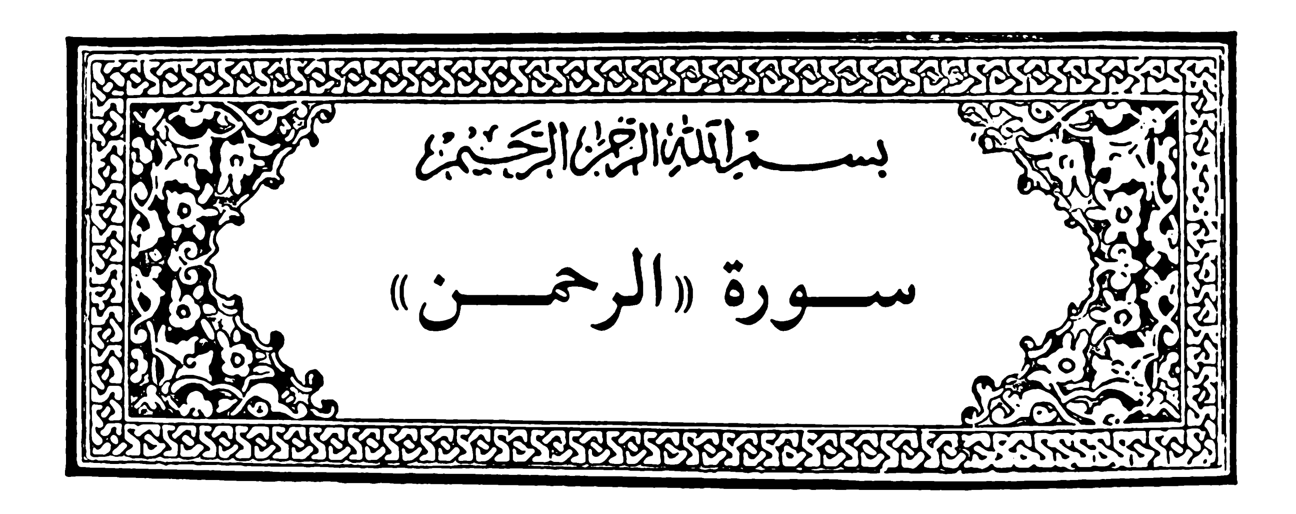
﴿كلمح بالبصر﴾ في السرعة قال ابن عباس: يريدان قضائي في خلقي اسرع من الخطف بالبصر وقال الحسن ما أمرنا بمجيء السعة ﴿ولقد اهلكنا اشياعكم﴾ اشباهكم في الكفر من قبلكم ﴿فهل من مدكر﴾ متعظ ﴿وكل شيء فعلوه﴾ أي العباد صفة شيء ﴿في الزبر﴾ خبر كل أي كتب الحفظة أي ثابت أو مكتوب في كتب الحفظة اليوم الحساب ليروه وإلا فالله لا يحتاج للكتابة وقيل الزبر اللوح المحفوظ سماه بلفظ الجمع لجمعه ما تجمع الكتب أو باعتبار ان كل جهة مكتوب فيها عمل أحد منه فهي كتاب.

﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ من الأعمال وغيرها من الخلائق والآجال ونحوها مسطر في اللوح المحفوظ ﴿إن المتقين في جنات﴾ بساتين ﴿ونهر﴾ مفرد كالنهر بالفتح والاسكان والمراد الجنس وقيل: سعة وقيل: الضياء كضياء النهار وقرىء بالفتح والاسكان وقرأ الأعمش نهر بضم النون والهاء جمع نهر بفتح النون والهاء كاسد وأسد وإنما قيل كضياء النهار لانه لا ليل عندهم ويشربون من انهارها ما شاءوا من لبن أو خمر أو عسل أو ماء طين الأنهار مسك وضواضها الدر والياقوت وحافاتها الياقوت.

﴿في مقعد﴾ اسم مكان القعود ﴿صدق﴾ أي في مكان مرضي حسن حق لا لغو ولا تأثيم ولا كذب ولا شر ولا رداءة واما مجلس الدنيا فلا تخلو من هذه الأشياء والمراد بمقعد الجنس كما قرىء في مقاعد صدق. ﴿عند مليك﴾ كثير الملك وعظيمه والمراد قرب شرف بمن هو كذلك وهو الله عز وجل والإبهام للتعظيم وفي مقعد وعند خبر إن بعد خبر أو في مقعد خبر ثان أو بدل بعض أو بدل غير بعض وعند نعت مقعد أو حال.

﴿مقتدر﴾ لا يعجزه شيء إشارة الى القدرة التامة كل ملك وقدرة تحت ملكه وقدرته قال المحاسبي: اذا أخذ اهل الجنة منازلهم واطمأنوا فهم في قرب الشرف من مولاهم على قدر منازلهم في العمل والاعتقاد.

اللهم بحق نبيك محمد علينا صلى الله عليه وسلم وبحق السورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الرحمن»

وتسمى عروس القرآن مكية عند الجمهور وهو الصحيح بدليل قول جابر بن عبد الله لما قرأ رسول الله ﷺ على اصحابه سورة الرحمن حتى فرغ قال: «ما لي أراكم سكوتا، الجن كان أحسن منكم ردا» وروي مردودا ما قرأت عليهم من مرة﴿فبأي آلاء ربكمـا تكذبان﴾ إلا قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمـد.

وقصة الجن بمكة وعن أسماء بنت أبي بكر سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلي نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون فباي آلاء ربكما تكذبان وفي هذا دليل على تقدم نزولها على نزول سورةالله الحجر وقيل مدنية «إلا يسأله» من الآية وقيل مدنية كلها.

وآيها ست وسبعون وقيل ثمان وسبعون وكلمها احدى وخمسون وثلاثمائة وحروفها الف وستمائة وستة وثلاثون وفي الحديث «من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه ورحم الله ضعفه، وان قارىء سورة الرحمن والواقعة والحديد يدعى في ملكوت السموات بساكن الفردوس» وقالوا من علقها على الرمد أزالته وماؤها يزيل مرض الطحال وإذا كتبت على حائط البيت منعت الهوام.

بســـم الله الرحمن الرحيــم

﴿الـرحمـــن علـم القـــرآن﴾ صدر السورة بعد البسملة بالرحمن لانها مقصورة على تعديد النعم الدنيوية والاخروية وقدم من نعم الدين غايتها واصلها وهو القرآن وهو أعز الكتب ومنشوء الدين ومشتمل على خلاصتها مصـدق لها ولنفسـه قال صلى الله عليه وسلم: «خـيركم من تعلم القرآن وعلمه» والمفعول الأول لعلم محذوف أي علم من شاءه القرآن قيل لما نزل

اسجدوا للرحمن قال كفار مكة: وما الرحمن انكاراً له فنزل الرحمن علم القرآن أي الذي قلتم لا نعرفه هو الذي علم القرآن وقيل: جواب لهم حين قالوا: إنما يعلمه بشرف التقدير عند بعض الرحمن علم محمد القرآن وقيل التعليم هنا التسهيل للقراءة والحفظ والقرآن مخلوق كما يدل له وصفه بالتنزيل والجعل وغيرهما فبطل قول بعض انه غير مخلوق وانه يدل على ذلك انه ذكر في الكتاب اربعا وخمسين ما فيها موضع صرح فيه بخلقه ولا اشارة اليه وذكر الانسان على الثالث في ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه.

﴿**خلق الانسان علمه البيان**﴾ خبر ثان وثالث بدون عطف لمجيئها على نهج التعديد والانسان الجنس واتبع التعليم بخلق الانسان ليعلم أنه خلق للدين وليحبط علما بوحيه وما كان هو الغرض في خلقه وهو القرآن أولى بالتقديم ثم اتبع خلقه بالبيان ليتميز به عن سائر الحيوان وهو الافصاح عما في الضمير وبه يتعرف الحق والكلام هو من نفس الروح وفهم العقل وقيل: البيان الكتابة والفهم والافهام فيعرف ما يقول وما يقال.

وقيل: عرف كل قوم لغتهم، وقيل: الانسان آدم والبيان اسماء كل شيء وقيل: اللغات كان عارفا متكلما بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل: الانسان محمد ﷺ والبيان ما كان وما يكون ينبىء عن خبر الاولين والآخرين ويوم الدين وقيل الاحكام والحلال والحرام والحدود.

﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ يجريان بحساب معلوم في البروج والمنازل وفي ذلك منافع علم السنين والحساب والفصول والاوقات وغير ذلك ذكره الكلبي والحسن وابن عباس وقال مجاهد: الحسبان الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور الحجر بدوره وعن الحسن هما والنجوم في مثل الطاحونات وفي مثل فلكة الغزل دون السماء ولو التزقت بالسماء لم تجر وقالوا: السماء كالقبة وتجري في الفلك دون السماء واقرب الارض للسماء بيت المقدس وابعدها الابلة.

وعن مجاهد في قوله ﴿**كل في فلك يسبحون**﴾ يدورون كما يدور فلك المغزل وعن قتادة: الحسبان الفككة المستديرة والصحيح الاول فهو مصدر

كالحساب وقال ابو عبيدة والضحاك: جمع حساب وان قلت كيف اتصال هذه الجملة والتي بعدها بالتي قبلها قلت لان الحسبان حسبانه والسجود كانه قال الشمس والقمر بحسبانه.

﴿والنجم﴾ النبات الذي ينجم من الارض أي يطلع ولا ساق له ﴿والشجر﴾ ما له ساق ويبقى شتاء ﴿يسجدان﴾ له أي يخضعان له طبعا خضوع المكلفين طوعا شبه عدم امتناعهما عما يريده منهما بسجود الساجد وقيل: سجودهما سجود ظلهما وقيل: النجز الكوكب وسجوده طلوعه والصحيح الاول لمقابلة بالشجر وعلى الثاني مجاهد وعليه فنسبه النجم وهو جنس النجوم من اسماء كنسبه الشجر من الارض لانهما في ظاهرهما وفي الآية الحاق بمراعاة النظير وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان غير مقصودين فالنجم بمعنى الشجر لا يناسب الشمس والقمر لكن قد يكون لفظ النجم بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما ويسمى إيهام التناسب واما مراعاة النظير فجمع امر وما يناسبه لا بالتضاد مثل قوله سبحانه والشمس والقمر بحسبان وإنما عطف الجملتين وما بعدهما وصلا للتناسب والتقارب بالعطف لان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب التقابل وان القمر والشمس لا يزالان يذكران معا وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وذلك الاصل واما ترك العطف قبل ذلك فايراد على طريق التعديد تبكيتاً لمنكر الرحمن.

والآية ﴿والسماء رفعها﴾ خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين لا يفترون عن العبادة وينزلون بالوحي الى انبيائه وبينها وبين الارض خمس مائة عام وقيل: كانت على الارض ورفعها وقيل: رفعتها نملة بقدرته.

﴿ووضع الميزان﴾اي العدل أي امربه كما فسره بقوله ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ أي لا تجاوزا العدل هذا مذهب الجمهور وقيل قام بالعدل بين خلقه واعطى كل ذي حق حقه فانتظم امر العالم قال صلى الله عليه وسلم:

«بالعدل قامت السموات والارض» وان تفسير ايضا لدالة عدله على النهي عن عدم العدل وقيل: اراد كل ما يوزن به الاشياء ويعرف مقاديرها من ميزان ومكيال ومقياس وغير ذلك خلقه موضوعا على الارض حيث علق احكام عباده بالعدل في الاخذ والاعطاء.

وقرأ عبد الله ابن مسعود وخفض الميزان ويجوز كون ان المصدرية ولا نافية أي لئلا تطغوا وأسقط ابن مسعود ان على إرادة القول أي قال لا تطغوا في الميزان أي لا تظلموا فيه وصف السماء بالرفعة ووصف الارض بما فيها بلفظ الوضع اظهاراً للتفاوت ووصفها به أيضاً بعد على التحقيق وقرىء برفع السماء على الابتداء.

﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي لا تنقصوه فإن من حقه التوفية وهي المقصود من وضعه وعن بعض ان الميزان هنا بمعنى الموزون والتكرير مبالغة وحث على التوفية وقرأ بلال بن ابي بردة بفتح التاء وكسر السين وقرىء بفتح التاء وضم السين وأما قراءة بعضهم بفتحهما فعلى ان الاصل لا تخسروا في الميزان.

﴿والارض وضعها﴾ بسطها وأثبتها ﴿للأنام﴾ الانس والجن وقيل كل حيوان الأول للحسن بن علي والثاني لقتادة وابن عباس والشعبي وابن زيد ﴿فيها فاكهة﴾ صنوف مما يتفكه به من أنواع الأطعمة والأشربة وقيل أنواع الفواكة.

﴿والنخل ذات الاكمام﴾ جمع كم بالكسر قال الكلبي: وهو الطالع لأنه يكم الأثمار أي يسترها وقيل: كل ما يغطي من طلع وليف وسعف وذلك كله ينتفع به وه تمثيل لأن نخيل الجنة ليس خشبا بل ذهب وفضة وجوهر وغيرهم واقتصر على ذكر النخل لأنه أعظم بركة من سائر الشجر وعن الحسن الأكمام الليف.

﴿والحب﴾كالحنطة والشغير وغيرهما قيل: آخره ارتقاء للاعلى لان الحب انفع من النخل وأعم وجودا في الاماكن ﴿ذو العصف﴾ قال ابن عباس العصف التبن وقيل: سوق الزرع وعن ابن عباس ورق الزرع الآخر اذا قطعت رؤوسه ويبست وقيل: ورق كل شيء يخرج منه الحب وقيل: ورق النبات اليابس.

﴿والريحـــان﴾ الرزق يقولون خرجت اطلب ريحان الله قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن هو الرزق وقيل ما يشم لرائحته مطلقا وعليه ابن زيد وقتادة وقال الحسن: هو ريحانكم هذا وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بنصب الحب وذا والريحان أي وخلق الحب ذا العصف والريحان أو امدح أو اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان محذوف المضاف وكذا بنصب الثلاثة في مصاحف اهل الشام و قرأ حمزة والكسائي بخفض الريحان ورفع الحب وذو وقيل: التقدير وفيها الريحان وفي الآية ذكر طعام الناس ومشمومهم وعلف دوابهم ولا علف للدابة بذلك في الجنة لانه لا روق فيها على الحقيقة بل نحو ذهب وفضة والريحان في علان من الروح قلبت واوه لتخفيف اصله الروحان وقيل: اصله ريوحان قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وخفف بحذف عين الكلمة.

﴿فبـــأي آلاء ربكـمـا تكـــذبـان﴾ بأي متعلق بتكـذبان وقدم لان لاي الاستفهامية الصدر والاستفهام تقريري وآلاء جمع (إلىّ أو ألىّ أو ألْو) ومعناه النعم والخطاب للثقلين المدول عليهما بالآنام وبقوله أيها الثقلان ولذكر الانسان والجان عقب ذلك ولأن الجن والانس هما العقلاء وأصل الخطاب للعاقل وذكرت احدى وثلاثين مرة تقريراً للنعمة وتأكيداً في التذكير بها كقولك لم تفتقر فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن ذليلا فعززتك أفتنكر هذا، وهكذا. . .

﴿خـلق الانســـان﴾ آدم ﴿من صـلـصـال﴾ الطين اليابس الذي له صلصلة أي صوت اذا نقر من صل وذلك لجودة الطين اشارة الى ماكان من الجودة في طينه وذلك قول الجمهور وقيل الصلصال المنتن من صل اذا انتن وعليه مجاهد ﴿كـالفخـــار﴾ ما طبخ من الطين بالنار وهو الخزف أي له صوت كصوت الفخار إذا انكسر.

﴿وخـلق الجـــان﴾ وهـو ابليس أبو الجن وقيل الجان الجن على حذف مضاف أي ابا الجن ﴿من مـــارج﴾ من صاف عن الدخان ﴿من نـــار﴾ بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب والمارج اللهب الصافي عن الدخان ويحتمل من نار مخصوصة أو بدل وقيل: مارج المختلط من ألوان شتى

أصفر وأخضر وإن قلت تارة قال إنه خلق آدم من حمأ مسنون وتارة من طين الخ . . قلت متفق في المعنى ويفيد أنه من تراب ثم جعل طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا .

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مما أفاض عليكما في اطوار خلقكما ﴿رب المشرقين﴾ مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس ﴿ورب المغربين﴾ مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل : مغرب الشمس ومغرب القمر واضافهما لنفسه تشريفا لهما وقيل : المراد ما بينهما ورب خبر لمحذوف أي هو رب المشرقين وقرىء بالجر بدلا من ربكما .

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مما في ذلك من فوائد لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول . ﴿مرج البحرين﴾ أرسلهما يقال مرجت الدابة أي أرسلتها للمالح والعذب ﴿يلتقيان﴾ يتجاوران ويتماسان لا فصل بينهما في رأي العين ﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرة الله جل وعلا او قيل : البحران بحر فارس وبحر الروم والفاصل الحاجز بينهما جزائر وقيل : بحر الروم وبحر الهند والحجاز حاجز وقيل : الحاجز الناس وقيل : بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام وزعم بعض الجهال انهما فاطمة وعلي وفيه من نحو هذا أقوال باطلة .

﴿لا يبغيان﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية والازالة من موضعه أو لا يبغيان على ما بينهما أو ما بجانبهما فيغرقاه ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ وقرأ غير نافع وابي عمر بالبناء للفاعل من الثلاثي وقرأ نخرج بالنون مضمومة وبالراء مكسورة ونصب ما بعده اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وقيل : اللؤلؤ الدر الكبير والمرجان الخرز الاحمر وعلى الاول سعيد بن حبير.

وقال مجاهد : المرجان ما عظم من اللؤلؤ والأشكال على القول بأن البحرين فارس وبحر الروم والقول بانه بحر الروم وبحر الهند وكذا على قول بعضهم بحر القلزم وبحر الشام واما على القوم انهما المالح والعذب فانما قال منهما مع ان اللؤلؤ

والمرجان من المالح فقط لان المراد من مجموعهما الصادق باحدهما وهو المالح أو لانهما لما التقيا صارا كواحد كما تقول يخرج من البحر ولم يخرج من جميع البحر بل من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من دار ومحلة أو لتقدير مضاف أي من أحدهما وهو المالح وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى المالح والعذب ومثل العذب الأنهار العذبة والأمطار المنصبة فيه وكل ما اغرق فهو بحر.

ونسب للجمهور وقيل من ماء السماء وماء البحر اذا امطرت في نيسان طفا على الماء المالح حيتان على صور الحيات فيفتحن افواههن فما وقعت من قطرة في افواههن صار لؤلؤاً مرجانا أي لؤلؤاً صغيراً ولؤلؤاً كبيراً بقدر القطرة والقطرات وقال ابو حيان: يخرجان من البحر المالح والبحر العذب وحكاه الاخفش عن قوم والمثبت مقدم على النافي ومن زعم ان البحرين فاطمة وعلي زعم ان اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين وما أكذب هذا واشباهه.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار**﴾ الحسن والواحدة جارية والرفع مقدر على الياء المحذوفة للساكن وحذفت في الخط ايضا وقرىء بضم الراء اعرابا على العين كما ورد الاعراب على نون ثمان بعد حذف يائه وقرىء باثبات الياء مضمومة. ﴿**المنشآت**﴾ المرفوعات الشراع وقيل: التي يرفع خشبها بعضها على بعض وقيل: المحدثات المصنوعة وعلى الأول مجاهد، وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي الرافعات الشراع أو المحدثات الأمواج أو السير.

﴿**في البحر كالاعلام**﴾ كالجبال جمع علم بفتح اللام وهو الجبل الطويل فهن في البحر كالجبال عظماً وارتفاعفا ولو تفاوت ما بينهما ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من خلق ما تصنع به السفن وما تحتاج إليه والارشاد إليها وإلى تركيبها وإجرائها.

﴿**كل من عليها فان**﴾ يعني ما على الارض من حيوان وغيره فمن تغليب للعقلاء أو اراد الثقلين ويفنى من في السماء وجميع الخلق والفناء الذهاب فليصرف العقل زمانه اليسير الى الطاعة.

﴿ويبقى وجه ربك﴾ أي ذاته والمخلوقات كلها فانية في حد ذاته وان وجدت والخطاب للنبي ﷺ وللانسان. ﴿ذو الجلال﴾ العظمة والاستغناء المطلق والتنزيه عن التشبه أو القول ما اجله وقيل لا يجوز ما اجله وما اعظمه ونحوه.

﴿والاكرام﴾ للمؤمنين بأنعمه أو للخلق جميعا بالنعم دنيا واخرى ولاحظ للكفار في الأخرى أو القول ما أكرمه أو المراد بهما من عنده الجلال والاكرام للمخلصين وذلك من عظام صفات الله قال ﷺ : «الظوا بيا ذا الجلال والاكرام» أي تمسكوا به ولازموه، ومر برجل يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال: قد استجيب لك.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ النعمة في الفناء وبقاء لله مجبي في وقت الجزاء وذو نعت لوجه وقرأ ابن مسعود ذي بالجر نعتا لربك ﴿يسأله من في السموات والارض﴾ من ملك للمغفرة وانس وجن لها وللارزاق وحوائجهم ولا غنى لمخلوق عنه وان عظم لانه عاجز فهو كامل القدرة والمراد السؤال نطقا وحالا ليدخل فيه من لا يسأله كمكره والمجنون فان ذواتهم وصفاتهم محتاجة دالة على العجز وقيل المراد جميع الحيوانات والجمادات والسؤال بالنطق وبالحال.

﴿كل يوم﴾ أي وقت ﴿هو في شأن﴾ امر يظهره على وفق ارادته وتقديره الازلي من أحياء وإماتة وأعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغفران ذنب وتفريج كرب وغير ذلك وتلاها ﷺ فقيل ما الشأن فقال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين والدنيا كلها عنده يوم شأنه فيه ذلك واليوم الآخر وهو يوم القيامة شأنه فيه الجزاء والآية رد على اليهود إذ قالوا الله لا يقضي يوم السبت شيئا استراحة.

وعن ابن عباس : اللوح من درة بيضاء وياقوت احمر قلمه نور وكتابته نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أي يصرف منه ذلك العدد انواعا وقال الدراني: الشأن الاحسان يتجدد كل وقت للعبد وقيل: هو ان يخرج

كل يوم وليلة عسكرا من أصلاب الرجال إلى الأرحام وعسكرا من الأرحام الى الـدنيا وعسكـرا من الـدنيا الى القبور وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى غد وذهب كئيبا يفكر فقال له أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال: أيها الملك شأنه انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل ويخرج الحي من الميت والميت من الحي ويشفي ويسقم ويبـلي ويعـافي ويعز ويذل ويفقر ويغني فقال: أحسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله.

ودعا عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل وقال: اشكلت علي ثلاث آيات فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وكل يوم هو في شأن وقد جف القلم بما يكون وان ليس للانسان إلا ما سعى اما بال الاضعاف فاجابه الحسين بجواز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة وقيل: ندمه على حمل هابيل وقيل لم يأت بشروط التوبة وللانسان ما سعى عدلا والاضعاف الى الف واكثر فضلا وفي كل يوم شأن يبديه أي يظهره لا شأن يبتديه فقام عبد الله فقبل رأسه وسوغ خراجه وكل ظرف لاضافته ليوم متعلق بما تعلق به في شأن.

﴿فبأي آلاء ربكمـــا تكذبـــان﴾ مما يسعف به سوا لكما وما يخرج لكما من ممكن العـدم حينا فحينا. ﴿ســـنفرغ لكـــم﴾ أي سنوفر عذابكم والانتقام منكم ايها المشركون وهذا وعيد وتهديد مستعار من قول الرجل لمن يهدده سافرغ لك يريد ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني وإلا فالله لا يشغله شأن عن شأن وقد يقول الرجل ذلك وما به شغل فيكون استعارة ايضا قاله ابن عباس لكنه لم يجعل الخطاب للمشركين والفراغ للعذاب فقط بل الخطاب للخلق والفراغ للحساب وهو حسن ويجوز ان يكون المعنى ستنتهي الدنيا وتبلغ اخرها وتنتهي شؤون الخلق فلا يبقى إلا شأن واحد وهوالجزاء والحساب يوم القيامة ولا يفعل فيه غير الحساب والجزاء فجعل فراغا لهم على طريق التمثيل.

وقيل ستنقصد لكم بعد القول والامهال وقرأ حمزة والكسائي سيفرغ لكم

بالمثناة تحت أي الله وقرىء سافرغ لكم بالهمز وقرىء بالنون مفتوحا مع الراء وقرىء بالنون مكسورا مع فتح الراء وقرىء بياء مفتوحة مع الراء ومضمومة مع فتح الراء وقرأ ابى سنفرغ اليكم أي نقصد اليكم.

﴿أيـــه الثـــقـلان﴾ قيل أراد المشركين منهم فقط وقيل: جمع الانس والجن قال جعفر بن محمد الصادق سموا لثقلهم بالذنوب وقيل: لثقلهم على الأرض أحياء وأمواتا ووجه التسمية لا يوحيها وقيل: لرزانة آرائهم وقدرهم وكل ذي قدر ثقل وفي الحديث: «إني تالاك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» جعلهما ثقلين اعظاما لهما وقيل: لثقلهما بالتكليف.

﴿فبـأي آلاء ربكمـا تكذبـان يا معشـر الجن والانـس﴾ كالترجمة لقوله أيها الثقلان ويكتب ايها هنا ويا ايها السحار في الزخرف وايها المؤمنون في النور باسقاط الألف المتصل بالهاء في نسختنا معشر أهل المغرب.

﴿إن اسـتطعتم﴾ قـدرتم ﴿أن تنفـــذوا﴾ تخرجـوا ﴿من اقطـــار﴾ أي جوانـب ﴿السـمـوات والأرض﴾ هاربـين من الله وقضـائه كالأماتة والأمراض والأفقار ﴿فانفـــذوا﴾ اخرجـوا.

﴿لا تنفـذون إلا بسـلطان﴾ إلا بقوة وقهر ولا قوة لمخلوق على ذلك وليس ما وراء الاقطار خارجا عن ملك الله اذ لا مالك سواه ولكن تمثيل وكذلك لو صح لهم النفوذ منها لم يفوتوا قضاءه وقدم الجن لانهم اشد نفوذا منـا والامـر للتعجيز وقال ابن عباس: ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات وما في الارض فانفذوا لكن لا تنفذون ولا تعلمون إلا ببينة نصبها لله فتعرجون إليها بافكاركم.

وقال الضحاك: يقال لهم ذلك يوم القيامة وهو الصحيح قال: يفر الناس في أقطار الأرض والجن لما يجدون من هول القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكـة احـاطت بالارض فيرجعون فيقال لهم ذلك وقيل: تنزل الملائكة فتحيط بهم والنار فإذا رأوهم هربوا فلا يأتون وجهاً إلا وجدوا فيه الملائكة وعن

عطاء بن يزيد: ترجف مساكنهم وافئدتهم فيخرجون الى مكان البحر وقد زال ماؤه فيلبثون فيه جميعا ثم تقول الشياطين ما يحبسنا هلموا نلتمس المخرج فيخرجون حتى يأتوا الافق من قبل مغرب الشمس فيجدونه مسدودا بالحفظة فيرجعون إلى الموضع ثم يقولون هلموا فيأتون المشرق فيجدونه كذلك فيرجعون فبينما هم اذ أشرفت عليهم الساعة ايها الناس أتى أمر الله فما المرأة باشد استماعا لها من الوليد في حجرها لو كان لكن لا تقوم على وليد بل البالغين.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ من التحذير والعفو مع كمال القدرة أو مما نصب من المعارج العقلية والنقلية الى ما فوق السموات. ﴿يرسل عليكما شواظ﴾ لهب لا دخان فيه وقيل اللهب مطلقا وعليه ابن عباس والأول لابي حيان وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرأ من كثير شواظ بكسر الشين وهو لغة وقيل هما بمعنى اللهب الأخضر المنقطع من النار.

﴿من نار ونحاس﴾ بالرفع عطفا على شواظ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب رواية عنه بالجر عطفا على نار وقرىء ونحس بضم النون والحاء جمع نحاس كرسول ورسل وقرىء يرسل عليكما شواظاً من نار ونحاسا بالنصب وبناء يرسل للفاعل والنحاس الدخان قال: يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل لله فيه نحاسا وقيل دخان لا لهب فيه وعليه الخليل ونسب للاكثر ونسب الاول لابن عباس وقيل: هو الصفر المذاب يرسل عليهما ونسب اليه ايضا وقيل عنه: يذاب ويرسل على رؤوسهما وقرىء نحاس بكسر النون وقال ابن مسعود: النحاس المهل وقيل: يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة قال بعضهما: يرسلان معا من غير امتزاج.

﴿فلا تنتصران﴾ لا تمتنعان من الله ولا ناصر لكم وتساقون الى المحشر. ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وانما قال هذا لان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء من اعداد الآلاء.

﴿فإذا انشقت السماء﴾ انفرجت ابوابها لنزول الملائكة جوابها محذوف أي فما أعظم الهول يقدر بعد الدهان. ﴿فكانت وردة﴾ أي حمراء كوردة قال قتادة: السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء وقرأ عبيد بن عمير: برفع وردة على ان كان تامة أي فحصلت سماء كوردة وهو من التجريد البديعي كقول قتادة بن مسلمة الحنفي

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

أي إلى أن يموت كريم يعني نفسه انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه ﴿كالدهان﴾ صفة الوردة أي وردة مذابة كالدهان أو خبر ثان وهو مفرد اسم بما يدهن به أو جمع دهن وقيل: الأديم الأحمر وقيل: كدهن الزيت كما قال: كالمهل وهو دري الزيت وعن الحسن كالدهان اذا صب بعضه على بعض رأيت له حمرة وقال مجاهد: كألوان الأدهان تتلون عند إنشقاقها كتلون النوار يحمر ويصفر في الربيع وإذا اشتد الحر اغبر فيذهب وقيل تتلون في الساعة الوانا في جهاتها وقيل: تكون كالورد ابيض الى الحمرة وقيل الدهان: ادم باليمن وقال ابن جريج: يصلها حر جهنم فتذوب حتى تكون كالدهن وقيل: من شدة الهول وقيل: المراد بانشقاقها اخرابها.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ﴿فيومئذ﴾ يوم اذا انشقت ﴿لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان﴾ لايطلب علم ذلك منهم لان الله عالم بذنوبهم وهي مكتوبة في صُحفهم لا ينافي لتسألنهم أجمعين ونحوه لان السؤال سؤال توبيخ والسؤال في الآية هذه سؤال استخبار لعدم علم ولهذا نفاه وقيل: لا يسألون إذا بعثوا للحشر لأنهم معروفون بسيماهم ويسألون في المحشر قال جارالله : يوم طويل يسألون في موطن ولا يسألون في آخر وعن قتادة كانت لهم مسألة ثم ختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم وقيل لا يسألون هل عملتم كذا ويسألون لم عملتم، ونسب الاول لابن عباس وما قاله جار الله لقتادة والانس والجان هنا الفرد في سياق النفي أي واحد من الانس ولا واحد من الجن والجان في الاصل ابو الجن اطلق على ولده كما يقال هاشم لولد هاشم أو هو فاعل للنسبة للجن.

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد جأن بالهمزة مفتوحا فرارا من الساكنين ولو كان على أحدهما لأن الأول لين والثاني مدغم والهاء للانس لأن المراد وهو متقدم رتبة ولو تأخر لفظا وهاء الجان محذوفة اولها لان المعنى لا يسأل أحدهما.

﴿فبأي آلاء ربكمان تكذبان﴾ مما أنعم الله سبحانه وتعالى به على عباده المؤمنين في هذا اليوم. ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ بعلامتهم في الكآبة والحزن وسواد الوجوه وزرقة العيون﴿فيؤخذ بالنواصي﴾ نائب يؤخذ جمع ناصية وهو شعر مقدم الرأس ﴿والاقدام﴾ يجمع بين ناصيته وقدمه بسلسلة من خلفه ولا يضطرب ويلقى في النار وقيل يطوي كالحطب فيلقى وقيل: يجعل رؤوسهم على ركبهم ونواصيهم في بنانهم وفي تارة يسحب بالناصية وتارة بالقدم فيلقي فيها وقيل: يؤخذ بعض بالناصية وبعض بالقدم.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ حتى لا تحذروا موجب هذا الأخذ ومن آلائه أخذ اعدائكم المجرمين بالنواصي والاقدام ونجاتكم ويقال لهم.

﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون﴾ يسعون ويترددون وقرىء يطوفون بضم الياء وكسر الواو مشددة مبالغة وقرىء يطوفون بفتح الياء والطاء والواو مشددتين اصله يتطوفون ابدلت التاء طاء وسكنت وادغمت وقرىء يطافون بالبناء للمفعول من أطاف.

﴿بينها وبين حميم﴾ ماء حار ﴿آن﴾ بلغ في الحرارة أناه في غايته أو انتهى حره يقال أنى الشيء حضر ثم يلقون فيها وقيل: يقال ذلك وهم فيها وذلك توبيخ لهم وقيل: لا يقدر القول وإنما ذلك اخبار بحالهم وعلى التقدير بالغيبة التفات لأن مقتضى الظاهر يقال لهم هذه جهنم التي تكذبون بها تطوفون الخ . . .

ولكنه الوصف بالاجرام انه هو السبب ومراعاة لحق حال غائبة اولا التفات بل يقال ذلك في الآخرة بالغيبة صونا عن خطابهم لخستهم وللامر الواحد

اعتبارات وقرأ ابن مسعود هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان لا تموتان فيها ولا تحييان وهي مقوية للالتفات وذلك الماء يصب عليهم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الذي كالمهل وعن كعب الأحبار: ان واديا من أودية جهنم يجتمع فيها صديد أهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تتخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيردون في النار فذلك الطواف بينها وبين الحميم الآني وذكر ان شجرة الزقوم نبتت في الباب السادس من أبواب جهنم على صخرة من نار تحتها عين من الحميم سوداء غليظة فيسلط على احدهم الجوع فينطلق به فيأكل منها ملأ بطنه فيغلي بطنه كغلي الحميم فيطلب الشراب يبرد به جوفه فينزل من الشجرة الى تلك العين التي تخرج من تحت الصخرة من فوقها الزقوم ومن تحتها الحميم فتزلق قدماه على الصخرة فيقع بظهره وجنبه فيستوي عليها كالسمكة على المقلى وتسحبه الخزنة على وجهه فينحدر على تلك العين ويسقيه الخازن في اناء من حديد من نار فإذا ادناه من فيه اشتوى وجهه فإذا وضعه على شفتيه تقطعت شفتاه وتساقطت أضارسه ولسانه من حرة في بطنه اخرج ما فيه من دبره وعن ابن عباس ان في اصل جهنم شجرة لابد للكافر من الاكل منها ملأ بطنة مرة بعد اخرى.

وعن الحسن: وقد غلى ذلك الماء منذ خلق السموات والارض واعراب آن على الباء المحذوفة لالتقاء الساكنين كقاض.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ هو كالذي قبله مع ان ما مر كله مواعظ وزواجر فهي نعم ﴿**ولمن خاف مقام ربه**﴾ أي قيامه بين يدي ربه للحساب فيترك المعصية والاضافة تشريف والمقام مصدرا والموضع الذي يقوم فيه للحساب فهو اسم مكان أو الزمان الذي يحاسب فيه فهو اسم زمان وذلك تفسير الحسن وقال مجاهد: مقام ربه اطلاعه عليه فيترك المعصية التي اهتم بها فهو مصدر ميمي ويصح كونه اسم مكان أو زمان أي يخاف مقامه أي حضرته وقيل المراد عظمته وهو كذلك وقيل: خوف مقامه المراقبة لله سرا وعلانية بترك المعصية ويخلص الطاعة ويحب السر وقيل: مقامه حفظه ومراقبته

وقيل: المقام مقحم كقولك أخاف جانب فلان.

﴿جنتـــــان﴾ قيل جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني كأنه قيل ولكل خائف منكما جنتان جنة للجني وجنة للانسي وقيل الجنتان الواحد جنة للطاعة وجنة لترك المعصية وقيل جنة الثواب وجنة المفضل وقيل جنة عدن وجنة نعيم وكان شاب في زمان عمر رضي الله عنه في غاية الجمال والحسن واعجبه وتفرس فيه الخير فاجتاز الفتى بامرأة فاعجب بها ولما هم بها نزلت عليه الخشية وعصمه الله فوقع على وجهه مغشيا عليه فحملته المرأة الى منزله وكان له أب شيخ كبير اذا امسى جلس على الباب ينتظره فلما رآه الشيخ غشي عليه ولما افاق ساله عن حاله فقص عليه ثم صاح صيحة فخر ميتا ودفن.

وقـرأ عمر على قبره ولمن خاف مقام ربه جنتان فناداه من القبر ان الله اعطانيهما وزادني ثالثة وقيل جنة لعقيدته وجنة لعمله وقيل روحانية وجسمانية وكذلك ما جاء مثنى بعد وفي الحديث: «من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»، ادلج باسكان الدال سار أول الليل وبـالشـد السير آخره والمراد هنـا الأول أي بكـر للأمر وجد وللخائف جنتان وإن زنى وإن سرق وإن زنى وإن سرق وإن زنى وإن سرق إن تاب وإن مات بلا توبة فليس يخاف.

﴿فبـأي آلاء ربكـما تكـذبـان ذواتـا أفنـان﴾ بالتنـويع جمع فنن وهي الغصون المستقيمة طولا وقيل ظلال الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس: ألوان الفواكه وقال عطاء: في كل غصن فنون من الفواكه فجمع بين القولين وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما وقيل: الافنان انواع الاشجار والثمار وقيل ان الغصن الفنن بترك الادغام النوع الفن وجمعها افنان وخص الافنان من الاشجار على تفسير الاغصان لانها منها يمتد الظل وتجتني الثمار وقيل: الافنان انواع النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين، قال:

ومن كل أفنـان اللذاذة والصبا. لهوت به والـعـيش أخضر ناضر

وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة فالواو عن ألف ذات والألف بعدها عن

لام الكلمة واو أو ياء والتاء للتأنيث والألف للتثنية.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان﴾ في الاعالي والأسافل من غير اخدود أحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وتجريان من جبل مسك وقيل: احداهما الماء والأخرى الخمر.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ صنفان غريب ومعروف وقيل رطب ويابس وعن ابن عباس: ما في الدنيا شجرة حلوة أو مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا انه حلو.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين﴾ منصوب على المدح للخائفين أو حال من لان (من) خاف في معنى الجمع أو حال المحذوف أي يتنعمون متكئين.

﴿على فرش﴾ وقرىء باسكان الراء ﴿بطائنها﴾ جمع بطانه أو بطين وهو ما يلي الارض لخفائه ﴿من استبرق﴾ ديباج ثخين أي غليظ وهو بالفارسية استبره وإذا كانت البطائن من استبرق فما ظنك بالظهائر.

قيل له صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق فكيف الظواهر قال من نور يتلألأ وقيل ظهائرها من سندس وهو الديباج الرقيق والمراد بالنور في الحديث نور جامد وقال الحسن البطائن الظواهر وهي التي تلي جلودهم فهي بطائن والصحيح ما مر وقيل انما بين البطائن ولم يبين الظواهر لانها لا تعرف بشيء في الارض.

﴿وجنى الجنتين﴾ الجنى ما يجنى من الثمار فهو الثمار كالنجا بمعنى ما ينجى أي يسلخ وهو الجلد وقد يطلقان مصدرين وقرىء بكسر الجيم ﴿دان﴾ بالتنوين كقاض أي قريب يناله مضطجعا في فراشه أو قائما أو قاعدا أو متكئا لا يرد بهم عنها بعد ولا شوك لعدمهما وقيل بعيدة وإذا ارادها دنت منه وما جنى عاد في موضعه.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن﴾ أي الجنات لانه من خاف

﴿جنتـان﴾ فتلك جنتـان أو في الامـاكن والقصور من الجنتين أو فيهما أو فيما اشتملتـا عليه من ذلـك أو للفـرش أو في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى كما تقول زيد في الدار وليس إلا في موضع واحد منها.

﴿قاصـــرات الطــرف﴾ أي نساء قاصرات ابصارهن على ازاوجهن والطرف جنس أي حبسن اعينهن عليهم لا ينظرون لغيرهم ثوابا لمن خاف وقصر طرفه في الدنيا عن الحرام والشبهة واللذات وزينتها تقول الزوجة لزوجها «وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئاً احسن منك الحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك».

﴿لم يطمثـــهن انـــس قبلهم ولا جـــان﴾ أي لم يطمث الانسيات انس ولا جان ولا الجنيات جن ولا انس وذلك ان الآدميين قد يتزوجون الجنيات في الدنيا وقد يزنون بهن والجان قد يزنين بالانسيات في الدنيا وفشى ذلك في الجاهلية وذكروا ان من لم يسم الله عند الجماع جامع الجن معه فنفى الله عن نساء الانس اللاتي يعطون من الجن وعن نساء الجن كذلك ان يمسسن وقيل لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن وفي الآية دليل على ان الجن تجامع كل الانس في الدنيا وعلى ان لهم ثوابا وهن حور.

وزعم بعض ان نسـاءهم في الجنـة منهم وقيل ان تلك القاصرات آدميات للآدميين وجنيات للجن يجعلهن الله ابكارا ومنهن من يموت في الدنيا بكرا وقيل الطمث الجماع وقيل دم الفرج أي لم يفضهن انس ولا جان قبلهم في الجنة أي لم يخرج ذلك الدم وقرأ الكسائي بضم الميم وقيل آدميات وجنيات يخلقهن الله هناك.

﴿فبأي آلاء ربكمـا تكذبـان كأنـهـن اليـاقوت﴾ صفاء ﴿والمرجـــان﴾ أي اللؤلؤ بياضا أو كأنهن الياقوت في حمرة الوجه والمرجان في بياض البشرة وصفائها أو المرجان الحجر الاحمر والياقوت أراد به الياقوت من جيث الصفاء وأحسن ألوان البياض المشروب بحمرة الياقوت حجرا وادخل فيه سلك لري من خارج للصفاء ونساء الجنة يرى مخهن من وراء سبعين حلة كالشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء واول زمرة يدخلن الجنة كالقمر التام وبعدهن كالكوكب الدري لا يبصقن ولا

يتمخطن آنيتهم الـذهب والفضة وأمشاطهن الذهب ورشحهن المسك ولكل واحد زوجتان وبخورهن العود يسبحون الله بكرة وعشيا وقالت له صلى الله عليه وسلم عمته: ادعوا الله ان يجعلني من نساء الجنة فقال «لاتدخلها عجوز فولت تبكي فقال يا عمتي تدخلها العجوز بكرا».

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان هل﴾ ما ﴿جزاء الاحسان﴾ بالعمل ﴿إلا الاحسان﴾ بالثواب والمعرفة هنا غير الاولى على خلاف الغالب أو هي عينها باعتبار الحقيقة فانها هبة الاحسان بالعمل والاحسان بالثواب واحدة والآية في المؤمنين وعن بعض الاحسان الأول الايمان قال ابن عباس: والحسن لا إله إلا الله بعمل صالح ثمن الجنة وقال محمد بن الحنفية وابن المتكدر وابن زيد: الآية غاية للكافر والمؤمن إن احسن الكافر احسن اليه في الدنيا ويجازى المؤمن على احسانه في الدنيا والآخرة أو في الآخرة وقرأها صلى الله عليه وسلم وقال: هل تدرون ما قال ربكم عز وجل قالوا: الله ورسوله اعلم قال: «يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة وحضرة قدسي برحمتي» ولو صح هذا الحديث نحوه لوجب الوقوف عليه ولكن الشأن في الصحة بل هو صحيح لكنه مقيد بالعمل الصالح واراد التوحيد التام وهو المصاحب بالعمل كل العمل من مقتضيات التوحيد.

وقيل: هل جزاء من احسن اليكم بالنعيم إلا ان تحسنوا له العبادة وقيل: الاية عامة حتى ان من احسن اليك من الخلق يجب عليك ان تحسن اليه وصححه الفخر وفي الآية مائة قول وكذا في «اذكروني أذكركم» وكذا «وإن عدتم عدنا».

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما﴾ أي تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين السابقين ﴿جنتان﴾ لمن دونهم من اصحاب اليمين وهم المقتصدون قيل وهم المحاسبون يسيرا والاولون لا يحاسبون وقال ابو موسى الاشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جرير: جنتان للسابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال الحسن: السابقون اصحاب النبي ﷺ والتابعون من بعدهم

وبعد فالحق ان الجنات الاربع لمن خاف مقام ربه فانصف لكن الاخيرتين دون الاوليان في الحسن أو معنى ومن دونهما امامهما وقبلهما وقد قال الضحاك: الاوليان من ذهب وفضة والاخيرتان من ياقوت وزبرجد فهما افضل.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وفي الحديث الجنتان من فضة انبتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انبتهما وما فيهما. **﴿مدهامتان﴾** خبر لمحذوف أي هما أو نعت والجملة بينهما معترضة وهو اسم فاعل من قولك ادهام بالألف والتشديد كاصفار واحمار كذلك واصل هذه المادة للون العارض القريب الزوال واستعملت هنا للدوام والاصل مدهامتان بكسر الميم الاولى سكنت وادغمت في الثانية وبسطت الكلام على هذه المادة في شرح اللامية والمعنى خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة لشدة الري قال البخاري: سوداوان من الري وانما الوصف بانهما ناعمتان قال القاضي: وفي الآية اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على الارض وعلى الأوليين الأشجار والفواكه ودلالة على ما بين ذلك من التفاوت.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان﴾ فوارتان بالماء لا تنقطعان والنضخ أكثر من النضح بالحاء المهملة لأنه الرش فقط أو فوق الرش بقليل قيل تنبعان من أصل الجنتين ثم تجريان وأما عينا الاولين فتجريان من أصولهما وذلك من جملة التفاوت وكذا ما يأتي اقل مما ذكر للأولين.

وعن ابن عباس والضحاك: النضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود: بالمسك والكافور وقال اوس بن مالك: بالمسك والعنبر على دور اهل الجنة كطش المطر. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾** عطفهما على فاكهة العامة لهما تشريفا لهما وبيانا لفضلهما حتى انهما لمزيتهما كانهما جنسان آخران وقد قال ابو حنيفة: من حلف لا يأكل فاكهة واكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه وذلك ان النخل رطبة فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلقان للتفكه قال جار الله: وأراد المزية وإلا فكثر من الفواكه كذلك لكن دونهما بل أبو حنيفة يراهما غير فاكهة.

وجذوع نخل الجنة ذهب وسعفها حلل ورطبها كقلل هجر اشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل واللبن من الزبد قاله الحسن وعن ابن عباس: جذع نخل الجنة ذهب احمر وكربها زبرجد اخضر وشماريخها دار ابيض وسعفها الحلل ورطبها أشد بياضا من الفضة وأحلى من العسل وألين من الذبد ليس في شيء منه عجم طول العذق اثنا عشر ذراعا منضود من اعلاه لاسفله التمرة كالقلة كلما قطعت عادت.

وعن ابن عباس جذعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وعن ابن مسعود من اصلها الى فرعها ثمر نضيد وفي حديث الاسراء ثم اعطيت الكوثر فسلكته حتى تفجر بي في الجنة فإذا الرمانة كالبعير المقتب مراده كالبعير مع قتابه وعن الحسن قال ﷺ «في كل رمانة حبة من رمان الجنة احسبه قال لا يأكلها المنافق».

﴿**فبأي آلاء ربكمـــا تكذبـــان فيهـــن**﴾ أي في الجنتين وما فيهما على مامر وزعم الخازن ان الضمير للجنات الاربع. ﴿**خيـــرات حســـان**﴾ الاصل خيرات بالتشديد كما قرىء به وخفف وليس جمع خير الذي هو اسم تفضيل لانه لا يجمع بالالف والتاء ولا بالواو والنون أي فاضلات الاخلاق حسان الخلق وسألته ﷺ ام سلمة فقال: خيرات الاخلاق حسان الوجوه وفي الحديث «لروحة أو غدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم في الجنة أو قيد سوط خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة منها على الدنيا لملأتها ضوءا وريحاً وخمارها خير من الدنيا وما فيها».

﴿**فبـأي آلاء ربكمـا تـكذبـان حور**﴾ بيض في تفسير العامة ويحار الناظر فيهن ويرى وجهه في عنقهن في تفسير مجاهد ومر غير ذلك. ﴿**مقصـــورات**﴾ محبوسات مستورات ﴿**فـــي الخيـــام**﴾ في بيوتهن والبيوت من در مجوف ولؤلؤ وزبرجد مجوف يضفن الى القصور قال ابو موسى الاشعري: ان للمؤمن خيمة طولها في السماء ستون ميلا وفي رواية عرضها ستون ميلا فيها اهلون يطوف عليهم ولايرى بعضهم بعضا.

وعن ابن عباس: الخيمة لؤلؤة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع

من ذهب على كل مصراع وصيف قائم قيل مقصورات جعلهن الله قاصرات عيونهن وانفسهن على ازواجهن لا يبغين بدلا وفي رواية عنه ان للمؤمن خيمة بيضاء من لؤلؤة طولها ثلاثون ميلا.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان﴾ كحور الاولتين والمراد قيل اصحاب الجنتين ان قلنا غير أصحاب الأولتين دل عليهم ذكر الجنتين. ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين﴾ فيه ما مر ﴿على رفرف خضر﴾ نوع كالبسط وقيل البسط وقيل:الوسائل والمرافق وقال الحسن: المجالس وقيل:عن ابن عباس رياض الجنة المخصبة الخصر وقيل:كل ثوب عريض وقيل مجالس خضر فوق الفرش وقيل ما يتدلى من اطراف الثياب من خيوط أو ما يتدلى من الخباء من الخرقة الهافقة حوله والمفرد رفرفة والخضر جمع خضراء وقرىء رفارف خضر بضمتين وعن الكسائي ضم ميم يطمثهن.

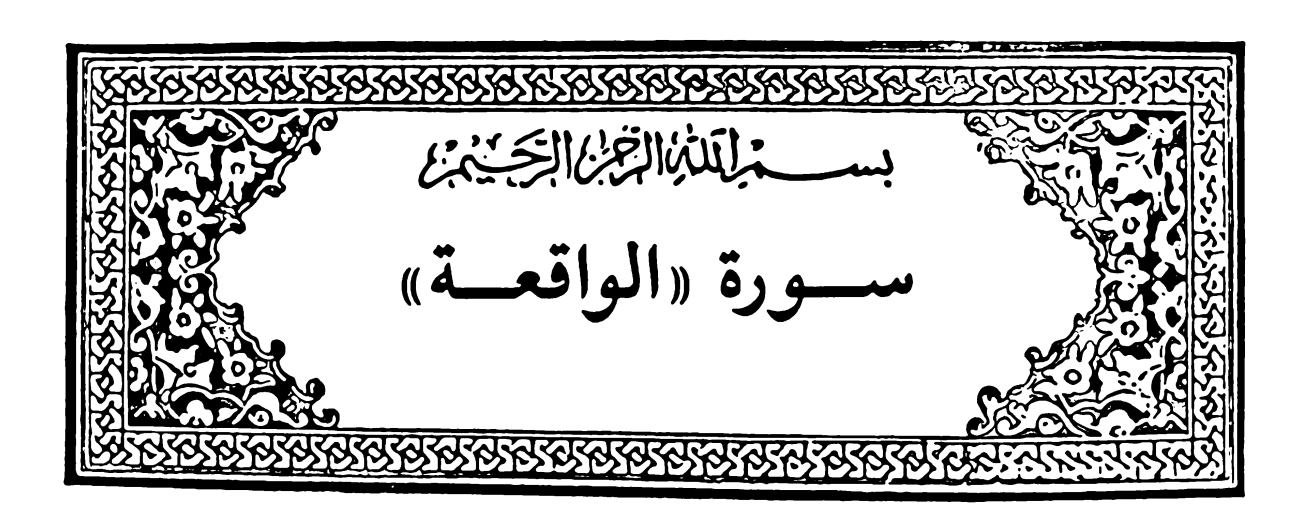
﴿وعبقري﴾ المراد به الجنس ولذلك نعته بالجمع في قوله ﴿حسان﴾ وهو الزرابي والطنافس وقيل الطنافس الرقيقة وعن ابن عباس والكلبي: الزرابي وعن ابن زيد: الطنافس وعن مجاهد عن ابن عباس العبقري والوسائد وعن الحسن الرفرف المجلس والعبقري المرافق قال الخليل والاصمعي: كل خليل نفيس من الرجال وغيرهم عبقري عند العرب قال صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا يفري فريه فصار مثلا لكل شيء عجيب رفيع وعنهما ان العرب اذا استجادت شيئا قالت عبقري.

وقيل إن العبقري بسط حسان فيها صور تصنع في عبقر وهو موضع يعمل فيه الوشي والديباج والعرب قيل: تسمي كل ثوب موشي عبقراً وقيل: نسب إلى عبقريا بالجن ينسبون إليه كل عجيب لأنهم يعتقدون فيهم كل صفة وأعمال عجيبة، وقرىء عباقري نسبة إلى عباقر اسما للبلد، وروى أبو حاتم عباقري بمنع الصرف ولا وجه له ولا يخفى أفضلية «ذواتا أفنان» عن «مداهمتان» و «تجريان» عن «نضاختان» وكل فاكهة عن فاكهة وكذا صفات الحور والمتكىء.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام﴾ وقرأ ابن

عامر ﴿ذو الجلال﴾ بالواو على أنه نعت للاسم وقد قيل: إن المراد به المسمى والمشهور أنه زائد قيل: ان المعنى ان الاسم في نفسه ذو الجلال والاكرام لعظمته ودلالته على الاكرام وسببيته للاكرام في الدعاء به وكتابته وغير ذلك ختم آلاء الدنيا بـ «ذو الجلال» والاكرام وآلاء الآخرة بذي الجلال والاكرام اشارة الى تحميده وتمجيده وكان صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ولا يقعد بعد السلام إلا مقدار ما يقول ذلك فيما روي عن عائشة والدعاء بياذا الجلال والاكرام مرجو الاجابة.

اللهم يا ذا الجلال والاكرام ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وببركة السورة اخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الواقعة»

مكية إلا «ثلة من الاولـين وثلة من الآخرين» وقوله «فلا اقسم بمواقع النجوم» إلى «تكذبون» وقيل: إلا «أفبهذا الحديث» الآية و«ثلة من الأولين» الآية وآيها تسع وتسعون وكلمها ثلاثمائة وسبعون وحروفها ألف وسبعمائة وثلاثة أحرف وفي الحديث «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة أو عدوة لم تصبه فاقة ابدا وتهون ألم المرض والموت والنفاس ومن قرأها طاهرا صباحا ومساء لم يجع ولم يعطش ولم تلحقه شدة ولا خوف ولا فقر».

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

﴿إذا وقـعـت الواقعـــة﴾ قامت القيامة وحدثت وسماها الواقعة لانها تقع لا محالـة فكأنه قيل إذا نزلت التي لا بد من نزولها ويقال حدثت الحادثة وجواب اذا محذوف أي كان كذا وكذا أو اجاز بعض كونها مفعولا به لمحذوف أي اذكر اخراجا لها عن الصدر والشرط واجاز بعض كون الجواب ليس ويرده عدم اقترانه بالفاء لكن قد ورد غير مقرون.

وقيل الواقعة النفخة الاخيرة وعن ابن عباس الواقعة اسم من اسماء القيامة وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور.

﴿ليـــس لوقعتـــها كاذبـــة﴾ نفس تكذب بها كما كذبت بها في الدنيا وقوله «كاذبة» أي كل مخبريها صادق وقيل كاذبة مصدر كالعافية أي كذب وقيل اسم مصدر أي تكذيب وكل نفس يومئذ مؤمنة فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة وقيل لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله واللام للتوقيت مثل لدلوك الشمس وكتبته لليلة مضت من المحرم أو للتعليل أي ليس لأجل وقوعها كاذبة أو لمعنى من قولك كذبت زيدا نفسه في الخطب العظيم إذا شجعته على

مباشرته.

وقالت : انك تطيقه واهلكته أي لأنفس حينئذ تحدث صاحبها بها تحدثه عند عظام الامور من الاحتمال والطاقة لانهم يومئذ اذل والأمر اشد وهم كالفراش المبثوث.

﴿خافضـــة﴾ خبر لمحذوف هي القيامة خافضة لاقوام. ﴿رافعـــة﴾ لآخرين وصفا لها بالشدة تبعا لقوله وقعت الواقعة فان الواقعات العظام يرتفع بها قوم وينخفض آخرون وقال قتادة تخفض اقواماً في النار لا يرتفعون ابداً وترفع اقواماً إلى الجنة فلا ينزلون وقال ابن عباس: ترفع أقواما كانوا في الدنيا منخفضين بالطاعة وتخفض أقواما مرتفعين وقيل تزلزل الاشياء عن مقدارها فتخفض بعضاً وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنثر الكواكب وتكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرىء بنصب خافضة رافعة على الحال وقيل المعنى مظهرة لخفض اقوام بدخولهم النار ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

﴿إذا رجـــت الارض رجـــا﴾ حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم ما فوقها من بناء وجبل ويتكسر كل ما فيها خوفا من الله إذا اوحى اليها وإذا بدل من الاولى أو متعلق بخافضة أو رافعة ويقدر للآخر وإذا قدرنا جواب الاولى قدرناه بعد منبثا أو جعلنا هذه بدلا منها.

وأجيز ان يكون الجواب «فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة» وقرىء ببناء رجت وبست للفاعل أي ارتجت وذهبت.

﴿وبســت الجبــال بســـا﴾ فبست وكانت كالدقيق المبسوس وهو المبلول قاله ابن عباس وقيل سيقت كالغنم وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ارتفاعها وقيل قلعت من الاصل.

﴿فكـــانت هبـــاء﴾ غبارا وعن ابن عباس الهباء ما يتطاير في الهواء من الاجزاء الدقيقة ولا يكد يرى إلا في الشمس إذا دخلت من كوة ﴿منبثـــا﴾ متفرقا ذاهبا بالمعجمة وقرىء بالمثناة أي منقطعا.

﴿وكنتم ازواجا﴾ اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض ازواج ﴿ثلاثة﴾ اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون وقيل المؤمن والمنافق والمشرك فالمؤمن شامل لاصحاب الميمنة والسابقين والمنافق والمشرك داخلان في اصحاب المشأمة.

﴿فأصحاب الميمنة﴾ مبتدأ أي اصحاب المنزلة الميمنة أي السمية ﴿ما﴾ خبر لما بعده أو مبتدأ له والجملة خبر لما قبله. ﴿اصحاب الميمنة﴾ والاستفهام تعجبي وتعظيم ولذلك اقام الظاهر مقام المضمر والاصل ما هم.

﴿واصحاب المشأمة﴾ المنزلة الدنية يقال فلان مني باليمين وفلان بالشمال وصفا بالرفعة والضعة لتيمنهم باليمين وتشاؤمهم بالشمال حتى اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى. ﴿ما اصحاب المشأمة﴾ تعجب وتحقير وقيل: أصحاب الميمنة الذين كانوا ميامين على انفسهم بالطاعة أي مباركين فهم اصحاب اليمين أي البركة واصحاب المشأمة اصحاب الشؤوم وهم المشائم على انفسهم بالمعصية وقيل: اصحاب الميمنة من يؤتى صحيفته بيمينه وأصحاب المشأمة من يؤتى بشماله وقال بعض: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين للجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال للنار.

وعن ابن عباس: الذين كانواعلى يمين آدم حين اخرجت الذرية وقال الله سبحانه وتعالى: هؤلاء الى الجنة ولا أبالي والذين على شماله، وقال عز وجل: هؤلاء إلى النار ولا ابالي.

﴿والسابقون﴾ الى الايمن والطاعة بعد ظهور الحق من غير توان أو الى حوز الفضائل والكمالات والانبياء فانهم سابقون لذلك وقال ابن عباس: السابقون الى الهجرة وقيل من صلى للقبلتين وقيل الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل المسارعون للتوبة وقيل اهل القرآن وعنه صلى الله عليه وسلم هم من اذا اعطوا الحق قبلوه وإذا سألوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم وهو مبتدأ وقوله ﴿السابقون﴾ خبره أي السابقون هم من عرفت

حالهم وبلغك وصفهم كقول ابي النجم:

انـــا ابـو النجـــم وشـعـري شـعـري

أي شعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وقيل السابقون الى الخير هم السابقون الى الجنة وقيل السابقون نعت للتوكيد وقيل: توكيد لفظي والخبر جملة ﴿أولئـــك﴾ هم ﴿المقربـــون﴾ قرب رحمة ورضى ويقربون قرب درجـة أي درجـاتهم عالية وهم في ظل العـرش قريبـون من العرش وقيل السابقون الاول معطوف واصحاب الميمنة خبر لمحذوف أي هم اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون فالوقف عليه والسابقون الثاني مبتدأ خبره الجملة ولا بأس به ولو رده بعض.

﴿في جنـــات النعيـم﴾ وقـرىء «في جنة النعيم» وبالافراد مرادا بها مجموع الجنة أو جنس اجنتهم ولما ذكر الاهوال ذكر المحسن ليزداد احسانا فالمسيء ليرجـع الى الاحسان فالسابق المقرب قيل: هو من ابتكر الخير في صغـره ودام حتى مات واصحاب اليمين من ابتكروا الذنوب وغفلوا وماتوا تائبين واصحاب المشأمة من لم يتوبوا وهو الذي لا فزع عليه.

﴿ثلـــة﴾ جماعة كثيرة لا تحصى. ﴿من الأولـــين﴾ الامم السابقة من آدم الى نبينا محمد صلى الله وسلم عليهما. ﴿وقليـــل من الآخـــرين﴾ من هذه الامة الآخرة والثلة من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الامم وهي الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم وثلة مبتدأ للتقسيم خبره من الاولين وكذا قليل من الآخرين وكل من الثلة والقليل مقربون وقيل: ثلة خبر لمحذوف وقليل معطوف أي هم ثلة وقليل وكون الآخرين هم هذه الامة لاينافي قوله ﷺ : «إن أمتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقو الأمم اكثر من سابقي هذه الأمة وتابعو هذه أكثر من تابع الأمم».

وعن الحسن: سابقوهم أكثر من مما بقى من الأمة وتابعوهم مثل تابعيها وهذا في السابقين فلا ينافي وثلة من الآخرين لانه في اصحاب اليمين وكثرة

الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وعن مقاتل ان هذه منسوخة بقوله «وثلة من الآخرين». روي ان الصحابة حزنوا بقوله «وقليل من الآخرين» فنزل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ويرده ان لا نسخ في الاخبار وروي ان الفرقتين في امتي سابق اول الامة ثلة وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل وقيل الثلث سباق المهاجرين والانصار والقليل الصحابة بعدهم وعن عائشة: كلاهما في امة كل نبي هي في الصدر ثلث وفي آخر الامة قليل قال البهلي آخر من يخرج من النار رجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنة تعالوا نسأله هل بقي بعدك في النار احد فيقول لا إله إلا الله ولا خروج عندنا.

﴿علــى ســرر موضــونة﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجوهر والياقوت الرطبة وعن عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت وقيل موضونة موصول بعضها ببعض أي ادنى بعضها لبعض والجار والمجرور خبر للضمير المقدر في قوله «ثلة» وان لم يقدر فخبر لمحذوف أي هم على سرر ﴿متكئــين﴾ حال من ضمير الاستقرار في على سرر.

﴿عليــها متقــابلــين﴾ لا ينظر بعض في قفا بعض وصفهم بحسن العشرة وزعم بعضهم انهم صاروا ارواحا روحانية ليس لهم أدبار وظهور وعن بعض ان ذلك في الزيارة اذا تزاوروا.

﴿يطــوف عليهــم﴾ للخدمــة ﴿ولــدان مخلــدون﴾ مبقون ابدا على اشكال الولدان وحد الخدمة قاله ابن كيسان وقيل: مقرطون والخلدة القرط وهي الحلقة تعلق في الاذن وعليه الفخر واختار بعضهم الاول لشهرته تقول العرب لمن كبر ولم يشب انه لمخلد قيل هم اولاد الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها فقيل اولاد المؤمنين ورد بانهم ملحقون بآبائهم وبأن من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد المؤمن الآخر لكان منقصة لابيه وقيل أولاد الكفار وفي الحديث «أولاد الكفار خدم أهل الجنة وزعم بعض أن أولاد الكفار في النار ونسب لاكثر قومنا وتوقف بعض وعليه أكثرنا وقال بعضنا: في الجنة والصحيح أن الولدان في الآية يخلقون في الجنة كالحور وسموا أولادا مع انهم لم يولدوا لأنهم خلقوا على شكل الاطفال

وقيل ان في الجنة ولادة.

﴿بأكـــواب﴾ جمع كوب اناء لا عروة له ولا خرطوم ﴿وابـــاريق﴾ جمع ابريق وهو اناء له عروة أو خرطوم سمي قيل ابريقا لبروق لونه من الصفا يرى باطنه من ظهره. ﴿وكـــأس من معـــين﴾ اناء شرب الخمر وهي خمر جارية طاهرة لا تنقطع وذلك حال الشرب وغيره.

﴿لا يصـــدعون﴾ لا يصابون بصـــداع يصدر ﴿عنـــها﴾ أو بسببها فعن للمجاوزة أو للمسببة أو المعنى لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد بفتح الياء وتشديد الصاد كالدال ادغاما لتاء فيه بعد إسكانها وقلبها صادا أصله لا يتصدعون أي لا يحصل لهم صداع ولا يتفرقون عنها وقرىء يصدعون بضم الياء وفتح الصاد بلا تشديد وكسر الدال مشددة أي لا يفرق بعض بعضا والضمير للخمر المعلومة من الكأس أو للكأس نفي عنها ما يحصل من خمر الدنيا من صداع الرأس والتفريق بسبب.

﴿ولا ينـــزفـــون﴾ لا تذهب عقولهم بالبناء للمفعول من انزفه الشراب اذهب عقله وقرأ الكوفيون بفتح الياء وكسر الزاي من نزف عقله ذهب وقيل لا ينفد شرابهم.

﴿وفاكهـــة مما يتخـــيرون﴾ يأخذون خيره وأفضله أي يختارون ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ يتمنون وقرىء «لحوم» ونفس الجائع تميل الى اللحم إذا حضر مع الفاكهة والشبعان الى الفاكهة واهل الجنة يأكلون تلذذا وتفكها لا جوعا ولذا قدم الفاكهة ووصفها بالتخير وآخر اللحم ووصفه بالاشتهاء والطير كالابـل، وتقول يا ولي الله كل مني فقد رعيت في كذا واكلت كذا فمهما اشتهاه منها اضطرب ووقع في مائدته نصفين قديدا وشواء ويأكل منه اربعين سنة كلما شبع القى عليه ألف باب من الشهوة وإذا اشتهى طعاما جاءت طيور خضر ترفع أجنحتها ويأكل من جنوبها ماشاء.

﴿وحـــور عـــين﴾ الحور شديدات سواد العين وبياضها والعين ضخام العيون والعطف على ولدان وقيل مبتدأ أي وفيها حور أو لهم حور وقرأ حمزة

والكسائي بالجر عطفا على جنات أي هم في جنات ومصاحبة حور أو على اكواب لان المعنى ينعمون باكواب وقرىء بالنصب أي «ويؤتون حورا».

﴿كأمثـــال اللؤلؤ المكـــنون﴾ المصونه عما يغيره أو الذي في صدفة لم تمسه اليد ولا الشمس ولا الهواء وإذا ضحكت سطع نور في الجنة وإذا مشت سمع تقديس الخلخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها ونعلاها من ذهب شواكهما اللؤلؤ تصران بالتسبيح ويضحك عقد الياقوت من نحرها. ﴿جـــزاء﴾ مفعول لأجله أي جعلنا لهم ذلك للجزاء أو مفعول مطلق أي جزيناهم جزاء.

﴿بما كانـوا يعملـون لا يســمعون فيـها لغــوا﴾ أي في الجنة باطلا أو فاحشا من الكلام أو قبيحا. ﴿ولا تأثيـــما﴾ نسبة للآثم لا يقال لهم أثمتم.

﴿إلا قـــيــلاً﴾ أي قولا قال ابو حيان: أي في الجنة الظاهر ان الاستثناء منقطع لانه لا يندرج في اللغو والتأثيم وقيل متصل وهو بعيد.

﴿ســـــلاماً﴾ مفعول للقيل من أعمال المصدر المنون أو بدل من قيلا. قيل: أونعته وفيه النعت بالمصدر أو مصدر.

﴿ســــلاماً﴾ تكـرير للدلالـة على كثـرة السلام بينهم وقرىء برفع السلامـين على الحكاية اعني انه معرب بنصب مقدر على ما مر أو مبتدأ لمحـذوف أي سلام عليك ووجه بعضهم اتصال الاستثناء بتقدير الاسماع قيل: وعن بعضهم ان السلام من الملائكة وقيل: من الله وزعم بعضهم ان قولهم يسلم عن اللغو والتأثيم سلاماً وقيل: الاخير اخيرا.

﴿واصحــاب اليمـين ما أصحــاب اليمــين﴾ هم ﴿في ســدر﴾ شجر النبق ﴿مخـضــود﴾ مقطوع الشوك أي مخلوق بلا شوك قاله ابن عباس وقال مجاهد: موقر بثني اغصانه لكثرة الحمل من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب والثمرة كقلة نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثله فنزلت الآية قال الفخر: في الآية إشارة الى ان هذا الخضد

بازاء اعمالهم التي سلموا منها اذ اهل اليمين ليسوا بسابقين قال الفخر وقد بان لي بالدليل ان اصحاب اليمين الناجون الذي اسرفوا وعفا عنهم بأدنى حسنة.

﴿وطـــلح﴾ شجر الموز عند الاكثر وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثيرة طيب الرائحة وقال الســدي: شجر يشبه طلح الدنيا الكثير الشوك ولكن له ثمر احلى من العسل ولا شوك فيه وفضل شجر الآخرة على شجرة الدنيا كفضل الجنة على الدنيا وروى الاول عن عليّ وروى عنه أنه قرأ «وطلع» بالعين فقيل له إنما هو وطلح فقال: ما للطلح والجنة وقرأ لها طلع نضيد فقيل له أصلحها في المصحف فقال ان المصحف اليوم لا يهاج ولا يغير وعن ابن عباس مثله.

﴿منضـــود﴾ مركب بالثمار من اوله الى آخره ولا غصن ولا ساق ظاهر عن الثمار وليس في الجنة ثمر في غلاف كالباقلا والجوز وباقلاها وجوزها ونحوها بلا غلاف. ﴿وظـــل ممـــدود﴾ منبسط لا ينقبض مثله في الرؤية ظل السحاب العام وظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس لا شمس معه وفي الحديث «إن في الجنة شجرة يسير الراكب للجواد المضمر في ظلها مائة سنة لا يقطعها» واقرأوا إن شئتم «وظل ممدود».

وعن ابن عباس: في الظل الممدود انه ظل شجرة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون في اصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عليها ريحاً من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا.

﴿ومـــاء مســـكوب﴾ يسكب حيث شاءوا وكيف شاءوا الى سفل أو علو بلا تعب وقيل دائم الجري لا ينقطع وقيل مصبوب على وجه الارض يجري بغير اخدود شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل مايتهنى اهل البادية اشعاراً بالتفاوت بين الحالين، قال القاضي ﴿وفـــاكهـــة كثيـــرة﴾ افرادا وانواعا ﴿لا مقطـــوعة﴾ في زمان كفاكهة الدنيا وقال ابن عباس: لا تنقطع إذا جنيت وفي الحديث لا تقطع

ثمرة إلا ابدل مكانها ثمرتان وقيل واحدة وقيل لا خطر فيها كما يكون الخطر في فاكهة الدنيا بالمصايب والجوائح.

﴿ولا ممنوعة﴾ بثمن أو بعد ولا بوجه مما تمنع به فاكهة الدنيا ولا يمنع من أراد أخذها وقرىء «فاكهة كثيرة» بالرفع أي وفيها اولهم فاكهة. ﴿وفرش﴾ وقرىء باسكان الراء ﴿مرفوعة﴾ كما بين السماء والارض بعضها فوق بعض أو على الأسرة أو علوها لعلو منزل صاحبها الذي هي فيه وقيل: النساء يدل له ما بعده وضعهن فضلا وجمالا أو على الاسرة أقوال ولا بعد في ذلك لان الآخرة كلها خرق عادة وفي رواية ارتفاعها قدر مائة عام.

﴿إنا انشأناهن إنشاءاً﴾ أبتدأناهن ابتداءا جديدا من غير ولادة فأما ان يراد اللاتي ابتدأ انشاؤهن وهن الحور العين واللاتي أعيد انشاؤهن. سألت ام سلمة النبي صلى الله عليه وسلم عن الآية فقال: هن اللاتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد كلما آتاهن ازواجهن وجدنهن أبكاراً والرمص بالصاد المهملة جمع رمصاء وهي التي يجتمع الوسخ في طرف عينها مما يلي انفها والشمط جمع شمطاء وهي من خالط سواد شعرها بياض وروي عمشاء والهاء في الآية للنساء هل عليهن ذكر الفرش إذا قلنا انها المضاجع وما يفرش.

﴿فجعلناهن ابكارا عرباً﴾ متحببات الى ازواجهن جمع عروب وقرأ عاصم باسكان الراء وكذا نافع في رواية عنهما وصح الاسكان عن حمزة وقال الحسن: العرب العاشقات لازواجهن والاول عن ابن عباس وعن اسامة حسان الكلام فصيحات وروي ان نساء الدنيا احسن من الحور لصلاتهن.

﴿اترابا﴾ مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن كذلك جرد مرد بيض مجعدون مكحلون والجعد هو الذي قص شعره والمراد بالمكحلين انهم سود الاشفار بلا كحل وفي رواية ابناء ثلاثين وقيل معنى قوله اترابا امثالا في الخلق والشكل والقد وفي رواية ان اهل الجنة على قدر ابن اربع عشرة في الشباب والنظرة وروي ان طولهم ستون ذراعا وعرضهم سبعة كادم.

﴿لأصـــحـاب اليمــين﴾ متعلق بـ «أنشـأنا» أو «جعلنا» قاله جار الله : واجاز القاضي كونه نعتا لانكار أو خبر لمحذوف أي هن أو لثلة بعده واجيز تعليقه بـ «أترابا» أي مساويات لازواجهن سنا وقدا.

﴿ثـلة من الأولـين وثلـة من الآخـرين﴾ لما نزل ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال آمنا بك وصدقناك ومن ينجو منا قليل فنزلت هذه فدعاه فاخبره فقال: رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال صلى الله عليه وسلم: ثلة من آدم إلينا وثلة مني الى يوم القيامة ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الابل ممن قال لا إله إلا الله والثلة الجماعة العظمية وهذه في أصحاب اليمين وتلك في المقربين كما مر فلا منافاة وقد عرض عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء الامم قال فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه احد فقيل لي انظر الى الافق اذ رفع الي سواد عظيم فظننتهم امتي فقيل أمة موسى معه ولكن انظر الى الافق فإذا سواد عظيم فقيل انـظر للافق الآخـر فإذا سواد عظيم فقيل هذه امتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في السبعين ألفا، فقال بعض ولعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا فخرج عليهم فقال فيم تخوضون فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسـترقـون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة: أدع الله ان يجعلني منهم فقال: أنت منهم فقام آخر وقال مثله فقال سبقك بها عكاشة.

والرهيط تصغير رهط وهو ما ردت العشرة سافلا وقيل ما ردت الاربعون وقيل غير ذلك وقال ابن مسعود كنا مع رسول الله ﷺ في قبا نحوا من اربعين فقال: «أترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة» قلنا: نعم قال: «والذي نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وما انتم في اهل الشرك إلا كالشعـرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الابيض» وفي رواية «ان امتي ثلثا اهل الجنة والناس يومئذ عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك ثمانون صفا. كذا وجدت» وروي «انهم عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الامة واربعون من سائر الأمم» وقال ابن العاتية ومجاهد وعطاء

والضحاك والزجاج: ثلة من الاولين من آمن بالنبي وعاينه ممن في عصره وثلة من الآخرين من يأتي بعده مؤمنا والمشهور الاول وفي الحساب الاطفال تكمل العدة باطفالنا واطفالهم.

وروي انه ﷺ قال لاصحابه: «أيسركم ان تكونوا ثلث أهل الجنة» قالوا الله ورسوله اعلم قال: «إن أيسركم أن تكونوا شطر اهل الجنة» قالوا: الله ورسوله اعلم وروي انه قال: «اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله واستبشروا ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبروا وحمدوا واستبشروا، ثم قال: «اني لأرجو ان تكونوا نصف أهل الجنة» فكبروا وحمدوا واستبشروا. قال الحسن: ان ذلك هو قوله عز وجل «ثلة من الاولين وثلة من الآخرين».

﴿وأصحـاب الشمـال ما أصحـاب الشمـال في سـمـوم﴾ ريح حارة من النار تنفد المسام أو حر النار ينفد المسام ومر مثله. ﴿وحميـم﴾ ماء متناه في الحرارة ﴿وظـل من يحمـوم﴾ دخان شديد السواد وهو يفعول من الحمة وهي السواد هذا قول ابن عباس والجمهور وقيل: هو سرادق النار المحيط باهل النار فانه يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم وفسر بعضهم هذه السرادق بالدخان وقيل اليحموم جبل في النار اسود وقيل اسم من اسماء النار وهي سوداء وكل شيء فيها اسـود.

﴿لا بـارد﴾ كغيره من الظلال فلا ينفعهم إذا آووا اليه من احر بل يزيدهم حرا. ﴿ولا كـريـم﴾ أي لا حسن المنظر كسائر الظلال لأنه من النار وقيل: لا نافع وذلك نفي لصفتي الظل والظاهر ان نفي ذلك ابلغ من ان يقـال ظل حار ضار كريه منتن وفيه تهكم بان اصحـاب الشـمال لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لضدهم في الجنة وقرىء بالرفع ان لا هو بارد ولا كريمٌ قيل وهو الظل الذي لا يغني عن اللهب.

﴿انهـم كانـوا قـبل ذلـك﴾ أي في الدنيـا ﴿مترفـين﴾ منعمين في سرف وغنى ولا يتعبون في الطاعة وهم المشركون. ﴿وكـانوا يصـرون﴾

يقيمـون ﴿علـــى الحنـث﴾ الـذنب أي جنس الذنوب وقيل: الاعتقاد السيء وهو الشرك. ﴿العظــيم﴾ وقيل: الحنث العظيم اليمين الغموس يحلفون انهم لا يبعثون يقال بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالاثم وحنث في يمينه خلاف بر وتحنث تأثم وتحرج أي تجنب الاثم والحرج.

﴿وكـانـوا يقــولـون أئذا متنـا﴾ همزة الانكار وإذا الشرطية وجوابها محذوف أي بُعثنا لا انا لمبعـوثون لعدم الفاء وكررت الهمزة في قراءة غير الكسائي ونافع في أئنا لمبعوثون وقوله أو ابائنا في قراءة وهي الهمزة قيل الواو العاطفة المفتوحة اصالة تأكيدا لانكار البعث ولا سيما حال كونهم ترابا وعظاما كما قال.

﴿وكنـا ترابـا وعظـاما أئنا لمبعوثـون﴾ بتحقيق همزتي أئذا وهمزتي أئنا وتسهيل الثانية في موضعين وادخال ألف بينهما على التحقيق والتسهيل. ﴿أو آبــاؤنـا الأولــون﴾ نقرأه بأو العاطفة فالهمزة ليست للاستفهام بل بعض ولكن ننقل فتح همزة ابائنا للواو فنحذف هذه الهمزة لتقل حركتها فنمد الواو بالف التي كانت الهمزة المحذوفة ممدودة بها وذلك قراءة ورش واما نافع فقيل عنه انه يسكن الواو والعطف على الضمير المستتر في «مبعوثون» بلا فاصل على القلة أو عد الواو والنون فاصلين ولو كانا من تتمة الاسم لان الاستتار فيما قبلها أو محل اسم ان الذي هو الرفع عند الكوفيين أو مبتدأ محذوف الخبر و المعطوف جملة وقرىء بفتح الواو وأثبات الهمزة بعدها مفتوحة ونسبت هذه لورش في بعض الـروايات، فالـواو عاطفة والهمزة قبلها للاستفهام كما مر وتكفي فاصـلا دخلت للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وقرأ ابن عامر كنافع.

﴿قــل﴾ يامحمـد ﴿إن الأولـين والآخـرين لمجمـوعـون﴾ وقرىء لمجمعـون بالتشديد للتوكيد. ﴿إلـى ميقـات يــوم معلـــوم﴾ هو يوم القيامة والى على أصلها لانهم ينتهون إليه أو بمعنى في أولام التوقيت والميقات ما يحد به الشيء والاضافة للبيان أي هو يوم معلوم.

﴿ثم انكم أيها الضالون﴾ عن الهدي والخطاب لأهل مكة وقيل لكل كافر. ﴿المكذبون﴾ بالبعث ﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان قاله ابن هشام وغيره.

﴿فمالئون منها البطون﴾ الضمير للشجر وانثه باعتبار المعنى ﴿فشاربون عليه﴾ الضمير للشجرة وذكره باعتبار اللفظ كذا قال جار الله : والظاهر عوده للزقوم وقرىء من شجرة فالتذكير للزقوم وقيل لها لتأويلها بالزقوم لانه تفسيرها.

﴿من الحميم فشاربون شرب الهيم﴾ وانما عطف الشاربين على الشاربين للاختلاف من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك ما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضاً فالصفتان مختلفتان بينهما عموم وخصوص من وجه والشرب بالضم مصدر وهو قراءة عاصم وحمزة وقرىء بالفتح كذلك وقرىء بالكسر على انه بمعنى المشروب فيكون مفعولا به لا مصدرا كالاولين والهيم الابل التي بها الهيام وهو دواء تشرب فلا تروى ولا تزال تشرب حتى تموت أو تمرض شديدا وهو ماء اصفر في البطن يجتمع في البطن يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء كاحمر وحمراء قال ذو الرمة.

فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد   صداها ولا يفضي عليها هيامها

والاصل ضم الهاء في الهيم ولكن كسرت لئلا تقلب الياء واوا وقيل جمع هيمان وهيمى كعطشان وعطشى والمراد العطاش وقيل جمع هايم لان الجمل اذا اصابه ذلك الداء هام على وجهه وقيل جمع هيام بالفتح وهو الرمل الكثير الذي لا يتماسك ولا يروى وقيل الارض ذات الرمل والاول قول ابن عباس والثاني قول الكلبي وقال الحسن: الابل الطوال التي تشرب حتى تقطع اعناقها وروي عن ابن عباس والثوري انها الرمل الكثير الذي لايروى وعلى كل حال الاصل ضم الهاء.

روي انه يسلط عليهم الجوع حتى يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل وهو دردي الزيت أو ذائب الفضة أو النحاس فإذا ملأوا بطونهم سلط

عليهم العطش حتى يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربوه شرب الهيم.

﴿هـذا نـزلهـم﴾ أي قراهم بكسر القاف وهو ما يهيأ للضيف تكرمة له وهو مجاز لانهم لاينفعهم ذلك بل يضرهم وذلك كقوله.

نقريهم لهن ميات نقدبها ما كان خاط عليهم كل زراد

وقوله

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وفي ذلك تهكم مثل «فبشرهم بعذاب أليم» وقرىء باسكان الزاي.

﴿يـوم الديـن﴾ يوم الجزاء قال الشيخ هود: ـ رحمه الله ـ دخل رجل على علي بعدما صلى الصبح فقال: يا أمير المؤمنين ما بلغ عطش أهل النار فغطى وجهه يبكي حتى ارتفع النهار ثم كشف وجهه فقال اين السائل عن عطش اهل النار تعال اخبرك بما سمعت من رسول الله ﷺ «ان أهل النار ليبكون الدموع في النار زمانا حتى تنفد الدموع ثم يبكون الدم زمانا حتى ينفذ ثم تقرح العيون فيخرج القيح ولو قذفت السفن في ذلك لجرت فيجتمعون ويقولون يا معشر الاشقياء نعم الزرع تزرعون لو كنتم في الدنيا اما من أحد نستغيث به فيقولون ما نعلمه إلا أهل الجنة فإنهم أباؤنا وامهاتنا فيصيحون باصوات ملعونة يا أهل الجنة يا أهل الجنة يا معشر الآباء والامهات يا معشر القرابة والأنساب ألم نكن في الدنيا نتراحم الم نسأل فنعطي ألم نظلم فنعفوا إنا أخرجنا من الدنيا عطاشا وسكنا في القبور عطاشاً وخرجنا من القبور عطاشاً ووقفنا طول الموقف عطاشا ثم سحبنا الى النار على وجوهنا عطاشاً فقد احرقت القلوب ونضجت الجلود وعميت الابصار وصمت الآذان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيسكتون مقدار عمر الدنيا منذ خلقها الله إلى يوم القيامة ثم يؤذن لهم في الجواب فيقولون إن الله حرمهما على الكافرين فينقطع رجائهم وينادون بالويل والثبور والشهيق انتهى.

﴿نحـن خلقنـاكم﴾ وقد علمتم ﴿فلـولا تصـدقـون﴾ بالبعث فإن من قدر على الابداء قادر على الاعادة أو بالخلق فإنهم ولو صدقوا به لكن

انكرهم البعث تكذيب له فخصصهم بلولا على التصديق متيقنين محققين للصدق بالاعمال الدالة عليه وللخلق.

﴿افـرأيتـم ما تمنـون﴾ بضم التاء مبنياً للفاعل والاصل تمنيون بباء مضمومة بعد نون مكسورة أي ما تقذفونه من النطف في الارحام فالمفعول محذوف أي تمنونه وقرأ ابو السماك تمنون بفتح التاء من مني الثلاثي بمعنى امني ويحتملهما من نطفة إذا تمنى.

﴿أأنـتـم تخلقـونـه﴾ تجعلونـه بشـرا سـويا ﴿أم نحـن الخالقـون﴾ ولا يخفى على عاقل ان تصوير المني الذي يخرج منه أو من غيره لا عمل فيه لاحد ولا إرادة ولا قدرة والاستفهام تقريرا وانكارا. ﴿نحن قدرنـا بينكـم المـوت﴾ اثبتنا وقضينا الآجال محتومة وقيل المعنى سوينا بين الخلق في الموت بين أهل الارضين والسموات وهو تفسير الضحاك وعن ابن كثير: قدرنا بتخفيف الدال وفي الهمزتين في أأنتم في المواضع الاربعة تحقيق الهمزتين وابدال الثانية وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه.

﴿وما نحـن بمسـبوقيـن﴾ لا يسبقنا احد فيهرب من الموت أو يغير وقته أو لايغلبنا أحد من سبقته على كذا أي غلبته عليه لا يرد ما نريد.

﴿علـى ان نبـدل أمثـالكم﴾ حال أو علة لقدرنا وعلى بمعنى لام التعليل وما نحن بمسبوقين أعتراض وذلك على الاول أما على الثاني فمتعلق بمسبوقين واعني بالاول والثاني تفسيري ما نحن بمسبوقين والامثال جمع مثل بالاسكان أي على تبديلنا منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق أو مثل بالفتح أي صفة أي على تبديل صفتكم في الخلق والأخلاق التي انتم عليها.

﴿وننشـئكم﴾ نخلقكم ﴿فيمـا لا تعلمـون﴾ من الصـورإن شئنا خلقنـاكم خنـازير وإن شئنـا خلقناكم قرداً ومن الصفات والآية تنحو إلى الوعيد. وعن سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طير سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وفيه بئر تسمى أيضاً برهوت لانها

في ذلك الوادي وقيل المعنى نبعثكم في وقت لا يعلمه أحد فلا تتكلوا على طول المدة ولا تغفلوا عن اعداد العدة فإنكم إذا بعثتم جوزيتم باعمالكم وإذا متم لم تستطيعوا عملا أو الانشاء فيها لا يعلمون احضارهم للاخرة بالموت فانهم إذا ماتوا انتقلوا الى دار لايعلمونها.

﴿ولقد علمتم النشأة﴾ أي الانشاءة فهو اسم مصدر بمعنى الخلق أو مصدر الثلاثي على لغة تعدية ﴿الاولى﴾ وهو الايجاد الاول الذي اقروا به ففي ذلك اثبات للنشآت الاخرى فإن من قدر على الخلق اولا يقدر عليه ثانيا واثبات لصحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس الاخرى على الاولى والمراد بالاولى خلق الخلق آدم وغيره وقيل خلق آدم وقرىء بفتح الشين.

﴿فلولا تذكرون﴾ حضهم على التذكر ليؤمنوا بالبعث فإن من تذكر الاولى انتبه والاصل تتذكرون أبدل التاء الثانية ذالا وادغمها في الذال.

﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ ما تبذرون حبه ﴿أأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه ﴿أم نحن الزارعون﴾ المنبتون المقيمون اياه على ساق أو باسطوه وليس منكم إلا القاء البذر كما يلقون النطفة ويخلقها الله كيف شاء ذكر الرزق بعد ذكر ابتداء الخلق لأنه آلة البقاء وذكر منه الحب لانه أصل المأكول ثم ذكر المشروب ولم يذكر إلا الماء لأنه أصل المشروب ولا غنى عنه وذكر النار بعد ذلك لأن بها صلاح كثير من الاغذية وكون أأنتم فاعلا لمحذوف دل عليه تزرعونه أولى عندهم من كونه مبتدأ لان همزة الاستفهام بالفعل اليق وفي الحديث لايقولون أحدكم زرعت ولكن يقولن حرثت ثم تلا الراوي وهو ابو هريرة.

﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ نباتاً يابساً متفتتا لاحب فيه كالتبن بحيث لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وابطل بذلك قول من يقول انه يكون زرعاً بنفسه لابفعلنا ولا بفعل غيرنا فهل يدفع عنه نفسه أو تدفعون عنه الآفات.

﴿فظلتم﴾ أصله ظللتم بلام مكسورة حذفت تخفيفا وقد قرىء به وقرىء فظلتم بكسر الظاء نقلا من اللام المحذوف وكان المحذوف اللام الاول لانها تدغم وقيل الثانية لأن الثقل حصل عندها.

﴿تفكهون﴾ تعجبون بما نزل فيه وقال الحسن: تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه وقيل: على المعاصي التي أوجبت ذلك وقيل: تتلاومون وقيل: تحزنون وقيل: تتلهفون على ما فاتكم والاول لابن عباس وقال ابن زيد: تتفجعون وقيل: تتطرحون الفاكهة عن أنفسكم والأصل تتفكهون حذفت احدى التائين وقرىء يتفكنون وفي الحديث مثل العالم كمثل الحمة وهي عين ماء تستشفى بها المرضى يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينما هم كذلك إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون أي يتندمون.

﴿إنا لمغرمون﴾ أي تقولون إنا لمغرمون أي ملزمون غرامة ما أنفقنا على زرعنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك قال بعضهم الغرام ذهاب المال بلا عوض وقيل معناه مولع بنا وقال ابن عباس: خسرنا ما بذرنا بلا عوض وقيل: الغرام أشد العذاب وقرأ عاصم أئنا بالاستفهام.

﴿بل نحن محرومون﴾ من الرزق لاحظ لنا فيه ولا بخت وقيل المحروم الذي يبعد عنه الرزق بعد قربه.

﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون﴾ العذب الصالح للشرب. ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ السحاب واحدته مزنة مطلقا وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه عذب وقال الحسن: المزن السماء. ﴿أم نحن المنزلون﴾ وجملة الاستفهام مفعول ثان للروية ان جعلت علمية.

﴿لو نشاء جعلناه أُجاجا﴾ ملحا لا يمكن شربه وعن ابن عباس: شديد الملوحة وقيل: مر لا يمكن شربه وقيل: من الاجج فإنه محرق الفم وجرد جواب لو هذه من اللام الفاصلةبين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه للعلم السامع بمكانه والاكتفاء بسبق ذكرها أو يختص ما يقصد لذاته ويكن أهم وفقده أصعب لمزيد التأكيد قاله القاضي قال شيخ

الاسلام: مايتمحض للشرط هو لو وما يتضمن معناه هو «نشاء» والضمير في مكانه للمحذوف وهو اللام ولو قال بمكانها لكان انسب واراد بسبق ذكرها سبقه في لو نشاء لجعلناه حطاماً واشار إلى حكمة ذكرها في الاول دون الثاني بقوله ويختص أي بذكرها ما يقصد لذاته وهو المأكول ويكون أهم أي من الشرب وفقده أصعب أي من فقد الشرب لمزيد التأكيد أي فيما يقصده لذاته.

﴿فلولا تشكرون﴾ هذه النعم ومن الشكر الايمان. ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ تخروجون من الشجر الاخضر والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخرى ويسمون الاعلى الزند والآخر الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة والعودان من المرخ والعفار وقيل المراد جميع شجر النار.

﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة﴾ الضمير للنار التي يورون أي جعلناها تذكرة لنار جهنم وعلقنا بها اسباب المعاش وغيرها ليكثر خضورها فتتذكرون بها أو جعلناها مثالا يعرف به نار جهنم ونار جهنم أعظم وفي الحديث «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا: يارسول الله إن كانت لكافية قال: «فإنها فضلتها بتسعة وستين جزءا ولقد ضرب لها في الماء مرتين» وروي غسلت في سبعة ابحر ونار الحجارة وغيرها كذلك ويجوز كون الضمير لطلق النار فيكون الاستخدام وكون التذكرة معناها التبصرة في أمر البعث أوفي الظلام وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن ونار جهنم سوداء لا يضيء لهبها.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدني أصبعه من النار ويقول يا ابن الخطاب انك لا تصبر على هذه فما ظنكم عباد الله بعبد جعلت في عنقه سلسلة تحرق ما ظهر من جسده وما بطن ولو ان حلقه منها وقعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص ويطمس وجهه على دبره ويجمع مابين ناصيته وقدمه وقرن معه شيطانه مسود الوجه بادي العورة ذليلا كاسفاً يائساً من كل خير مستيقنا من كل شر لسحبه الملائكة بالسلاسل في نار تغلي على القطران والقطران صب على جسده والتذكرة مصدر على غير قياس والقياس التذكير.

﴿ومتـــاعـــاً﴾منفعة ﴿للمـقـويـــن﴾ الذي نزلوا في القواء وهي الارض قفراء الخالية البعيدة يقال أقوت الدار خلت من ساكنها يعني المسافرين قاله الحسن وابن عباس وقيل: الذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام وقيل: الاقوياء لقوتهم على ما يريدون وقيل: هم المستمتعون بها من الظلة المصطلون بها من البرد المنتفعون بها في الطبخ والخبز وغير ذلك فاحتاج اليه الغني والفقير وأهل الحر والبرد والجائع والشبعان والمقيم والمسافر والحضري والبادي وأهل البادية أحوج أليها يوقدونها ليلا لطرد السباع وليهتدي بها الضال وغير ذلك والقواء بالمد والقصر الارض لاماء فيها ولا نبات.

﴿فسـبح﴾ يا محمد والخطاب لكل احد ﴿باســم ربــك العظيـــم﴾ الجار والمجرور زائدان أي نزه ربك عما لايليق به أو الاسم بمعنى الذكر أي سبح بذكر ربك أو يقدر ومضاف أي بذكر أسم ربك والعظيم نعت لربك أو للاسم أن جعل غير زائد والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه قال فاحدث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله تنزيها عما يقول الظالمون الجاحدون الكافرون لنعمه أو تعجبا من أمرهم في غمط آلائه وأياديه الظاهرة أو شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها أو الاسم بمعنى الذات والباء زائدة. ولما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال ﷺ : «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزل فسبح باسم ربك الاعلى قال: «اجعلوها في سجودكم».

﴿فــلا أقســم﴾ لا زائدة للتوكيد أو لام ابتداء دخلت على المضارع واشبعت ويدل له قراءة الحسن فلا أقسم بلام فهمزة فقاف بلا مد وهي ايضا لام ابتداء دخلت على المضارع ويجوز في قراءته تقدير المبتدأ بعدها أي فلانا أقسم وكذلك يجوز على القراءة الاولى لكن لما حذف المبتدأ أشبع فتحة اللام أو لانافية أي لا اقسم لوضوح الامر أو ناهية أي لا تكذبوا ماذكر من النعم والآيات.

أولا تقولوا ان القرآن سحر أو شعر أو كهانة ولتعظيم الامر كما يقال لا تسأل عما جرى وليس المراد النهي عن السؤال وقيل نافية على تقدير لا صحة

لما يقول الكافر وليست لام جواب القسم لأنه لا يحسن والله اقسم ولان من تجريد المضارع المثبت المقرون بلام جواب القسم من نون التوكيد قبيح ضعيف ولان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال ويأتي كلام في لا القسم.

﴿بمواقع النجوم﴾ بمساقطها أجمع موضع أسم المكان الوقوع أو زمانه وخص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لايزول تأثيره أو لان له تعالى افعلا مخصوصة عظيمة عند غروبها أو لان للملائكة عبادات موصوفة قيل: أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات حكمته ان لا يترك عباده مهملين أو أراد بموقعها منازلها ومجاريها وله في ذلك من الدليل على عظم القدرة والحكمة ما لا يحيد به الوصف وقيل: مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أي نزولها وقيل: أراد انتشار نجوم السماء يوم القيامة وقيل: مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم وقيل مواقعها غروبها وطلوعها والجمهور على أن النجوم السماء وان لا نافية وأنه لقسم معترض بين القسم وجوابه ولو تعلمون معترض بين الصفة والموصوف وقال ابن عطية: أعتراض واحد وهو «لو تعلمون» لأن وانه لقسم عظيم توكيد لا اعتراض ورده ابن هشام بأن التوكيد والاعتراض لا يتنافيان قيل وهذه الآية تدل على ان النجوم نجوم القرآن.

روي عن ابن عباس ان المعنى مواقع نزول الوحي وقرىء «بموقع» وجواب لو محذوف أي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم وقيل: لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل: معنى لو تعلمون اعلموا عظمته.

﴿إنه لقرآن كريم﴾ أي أن المتلو عليكم معز وكرمه عزته على الله أو حسنه في جنسه أو كثرة نفعه لاشتماله على أصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد وقيل: الكرم أسم جامع لما يحمد والقرآن جامع لذلك فالفقيه

يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيذ منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل: كرمه أنه يحفظه الكبير والصغير والذكي والبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل: كرمه عزته وأنه بكثرة التلاوة وكثرة الرد لا يمل ولا يثقل على الالسنة ثقل كراهة بل غض طري والكلام اذا كرر يسأمه السامعون.

﴿في كتــاب مكنــون﴾ مصون عند الله بأيدي الملائكة المقربين عما يدنسه وعن التدنيس والكتاب واللوح المحفوظ وقيل المصحف وكنه حفظة من التبديل والتحريف والاول اصح.

﴿لايمســـه﴾ أي ذلك الكتاب المكنون وهو اللوح المحفوظ ولا نافية ﴿إلا المطهــرون﴾ من ادناس الذنوب وغيرها وهم الملائكة والجملة صفة لكتاب وان جعلته صفة لقرآن والضمير له فالمعنى لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المنسوخ من اللوح وكأنه نهي ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» أي لا ينبغي له ان يظلمه وان جعل بمعنى النهي أو نهياً مقدر الجزم لئلا يلتقي ساكنان قدر القول إذا جعل صفة ويصح جعل ذلك حالا من ضمير كريم أو مكنون أو ضمير في كتاب أو خبر اخر على أن المطهرين الملائكة ومن الناس من حمل الآية على القراءة أيضاً قال ابن عمر: أحب إلي ان لايقرأه إلا طاهر وعن ابن عباس إباحة القراءة للجنب وقيل: المعنى لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقال الفراء: لايجد طعمه ونفعه إلا من آمن به وقيل: لا يقرأه إلا الموحدون والظاهر المشهور انه لا يجوز مسه إلا للمتطهر من الشرك والجنابة والحيض.

قال ابن عباس في رواية وجميع الاحداث وهو قول انس وابن جبير وابي العالية وقتادة وابن زيد وكان ابن عباس ينهى ان يمكن للمشرك من قراءة القرآن ومسه قال عطاء وطاووس وسالم والقاسم ومالك والشافعي وأكثر الفقهاء لا يقرأه ولا يمسه الجنب والحائض والمحدث روي ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وانه كتب لاهل اليمن ان لا يمسه إلا طاهر ونهي ان يسافر به لأرض

الشرك واختلف في اشتراط الوضوء لقراءته ومسه وأجاز حكيم وحماد وأبو حنيفة للجنب والحائض حمله بغلافه واجاز بعضهم قراءته ومسه للحائض وبعض للجنب أيضاً والآية تدل على تنزيه القرآن عن هؤلاء كلهم ولو قلنا المطهرون هم الملائكة فإنه إذا كان من شأنه وشرفه بتلك الرتبة الاعلى فحق علينا ان لا يتناوله منا إلا موحد متطهر.

وقرىء باسكان الطاء من اطهره بمعنى طهره أي إلا من أطهره الله من الشرك وهم الملائكة والموحدون أو اطهره الماء بعد التوحيد وقرىء بكسر الهاء بعد فتح الطاء أي طهروا انفسهم بالتوحيد والماء أو الملائكة طهرت غيرها بالاستغفار والوحي وانفسها وقرىء المتطهرون والمطهرون بتشديد الطاء والهاء بابدال التاء طاء وان قلت كيف قيل الكتاب كتب المسلمين أعني مصاحفهم ولم تكن يومئذ قلت قال بعضهم ذلك اخبار بالغيب أو المراد انه إذا كتب في شيء ما فصونوه.

﴿تنزيل﴾ أي منزل من التسمية بالمصدر أو باق على المصدرية مؤول بالمنزل لو بذي تنزيل أو بلا تأويل مبالغة في تنزيله لانه نزل نجوما من بين سائر الكتب وهو نعت القرآن أو خبر آخر لأن أو خبر لمحذوف أي هو وقرىء بالنصب على المفعولية المطلقة أي نزل تنزيلا أو على الحالية بالتأويل أو عدمه على ما مر.

﴿**من رب العالمين**﴾ لا شعراً وسحراً وكهانة كما تقولون ﴿**افبهذا الحديث**﴾ القرآن متعلق بـ «مدهنون» ﴿**أنتم**﴾ يا أهل مكة ﴿**مدهنون**﴾ متهاونون مكذبون يقال أدهن في الامر أي ألان جانبه ولم يتصلب تهاونا به قيل وهو من الدهن للينه وقيل: المدهن الكافر الكذاب والمنافق لأنه جار على خلاف الباطن.

﴿**وتجعلون رزقكم**﴾ أي شكر رزقكم ﴿**انكم تكذبون**﴾ أي به أي بالرزق وعن رسول الله ﷺ أنه قرأ انكم تكذبون به أي يجعلون بدل الشكر التكذيب كقوله:

فشركما لخيركما الفداء   يقولون مطرنا بنوء كذا

ينسبون انزال المطر الى النجم ولا يرونه من فضل الله وناء النجم ينوء غاب وقيل طلع وصلى رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل يعني المطر فاقبل على الناس وقال هل «تدرون ماذا قال ربكم، قالوا: الله ورسوله اعلم قال: قال: اصبح من عبادي مؤمن وكافر فمن قال مطرنا بفضل الله مؤمن بي وكافر بالنجم ومن قال مطرنا بالنجم كذا كافر بي مؤمن بالنجم» فنزلت الاية وقال: «ما نزلت نزلة من السماء إلا اصبح بها فريق كافرين يقولون امطرنا نجم كذا»، وقيل: عطشوا في سفر فقال لهم رسول الله ﷺ : «أرأيتم ان دعوت لكم فسقيتم فلعلكم تقولون سقينا هذا المطر بنوء كذا» فقالوا: ما هذا بحين الأنواء فصلى ركعتين ودعا فهاجت ريح واثارت سحابة فمطروا حتى سالت أودية وملئوا الاسقية فمر برجل يغترف بقدح وهو يقول: سقينا بنوء كذا ولم يقل من رزق الله فنزلت الاية.

وذلك كفر شرك كما قال الشافعي والجمهور من العلماء وزعم بعض قومنا انه كفر نعمة ومن قال مطرنا بنوء كذا ولم يعتقد ان الكوكب فاعل مدبر بل اعتقد ان الفاعل المدبر الموجد للمطر هو الله بفضله نوء النجم ميقات له فلا كفر ولكن يكره ذلك كراهة تنزيه لئلا يساء الظن به ولأن ذلك قول الجاهلية وشعارهم وقيل يحرم ذلك القول وقال الحسن تكذبون بكتاب الله أي تجعلون ظنكم ونصيبكم من القرآن التكذيب به أو تجعلون شكر نعمة القرآن التكذيب به والرزق بمعنى الشكر لغة ازد شنوة وقرأ علي وابن عباس شكركم وزعم بعضهم أن المفسرين اجمعوا ان الآية في الانواء ويدل على ان المحرم اعتقاد تأثير النجم وإيجاده ما زعم قومنا.

عن عمر انه استسقى بالمصلى ونادى العباس كم بقي من نوء الثريا فقال العباس: ان العلماء يزعمون أنها تعترض في الافق سبعاً بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وإنما أرادتم كم بقي من الوقت الذي جرت العادة بالمطر عند تمامه وقرأ تكذبون بفتح التاء واسكان الكاف

أي تكذبون بقولكم القرآن سحر وشعر والمطر من الانواء.

﴿فلولا﴾ حرف توبيخ قال ابن هشام تختص بالماضي. وقيل لا تختص قال هي في الاية مفصولة بإذا وجملة الشرط أي فهلا ترجعون

الروح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وحالتكم أنكم شاهدون ذلك ونحن أقرب الى المحتضر منكم بعلمنا أو بالملائكة ولكن لا تشاهدون ولولا الثانية تكرار للأولى ودخلت على المضارع الحكاية الحال بايضاح.

﴿إذا بلغت﴾ الروح أو النفس عند الموت ﴿الحلقوم﴾ مجرى الطعام وقيل اعلى الحلق ﴿وانتم حينئذ﴾ أي حين إذا بلغت ﴿تنظرون﴾ إلى الميت متى تخرج روحه كذا عن ابن عباس وقيل الى امري وسلطاني لايمكنكم الدفع والخطاب لجماعات المشركين الحاضرات للموتى وقيل لاهل مكة وقيل لجميع الناس.

﴿ونحن أقرب اليه﴾ أي الى المحتضر ﴿منكم﴾ بالعلم والقدرة عبر بالقرب عنهما لأنهما مسببان عنه وقيل ورسلنا الذي يقبضون أقرب بأجسامهم اليه. ﴿ولكن لا تبصرون﴾ لا تعلمون كنه ما يجري عليه وحقيقته وقيل: لا تبصرون الملائكة الحاضرين للقبض.

﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ غير مملوكين أذلاء وغير مربوبين مقهورين يقال دانه اذله واستعيده وقيل غير مجزيين وقيل غير محاسبين وقيل غير مقرين بالبعث. ﴿ترجعونها﴾ أي الروح الى مواضعها وهو جواب اذا وجواب اذا محذوف دل عليه ترجعون المذكور المسلط عليه لولا ويقدر مقرونا بلولا والجملة توكيد لجملة اذا وما معها وكذا جواب.

﴿إن كنتم صادقين﴾ أي في اقوالكم وتعطيلكم بتكذيب القرآن والرسول والبعث وان ثم قابضا فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن إذا خرجت كلا لا قدرة لكم فأعلموا أن الامر الى غيركم وهو الله.

﴿فأما إن كان﴾ المتوفى واما يليها اداة شرط وبعضهم يقدر المبتدأ

أي فأما المتوفي ان كان ﴿مـن المقـربـين﴾ أي السابقين في الازواج الثلاثة المذكورة في أول السورة ﴿فـــروح﴾أي فله روح أي استراحة وقرأ الحسن بضم الراء وفسره بالرحمة لأنها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء وهو خالد مع الرزق والنعيم وفسر المضموم والمفتوح بعضهم بالرحمة وبعض بالراحة وبعض بالسعة وعن الحسن انه فسر المضموم بالحياة في الجنة والتحقيق ان الجواب لأن وأن وما بعدها جواب لإما وحذفت أحدى الفائين وذلك كما يتصل بمعمول جواب أما بينها وبين جوابها وقيل الجواب لا ما وجواب ان مقدر وقيل لهما وقيل لا جواب لأن استغناء بجواب أما وقال ابن هشام الجواب لاما لسبقها وجواب أن مقدر لتأخرها ولو حذف جواب أما لحصل احجاف لحذف شرطها، قلت لا احجاف لأن شرطها لم يحذف حذفا بل اقيمت مقام الشرط واداته وقد ذكر جار الله حذف جواب أما في بعض المواضع والاولى ما قدمت وانما حذفت الفاء لئلا تجتمع فاءان والظاهر أن المحذوفة فاء جواب ان لحصول التكرار بها.

﴿وريحـــان﴾ رزق حسن قالـه مجاهد وقال الضحاك الاستراحة وقيل ماتنبسط إليه النفوس وقيل الطيب وقيل الريحان الذي يشم قال أبو العالية: لا يخرج أحد من المقربين من الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة وروي بجوزة فيشم ذلك فيموت قال مجاهد: ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه إن كان من أهل الذكر فمن أهل الذكر أو من أهل اللهو فمن أهل اللهو.

﴿وجنـــة نعـــيم﴾ ذات تنعم وعن ابن بكر الوراق الريحان دار القرار وهذه جنة النعيم والروح النجاة من النار. **﴿وأمـا إن كـان من أصحـاب اليمـــين﴾** المـذكـورين اولا **﴿فسـلامٌ لك من أصحـاب اليمـــين﴾** قيل: فيقال سلام لك من اخوانك أصحاب اليمين أو انك من أصحاب اليمين أو أنت من اصحاب اليمين وقيل المعنى فسلام لك يا محمد منهم جملة تقتضي غاية المدح أي لا ترى في امرهم إلا السلامة أو أنت يا محمد سالم مما تكره لهم فهم فيما تحب لهم تجاوز الله عن سيئاتهم وقيل حسناتهم.

﴿وأمــا إن كــان من المكذبــين الضــالــين﴾ أصحاب المشأمة وصفهم بالتكــذيب والضــلال اشعــاراً بأن ذلـك هو موجب خزيهم وزجـراً عنهـا. ﴿فــــنزل﴾ أي جزاؤهم نزل وقرىء باسكان الزاي وقد مر. ﴿من حمــيم وتصليــة جحيــم﴾ ادخال معظم النار ومتراكمها وقيل المراد ما يجد في قبره من سموم النار ودخانها وقرىء بالجر عطفا على حميم.

﴿إن هـــــذا﴾ المـذكور في السورة أو في شأن الفرق ﴿لهـــو حـــق اليقــــين﴾ أي اليقين الحق أو حق هو اليقين أي لاشك فيه وعن بعض حق الخبر اليقين.

﴿فســبح باســم ربك العظيــم﴾ قد مر أي نزهه من كل سوء وقيل: صل بذكر ربك وأمره وكان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه «سبحان ربي العظيم» وفي سجوده «سبحان ربي الاعلى» وما يأتي على آية رحمة إلا سأل أو على آية عذاب إلا تعوذ وذلك في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر: «ألا أخـبرك باحب الكـلام الى الله سبحـان الله وبحمـده وقال: كلمتان خفيفتـان على اللســان ثقيلتـان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

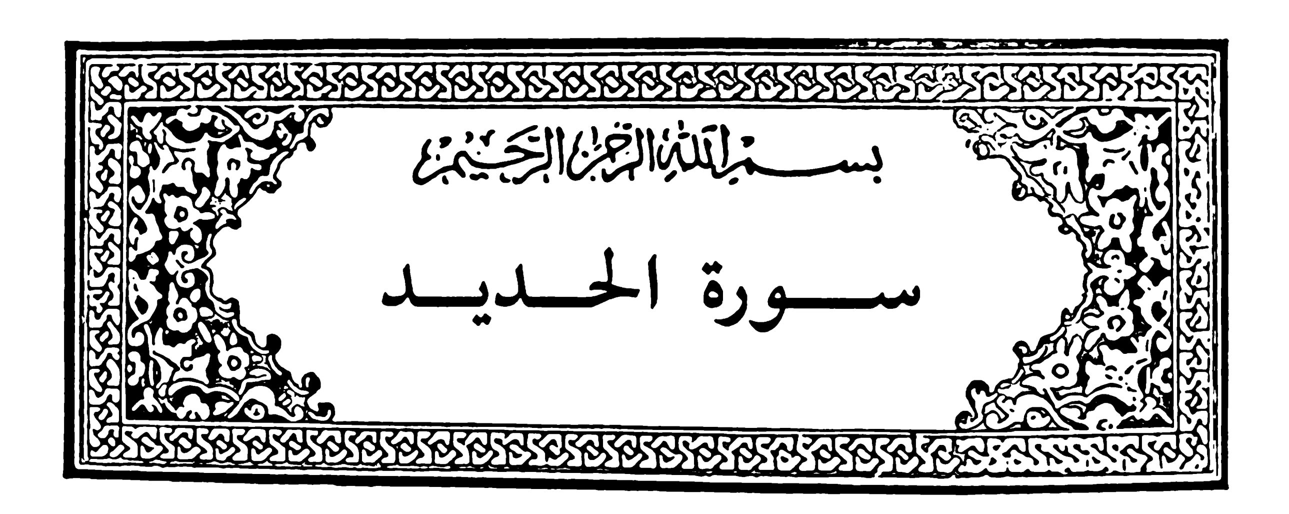
والامر بتسبيح الله العظيم أمر بالاعراض عن الدنيا والاقبال الى الآخرة قال صلى الله عليه وسلم «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة» وروي شجرة وقال ﷺ «ان مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعـطفن حول العـرش لهن دوي كدوي النحـل تذكر بصاحبها، أما يحب احدكم أن لا يزول له ما يذكر به».

ومر صلى الله عليه وسلم بأبي هريرة يغرس فقال: «ألا أدلك على غراس أفضل من هذا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة» ويجوز في الآية والتي سبقت ان يراد بالاسم جنس أسمائه ويجوز أن يكون العظيم صفة للاسم أي الاسم العظيم وان كان لم

ينص عليه قيل ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد وأولها أسماء وقد قال ابن عباس اسم الله الاعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد وعنه صلى الله عليه وسلم «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، وأن المؤمن إذا احتضر يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، والكافر إذا احتضر كره لقاء الله ويكره الله لقاءه».

وقرأ «فلولا إذا بلغت» الى اخر السورة وقال ﷺ : «إذا احتضر المؤمن قيل لنفسه اخرجي طيبة من جسد طيب وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان وتفتح لها السموات والكافر بعكس ذلك ترد روحه ويقال لها لا مرحبا بالنفس الخبيثة ارجعي لن يفتح لك».

اللهم بحق هذه السورة ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم علينا يا الله يا عزيز يا حكيم يا محيي يا مميت يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن اخز النصارى واكسر شوكتهم واهنهم وغلب الموحدين والمسلمين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصبحه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الحديد

وهي مكية وقيل مدنية ونسبه بعضهم للجمهور، قال بعض: ولا خلاف أن فيها مدنيا لكن يشبه صدرها أن يكون مكيا والصحيح الاول وفي مسند البزاز وغيره عن عمر أنه دخل على اخته قبل أن يسلم فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد فقرأها وكان ذلك سبب إسلامه، قال ابن مسعود وغيره: لم يكن بين اسلامنا وبين نزول هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين ﴿**ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب**﴾ من قبل الآية واستثنى آخرها فإنه مدني وآيها تسع وعشرون وكلمها خمسمائة وأربع وأربعون وحروفها ألفان وأربعمائة وستة وسبعون، قال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله» وقالوا: من علقها وقاتل لم ينفده الحديد أو لم يصله وتزيل الورم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**سبح لله**﴾ أصل التسبيح التعدي بنفسه وعدي باللام هنا اشعاراً بأن ايقاع الفعل لاجل الله سبحانه وخالصا له والفعل هو التسبيح أو لتضمنه معنى الخَضوع أو تارة بنفسه وأخرى باللام كنصح وشكر وإنما كان اصله التعدي لا معنى سبح نزه وأبعد عن السوء من سبح بالتخفيف بمعنى بعد، وجاء هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعاراً بأن من شأن ما أسند اليه التسبيح أن يسبح الله في جميع أوقاته لأنه أهل للتسبيح في كل حال فالماضي للاستمرار كالمضارع والظاهر أن الماضي للحال وما قبله والمضارع للاستمرار وجاء في الاسراء بالمصدر اشعارا باستحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل وقت وذلك لانه مصدر لم يذكر له فاعل ولا يدل على الزمان إلا عموماً.

﴿**ما في السموات والارض**﴾ من غير عاقل وعاقل حيوان وغيره ان قلنا التسبيح الخضوع والانقياد أو الدلالة على الصانع وتعظيمه وان قلنا تسبيح الحيوان لساني وغيره خضوع ودلالة لزم الجمع بين معنيي كلمه بل

التسبيح حقيقة في اللسان مجاز في غيره عند بعض فيلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وفي ذلك خلاف وقيل المراد العقلاء.

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ حال مشعرة بما هو المبدو والتسبيح والعزة الغلبة وكمال القدرة والحكمة كون الفعل على الصواب ووضع الشيء في موضعه وروي أن الدعاء بعد سورة الحديد مستجاب.

﴿له ملك السموات والارض﴾ فإنه الموجد لها والمتصرف فيها وهو الغني عن الخلق وهم المحتاجون اليه. ﴿يحيي ويميت﴾ استئناف أو خبر لمحذوف أي هو يحيي أو حال من هاء له والمراد احياء النطف والبيض والموتى واماتة الاحياء وقيل احياء النطف والبيض واماتة الاحياء وقيل احياء الموتى واماتة الاحياء.

﴿وهو على كل شيء قدير﴾ من الاحياء والاماته وغيرها قدير تام القدرة ﴿هو الاول﴾ سابق الموجودات لانه موجدها ولا ابتدا له ﴿والآخر﴾ الباقي بعد الفناء وهو حي دائما والظاهر انه الآخر ببقاء صفاته والخلق تفنى صفاتهم، وقالت المعتزلة: تفنى ذواتهم بالكلية وتمسكوا بالآية وقيل: الاول تبتدي منه الاسباب والآخر تنتهي إليه المسببات وقيل: الاول القدير والآخر الرحيم وقيل: الاول ببره إذ عرفك توحيده والآخر بجوده إذ عرفك طريق التوبة وقال الجنيد الاول بشرح الافئدة والآخر بغفران الذنوب وقيل: الاول خارجا والآخر ذهنا.

﴿والظاهر﴾ ظهر وجوده بكثرة الدلائل ﴿والباطن﴾ عن ادراك الحواس دنيا واخرى وقال ابن عباس: الظاهر الغالب على كل شيء والباطن العالم بباطن كل شيء وقيل الحكيم والعالم وقيل: الموفق والساتر وقال الجنيد: الظاهر يكشف الكروب والباطن يعلم الغيوب وسأل عمر كعباً عن معنى الآية فقال: علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وعن الحسن: اجتمعت اربعة املاك فقال الثلاثة لاحدهم: من أين جئت؟ فقال: من السماء السابعة من عند ربي وقالوا للثاني: من أين جئت؟ فقال: من الارض السابعة من عند ربي فقالوا للثالث: من أين جئت؟ فقال: من

المشرق من عند ربي فقالوا للرابع: من أين جئت؟ فقال: من المغرب من عند ربي ثم تلا الآية: «هو الاول والآخر والظاهر والباطن».

﴿وهـو بكـل شـيء عليـم﴾ ما ظهر وما خفى، قال الشيخ هود: ولا أعلمه إلا رفعه الى النبي ﷺ والواو الاولى للدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الاولية والأخرية والثالثة للدلالة على انه الجامع بين الظهور والخفاء والـوسطى للدلالـة على أنـه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستقر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية ظاهر باطن في جميعها والداخلة على هو للحال أو للعطف أو للاستئناف.

قال سهيل بن أبي صالح: كان أبو صالح يأمرنا أن نضطجع على الشق الايمن عنـد ارادة النـوم ونقول «اللهم رب السموات والارض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء انت اخذ بناصيته اللهم أنت الاول لا شيء قبلك والآخر لا شيء بعدك والظاهر لا شيء فوقك والباطن لا شيء دونك اقض عنا الدين واغننا عن الفقر» ورواه عن ابي هريرة، وبين كل سماء واخرى خمسمائة سنة وكذا بين كل أرض وأخرى وكذا غلظ كل سماء وكل أرض وبين السماء السابعة والعرش مالا يحصى وقيل: مابين السمائين ذكره النبي ﷺ وقال: لو أدليتم بحبل الى الارض السابعة لهبطتم على الله أي علمه وقدرته ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

﴿هـو الذي خلق السـموات والارض في سـتـة أيـام﴾ أولها الاحد وآخرها الجمعة تعليما للتأني بل وعدم العجلة وهو قادر أن يخلقهن في أقل من لحظة وخطب أمير جاهل وقال: إن الله خلق السموات والارض في ستة أشهر فقيل له: في ستة أيام فقال: لقد قلتها وأنا استقلها وقيل اليوم منها كالف سنة ومن أيامنا.

﴿ثـم أسـتـوى على العـرش﴾ استولى عليه بالملك بعد خلقه وقيل العرش الكرسي ﴿يعـلـم﴾ آخر العلم عن الخلق لما يأتي ﴿مـا يلـج في

الارض﴾ كالبـذر والمطر والموتى **﴿ومـا يخرج منـهـا﴾** كالزرع وماء العيون والمعادن والموتى **﴿ومـا ينزل من السمـاء﴾** كالمطر والرحمة والسخط والوحي.

﴿ومـا يـعـرج﴾ يصعـد ويدخـل. **﴿فيـهـا﴾** كالاعـمال الحسنة والسيئة والابخرة. **﴿وهـو معكم اينـما كنتـم﴾** بالعلم والقدرة والحفظ قيل بإجماع الامة على هذا التفسير.

﴿والله بمـا تعملـون بصـير﴾ عليم فيجازيكم وقدم الخلق على العلم لدلالته عليه. **﴿له ملك السمـوات والارض والى الله ترجـع الامـور﴾** لا إلى غيره **﴿يـولـج﴾** يدخـل **﴿الليـل في النهـار ويولـج النهـار في الليـل﴾** فيزيد احدهما وينقص الآخر.

﴿وهـو عليـم بذات الصـدور﴾ أي بنفس الصدور كناية عن العلم بما فيها أو بالاشياء صاحبة الصدور أي بالاسرار والمعتقدات. **﴿آمنـوا بالله ورسـوله﴾** خطاب لقريش وإن قلنا للمؤمنين فمعناه دوموا على الايمان وما يقتضيه وفي ذلك أمر بالاعراض عن الدنيا، قال الضحاك: نزلت الآية في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك.

﴿وأنفقـوا مما جعلكم مسـتخلفـين﴾ من الاموال التي جعلكم الله فيها خلفـاء في التصرف فيها وانما هي لله فليهن عليكم الانفاق منها كما يهون الانفاق من مال الغير أو أنتم خلفاء فيها عمن قبلكم حفاظ لها لمن بعدكم فلا يصعبن عليكم الانفاق والظاهر أن الانفاق هنا تطوع وقيل التطوع وغيره.

﴿فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير﴾ اشارة الى عبد الرحمن بن عوف ومن في معناه ممن انفق ماله في الله ولم يبطل نفقته وذلك وعد مؤكد بالجملة الاسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير بعد ما سهل لهم انفاق المال بكونه لله في ايديهم بعد، كونه في أيدي غيرهم وسيكون في أيدي غيرهم.

مر رجل باعرابي فقال له: لمن هذه الابل؟ فقال: لله عندي فهذا موفق

مصيب إن صحب قوله عمله.

﴿**وما لكم لا تؤمنون بالله**﴾ جملة لاتؤمنون حال والاستفهام انكار وتعجب بعدم ايمانهم مع ظهور الادلة واخذ الميثاق عليهم ودعاء الرسول كما قال.

﴿**والرسول**﴾ بالرفع على الابتداء والواو للحال من واو تؤمنون فهي متداخلة وقرىء وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله بالجر والرسول يدعوكم بالرفع ﴿**يدعوكم لتؤمنوا بربكم**﴾ وينبهكم ويتلو الكتاب الناطق بالبرهان ﴿**وقد أخذ ميثاقكم**﴾ حال من كاف يدعوكم أي وقيل ذلك قد أخذ ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب الادلة وازاح العلل أو حين أخرجكم من ظهر آدم ذرا وقرأ أبو عم رو بالبناء للمفعول ورفع ميثاقكم والميثاق أن يؤمنوا بالله ورسوله.

﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ جوابه محذوف أي إن أردتم الايمان فبادروا اليه وإن كنتم تؤمنون لموجب ما، فإن هذا موجب لا مزيد عليه أو فقد أخذ ميثاقكم فإن اخذ الميثاق سبب الايمان وملزوم له أو فأنتم مؤمنون بالميثاق.

﴿**هو الذي ينزل على عبده**﴾ محمد ﷺ ﴿**آيات بينات**﴾ أي القرآن ﴿**ليخرجكم**﴾ أي الله أو عبده بدعوته ﴿**من الظلمات**﴾ ظلمات الكفر ﴿**إلى النور**﴾ نور الايمان.

﴿**وإن الله بكم لرؤوف رحيم**﴾ حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وقرىء باسقاط الواو تخفيفا. ﴿**وما لكم ألا تنفقوا**﴾ أي في أن لا تنفقوا فحذف في وادغم النون في اللام وقيل أن زائدة ناصبة وهو ضعيف وعليه فالجملة حال. ﴿**في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض**﴾ ارثهن بما فيهن فلا يبقى لاحد مال فانفاقه أولى لانه يعوض أجراً كبيرا هو الجنة.

﴿**لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح**﴾ لمكة وبه عز الاسلام وكثر أهله وقلة الحاجة الى القتال وقرىء بإسقاط من ونصب قبل. ﴿**وقاتل اولئك**

اعظـم درجــة﴾ والمعادل محذوف أي ومن انفق من بعد الفتح وقاتل لقلة الحاجة اليهما بعد الفتح وذلك بيان لتفاوت احوال المنفقين المقاتلين من قبل والمنفقين المقاتلين من بعد فالاولون أقوى يقينا وتحريا لحاجات ولذلك، قال اولئك اعظم درجة وهو دليل على المحذوف.

﴿من الذيـن أنفقــوا من بــعد﴾ بعد الفتح ﴿وقــاتلــوا﴾ وذلك قول الجمهور وقتادة وزيد بن أسلم ومجاهد وهو الفتح الذي قال فيه ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وحكم باقي الآية باق في غابر الازمنة من انفق في وقت الحاجة أو قاتل في وقت الشدة كهذا العصر أعظم أجرا ممن فعل في غيره ذلك فمن قاتل اليوم أعظم ممن قاتل بعد الفتح، وقال ابو سعيد الخدري والشعبي: هو فتح الحديبية وقال الكلبي: نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنـه أول من أسلم وأول من انفق ماله في سبيل الله وأول من خاصم الكفار وقد ضرب ضرباً أشرف به على الموت.

وعن ابن عمر كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل عليه السلام فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباءة مخللة فقال ﷺ : «انفق ماله علي قبل الفتح» قال: فإن الله عز وجل يقول أقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال كيف أسخط على ربي، إني على ربي راض، إنى على ربي راض، وهؤلاء المهاجرون الاولون الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أنفق احدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

﴿وكلا وعــد الله الحســنى﴾ الجنة ولكن درجات جنة المنفقين المقاتلين قبل الفتح اعظم وقرأ ابن عامر برفع كل على الابتداء وحذف الرابط أي وعده ليطابق ما عطف عليه. ﴿والله بما تعملــون خبــير﴾ عن صفوان ابن امية وسهيل بن عمرو ورجلين آخرين قدموا على النبي ﷺ من مكة فقال ما جاء بكم فقالوا: سمعنا انه لا إيمان لمن لم يهاجر فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الهجرة قد انقطعت ولكن جهاد ونية وحسبة» ثم قال: اقسمت عليك يا أبا وهب لترجعن إلى مكة.

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسـنا﴾ هو الانفاق في سبيل الله قيل هذا في العزو وصدقة التطوع شبهه بالقرض لانه إذا أعطى ماله لوجه الله فكأنه أقرضه إياه ولأنه يعوض عنه الجنة وحسن الانفاق باخلاصه وتحري أكرم المال وأفضل الجهات وفي الحديث الرباني كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر امثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فهو لي وأنا اجازي به ولذلك قال ﴿فيضـاعفـه لـه﴾أي يعطيه أجره مضاعفا أضعافا من فضله.

﴿ولـه اجـر كريـم﴾ زيـادة على المضاعفة في مقابلة عمله وهو نفس الجنة وهو مقترن به رضي وقبولا وهذا معنى الكرم أو معناه العظم وقرأ ابن كثير فيضعفه بالتشديد ورفعه على القرأتين على العطف على يقرض أو على أنـه خبر لمحـذوف والفـاء للاستئنـاف وقرأ عاصم فيضاعفه وقرأ ابن عامر ويعقوب يضعة بالتشديد بنصبهما في جواب من الاستفهامية وعن بعضهم لا يكون القرض لله حسنا إلا بعشرة أن يكون من حلال وأن يكون من أحد المال وأن يكون محتاجاً لما تقرض وأن تصرفه لمن هو أحوج وأن تكتم الصدقة ما أمكنك وأن لا تتبعها بالاذى أو بالمن وأن تقصد وجه الله ولا ترائي وأن تستحقـر ما تعطي وأن كثر وأن يكون أحب مالك اليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقر.

﴿يـوم﴾ متعلق باستقرار له أو بيُضاعف أو مفعول لاذكر محذوفا تعظيما لذلك اليوم ﴿تـرى﴾ بعينيك يا محمد ﴿المؤمنين والمؤمنـات يسـعى نورهـم بـين أيـديهم﴾ أي أمامهـم.

﴿وبـإيمـانهم﴾ أي في ايمانهم والسعـداء يؤتون صحائف أعمالهم من يمينهم ومن أمـامهم والاشقياء من شمالهم وورائهم فيجعـل النور في ايمان السعداء وامامهم شعاراً لهم وآية ساعيا اماما ويمينا معهم إلى الجنة ويكون أيضاً من فوق وتحت وخلف وشمال ولكن خص الامام واليمين لما مر من كونهما موضعي أعطاء الصحف لهم ولكونهما افضل جهة أو عبر بالامام واليمين عن جميع الجهات.

وفي الحديث «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن وصنعاء ودون ذلـك حتى إن منهم من لا يضيء نوره إلا موضـع قدميه» وعن عبدالله بن مسعـود رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة الطويلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويوقد اخرى وقيل المعنى ويعطون كتبهم بايمانهم ويطفأ نور المنافق، قال قتادة: ما من عبد إلا وينادى يوم القيامة يا فلان هذا نورك ويا فلان لانور لك وهذا النور هو بقدر نور البصيرة وعن بعضهم أن هذا النور يجعل في شيء يحمله المؤمن وكونه غير حامل أولى.

واحكام تلك الدار ليست كأحكام هذه وتقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم ﴿بشـراكم اليـوم جنـات﴾ مبتدأ وخبر واليوم متعلق ببشرى وقدر، بعضهم مضافا أي دخول جنات أو بشرى اسم مصدر مضاف لما هو مفعول عامله أي نبشركم بشرى وجنات خبر لمحذوف أي المثوبة جنات وروى القرطبي من المالكية انه ﷺ قال: «يجمع الله الخلائق يوم القيامة فيأذن لامة محمد في السجود فيسجدوا طويلا ثم يقال لهم ارفعوا رؤوسكم فقد جعلنا عدتكم فداء من النار»، وانه قال: «إن هذه الامة امة مرحومة عذابها بأيديها فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النـار» وفي صحيح مسلم دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار، ولم يثبت هذا عند الأصحاب أو يأولون المسلم بالسعيد وأما القوم فالمشرك عندهم فداء للمسلم فلا يدخلها وفداء لمن يدخلها فيخرج ويبقى المشرك بدله.

﴿تجـري من تحتـها الانهـار خالديـن فيها ذلك هو الفوز العظـيم﴾ وقـرىء باسقاط هو واشار بذا الى النور والبشرى بالجنات بتأويل المذكور. ﴿يـــوم﴾ بدل يوم ﴿يقــول المنافقون والمنافقات﴾ هم من ضيع العمل واتى بالقول عندنا ومن أسر الشرك عند غيرنا.

﴿للذيــن آمـنـوا﴾ عملوا بمقتضى الايمان ﴿انـظـرونـا﴾ انتظـرونا ﴿نقتبـس من نــوركم﴾ نأخذ القبس منه يحسبون أنه كقبس الدنيا اذا

اطفىء جدد وذلك أنه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف أو المراد انظروا الينا ليستقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنورهم لانه بين ايديهم وبايمانهم بحيث لا يضيء للمنافقين قيل: تغشى الناس ظلمة عظيمة فيعطى المؤمن نوراً بقدر عمله ويعطى المنافق نوراً خديعة كخدعة في الدنيا فيبعث الله ريحاً فتطفىء نوره ويقول انظرونا وقيل: لا يعطى المنافق نوراً بل يستضيء بنور المؤمن ثم يفوته فيقول انظرونا يطمع المنافقون في شيء من أنوار المؤمنين جهلا لان النور نتيجة الاعمال في الدنيا وهم لم يقدموها.

قال الحسن : يلقى من حجر جهنم وكلاليبها وحسكها على الطريق ثم تمضي زمرة نور وجه كل واحد كالقمر ليلة التمام سبعون ألفا لا يحاسبون ثم زمرة كأضواء كوكب ثم كذلك تغشاهم ظلمة تطفىء نور المنافقين وأولى من ابدال يوم من يوم تعليقه بالفوز أو بالعظيم أو بمحذوف خبر ثان أو حال من الفوز أو من ضمير الوصف أو بمحذوف معرفة نعت للفوز لان ظهور المرء يوم خمول عدوه ابدع وافخم أي يفوز المؤمنون أي ينجون من النار الى الجنة والرضوان والامان يوم يعتري المنافقين ضد ذلك ويجوز تعليقه باذكر محذوفا والقبس الشعلة من النار أو من السراج وقرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء من الانظار وهو التأخير.

﴿قيل﴾ أي قال المؤمنون وقيل الملائكة والاول لابن عباس ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ طرد لهم وتهكم بهم وتخييب واقناط أي ارجعوا الى الموقف حيث اعطينا النور فالتمسوا النور فيه فمنه يقتبس فيرجعون ولا يجدون شيئاً فادركتهم خدعة الله أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نوراً لتحصيل بسببه وهو الايمان أو ارجعوا عنا خائبين فالتمسوا نوراً اخر فلا سبيل لكم الى هذا ووراء متعلق بارجعوا مؤكد وقد يقال لا توكيد لان الرجوع قد يكون الى غير وراء مثل أن يكون إنسان في موضع وينصرف عنه إلى موضع آخر ثم ينصرف عن الآخر إلى جهة.

فافهم ويصح أن يكون وراءكم اسم فعل بمعنى تأخروا وإذا رجعوا حجز بينهم كما قال ﴿فضرب بينهم بسور﴾ أي بين المؤمنين والمنافقين بحائط

بين الجنة والنار قيل: هو الاعراف وعليه مجاهد وقيل: جبل أحد، قال ﷺ: «إن أُحداً جبل يحبنا ونحبه وأنه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار ويحبس عليه اقوام يعرفون بسيماهم هم إن شاء الله من أهل الجنة» وقيل: أن أصحاب الاعراف يميل بهم الصراط مرة الى الجنة ومرة الى النار ثم يصيرون الى الجنة، قال ابو أمامة الباهلي إذا رجعوا الى موضع اقتسام النور فلم يجدوا رجعوا الى المؤمنين فيجدون السور مضروباً.

﴿لهُ بـــاب﴾ يدخله المؤمنون ﴿بــاطنـــه﴾ أي باطن السور أو الباب وهـو مايلي الجنـة ﴿فيــه الرحمــة﴾ الجنة ﴿وظــاهره﴾ ما يلي النار ﴿من قبلــه﴾ جهتــه﴿العــذاب﴾ النــار والــظلمــة للمنـافقـين وعن ابن عمـر الســور هو سور ببيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب واد في جهنم وعن كعب أن الباب هو باب الرحمة في بيت المقدس ونائب ضرب هو بينهم على قول من اجاز نيابة الظرف غير المتصرف ويبقى على نصبه أو بسور وهو أولى وعدي بالباء لتضمنه معنى الفصل وقال ابو البقاء الباء زائدة وسور نائب وقرىء بالبناء للفاعل فالباء للتعدية لتضمنه معنى الفصل أو زائدة في المفعول.

﴿ينادونــهم ألـم نكــن معكــم﴾ على الطاعـة وذلك بحسب ظاهرهم ﴿قــالوا بلــى﴾كنتم معنـا ﴿ولكنكــم فتنتــم أنفســكم﴾ اهلكتموهــا بالنفــاق ﴿وتربصـــتم﴾ تأخرتم عن التوبة أو تربصتم بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنـين الـدوائـر يقـولون يوشك أن يموت فنستريح ﴿وارتبــتم﴾ شككتم في الدين ﴿وغرتكم الأماني﴾ الأطماع في امتداد العمر ونزول الدوائر وغير ذلك وطول الأمل وهو غرور لكل أحد.

﴿حتى جاء أمـر الله﴾ الموت قيل: القاؤهم في الغار وقيل: الفتح وقيل: ظهور الاسلام. ﴿وغــركم بالله الغــرور﴾ الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم حيث اقررتم وقيل الغرور الدنيا والتذكير باعتبار الشيء ولان عرورا فعول بمعنى فاعل لكن مع مبالغة والواو للعطف أو للحال فيقدر قد عند

بعضهم أي جاء امر الله وقد غركم بالله وقد قرىء بضم الغين تسمية للشيطان بالمصدر أو للدنيا أو يقدر مضاف أو يأول بالمصدر والمبالغة في الاول كما تقول زيد صوم ويجب عليك ان تعتبر هذه الآية في نفسك وتسويف توبتك.

واعلم أيها الاخ أن الدنيا غرارة للمقبلين عليها فإن أردت النجاة والفوز فازهد فيها واقبل لصلاح دينك، قال ابو الدرداء لاصحابه: لئن حلفتم لي على رجل منكم أنه ازهدي كم لاحلفن لكم إنه خيركم وفي الحديث يبعث الله تبارك وتعالى يوم القيامة عبدين من عباده كانا على سيرة واحدة احدهما مقتر عليه والآخر موسع عليه فيقبل المقتر عليه إلى الجنة ولا ينثني عنها حتى ينتهي إلى ابوابها فيقول حجتها اليك اليك فيقول اذن لا ارجع وسيفه في عنقه فيقول اعطيت هذا السيف في الدنيا اجاهد به فلم ازل اجاهد به حتى قبضت وانا على ذلك فيرمى بسيفه الى الخزنة وينطلق ولا يحبسونه عن الجنة فيدخلها فيمكث فيها دهرا ثم يمر به اخوه الموسع عليه فيقول له يا فلان ما حبسك فيقول ماخلي سبيلي إلى الان ولقد حبست ما لو أن ثلاثمائة بعير اكلت حمصا ووردت على عرقي لصدرن منه ربا.

﴿فاليوم لايؤخذ منكم فدية﴾ ما يفتدى به لا يقبل عنكم فداء انفسكم من النار باموالكم بل لامال هنالك ولا بالتوبة وقرأ ابن عامر ويعقوب بالمثناة فوق والخطاب للمنافقين والظرف متعلق بيؤخذ ولا صدر للا النافية خلافا لبعض مطلقا ولبعض في جواب القسم.

﴿ولا من الذين كفروا﴾ اشركوا ﴿مأواكم﴾ مصيركم ﴿النار هي مولاكم وبئس المصير﴾ هي ومعنى هي مولاكم هي اولى بكم أو هي مقربكم أي موضع القرب أي مكانكم منها قريب أو هي ناصركم أو صديقكم لا ناصر أو صديق لكم سواها والمراد نفي الناصرية أو الصديقية كقولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع وقوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل: تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار وقيل المعنى انها التي ملكت امركم واسلمتم اليها وقيل: تليكم وقيل استعارة لانها تضمهم وتباشرهم

كالصديق.

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم﴾ أي لم يحن من أنى الامر يأني إذا جاء اناه أي وقته وقرىء ألم يئن من آن يئين بمعناه وألم يأن وألم يئن بالتشديد من أن يئن بمعناه أيضا وأن تخشع فاعل أو الاستفهام للاستبطاء قاله هشام ولا يقال الاستبطاء لحضور خشوعهم لا لعدمه لأنا نقول: الاستيطاء، وان تعلق بالحضور لكنه عدل الاستفهام عن الاثبات إلى الاستفهام عن النفي إشعارا بأن الراجح من الطرفين هو عدم الحضور فعلق به الاستفهام وفيه من المبالغة ما لا يخفى.

﴿لذكر الله وما نزل من الحق﴾ اراد بالذكر وما نزل القرآن لانه جامع للذكر والنزول أو المراد أن يذكر الله واراد بها نزل القرآن وقرأ غير نافع وحفص ويعقوب نزل بالتشديد وقرىء انزل والآية نزلت في شأن الصحابة لما اكثروا المزاح وقيل: نزلت فيهم لما هاجروا واصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه اعني عن بعضه وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بالآية اربع سنين وعن ابن عباس أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وقيل مافتروا وما مزحوا ولكن استزادهم والمشهور انهم مزحوا وفتروا عن بعض ما كانوا عليه.

قال الحسن: أما والله لقد استبطأهم وهم يقرأون من القرآن أقل مما يقرأون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وقرئت الآية عند ابي بكر وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا ثم قست القلوب وهذه الآية سبب توبة الفضيل وابن المبارك وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة سنة، قالوا لسلمان حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك أحسن القصص فاخبرهم ان القرآن احسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم سالوه فنزلت الآية فالمراد آمنوا بالسنتهم.

﴿ولا يكونوا﴾ وقرأ أويس بالمثناة الفوقية التفاتا للخطاب والعطف على

تخشع ويجوز ان يكون نهيا غيبة وخطاباً ﴿كالذين اوتوا الكتاب من قبل﴾ يعني اليهود والنصارى وقيل: بني اسرائيل.

﴿فطال عليهم الأمد﴾ الزمان بينهم وبين أنبيائهم وقرىء الآمد بالمد أي الوقت الاطول وقال مقاتل الأمد الأمل وقيل: أمد انتظار القيامة.

﴿فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن دينهم كافرون بعيسى وموسى ومحمد نهى الله المؤمنين عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد توبيخهم ببطىء الخشوع وذلك ان اهل الكتاب كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا ورقت قلوبهم ولما طالت اعمارهم واما لهم غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وحرفوا وبعث ابو موسى الاشعري الى قراء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قرؤوا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم.

﴿اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها﴾ تمثيل لأحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة أو لأحياء الموتى ترغيبا في الخشوع وزجراً عن القسوة والاول لابن عباس وفي الاية ترجية واسقاط للاياس.

﴿قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ أي لتعقلوا عن الله بيانه أو ليكمل عقولكم ﴿ان المصدقين والمصدقات﴾ ابدل التاء صاداً وادغمها في الصاد أي المتصدقين والمتصدقات وقرىء بها على الاصل وقرأ ابن كثير وابو بكر بفتح الصاد بلا تشديد أي صدقوا الله ورسوله فهي في الايمان والاوليان في الصدقة.

﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ عطفا على المصدقين أو المصدقات والضمير للكل تغليبا للذكور وانما عطف الفعل عليهما لانهما بمنزلة الفعل أي ان الذين تصدقوا واللائي تصدقن.

﴿يضاعف﴾ قرضهم ﴿لهم﴾ وقرىء يضعف بالتشديد وقرىء

يضاعف بالبناء للفاعل سبحانه وانما عطف الاقراض اعلاما بأن الصدقة باطلة ما لم تكن مخلصة وهذا الاضعاف زيادة من فضل الله على اجورهم. ﴿ولهم أجر كريم﴾ فالتضعيف يلحقون بالشهداء كما قال ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ وهم المتصدقون والمتصدقات اعادهم بالذين ليصفهم بالايمان الذي هو سبب اعمال البر وقيل غيرهم.

﴿أولئك هم الصديقون﴾ الكثيرو الصدق ﴿والشهداء عند ربهم﴾ أي بمنزلة الصديقين والشهداء أو هم انفسهم صديقون لتصديقهم بجميع اخبار الله ورسله وشهداء أي قائمون بالشهادة لله ولانفسهم وعلى الامم السالفة قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا الآية فقيل اراد الله ابا بكر وعمر وحمزة ونحوهم وعمر ملحق بمن سبق اسلامه ولو تأخر اسلامه لصدقه والصديق بالتشديد مبالغة من الصدق لا من التصديق كما قيل وفي الحديث «مؤمنوا أمتي شهداء» وقال ابن عباس والضحاك ومسروق: تم الكلام في «الصديقون والشهداء» استئناف فقيل عند ربهم خبر وهم الانبياء يشهدون عن الأمم وروي هذا عن ابن عباس قيل: وهو بعيد عن لفظ الآية وقيل: كل مؤمن من الأمة وقيل: الذين قتلوا في سبيل الله أو الخبر.

﴿لهم اجرهم ونورهم﴾ أي مثل أجرهم ونورهم بلا تضعيف ليحصل التفاوت والاجر والنور الموعود ان لهم على الصراط وقيل النور ثواب عملهم فهو مرادف للاجر وفي الحديث يا نساء المؤمنات لا تحقرن احداكن لجارتها ولو كراع شاة محرقا وقال: ردوا السائل ولو بظلف محرق وقال ابن عبد البر: ففي الحديث الحث على قليل الصدقة وكثيرها وفي قوله تعالى ﴿من يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ أوضح دليل في هذا الباب، وقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة» فإذا كان الله يربي الصدقة فما بالنا نغفل ولقد تصدقت عائشة بحبتين من عنب فنظر إليها بعض أهل بيتها فقالت: لا تعجبن فكم فيهما من مثقال ذرة وفي الحديث «الرجل في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس» قال يزيد بن حبيب فكان أبو الخير لما حدثه به عقبة بن عامر الصحابي لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو ببصلة.

﴿والـذين كفـروا وكذبـوا بآياتنـا أولئك اصحـاب الجحيم﴾ النار لا يقال في الآية دليل على اختصاص الخلود بالمشركين من حيث الحصر بتعريف الطرفين ودلالة الصحبة عرفا على الملازمة لانا نقول الاضافة يكفي فيها أدنى ملابسة عرفا وغيره وتطلق لصحبة على غير الملازمة كما يطلق على الملازمة.

﴿اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد﴾ لما ذكر حال الفريقين في الآخرة امرهم تأكيدا ان يعلموا انحصار أمر الدنيا التي لا يتوصل بها الى الفوز في أمور كالخيال قليلة النفع سريعة الزوال فمن لعب باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ومن لهو أي فرح ساعة ينقضي قريبا يلهون به عن الآخرة ومن منظر يتزينون به كالمراكب والمنازل والملابس الحسنات ومن تفاخر بالانساب وتكاثر بالاموال والاولاد فالاولاد عدد بفتح العين والاموال عدد بضمها وقيل: يجمعون مالا يحل فيتطاولون بالمال والخدم والولد على اولياء الله والدنيا نفس نائمة والآخرة نفس يقظانه فالنجاة من النائمة العلم وثمرتها مخالفة الهوى في اجتناب المناهي ثم مكابدة النفس على اداء الفرائض والطهارة من الادناس فيورث السهولة في التعبد والحول في مقامات العابدين فيذيقه ما اذاق أولياءه واصفياءه من درجة المذاق.

كما ذُكر عن سيدنا ابراهيم خليل الرحمن انه اصابه عطش شديد في يوم شديد الحر في مفازة فنظر الى حبشي يرعى الابل فقال له هل عندك ماء فقال يا ابراهيم: أيها أحب إليك الماء أو اللبن؟ قال: الماء فضرب بقدمه على صخرة فنبع الماء فتعجب ابراهيم عليه السلام فاوحى الله عز وجل يا ابراهيم لو سألني هذا الحبشي ان ازيل السموات والارض لأزلتهما فقال ولِم ذلك يا رب فقال ليس يريد من الدنيا والآخرة غيري ثم ضرب لهذه الحياة الدنيا مثال بقوله **﴿كمثل غيث﴾** مطر **﴿اعجب الكفار﴾** أي الزراع لانهم يكفرون البذر أي يسترونه في الارض لينبت أو الكفار بالله لانهم أشد أعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب

بها والكافر يستغرق فكره فيه.

﴿نباته﴾ الناشىء عنه ﴿ثم يهيج﴾ ييبس ﴿فتراه مصفراً﴾ وييبسه بساقه أو عقوبة لهم أو بلوغ أوانه. ﴿ثم يكون حطاماً﴾ مفتتاً متكسراً وذلك مثال في سرعة التقضي وقلة الجدوى وعظم أمر الآخرة.

﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ للمنافقين والمشركين ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ للمؤمنين لايثارهم الآخرة على الدنيا. ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ يتمتع به الكافر وأما المؤمن فهي له بلاغ إلى الآخرة. ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ سارعوا مسارعة السابقين في المضمار ومن ذلك التسارع الى قتال المنافقين والمشركين ولاسيما في هذا الزمان الذي انتشرت في الكفرة واختل فيه النظام وفي الحديث: «مابين حياة الشهيد في الدنيا وحياته في الآخرة إلا كمضغ تمرة» وفي الحديث: «ان الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد ألم القرصة» ونعم ما روي انه قال لاصحابه: «ما الشهيد عندكم؟» قالوا: القتيل في سبيل الله، فقال: «إن شهداء أمتي إذاً لقليل» ثم قال: «القتل في سبيل الله شهادة لكل مسلم والبطن شهادة والطاعون شهادة والغرق شهادة والحرق شهادة والنفاس شهادة والسيل شهادة وكل مؤمن شهيد وشتان ما بين الشهادة الحربية والايمانية» امرهم بالسبق إلى أسباب المغفرة من التوبة والأعمال الصالحة في مقابلة مسارعة الكفار إلى أمور الدنيا.

﴿وجنة عرضها كعرض السماء والارض﴾ لو وصلت إحداهما بالاخرى فما ظنك بالطول فإن ماله عرض وطول فإن طوله أبسط وأوسع وهذه جنة الواحد، أي ليسارع كل منكم إلى جنة هي كذلك وقيل أن الجنس الشامل للأرضين والسموات أو المراد تمثيل للواسع بما يعلمه البشر والحقيقة أكثر من ذلك وقد ورد أن سقف الجنة العرش وأن السموات في الكرسي كالدرهم في الفلاة والكرسي في العرش كالدرهم في الفلاة وأن الجنة مائة درجة كل درجة عرضها السموات والأرض.

﴿أعـدت للذين آمنوا بالله ورسـله﴾ وطرحـوا الدنيا جيفة واقبلوا الى الآخرة وترك الدنيا أفضل من الرغبة في حلالها وانفاقه لما فيها من الخطر وقيل بالعكس ولما حضرت الوفاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بكى بكاء شديدا وقال: كان مصعب بن عمير خيراً مني توفي ولم يترك ما يكفن فيه وبقيت بعده حتى أصبت من الدنيا وأصابت مني ولا أحسبني إلا سأحبس عن اصحابي بما فتح الله علي من الدنيا وبكى حتى فارق الدنيا. وأما الاغناء في «ووجـدك عائـلا فأغنى» فإغنـاء القلب فرحم الله قوماً عملوا بالآية فكانوا يتسارعون إلى الصلاة أول وقتها أجابة لدعاء الله وكان رجل من أهل القيروان متعبـداً اسمـه عبـد الخالق كثير الخوف والحزن وبالخوف مات رأى فرساناً تتسابق ورأى فرساً تقدم وجد التالي حتى لحقه وسبقه فتخلل الناس حتى وصل الى السابق فجعل يقبله ويقول بارك الله فيك صبرت فظفرت ثم سقط مغشياً عليه تذكر سبق الآخرة.

﴿ذلـك﴾ الموعـود به ﴿فـضـل الله﴾ من غير إيجاب ﴿يؤتيـه من يشـاء﴾ وهم المؤمنـون ﴿والله ذو الفضل العظيـم﴾ فلا يبعد منه التفضل بذلك للوعود به وإن عظم قدره أو فاعل وأصاب لازم بمعنى حدث ﴿مـا أصـاب﴾ مفعـوله محذوف أي احدا أو شيئا.

﴿من مصيـبة﴾ فاعل ومن صلة أو فاعل أصاب الله ومصيبة مفعول به أي ما أحدثها ﴿فـي الأرض﴾ من جدب وعاهة في الشجر والنبات ﴿ولا في انفسـكم﴾ كمرض وموت ﴿إلا فـي كتـاب﴾ اللوح المحفوظ مكتوبة فيه مشيئة في علم الله عز وجل ﴿من قبـل ان نبرأهـا﴾ نخلقها والضمير للمصيبة والارض والانفس وقيل للانفس والمصيبة وقال ابن عباس: للمصيبة أو قيل: لاحدى ذلك وقيل: للانفس وقيل: للارض وقيل: للسموات والارض.

﴿إن ذلـك﴾ على كثرته وعسره عند الخلق أي اثبات ذلك في اللوح وتصريفه وقيل خلق ذلك وحفظه ﴿علـى الله يسـير﴾ هين سهل لأنه غني عن عدة ومدة ﴿لكيـلا تأسـوا﴾ أي اثبت ذلك وكتبه لكيلا تحزنوا حزناً

يخرج عن الرضى بالقدر. ﴿على ما فاتكم﴾ من نعم الدنيا.

﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أعطاكم وقرىء بالقصر أي جاءكم أي ولكيلا تفرحوا فرح بطر فإن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يشتد جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك ومن علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته مجال لم يعظم فرحه عند نيله وأصل الحزن والفرح ضروري لا يخلو منه أحد لكن المراد بالحزن والفرح المنفيين الحزن المذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر ولا بأس بفرح الشكر عن النعمة وفي قراءة القصر وهي لأبي عمر معادلة لفاتكم وفي الاولى أشعار بأن فواتها يلحقها إذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاءها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها.

وقرأ ابن مسعود بما أوتيتم وهي مثل هذه قال ابن عباس وعكرمة: ليس أحداً لا يفرح ويحزن لكن اجعلوا الحزن صبرا والفرح شكراً وعن جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت وفي الحديث «ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته» وفي الحديث «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له فيها درجة ومحيت عنه بها خطيئة» ولما نزل من يعمل سوء يجزيه بلغت من المسلمين مبلغاً شديدا فقال رسول الله «سددوا وقاربوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها».

وعن ابن عمر ما أبالي على أي حال رجعت إلى أهلي لئن كانوا على عسر اني لانتظر اليسر ولئن كانوا على يسر إني لانتظر العسر وعن حذيفة رضي الله عنه أن أقر أيامي لعيني يوم أرجع إلى أهلي وهم يشكون إلي الحاجة وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «ما أبالي أي حال سبق إلي يسر أم عسر لان احدهما يتلو صاحبه» قالت كمس امرأة مسروق ما قلت لمسروق قط ما أصبح لعيالك اليوم رزق إلا تبسم وقال أيم الله ليأتينهم الله برزق.

﴿والله لا يحب كل مختال﴾ متكبر بما أوتي ﴿فخور﴾ به على الناس دليل على ان الفرح المذكور هو الموجب للبطر والاختيال ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يضربه غالبا فانهم لشدة فرحهم وتعظيمهم له يبخلون به ولا يخرجون منه الحق ويأمرون بالبخل وقيل خبر لمحذوف أي هم الذين وقيل نعت لكل لأن كلا ولو كانت نكرة لكنه يخصص نوعاً ما وهذا على مذهب الاخفش ولا النافية لعموم السلب هنا ولو تقدمت على كل وقيل: مبتدأ خبره محذوف أي الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل الله غني عنهم دل عليه.

﴿ومن يتول﴾ يعرض ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾ أي ومن يتول عن الانفاق فالله غني عنه محمود في ذاته أو الى اوليائه لا يضره الكفر ولا ينفعه الشكر بل الشكر والانفاق مصلحة لهم وقيل: من يتول عن أمر الله ولم ينته عن نواهيه من التأسي على الفائت والفرح بالآتي فإن الله غني عنه وقال ابن عباس يتول عن الايمان وقرأ غير ابن عامر ونافع فإن الله هو الغني وقيل: الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل هم اليهود كمواصفة رسول ﷺ وبخلوا ببيان نعته.

﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ الملائكة إلى الانبياء قيل والانبياء إلى الامم ﴿بالبينات﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وانزلنا معهم الكتاب﴾ جنس الكتب وقيل الوحي ليتبين الحق والصواب ﴿والميزان﴾ أي انزل اسبابه وأمر بامداده ليسوي به الحقوق ويقام به العدل قيل نزل جبرائيل بالميزان إلى نوح وقال: «مر قومك يزنوا به» وقال الاكثرون: الميزان العدل.

﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ العدل ﴿وانزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فإن آلات الحرب منه ﴿ومنافع للناس﴾ كل صنعة محتاجة اليه فاراد معادن الحديد قال بعض: أرسل كتباً لشرعه وسلاحاً لمن لم يقبله وعاند وقيل: انزاله الهامهم باخراجه من المعادن قيل: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة. وروي معه المر

والمسحة وفي الحديث: «أنزل أربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح».

﴿وليعلم الله﴾ عطف على محذوف أي وانزلنا الحديد لينتفع به في الحرب وليعلم الى اخره أو متعلق بمحذوف أي وانزله ليعلم وترتيب العلم على الانزال تمثيل باختيار بعض الناس بعضا وإلا فالله عالم بلا انزال ويجوز العطف على ليقوم.

﴿من ينصره﴾ أي دينه ﴿ورسله﴾ باستعمال الحديد في الكفار ﴿بالغيب﴾ حال من ضمير ينصروا من الهاء أي لايشاهدونه فهم ينصرونه ولا يبصرونه وآمنوا به بما ظهر من الايات ﴿إن الله قوي﴾ على الاهلاك ﴿عزيز﴾ غير محتاج لنصرة وجهادهم يرجع ثوابه اليهم لامتثال امره أو قوي في امره وسلطانه عزيز في نقمته وملكه.

﴿ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ لا نبي إلا من نسلهما تشريفا لهما والكتاب جنس الكتب وقيل: التوراة والانجيل والزبور والفرقان فكان أول كتاب نزل في الحلال والحرام كتاب موسى وقيل: الكتاب الوحي وعن ابن عباس: الخط بالقلم يقال كتب كتابا كما يقال كتابة.

﴿فمنهم﴾ من الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا ﴿مهتد﴾ يقدر الرفع على الياء المحذوفة للتنوين ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ منافقون ومشركون والمهتدون قليل ولأجل الدلالة بالاشارة الى غلب الضلال وقلة الاهتداء ويلزم عدل عن طريق المقابلة وهو ومنهم فاسقون وانما قلت بالاشارة لان الكثير لا يلزم ان يكون نصفا أو اكثر ولكن ذكره في مقابلة قليل يدل عليها.

﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ ارسلنا رسولا بعد رسول، والهاء لنوح وابراهيم ومن أرسل إليهما ومن عاصرهما من الرسل لا للذرية لأن الرسل المقفى بهم من الذرية، والقففية الاتيان بشيء في قفى الآخر وبعده.

﴿وقفينـا بعيسـى بن مريـم﴾ آخـر من قبله وانت بعـده يا محمـد ﴿وآتينـاه الانجـيل﴾ وقرأ الحسن لفتح همزته وليس بشاذ لانه اعجمي بخلاف البرطيل في لغة فتح الباء لا في كفة كسرها وهو حجر مستطيل شبه رأس الناقة.

﴿وجعـلنـا في قلوب الذين اتبعـوه رأفـة﴾ وقرىء رأفة براء فهمزة فألف ﴿ورحمـة﴾ فيما بينهم كقوله سبحانه في صفة اصحاب رسول الله ﷺ رحمـاء بينهم. ﴿ورهبـانية﴾ كأنه نسب إلى رهبان بالضم جمع راهب كراكب وركبان أي وكونهم رهبانا وقرىء بفتح الراء نسبا الى رهبان بفتحها وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي لكثير الخشية والمراد شدة الخوف والمبالغة في العبـادات والـرياضة والانقطاع عن الناس وترك النساء ترهبوا في الجبل فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى وقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية والنصف عطف على رأفة أو رحمة.

﴿ابتـدعوهـا﴾ نعت لها أو النصب على الاشتغال ﴿مـا كتبنـاها﴾ ما فرضناها ﴿عليهـم إلا ابتغـاء رضـوان الله﴾ استثناء منقطع أي ولكنهم ابتـدعـوهـا ابتغـاء رضوان الله أو متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وقيل: مفعول لاجله وهو ظاهر قول مجاهد وهو ضعيف وقرأ ابن مسعود لكن ابتدعوها قال الحسن: فرضها الله عليهم حين احدثوها.

﴿فما رعـوهـا﴾ أي فما راعوا جميعا ﴿حـق رعايتـها﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد لله لا يحل نكثه بل ضيعوها وقالوا بالتثليث وقصدوا السمعة وكفروا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين ادركوه وكفر بعضهم بعيسى ودخـل في دين ملكهم وبقي بعض على دين عيسى عليه السلام وادرك النبي ﷺ وآمن به والـواو عند ابن زيد وغيره للذين ابتدعوها وعند الضحـاك للأخلاف الذين جاءوا بعدهم قال ﷺ لبلال بن الحارث: «اعلم» قال: ما أعلم يا رسول الله قال: «اعلم يا بلال» قال: ما اعلم يا رسول

الله قال: «انه من أحيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فإن له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع ضلالة كان له مثل آثام من عمل بها لا ينقص من وزرهم شيء»، وقال: «لكل امة رهبانية ورهبانية أمتي الجهاد».

﴿فـآتينـا الـذيـن آمنـوا منهم أجـرهم﴾ وهم الـذين رعوا حقها من التوحيد والايمان بمحمد وغير ذلك. ﴿وكثـير منهم فاسـقون﴾ خارجون عن عهد نبي الله عيسى عليه السلام المشركون ومنافقون وروي ان الكفار منهم لما غلبوا المسلمين قال المسلمون: تعالوا نتفرق فى الارض إلى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى يعنون نبينا صلى الله عليهما وسلم فمنهم تمسك ومنهم من فتر وقال لابن مسعود: «يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية امتي؟» قال: الله ورسوله أعلم قال: «الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على البلاغ».

وعن ابن عبـاس كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والانجيل وفيهم جماعة مؤمنون يقرأون التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم: لو جمعتم هؤلاء الـذين شقـوا عليكم فقتلتمـوهم أو يدخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا: دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت: دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش وان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل إلا وله حميم فيهم ففعلوا هذا ومضوا على منهاج عيسى ولم يبق عليه إلى زمان نبينا إلا قليل لما بعث جاء هذا من صومعته وهذا من ديره وهذا من سياحته وآمنوا به والاكثر تركوا الوضوء وغسل الجنابة والختان واكلوا الخنزير وشربوا الخمر.

﴿يا أيها الذيـن آمنـوا﴾ من اليهود والنصاري بموسى وعيسى ﴿اتقـوا الله وآمنـوا برسـولـه﴾ محمـد صلى الله عليه وسلم ﴿يـؤتكـم﴾ يعطكم ﴿كفلـين﴾ نصيبـين ﴿مـن رحمتـــه﴾ كفـل لإيمانكم بعيسى والانجيل وكفل لايمانكم بمحمد والقرآن وفي الحديث: «ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ والعبد المملوك الذي أدى حق مولاه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطأها فادبها فاحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم عتقها فتزوجها فله أجران» هذا ولا يبعد ان يثابوا على دينهم بعد نسخة ببركة الاسلام ان آمنوا.

وقيل : الخطاب للنصارى والذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم، وقالت فرقة: الخطاب للمؤمنين من الامة فمعنى آمنوا دوموا على الايمان يؤتكم كفلين بالاضافة الى ما كان قبل يعطونه أو كفلين كأهل الكتاب في قوله يؤتون اجرهم مرتين لانكم مثلهم في الايمان لا نفرق بين احد من رسله قال ابو موسى: كفلين ضعفين بلغة الحبشة.

﴿ويجـعل لكـم نـورا تمشـون بـه﴾ في ظلمات الصراط كما مر وقيل: الهدى والبيان وقيل: القرآن ﴿ويغـفر لـكم﴾ ذنوبـكم ﴿والله غفـور رحيـم﴾ لمن تاب ﴿لئـلا يعـلم﴾ بحذف الهمزة وادغام النون في اللام وبقلب الهمزة ياء ونحن نقرأها بالتسهيل قرىء لئلا بفتح اللام الاولى على الاصل في ما كان على حرف وهي قراءة الحسن لا زائدة للتوكيد أي ليعلم ﴿أهـل الكتـاب﴾ وقرأ ابن عباس والجذري: ليعلم وروى ابراهيم التميمي عن ابن عباس: كي يعلم وروي عن حطان الرقاشي: لان يعلم وقرىء لان يعلم بادغام النون في الياء وقرىء ليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في البـاء وقرىء لكي يعلم وهذه القراءات دلائل على زيادة لا واللام متعلقة بمحذوف أي اعلمكم بذلك ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنـوا.

﴿ألا﴾ مخففـة ﴿يقـدرون على شـيء مـن فـضـل الله﴾من الكفلين والنـور والمغفـرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم عن قبله أو لايتمكنـون من نيل شيء منه فضلا عن ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة

فيخصونها بمن ارادوا ويدل له قوله ﴿**وان الفـضل بيد الله**﴾ في حكمه ﴿**يؤتيه من يشاء**﴾ كمحمد ﴿**والله ذو الفضل العظيم**﴾ وقرىء ان لا يقدروا بالنصب وقيل لا غير زائدة أي لئلا يعتقد أهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون على شيء من فضل الله فيكون قوله وان الفضل عطفاً على ان لايعلم.

وروي انه لما نزل الوعد المذكور للمؤمنين حسدهم أهل الكتاب وكانوا يعظمون انفسهم ودينهم ويزعمون انهم احباء الله وأهل رضوانه فنزل لئلا يعلم أهل... الخ وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث جعفر رضي الله عنه في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعونه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من أهل الكتاب وهم أربعون رجلا أيأذن لنافي الوفادة على رسـول الله ﷺ فأذن لهم فقـدمـوا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا بأموال لهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله «الذين آتيناهم الكتاب» إلى «ينفقون» فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله «يؤتونَ أجرهم مرتين» فخروا على المسلمين وقالوا: أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم إلى الخ وعن بعض يحتمل أن يكون الأجر الواحد أكثر من الأجرين.

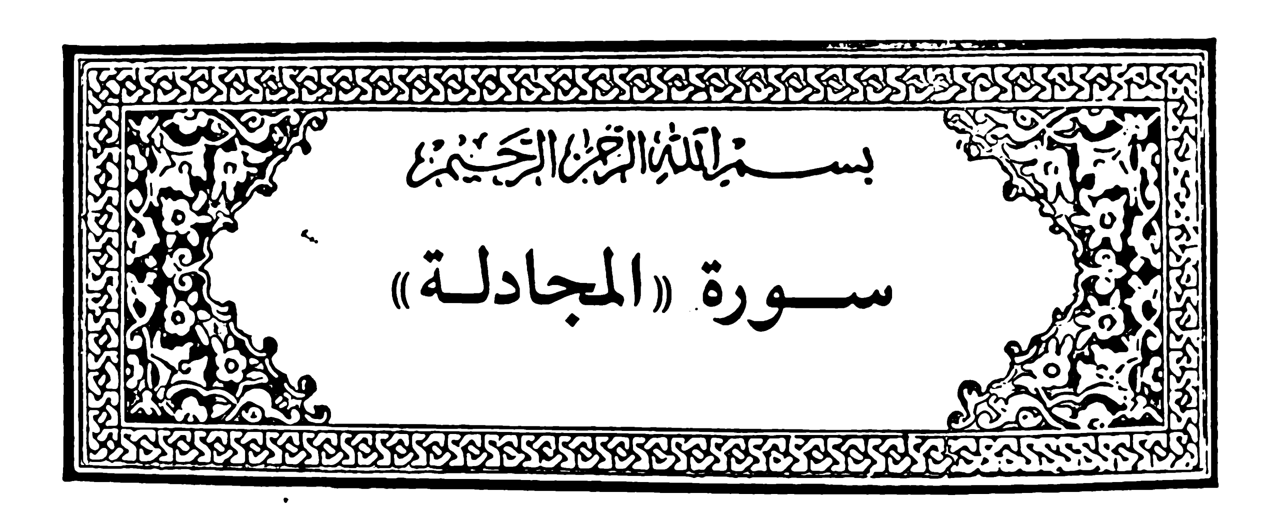
ولا حاجة إلى هذا لان من آمن بنبينا فهو من امته فله اجر عمله قبل واجر عمله بعد فلا يستوي بغيره إلا من عمر كعمره وعمل كعمله ومن لم يؤمن فجـزاؤه جهنم ولـو عبـد عبـادة الملائكة وقيل: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل ولما خرج من العرب كفروا به فنزل لئلا يعلم الخ وبعد فقد ظهر أن عمل المؤمنين من أهل الكتاب قيل ان يؤمنوا بنبينا ناقص ففي الحديث رواه نافع «إنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى قبلكم كرجل استأجر عمالا فقال: من يعمل لي الى نصف النهار إلى قيراط فعملت اليهود علي ذلك وقال: من يعمل لي من نصف النهار الى العصر على قيراط فعملت النصارى على ذلك وقال: من يعمل لي من العصر الى المغرب على

قيراطين إلا وأنتم أصحاب القيراطين الا فلكم الأجر مرتين» فغضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملا وأقل أجرا قال: فهل ظلمتم من حقكم شيئا قالوا: لا قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء.

ولليهود ست ساعات وللنصارى اربع ولأمة محمد ﷺ ساعتان فذلك اثنتا عشرة ساعة في النهار وعن نافع عن ابن عمر عنه ﷺ «إنما آجالكم في آجال من مضى قبلكم كما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس» وقال صلى الله عليه وسلم: «انما بقي من زمانكم فيما مضى كما بقي من يومكم فيما مضى منه وقد كانت الشمس على سعف النخل وشرف المسجد» قال ابن عمر: وقفت عشية عرفة مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا تدلك الشمس للغروب واصفرت فقال: «انما بقي من الدنيا فيما مضى كما بقي من الشمس في يومنا» وفي رواية في الحديث السابق انه قاله على المنبر وا ن اليهود استؤجروا للعمل فخدموا الى نصف النهار فعجزوا فاعطوا قيراطا وعمل النصارى من النصف للعصر فعجزوا فاعطوا قيراطا وعملنا الى الغروب من العصر فاعطينا قيراطين. . . الخ.

وعن ابي موسى عنه صلى الله عليه وسلم: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له الى الليل فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستأجروا آخرين بعدهم فقالوا لهم: اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطنا لهم من الاجر فعملوا إلى صلاة العصر فقالوا: ما عملنا باطل ولكم الأجر الذي جعلتم لنا فقالوا أكملوا بقية يومكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجروا قوما بقية اليوم واستكملوا أجر الفريقين.

اللهم بحق هذه السورة ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «المجادلة»

بفتح الدال مصدر أو بكسرها أسم فاعل وسميت في مصحف أبي «الظهار» وهي مكية وقيل: مدنية وقيل: مكية إلا قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الآية.. وقيل مدنية إلا هذه الآية وآيها اثنتان وعشرون وقيل احدى وعشرون وكلمها اربعمائة وثلاث وسبعون وحروفها ألف وسبعمائة وأثنان وتسعون وفي الحديث «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة ومن قرأها عند مريض نام وسكن ومن لازم قراءتها في ليله ونهاره حفظ من كل طارق و إذا كتبت وطرحت في الحبوب ازالت عنها ما يفسدها بإذن الله تعالى».

بســم الله الرحمــن الرحــيم

﴿قــد ســمع الله﴾ علم وقيل: قد للتحقيق أو التوقع فهي مشعرة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ان المجادلة أو كليهما يتوقعان أن الله يسمع مجادلتهما وشكواهما أي يقبلها ويفرج عنها قال ابن هشام: وأنكر بعضهم كونها للتوقع مع الماضي وقال: التوقع انتظار الوقوع والماضي قد وقع.

وقد تبين بما ذكرنا ان مراد المثبتين لذلك انها تدل على ان الماضي كان قبل الاخبار متوقعا لا انه الآن متوقع والذي يظهر لي أنها لا تفيد التوقع إلا مع المضارع لان الظاهر من حال المخبر عن مستقبل انه متوقع له بلا قد ولامع الماضي والاصح أن يقال لا حرف استفهام في قولك لا رجل لانه جواب لقول القائل هل من رجل وعبارة ابن مالك انها تدخل ماضي متوقع ولم يقل انها تفيد التوقع.

وما أجاب به الدماميني غير نافع وابدل حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام دالها سينا وادغمها في السين.

﴿قــول التي تجـادلك﴾ تخاصمك وتراجعك وفي مصحف ابن مسعود تحاورك أي تسائلك ﴿فــي زوجـهـــا﴾ أي في امر زوجها قالت عائشة

رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله ﷺ في جانب البيت وانا عنده لا أسمع وقد سمع لها وعن عمر أنه أي عمر كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال: قد سمع الله لها وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت اخي عبادة بن الصامت الانصاري هذا اسمها عن ابن العربي والفخر وقال ابن عباس وغيره اسمها خولة بن خويلد وقيل اسمها جميلة وزوجها هو أوس المذكور رآها تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودهـا فأبت فغضب وكان له خفة ولمم أي شدة حرص على النكاح وقيل جنون ولكنه لو ظاهر حال الجنون لم يلزمه.

فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم وكان الظهار وطلاق الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة فقال: ما اظنك إلا حرمت علي فقالت: والله ما ذاك طلاق فاتت رسول الله ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني - أي اكثرت الولادة - واكل مالي وكنت ذات مال وأهل وافنى شبابي وتفرق أهلي جعلني عليه كأمه، وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه.

وروي أنها قالت: ان لي صبية صغـاراً ان ضممتهم إليه ضاعـوا وان ضممتهم إلي جاعوا فقال ﷺ : «حرمت عليه» وروي انه قال: «ما عندي في امرك شيء» وروي انه لما قال لها حرمت عليه قالت: لا تعجل فإني وحيدة ليس لي أهل سواه وروي انها قالت لما قال حرمت عليه: يا رسول الله والذي انـزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وإنما هو ابو ولدي واعز الناس علي واحبهم فقال: «حرمت عليه» وكانت تراجعه كلما قال حرمت عليه هتفت برنها وشكت اليه فتارة قالت: اللهم اليك اشكو حالي وانفرادي وفقري اليه وتارة قالت: اللهم إن لي صبية صغارا الخ . . مامر، وتارة قالت: أشكو إلى الله وحدتي وفاقتي قد طالت له صحبتي وحفظت له بطني وتارة قالت اللهم أشكو إليك اللهم انزل على لسان نبيك فرجي.

فمراجعتها رسول الله ﷺ هي جدالها وهذا أول ظهار في الاسلام وقالت

انظر في امري يانبي الله جعلني الله فداك فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: اقصري حديثك اما ترين وجهه وكان إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل النعاس فلما قضى الوحي قال: ادعي لي زوجك فتلا عليه: «قد سمع الله . .» الخ . . القصة.

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام انه قال: حدثتني خولة بنت ثعلبة وكانت عن أوس بن الصامت أنه دخل عليها فكلمها فراودته فغضب فظاهر منها فخرج الى نادي قومه ثم رجع فراودها فامتنعت كل الامتناع فشادها فشاددته فغلبته فقالت له كلا والذي نفس خولة بيده لا تصل الي حتى يحكم الله بيني وبينك بحكمه فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكية قالت: يا رسول الله هذا أوس بن الصامت أبلى شبابي حتى اذا انقطع ولدي وكبر سني ظاهر مني اللهم إني أشكو اليك فقال لها: زوجك وابن عمك اتقي الله واحسني صحبته وكانت ترفع رأسها في الدعاء الى السماء لأن الوحي من السماء فأجاب دعاءها.

قال الفخر : هذه الواقعة تدل على ان من انقطع رجاؤه من الخلق ولم يبق له في مهمة إلا الخالق كفاه الله مهمة ولما جاء اخبره بالآية ولم يقدر إلا على الاطعام فاطعم وامسكها وروي انه لما نزلت الآية بمحضرها قرأها وقال: مريه أن يعتق رقبة، فقالت: ما عنده شيء يا رسول الله، فقال: مريه أن يصوم شهرين، فقالت شيخ كبير لا يستطيع فقال: فليطعم ستين مسكينا قالت ما عنده ما يطعم يا رسول الله قال: سنعينه بقرق من تمر قالت: وانا يا رسول الله اعينه بآخر، قال: قد احسنت اذهبي فاطعمي عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك وقالت والذي بعثك بالحق ما جئت إلا رحمة له في منافع والفرق يسع ثلاثين صاعاً وقيل خمسة عشرة وعن الكلبي انها لما شكت الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عندي في امرك شيء ارجعي إلى بيتك فإن امرني بشيء اعلمتك ولما خرجت رفعت يديها تدعو فنزلت اربع الآيات.

﴿وتشتكي إلى الله﴾ الوحدة والفاقة والصبية ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أي مراجعتكما الكلام وغلب الخطاب على الغيبة والمضارعة لحكاية الحال الماضية. ﴿ان الله سميع﴾ للاقوال ﴿بصير﴾ بالاحوال فهو سميع من يناجيه بصير بمن يشكو ﴿الذين يظاهرون﴾ اصله يتظهرون ابدلت التاء ظاء وادغمت في الظاء وقرأ عاصم يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء بعدها الف وكسر الهاء وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح الباء والهاء وتشديد الظاء بعدها الف وفي الموضع الثاني كذلك.

﴿منكم﴾ من للتبغيض ﴿من نسائهم﴾ من للابتداء ﴿ما هن امهاتهم﴾ الجملة خبر الذين والمراد توبيخ العرب وتهجير عادتهم في الظهار لانه من إيمان جاهليتهم خاصة دون الامم وقرأ عاصم برفع أمهات على لغة تميم من اهمال ما وقرأ ابن مسعود بأمهاتهم بزيادة الباء في خبر ما الحجازية واجاز بعضهم زيادتها في خبر المبتدأ على لغة تميم بعد ما.

والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي ولا يقع بغير الظهر ولا بغير الام اخذا بظاهر الآية والحق الجمهور غير الظهر والام بهما قال الشيخ العلامة عبد العزيز: الظهار تشبيه المسلم المكلف من تحل أو جزءها بظهر محرم أو جزء آخر وان بصهر أو رضاع ولا يصح ظهار المشركين وهو مذهب ابي حنيفة واحتج بأن الخطاب في الآية للمؤمنين ويصح عند الشافعي والخطاب للناس كلهم وعن ابي حنيفة لا يكون الظهار إلا بالظهر أو البطن أو الفرج واختلفوا ان قال كأمي فقيل ظهار وقيل لا وكان الظهار اشد طلاق الجاهلية في التحريم واثبته الشرع اثباتا وجعل له كفارة وليس تحليله بالكفارة نسخا له إلا ان النسخ يدخل الشرائع الجاهلية وهو مأخوذ من الظهر وقيل من الظهر بمعنى العلو لأن امرأة الرجل مركب له يعلوه بدليل قول العرب نزل عن امرته أي طلقها لأن الظهر ليس بأولى من سائر الأعضاء كالوجه والثديين والبطن والفرج.

ودخل في الامهات نساء النبي ﷺ وممن قال الظهار لا يكون إلا بالام الوالدة الشافعي وقتادة والشعبي قال الشعبي: لن ينسى الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات.

﴿إن امهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾ وفي حكمهن المرضعات لارضاعهن ونساء النبي لتحريمهن اما الزوجة فليست بأم ولا في حكم الأم فكان قول المظاهر منكراً نكره الحقيقة والاحكام الشرعية كما قال ﴿**وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً**﴾ كذبا باطلا منحرفا عن الحق وقيل: قال منكرا وزوراً لان الام تحرم عليه ابدا والزوجة لا تحرم بهذا القول واخذ بعضهم بظاهر الآية وقال: ان الظهار كبيرة وقيل: عصى مظاهر لم يعلق لشيء يفعله أو لا يفعله وان قال كأمه أو مثلها وقال: أردت محبة أو برا أو شفقة أو نحو ذلك دين وقيل: تحريم الظهار تحريم المكروهات جدا وكان قنبل وقالون يقرآن اللاء بالهمزة من غير ياء وورش بباء مختلسة الكسرة خلفا من الهمزة وإذا وقف صيرها ياء ساكنة والبزي وابو عمرو بياء ساكنة بدلا من الهمزة في الحالين والباقون بالهمزة وياء بعدها في الحالين وحمزة اذا وقف جعل الهمزة بين بين على أصله ومن همز أشبع التمكين للالف في الحالين إلا ورشا فان المد والقصر جائزان في مذهبه واتفقت المصاحف على كتابة «الئي» بلام واحدة هنا وفي الطلاق والاحزاب.

﴿**وان الله لعفو غفور**﴾ للمظاهر بالكفارة ولما سلف منه اذا تاب يعفو عن منكره وزوره ويحل زوجته ويغفر ذنوب التائب مطلقا ﴿**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا**﴾ أي إلى ما قالوا وفيما قالوا واللام على اصلها والمراد يعودون لما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار بان يمسكوا المرأة وامساكها خلاف مقصود، الظهار من وصف المرأة بالتحريم فهم يريدون الوطىء والتلذذ والنظر فنزل القول منزلة للقول فيه كقوله عز وجل ونرثه مايقول وقيل العود تدارك ما قالوا لأن المتدارك للقول عائد اليه يقال: عاد الغيث على ما افسد أي تداركه بالاصلاح وهم يتداركون القول أي يريدون اصلاح ما أفسدوا فذلك بالتكفير.

وقال الشافعي : العود السكوت عن الطلاق بعد الظهار وذلك انه طلق فقد تم ما شاع فيه من التحريم ولا كفارة عليه وان لم يطلق فكأنه ندم فليكفر ويمسكها وقد قال ابن عباس: العود الندم وقال ابو حنيفة: العود استباحة وطئها واستباحة النظر اليه واللمس وقال مالك: العود العزم على وطئها وقال الحسن وقتادة وطاووس والزهري: العود الجماع وقالوا: لا كفارة عليه حتى يطأها والطاهر ان العود الندم ولا يخفى ان ذلك كله مناقض لقول الظاهر وقال مجاهد: العود الاتيان بالظهار في الاسلام بعد قطع امور الجاهلية والكفارة تجب بنفس الظهار وقال ابو العالية والظاهرية: العود تكرير الظهار فما لم يكرر لاكفارة عليه وقيل: العود توكيد ما قال بالحلف.

قال ابن هشام: اللام متعلقة بيعودون وما مصدرية والمصدر مؤول باسم مفعول أي أو موصولة اسمية وقال أهل الظاهر: مصدرية والمصدر غير ما تأول وقال الاخفش: متعلقة بتحرير وما مصدرية أو اسم موصول ويرده ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها إلا في باب أما وإن المصدر لا يعمل فيما قبله ولو ظرفاً وان التحرير للقول والعود لا للقول فقط انتهى والجواب عن ذلك ظاهر.

﴿فتحرير رقبة﴾ أي تخليصها من العبودية والرقبة الانسان اطلاق لاسم البعض على الكل والفاء زائدة في خبر الذين لشبهه باسم الشرط وتحرير خبر لمحذوف أي فالواجب تحرير أو كفارته تحريرا أو مبتدأ خبره محذوف أي فعليهم تحرير رقبة واجب عليهم والجملة خبر الذين وخبره هو تحرير على حذف مضاف أي حكم الذين يظاهرون أو لازمهم والمراد الرقبة المؤمنة حملا على رقبة القتل وهو قول الشافعية وقيل: الرقبة مطلقا وقيل: المسلمة أو اليهودية أو النصرانية وتجزي عندنا أم الولد لانها أمه.

ومن قال حرة لم تجز عنده ويجزي المدبر قبل أجل التدبير وقيل: لا ولا يجري المكاتب لأنه حر عندنا وقيل: يجزي ما لم يؤد شيئا وقيل: ما لم يؤدا الكل وتجزى كل رقبة صغيرة أو كبيرة وقيل إلا المجنونة و المجذومة والبرصاء والعقلاء ولا فاقدة جارحة وان سناً واحدة ولا شلاء ولا ذات عسم ابطل

جارحة وجازت زائدة اصبع أو سن ان لم يمنع انتفاعاً وذات قرع أو جرح أو اثر سوط أو قرح أو كي إن لم يؤد لفقد جارحة ولا يجزي جنين في بطن ولو ولد حيا ويصح ذو اربعة اشهر من يوم ولادته وقيل ذو شهرين ولزمت معتقه نفقته وزعم بعضهم ان الفاء المسببة ومن فوائدها الدلالة على وجوب تكرير التحرير بتكرير الظهار يعني كما انها في جواب الشرط كذلك فليست زائدة محضة وهو صحيح.

﴿**من قبل ان يتماسا**﴾ من قبل ان يمس كل منهما الآخر بالجماع وان جامعها قبل التكفير حرمت عندنا كما تحرم ان كفر ولم يمسها حتى مضت اربعة اشهر وقيل: عليه الاستغفار ولا يعود حتى يكفر بدليل ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله ﷺ : ظاهرت من امرأتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال له استغفر ولا تعد حتى تكفر والحلف ايضا ان كفر كما لا يجزي وتلزمه الكفارة الواحدة عن الأئمة الاربعة. والجمهور وقيل: كفارتان وكما يحرم الجماع يحرم جميع الاستمتاع عندنا وعند ابي حنيفة والشافعي وروي عنه انه يحرم الجماع فقط وان ظاهر مرارا منها لزمه تكفير واحدة ولو في مواضع عند مالك وقال الشافعي وابو حنيفة: لكل ظهار كفارة إلا ان كان في مجلس واحد واراد التأكيد والخلاف في المذهب وعن علي تلزمه كفارة واحدة في مقعد في شيء وكفارة لكل مقعد ظاهر فيه في شيء واحد وان اعتق بعض الرقبة ومس صح لان اعتاق البعض اعتاق للكل ومن زعم من قومنا غير اعتاق للكل الزمه اعتاق كلها قبل العود.

﴿**ذلكم**﴾ الحكم بالكفارة والتعليم للاحكام. ﴿**توعظون به**﴾لانه يدل على منع ارتكاب الجناية الموجبة للغرمة ويردع عنه.

﴿**والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام**﴾ أي فالواجب صيام أو غير ذلك مما مر وكذا في الاطعام.

﴿**شهرين متتابعين**﴾ وان افطر لغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر

لعذر فالصحيح عندنا وعند الشافعية انه يبني وليس هذا بأشد من رمضان إلا انه لا يفطر للسفر وان افطر نسيانا أو نسي النية أولا فقيل يعيد ما مضى والصحيح أنه يعيد ان نسي النية وانما ينوي لهما اولا وان جامع نهارا نسيانا فالخلف وان جامع نهارا عمدا استأنف أو ليلا عمدا استأنف عند ابي حنيفة ومالك خلافا لنا وللشافعية وان ايسر قيل: تمام الصوم اعتق ولا يجزي الصوم من عنده ما يعتق وقد نسبه أو لم يعلم به وقيل يجزي ان لم يعلم ويجزي الصوم من لهٔ رقبة يحتاج لخدمتها أو ثمنها يحتاج لنفقته أو نفقة عياله خلافا لمالك والاوزاعي وقال ابو حنيفة يجب عليه العتق ان وجد عين الرقبة ولو احتاج للخدمة.

﴿من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع﴾ أن يصوم **﴿فاطعام ستين مسكينا من** قبل أن يتماسا كذا نقول نحن والحنيفية حملا للمطلق على المقيد وعن ابي حنيفة لم يذكر الفبيلة اشارة الى انه ان وقع الجمع في خلال الاطعام لم يستأنف وقال مالك: ان اراد التكفير بالاطعام جاز له الوطىء قبل الاطعام ويعد غير مستطيع من عجز عن الصوم لمرض أو كبر وشدة شهوة الجماع حتى لا يصبر عند الشافعية مستدلين بما روي ان ابن صخر البياضي قال: كنت اصيب من النساء مالا يصيب غيري كلما دخل رمضان خفت ان اصيب من امرأتي شيئا تتابع بي والتتابع اللحاج في الشر حتى أصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ الشهر.

فبينما هي تخدمني ذات ليلة انكشف لي شيء منها فنزوت أي وثبت عليها للجماع ولما اصبحت خرجت إلى قومي فاخبرتهم فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله ، فاتيته فاخبرته وقلت له: أنا صابر لحكم الله فاحكم بما امر الله فقال: حرر رقبة فقلت والذي بعثك بالحق نبياً ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي يعني رقبته قال: فصم شهرين متتابعين قلت: وهل اصبت الذي اصبت إلا من الصيام قال: فأطعم وأسقي من تمر ستين مسكينا قلت: والذي بعثك بالحق بشيرا لقد بتنا موحشين أي جائعين قال: فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها

اليك أي الصدقة فاطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر وهو ستون صاعاً وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت إلى قومي وهم بنو بياضه بطن من زريق فقلت وجدت عندكم الضيق بسوء الرأي وعند النبي صلى الله عليه وسلم. السعة وحسن الرأي وقد أمر لي بصدقتكم وإنما يطعم المظاهر من غالب قوت البلد أو يكيل لكل مسكين مدا.

قال ابو هريرة : مد لكل مسكين في كفارةالظهار وكفارة اليمين وفدية رمضان وقد روي انه صلى الله عليه وسلم اعطى أوس بن الصامت خمسة عشر صاعا من تمر فقال: تصدق بها على ستين مسكينا وقال ابو حنيفة: يعطى كل مسكين مدين وروى ابو يزيد المدني أن رجلا ظاهر ولم يستطع الصوم فأمره صلى الله عليه وسلم ان يتصدق بثلاثين صاعاً من شعير على ستين مسكيناً.

لكن أبا حنيفة يرى من غير البر صاعا لكل مسكين والاطعام يكون غداء وعشاء وقيل: مرة ولا يجزى اطعام الواحد ستين مرة عندنا وعند الشافعي لظاهر الآية ولان ادخال السرور على ستين أولى منه على الواحد ويجزى عند أبي حنيفة لحصول دفع الحاجة وه المقصود والمد رطل وثلث وان ظاهر من اربع نسوة بكلام واحد لزمه اربع كفارات فيما روي عن عمر بن الخطاب وواحدة عند ابي عبيدة وعامة اصحابنا وان فرق فاربع وعن ابن عباس من شاء بأهلته ان الله لم يجعل في الائمة ظهارا وقال الكوفيون لاظهار من الأمة إلا إن كانت زوجة وقال أبو عبيدة: الظهار لازم من الأمة سرية أو زوجة وإن امتنع المظاهر من التكفير فلامرأته أن ترافعه ويجبره القاضي ويحبسه ولا كفارة يجبر عليها ويحبس إلا هذه لأنه بضرها ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع قاله الزمخشري.

﴿ذلك﴾ البيان للاحكام أو ذلك التخفيف في الكفارة وهو مبتدأ محذوف الخبر أي مفروض أو ثابت أو مفعول لمحذوف أي فرضنا ذلك أو اثبتناه ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ في قبول الشريعة ورفض أمور الجاهلية ﴿وتلك﴾ الاحكام ﴿حدود الله﴾ لايجوز تعديها ﴿وللكافرين﴾ بها ﴿عذاب

اليـم﴾ ولا يضـره كفرهـم ﴿إن الذيـن يحـادون الله ورسـوله﴾ يعادونهما لان كلا من المتعادين في حد غير حد الاخر أو يخالفونها أو يضيعون حدودهما أو يختارون حدودا غير حدودهما.

﴿كبتـوا﴾ اخـذوا واهلكوا قيل اصله الكب وقيل: كبت الرجل بقي خزيان يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه وقال ابو عبيدة: اصله كبدوا أي أصابهم داء في اكبادهم وابدلت الدال تاء وهو ضعيف قيل: اريد كبتهم يوم الخندق قيل: نزلت في قوم من المنافقين واليهود يتربصون بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الدوائر ويتمنونها ويتناجون بذلك.

﴿كمـا كبـت الذيـن من قبلـهم﴾ من المنافقين والمشركين من الامم. ﴿وقـد أنزلنا يآت بينات﴾ تدل على صدق الرسول ﷺ وهي القرآن، وقيل: فرائضـاً وأحكـامـاً﴿وللكـافـرين عذاب مهـين﴾ يذهب عزمهم وتكـبرهم ﴿يـوم يبعثـهم الله﴾ متعلق بمهين أو بعذاب عند من اجاز مثل هذا أو بما يتعلق به اللام أو مفعول لمحذوف أي اذكر وفي هذا تعظيم لليوم.

﴿جميـعا﴾ حال من الهاء أي مجتمعين قيل أو توكيد لها ورده ابن هشام لعدم اتصاله بضمير المؤكد. ﴿فينبـئهم﴾ أي يخبرهم ﴿بمـا عملـوا﴾ على رؤوس الاشهاد توبيخاً وتخجيلا وتشهيرا بحالهم حتى يتمنوا المسارعة الى النار ﴿أحـصـاه الله﴾ حفـظه تجزئـه وتـفـصـيلا وعـددا لم يفـتـه شيء ﴿ونسـوه﴾لتهاونهم به أو لكثرته.

﴿والله على كل شيء شـهيد﴾ لا يغيب عنه شيء ﴿ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض﴾ تفصيلا واجمالا ﴿ما يكـون من نجـوى ثـلاثـة﴾ من صلة في أسم الكون وما نافية أو للاستفهام الانكاري والخبر ما بعد إلا أو الكون تام وما بعد إلا حال واستغنى في الربط بضمير المضاف اليه والنجوى مؤنث مجازا ظاهر ولذلك ذكر الفعل وايضاً قد فصل أو لان الاصل شيء من نجوى فتكون من غير زائدة وقرىء بالمثناة فوق والنجوى التناجي إما أن تكون مضافة لثلاثة أو موصوفة بها على تأويلها بمتناجين أو

على تقدير مضاف أي من أهل نجوى فيكون ثلاثة نعتا للاهل أو جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة وعليهما فعدم التنوين لالف التأنيث واشتقاق النجوى من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فإن السر مرفوع الى الذهن يعسر الاطلاع عليه.

﴿إلا هو رابعهم﴾ شاهد عالم بنجواهم أي ما يتناجون في حال من الاحوال إلا والله خبير ﴿ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ هذا عطف على معمولين وهما ثلاثة وقوله هو رابعهم لعاملين وهما يكون ونجوى وان عطفنا خمسة على نجوى كان كذلك ولكن احد العامين حينئذ هو من وكان العطف حينئذ على معمولي عامل وهو يكون لان من زائدة ولكن لا بد من تقدير مضاف على هذا الاخير ولعل مانع العطف على معمولي عاملين يقول بهذا الاخير.

وقرأ ابن ابي عبلة بنصب ثلاثة وخمسة على الحالية باضمار يتناجون للادلة نجوى عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين وصاحب الحال الضمير المستتر في متناجين وخصص العددين الثلاثة والخمسة إما لأن قوما من المنافقين تخلفوا للتناجي مغاءطة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة أي ما يتناجى منهم ثلاثة ولا أربعة كما ترونهم إلا وهو يسمعهم كما يسمع الرابع منهم إذا تناجى ثلاثة والخامس إذا تناجى اربعة فهو كالرابع والخامس وهذا معنى الآية.

وقيل : تناجوا ثلاثة وتناجوا اربعة لا غير والرابع والخامس الله وقد روي عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية تحدثوا فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضاً وقال الثالث ان علم بعضا علم كلاً وقد صدق لان من علم بعضا بلا سبب علم الكل وأما لانه قصد ان يذكر ما جرت به العادة من ان المتخالين للشورى ليسوا بكل احد وانماهم طائفة مجتباه من اولى النهى والاحلام واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة إلى ستة الى ما اقتضته الحكمة.

كما ترك عمر الامامة شورى بين الستة وقد ذكر الاكثر والاقل بقوله ﴿ولا

ادنـــى﴾ أقل **﴿مـن ذلك ولا اكثـر إلا هــو معهــم﴾** بالعلم والقدرة أو خص الثلاثة لانها اقل ما يتم التشاور اثنان كالخصمين ويرجعان لرأي الثالث ولابد لكل مشاورة من واحد يكون حكما فيها وذكر خمسة لانها اول فرد بعد الثلاثة وقيل: خص الثلاثة والخمسة لان الفرد اشرف من الزوج وفي مصحف ابن مسعـود إلا الله رابعهم ولا اربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا تناجوا.

وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل نجوى أو محل لا ادنى أن جعلت لا في أدنى لنفي الجنس وأدنى على رفع اكثر يجوز عطفه جراً ورفعا وكون لا لنفي الجنس ويجوز رفعهما على الابتداء وفتح اكثر جر وكذا الفتح المقدر في اذني أو نصب اما اكثر فعطف على ادنى واما ادنى فعلى انه اسم لا العاملة عمل ان وهو شبيه بالمضاف أو الفتح في لا اكثر للبناء على ان لا عملت عمل ان وقرىء اكبر بالباء الموحدة.

﴿أينـما كانـوا﴾ لأن ذاتـه تقتضي العلم لا بواسـطة صماخ أو قرب مكـان فضـلا عن ان يتفـاوت عنده الاضمار والاسرار والجهر واين شرطية متعلقة بجـوابهـا المحـذوف. **﴿ثــم ينبــئـهم﴾** يوم القيامة وقرىء باسكان النون وتخفيف الباء.

﴿بما عملوا ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون﴾ وقرأ حمزة قيل ويعقوب ينتجون بفتح الياء واسكان النون بعدها تاء مفتوحة وضم الجيم ليفتعل من النجوى.

﴿بـالاثــم والعــدوان ومعصيــة الـرســول﴾ أي بما هو اثم وعـدوان للمؤمنـين وتـواص بمعصية الـرسـول ﷺ قال ابن عباس نزلت في اليهود والمنـافقـون يتنـاجـون ويتغـامـزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنـين يريدون أن يغيظوهم فحزن المؤمنون لذلك وقالوا ما نراهم إلا وقد بلغهم عن اخواننا الذين غزوا قول أو هزيمة ولما طال ذلك وكثرت شكواهم الى رسول الله ﷺ أمرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا وقيل معصية الرسول عودهم للتناجي وقرأ

حمزة بكسر العين وقرىء ومعصية معصيات الرسول اللهم بحقك يا من احب هذه الامة حتى غار عليهم في التناجي اغفر لي ولشيخي ووالدي والمسلمين.

﴿وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ هذا خاص باليهود إذا مروا عليه ﷺ قالوا «السام عليك» أي الموت دعاء وتمن لموته وكذا يقولون للمؤمنين ويردون عليهم على حد السلام فاتاه جبريل فقال ليسوا يقولون ذلك على وجه التحية فقال لاصحابه إذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم أي السام علينا وعليكم أي كل يموت أو عليكم ما قلتم والله يقول وسلام على عباده الذين اصطفى، ويا أيها الرسول ويا أيها النبي والظاهر انه لا خصوصية لليهود بل هم يقولون ذلك والمنافقون يقولون عم صباحا وعموا صباحا وهو تحية الجاهلية.

قالت عائشة : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا السام عليك فقلت عليكم السام واللعنة فقال: مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا قال: قد قلت وعليكم وفي رواية السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال: يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت: أولم تسمع ما قالوا قال لو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في، وعامة المحدثين يقولون إذا سلم كتابي فقل وعليك بالواو وقال سفيان بن عيينة بغير واو ليرد عليه ما قال دون ان يجمع نفسه معه.

﴿ويقولون في انفسهم لولا﴾ أي هلا ﴿يعذبنا الله بما نقول﴾ من الطعن فيه وانكار نبوته السام وغير ذلك لو كان نبياً لعذبنا باقوالنا فيه ومعنى في انفسهم في قلوبهم والقول يطلق مجازاً على ما في القلب وزعم بعض أنه حقيقة وقيل المعنى فيما بينهما اذا خلوا عنه.

﴿حسبهم جهنم﴾ فامرهم مؤخر اليها. ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المصير﴾ المخصوص بالذم مقدر أي جهنم أو هي ﴿يا ايها الذين امنوا﴾ بالسنتهم أو بزعمهم ﴿إذا تناجيتم فلا تتناجوا﴾.

وعن يعقوب فلا تتنجوا وعن ابن مسعود اذا تنجيتم فلا تتنجوا وقرىء فلا تناجوا. ﴿**بالاثــم والعــدوان ومعصــية الرســول**﴾ أو الخطاب للمؤمنين حقا أي اذا تناجيتم فلا تشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر نهاهم عن فعل المنافقين واليهود وذلك عام في غير النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث إذا كنتم ثلاثاً فلا يتناج اثنان دون صاحبهما وروي دون الثالث فإن ذلك يحزنه وهذا ولو في الحلال.

﴿**وتنــاجوا بالــبر**﴾ الخير للمؤمنين ﴿**والتقــوى**﴾ عن المعصية تناجيا لا يضر ﴿**واتقــوا الله الــذي اليــه تحشــرون**﴾ تبعثون وتجمعون للجـزاء ﴿**إنمــا النجــوى من الشــيطان**﴾ أي النجوى المذكورة من الاثم والعدوان والمعصية تزيين من الشيطان.

﴿**ليحزن**﴾ هو﴿**الذين آمنوا**﴾ يوهمهم أنها عليهم وقرأ أبو عمرو وغيره بفتح الياء والزاي فالفاعل هو الذين.

﴿**وليــس**﴾ الشيطان أو التناجي ﴿**بضارهــم شيــئا**﴾ أي من الشر أو بضارهم ضرا ﴿**إلا بـــاذن الله**﴾ إلا ما اراد الله أو إلا باذنه في الضر بأن يسبق في علمه وإلا ما أراد من القضاء بالموت والغلبة على الغزاة وعن الحسن ان رجـلا من المسلمـين كان يأتي رسول الله ﷺ فيستخليه بحاجته فكان الشيطان يوقع في قلوب المؤمنين الحزن بقول ان صاحبكم هذا انما خلا برسول الله ﷺ ليبغضكم عنده.

﴿**وعلـى الله فليتـوكـل المؤمنــون**﴾ ويستعيذوا به من الشيطان. ﴿**يـا أيـها الذيـن آمنـوا إذا قيـل لكـم تفســحوا**﴾ توسعوا وقرىء تفاسحوا. ﴿**فـي المجــالس فافســحوا**﴾ مجلس رسول الله كانوا يتضامون فيه للقرب منه صلى الله عليه وسلم والسماع والنظر اليه ويلحق به مجلس غيره أو المراد بالمجلس الجنس ويدل له قراءة عاصم في المجالس ولكن يجوز في قراءته أيضا ان يكون المراد مجالسه صلى الله عليه وسلم فإنها متعددة ومجالس الناس فإن لكل واحد مجلسا قال زيد بن اسلم وقتادة: نزلت الآية بسبب تضايق الناس

في مجلس رسول الله ﷺ فيأتي الرجل له الحق والسن والقدم في الاسلام فلا يجد مكانا.

وقيل انه ﷺ يحب المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فسلموا على النبي ﷺ فرد عليهم وسلمواعلى المؤمنين فردوا عليهم وقاموا على ارجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يوسعوا فشق ذلك على النبي ﷺ فقال قم يافلان قم يا فلان بقدر النفر الآتين من أهل بدر فشق ذلك على من قام من مجلسه حتى عرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجههم فنزلت الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس وقد مر في الحجرات وقيل كان ذلك في الصفة من مسجده صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة والمكان ضيق ونسخت الآية القيام من مكان ليقعد فيه غير القائم منه وفي الحديث لا يقم احد من مجلسه ثم يجلس فيه الرجل ولكن تفسحوا يفسح الله لكم وقام احد في مجلسه صلى الله عليه وسلم لغيره فذهب الغير يجلس فيه فنهاه ﷺ وقيل: إلا للعالم والامام والوالد.

وكذا القيام على الارجل اجلالا فقد قال صلى الله عليه وسلم حين اقبل سعد قوموا إلى سيدكم ويجب على المعظم ان لا يحب ذلك لقوله ﷺ «من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار» وفي الاحتجاج بقضية سعد قيل نظر لانها اختفت بها قرائن سوغت ذلك منها ان المراد امسوا اليه وسلموا عليه وقيل: المجلس مجلس القتال وهي مراكز الغزاة سماها مجالس ولا جلوس فيها كقوله مقاعد للقتال وكأنه سمي الثبوت بالارجل على الارض باسم الثبوت عليها بالمقاعد كأن الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة فربما كان شديد البأس والحجة دعاية اليه ويقاس عليه مجلس العلم والقرآن والذكر ومن تفسح لغير متول كمن قطع عرى الاسلام إلا ان خاف فتنة.

ومن وسع على عباد الله انواع الخير وسع له في الدنيا والآخرة كما قال ﴿يفسح الله لكم﴾ وقيل يفسح لكم في مجالس الجنة والجزم في جواب الامر وقرىء بفتح لام المجلس على انه مصدر ميمي أي في الجلوس.

﴿وإذا قيــل انشــزوا﴾ ارتفعوا عن مواضعكم لاخوانكم وحذف فاعل قيل في الموضعين لعدم تعلق الغرض به قاله ابن هشام ﴿فانشــزوا﴾ وذلك توكيد لما قبله أو المراد إذا قيل انهضوا عن مجلس رسول الله ﷺ إذا امرتم بالنهـوض ولا تضجروه وقال الكلبي: اراد النهوض للصلاة والجهاد وافعال الخير وقيل كانوا يتثاقلون في الصلاة في الجماعة إذا نودوا إليها فنزلت الآية والمشهور الاول وفي الحديث «لا يحل للرجل ان يفرق بين اثنين إلا باذنهما ولعن الله من قعد وسط الحلقة» وقرأ غير نافع وابن عامر وعاصم في الآية بكسر الشينين.

﴿يـرفـع﴾ بالجزم في جواب الامر ﴿الله الذين آمنــوا منكــم﴾ بالطاعة في التفسح وغيره درجة في الجنة ﴿والذيــن اوتــوا العلــم درجـات﴾ قيل ولذلك امر بالتفسح لهم وعن جمعه كلا الصنفين يرفع درجات وفضل العالم يعلم من خارج ولذلك جاء التفسح عاماً لهم ولغيرهم وعن ابن مسعود وغيره تم الكلام في منكم وخص العلماء بالدرجات ونصب الذين بمحذوف والمؤمن مطلقا يرفع بالذكر وحسن الثناء والنصر.

﴿والله بمــا تعملــون﴾ من اكتسـاب العلم والعمل وقرىء بالمثناة تحت ﴿خبـير﴾ فيجـازيكم والعـالم لجمعـه بين العلم الـذي هو سبب العمل ويصححه وبين العمل افضل من العابد في علم قليل حتى ان بعضا اجازوا الاقتداء بالعالم في الفعل كما يقتدي به في القول وفي الحديث «إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فطائفة منها قبلت الماء فاكثرت العشب وطائفة امسكت الماء للناس شربوا وسقوا وزرعوا وطائفة قيعان لم تمسك ولم تنبت».

وقرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم وفي الحديث «بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين خطو الجواد المضمر سبعين سنة ويشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء» فاعظم بمرتبة واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ

وعن ابن عباس: خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه واوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم. وعن حكيم: ليت شعري أي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف: كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال.

قال ابن مسعود: العالم افضل من المجاهد وعن بعضهم افضل الناس العلماء والشهداء أما العلماء فاخبروا بما جاءت به الرسل واما الشهداء فانهم قاتلوا على ما جاءت به الرسل وفي الحديث: «فضل العالم احب من فضل العابد لانه اورع عن محارم الله وخير دينكم الورع» قال بعضهم: موت العالم احب الى ابليس من موت الف عابد قال ابن عباس: معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر. وذهب ابي بن كعب ليركب فامسك له ابن عباس بالركاب فقال له: مه يا ابن اخي فقال له ابن عباس: إن الله يحب ان يعظم حق اخيار المسلمين وروي انه قال امرنا ان نفعل بالعلماء هكذا وقبل له أبي يده وقال: هكذا أمرنا ان نفعل بأهل البيت وذكروا ان النظر في وجه الفقيه عبادة وعن عمار ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق الامام العدل وذو الشيبة في الاسلام ومعلم الخير والعلماء وورثة الانبياء وفي الحديث «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

وقدم رجل من دمشق الى ابي الدرداء في المدينة فقال: ما اقدمك يا أخي قال: حديث سمعته عنك عن رسول الله ﷺ قال: ما جئت إلا له قال: نعم قال ما جئت في تجارة قال نعم قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا الى الجنة» وروي «ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالبه» ووضعها كرفع الايدي في الدعاء منا، ومر صلى الله عليه وسلم بمسجد بمجلسين مجلس دعاء ومجلس تعليم فقال «كلاهما على خير ومجلس التعليم افضل انما بعثت معلما» وفي القناطر ذلك كله ببعض تغيير وزيادة وعن ابن ابي الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل مرتين وروي سبع مرات وفي الحديث «اشد الناس عذابا

يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» وعن انس أن من لم يعمل بعلمه في النار ويتأذى اهل النار من نتنه.

وفي الحديث يقول الله للعالم : «ما صنعت فيما اتيتك من العلم فيقول بينته وعملت به حتى مت فيقول كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فلان مصل وقد قيل ذلك اذهبوا به إلى النار». وفي الحديث «من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه فله النار ومن تعلم ليحدث الناس لم يرح رائحة الجنة» وفي القناطر كثير من ذلك.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ للفقراء قال جار الله : مستعار ممن له يدان والمعنى قيل نجواكم كقول عمر رضي الله عنه من افضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم أي قبل حاجته وفي ذلك تعظيم لرسول الله ﷺ ونفع الفقراء والنهي عن الافراط وفي السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا قاله القاضي وهو مشكل اذا لم يتصدق ويسأل ويجاب بأنه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة لقائه فقد قيل: ان ذلك لم يبق إلا ساعة ثم نسخ بالآية بعدها وعليه الكلبي وقيل: بآية الزكاة وقيل: بقي عشر ليال وعليه مقاتل والآية وان اتصلت به تلاوة لم تتصل به نزولا وقيل الامر في ذلك للندب واتساع الوقت لكن لم يسأله الصحابة مراعاة القلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون وذلك لم يفرض عليهم لقوله «فإن لم تجدوا» الخ..

وقد قيل : إن هذه الصدقة لم تكن طاعة فرضاً ولا ندبا ولكن تعجيزا وكف لهم عن كثرة السؤال لما ضخروه لكف الفقير لفقره قال جار الله : والغني لشحه. اهـ وهذا الشح غير مضر لانهم امسكوا حيث يجوز الامساك ولو عرض لاحدهم سؤال لابد منه لتصدق وسأل وعن بعضهم وعليه مقاتل نزلت في الاغنياء يكثرون مناجاته وغلبوا الفقراء ومل رسول الله ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم فامرهم بالصدقة تخفيفاً على نبيه فتركوا وفي هذا الامر ان الشيء إذا وجد بمشقة استعظم وإلا استحقر.

وعن مجاهد : لم يناجه إلا علي بن ابي طالب تصدق بدينار وناجاه وخطب علي بن ابي طالب في الكوفة وقال: يا ايها الناس ان في القرآن سورة فيها آية ما عمل بها احد قبلي ولا معي ولا يعمل بها بعدي فقيل ما هي قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كثرت عليه المسائل كره ذلك خيفة ان يجعل على امته فرضا ليس عليهم فنزل «يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم . . » الآية فامسكوا عن كلامه وسؤاله ولم أكن أملك غير دينار فصرفته بعشرة دراهم ثم جعلت كلما اردت ان أسأل عن مسألة تصدقت بدرهم حتى انقضت فنسخت الآية بقوله أأشفقتم ان تقدموا. . . الآية.

قال الكلبي : تصدق به في عشر كلمات سألهن وروي انه لما نزلت الآية قالوا: لابد لنا من مناجاتك وان اموالنا لا تطيق ذلك ولما نزلت دعا عليا فقال: كم هذه الصدقة اتراها دينارا قال علي: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار، قال: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قال: شعيرة قال: انك لزهيد والشعيرة وزن حبة شعير من ذهب قال: الفخر قوله انك لزهيد معناه انك لقليل المال فقدرت على حسب حالك وما دعا عليا إلا لعلمه صلى الله عليه وسلم ان ذلك يشق على الناس وعن علي ما عمل بها غيري وانا سبب الرخصة والتخفيف اذ نسخت.

وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب إليَّ من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى وزعم جماعة ان الآية نسخت قبل العمل بها لكن استقر حكمها بالعزم عليه وعن ابن عباس وقتادة سبب نزولها ان قوما من شباب المؤمنين واغفالهم كثرت مناجاتهم له صلى الله عليه وسلم في غير حاجة وكان لا يرد احدا فنزلت الآية مشددة ورادعة لهم وظاهر بعض ان غير علي تصدق ايضاً وسأل ﴿ذلك﴾ أي التصدق والمفهوم من الكلام أو ذلك المذكور من الصدقة أو ذلك التقديم تقديم الصدقة.

﴿خير لكم﴾ من عدمه أو المراد ان فيه نفعاً لكم ﴿واطهر﴾

لذنوبكم ولنفوسكم من الريبة وحب المال وهذا تنديب. ﴿فإن لم تجـدوا فان الله غفـور رحيـم﴾ والذي لا يجد هو الفقير وهذا الانشاء دليل للوجوب على الاغنياء.

﴿أأشفقـــتم﴾ استفهام توبيخ والمراد الخوف من الفقر «الشيطان يعدكم الفقر» وقال ابن عباس: أبخلتم والهمزتان مخففتان وتسهل الثانية مع ادخال ألف بينها وبين الاولى وتبدل الثانية ألفاً وهو قراءتنا.

﴿ان تقـدمـوا بين يدي نجـواكـم صدقـات﴾ قال القـاضي جمع الصدقة لجمع المخاطبين أو لكثرة التناجي ﴿فإذا لـم تفعـلوا﴾ ما امرتم به من تقديم الصدقة وشق عليكم اذ هذه مضمنة معنى ان أو إذا وجعل لها جواب مقرون بالفاء وقيل: الفاء زائدة واذ على اصلها.

﴿وتـاب الله عليـكم﴾ رجع بكم عنها بنسخـها تخفيفـا ﴿فاقيمـوا الصلاة وآتـوا الزكوة﴾ لا تفرطوا في ادائهما ﴿واطيعـوا الله ورسـوله﴾ في سائر الامر والنهي فان القيام بالطاعة كالجابر للتفريط في تقديم الصدقـة فإن اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه وتاب عليهم كما يدل عليه فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم وعن بعضهم ان المعنى دوموا على ذلك.

﴿والله خبـير بمـا تعملـون﴾ ظاهـرا وباطنـا وقرىء بالمثناة فوق. ﴿الم تر الى الـذين تولـوا﴾ الى والـواو هم المنافقـون ﴿قـومـاً غضـب الله عليهـم﴾ هم اليهود نقلوا اليهم اسرار المسلمين ونصحوهم وودوهم. ﴿مـا هـم﴾ أي المنافقـون.

﴿منـكم﴾ من المؤمـنين ﴿ولا منـهم﴾ من اليهود مذبذبين ذلك لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحتمل ان يراد ما القوم المغضوب عليهم منكم ولا من الذين تولوهم وقيل: المغضوب عليهم المشركون مطلقا والاول اظهر كقوله من لعنه الله وغضب عليه.

﴿ويحلفـون على الكـذب﴾ وهـو الاسلام الـذي يدعـونـه ﴿وهـم يعلمـون﴾ انهم كاذبون في قولهم انا مسلمون وذكر العلم تقوية في الذم

يحلفون على شيء جزموا بخلافه وقيل: لان الكذب ان يكون الخبر لا على وفق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم قال جار الله : قيل: كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال ﷺ : علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال صلى الله عليه وسلم: فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت ﴿**اعـد الله لهـم**﴾ أي هيأ ﴿**عـذابـا**﴾ التنكـير للتعـظيم ﴿**شـديدا انهم سـاء ما كانـوا يعملون**﴾ من المعـاصي اخبارا باستمرارهم على المعصية أو بما يقال لهم يوم القيامة.

﴿**اتـخذوا ايمـانهم**﴾ التي حلفوا بها جمع يمين وقرىء بالكسر مصدر آمن أي توحيدهم بالذي اظهروه وهو قراءة الحسن. ﴿**جنـــة**﴾ سترا عن دمائهم واموالهم ﴿**فصـــدوا عن سـبيل الله**﴾ في خلال سلامتهم يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وقيل صدوا المسلمين عن ان يقتلوهم ويسبوهم ويأخذوا اموالهم باظهار الايمان.

﴿**فلـهم عذاب مهـين**﴾ يوقعهم في الهوان في الآخرة والدنيا وهو وعيد ثان وقيل الاول عذاب القبر والثاني عذاب الآخرة. ﴿**لن تغنـي عنـهم اموالهـم ولا اولادهـم من الله**﴾ من عذابـه في الآخـرة ﴿**شيـئا اولـئـك اصحـاب النـار هم فيـها خالدون يوم**﴾ متعلق بلن أو بتغني أو بخالدون أو بما تعلق به لهم أو مفعول لاذكر.

﴿**يبعثـهم الله جميـعا فيحلفـون**﴾ انهم مؤمنون ﴿**لـه كمـا يحلفـون لكـم**﴾ روي ان رجـلا قال لننتصرن يوم القيـامة بانفسـنا واموالنا واولادنا فيحلفون بالله تعالى على انهم مسلمون ﴿**ويحسـبون انهـم على شـيء**﴾ نافع بان يكون دمره حلفهم وقاية من النار كما كان في الدنيا وقاية عن القتل والسلب وفي ذلك اشعار بتوغل في النفاق حتى بعد الموت والبعث لم يعلموا ان الله علام الغيوب وقد نطق القرآن بكذبهم في الآخرة كهذه الآية وقوله ربنا

ما كنا مشركين وقيل: يحلفون للمؤمنين اقتبسوا من نورهم فيريدون النطق بكلمة الشهادة فيختم على افواههم.

﴿ألا انهم هم الكاذبون﴾ أي هم الغاية في الكذب. ﴿استحوذ﴾ أي تغلب واستولى من كل جهة ﴿عليهم الشيطان﴾ لطاعتهم له في كل مايريد حتى جعلهم رعيته من قولك حاذ الحمار العانة أي انقطع من حمر الوحش اذا جمعها وساقها غالبها لها ولفظ واستحوذ مما جاء على الاصل غير نقل وقلب كاستوصب واستنوق وبسطت ذلك في شرح اللامية والقاعدة ان يقال استحاذ بنقل الفتحة للحاء وقلب الواو ألفا لتحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها في الحال وقد قرأ عمر استحاذ على القاعدة.

﴿فانساهم ذكر الله﴾ أي صدهم عن الايمان والعمل ولا يذكرون الله بقلوبهم ولا بالسنتهم أي جعلهم غافلين أي تسبب في غفلتهم أو جعلهم تاركين ﴿اولئك حزب الشيطان﴾ جنده واتباعه ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون * إن الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين﴾ في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منه.

﴿كتب الله﴾ في اللوح أو قضى ﴿لأغلبن انا ورسلي﴾ جواب قسم مقدر أو جواب كتب المضمن معنى القسم وقرأ غير نافع وابن عامر بإسكان الياء والغلبة بالحجة أو بالسيف أو بهما قيل: من بعث بالحرب غالب بالسيف ومن لم يؤمر بها غلب في الحجة.

﴿إن الله قوي﴾ على نصر رسله ﴿عزيز﴾ لا يغلب ﴿لاتجد قوماً يؤمنون﴾ نعت قوما ﴿بالله واليوم الآخر يوادون﴾ مفعول ثان ومعنى يوادون يودون فهو لموافقة المجرد والمودة المحبة أو المراد المفاعلة أي يودون. ﴿من حاد الله ورسوله﴾ ويودهم والمشرك لا يود مسلما إلا لتفريطه في الدين ولو تصلب فيه لم يحبه أو يحبه ولو تصلب ليستدرجه للكفر وعن الثوري قالوا: إنها نزلت فيمن يصحب السلطان روي ان عبد العزيز بن رواد لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وقرأها وقد وقعت الموادة بين بعض

المسلمين والمشركين وانما قال: لاتجد على معنا لا تجد على سبيل شرعنا ورضانا فمهما وجدت من ذلك فعلى غير شرعنا ورضينا أو قال ذلك كناية عن التحريم بالمبالغة فيه حتى خيل ان من المحال ان تجد قوما مؤمنين يوادون المشركين أي حق ان يمتنع ذلك وتتصلوا في دين الله وتتباعدوا عن مخالطتهم أو ذلك على الحقيقة.

فان من والى مشركا ومات غير تائب هو غير مؤمن وذلك في غير محبة الضرورة الآتية من قبل النفع وجهته فإن هذه مخبولة في القلب بل محبته على شركه أو اختياره على المسلم أو نحو ذلك كنصحه لمحبة وارادة خير الآخرة والدنيا لهم وزاد ذلك تأكيدا بقوله ﴿ولو كانوا﴾ بـ «المحادون» ﴿آباءهم وأبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم﴾ الخ.

وعن الحسن: نزلت في المنافقين يوادون المشركين وعن الكلبي: في امر بلتعة بن حاطب إذ أنذر اهل مكة بالغزو وقيل: تلك المحبة منهى عنها مطلقا ولعلها التي تثبت بعد الواقعة كرها فيه لنفعه قال صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فإني وجدت فيما أوحيت لا تجد قوما الآية بل يجب على المسلمين ان يقصدوا المشركين بالقتال على الايمان وروي ان الآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين سب ابوه رسول الله ﷺ وهو ابو قحافة فصكه ابو بكر صكة سقط منها فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: أو فعلت قال: نعم قال: لا تعد قال: والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته.

وقيل: عن ابن مسعود نزلت في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دعني اكن في الدفعة الاولى فقال: متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وهو قبل من عشيرته وفي علي وحمزة وابي عبيدة قتلوا عتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر كل قتل رجلا وعبارة بعض نزلت في ابي عبيدة وقيل ابي بكر وقيل في مصعب وقيل في عمر وقيل في علي وحمزة وابي عبيدة.

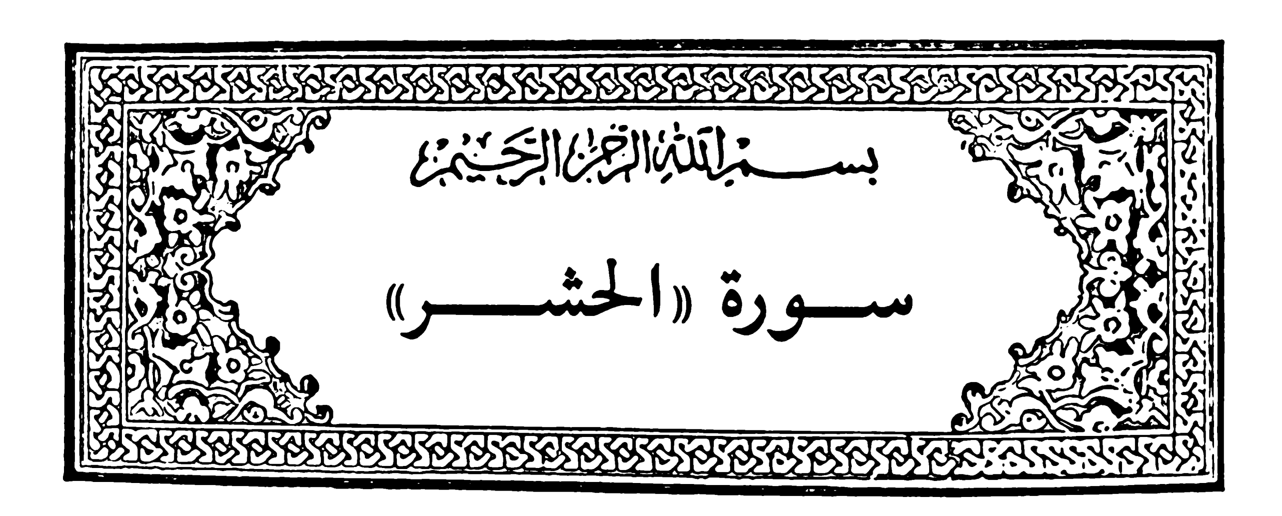
﴿اولئـــك﴾ الذين لايــوادون المشركين بل يوادون المؤمنين. ﴿كتــب﴾ اثبت ﴿في قلوبــهم الايمـان﴾ وراسخة فيها حتى اتبعوه بالعمل وقيل: معنى كتب حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه.

﴿وأيـــدهم﴾ قواهـم ﴿بــروح منـــه﴾ أي بنصر منـه لانه به يحيى أمرهم فهو كالروح له وقيل: بنور القلب ولطف منه حييت به قلوبهم وقيل: بالقرآن وقيل بجبرائيل وقيل بالرحمة.

﴿ويدخلـهم جنـات تجري من تحتهـا الانهار خالـدين فيهـا رضي الله عنهم﴾ بطاعتهم ﴿ورضــوا عنـه﴾ بقضاء وقيل: بثوابه وإنما ذكر الرضى بعد ذكر الادخال لانه اعظم النعم واجل الرتب ﴿اولئك حزب الله﴾ جنده وانصاره يتبعون امره ويجتنبون نهيه.

﴿ألا إن حزب الله هم المفلحــون﴾ الفائزون بخير الدنيا والاخرة واضافة الحزب الى الله تعظيم عكس الاضافة للشيطان وقيل: معنى اولئك كتب الخ... كتب في قلوب اوليائه سطوراً الاول التوحيد والثاني المعرفة والثالث الصدق والرابع الاستقامة والخامس الثقة والسادس الاعتماد والسابع التوكل وذلك فعل الله وأما فعل العبد فالاسلام وقيل الكتابة في القلب ما وهب لهم قيل: ان يخلقهم من الاصلاب ثم ابدى نورا في قلوبهم فكشف عنهم الغطاء حتى ابصروا وقيل: حياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور رضي الله عنهم بالاخلاص ورضوا عنه بجزيل ثوابه اولئك حزب الله هم الابدال واربع منهم الصديقون إلا ان حزب الله هم المفلحون الوارثون اسرار علومه المشرفون على معاني ابتدائهم إلى انتهائهم والحق ما تقدم.

وهذه السورة اخر نصف القرآن بعد السور وسورة الحديد أول النصف الثاني، اللهم بحق نبيك محمد علينا صلى الله عليه وسلم وحق السورة اخز النصارى ومن يوادهم من الموحدين وغلب المسلمين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الحشر»

مدنية باتفاق قال سعيد بن جبير : قلت لابن عباس: سورة الحشر قال: قل سورة بني النضير قال ابن حجر: كأنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن ان المراد يوم القيامة وانما المراد به هنا اخراج بني النضير، وآيها اربع وعشرون وكلمها أربعمائة وخمس واربعون وحروفها ألف وتسعمائة وثلاثة عشر، وفي الحديث «من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

قال الغزالي : من قرأ سورة الحشر أمن في الدنيا والآخرة وقالوا: ان آخرها دواء من كل داء إلا السأم وان كتبت ام القرآن واربع آيات من آخر هذه السورة وقل هو الله والمعوذتين ثلاثا وكتب اللهم رب الناس اذهب البأس واشف حامل كتابي هذا شفاء لايغادر سقما ولا ألماً بحولك وقوتك. إنك على كل شيء قدير صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وعلق على مريض برىء بإذن الله.

وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يمسي ثلاث مرات «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وثلاث آيات من آخر السورة هذه وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يصبح وإن مات في تلك الليلة مات شهيدا ومن قالها حين يصبح كان بتلك المنزلة وطبع له بطابع الشهداء.

بسم الله الرحمن والرحيم

﴿سَبح لله ما في السموات وما في الارض﴾ أي نزه الله وما للعاقل وغيره ومر الكلام على ذلك قيل أتى بها تغليبا للاكثر على العاقل. ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ونقمته وبعزه ذل كل شيء.

﴿الحكيم﴾ في صنعه ﴿هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم﴾ روي انه صلى الله عليه وسلم صالح بني النضير لا له ولا عليه

ولما ظهر في بدر قالوا: إنه المبعوث في التوراة انه لا ترد له راية ولما هزم المؤمنون يوم أحـد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكباً إلى مكة فحالفوا قريشا ابا سفيان وغيره عليه عند الكعبة فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعباً غيلة وهو اخوه من الرضاع ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف.

فقـال : اخـرجوا من المدينة فقالوا: الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل طلبوا الامهال عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فقال عبد الله بن ابي المنـافق واصحـابـه لا تخرجوا فإن قاتلوكم فنحن معكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحضوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على ان يحمل كل اهل ثلاثة ابيات على بعير ما شاءوا من متـاعهم فخرجوا الى اريحا واذرعات من الشام الا أهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة بالحيرة.

وروي انهم تحالفوا في استار الكعبة كعب في اربعين وابو سفيان في اربعين واخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بقتل كعب وقتل واصبح وأمر الناس بالمسير الى بني النضير بقرية يقال لها زهر فوجدوهم ينوحون على كعب فقالوا: يا محمد واعية على واعية وباكية على باكية قال: نعم قالوا: ذرنا بك ثم افعل فقال: اخرجوا من المدينة فقالوا: الموت احب الينا إلى آخر ما مر آنفا.

وروي انهم ارسلوا اليه بعد التحصين المذكور ليغدروا وان اخرج في ثلاثين ونخرج في ثلاثين فان صدقوك آمنا ففعلوا وقال يهودي: كيف تقتلونه ومعه ثلاثون كل يحب ان يموت قبله لكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن في ستين ولكن نخرج في ثلاثة وتخرج في ثلاثة فخرجوا في ثلاثة من علمائهم معهم الخناجر فارسلت يهودية منهم الى اخ لها مسلم من الانصار بذلك فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم سريعاً قبل ان يصل اليهم فرجع وحاصرهم من الغد احدى وعشرين ليلة فطلبوا الصلح كما مر.

وروي انه صالحهم على الجلاء ولهم ما قلت الابل إلا السلاح وعن ابن عباس: على ان يحمل اهل كل بيت على بعير ما شاءوا وقيل لكل ثلاثة نفر بعـير وسقـاء وذلك بعد مرجعه من أحد وأما فتح قريظة فبعد مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان قاله ابن اسحاق وهو في زمان مالك.

مســألـة: ذكرني هذا الموضع قصة جرت لي في زمان الطلب وهي ان الشيخ اسماعيل ذكـر في قناطره مانصه وعن محمد بن كعب القرظي قال سمعت ابن عباس يقول: والله لربما مررت بالآية من كتاب الله عز وجل في جوف الليل فلا اعـرف فيمن انزلت فآخذ ثوبي ثم آتي المسجد وأصحاب رسول الله ﷺ وأوقظ الرجل منهم وأسأله فيمن نزلت آية كذا فان لم أجد عند واحد منهم أتيت آخر كذلك حتى أمُر عليهم جميعا الخ. . . .

وكتب الكاتب القرطي بالطاء والمثناة التحية وحشى عليه بعض وقال: انه منسوب الى قرطبة بضم القاف والطاء بلد بالمغرب وكتبت على هذه الحاشية ما نصه قوله منسوب الى قرطبة الخ. . هو من خرافات جهال العصر وهو باطل بل القرظي نسب الى بطن من بني كلاب وأما الذي هو نسب الى قرطبة فهو القرطبي صاحب مختار الصحاح وغيره وقرطبة بلد بالاندلس تعلم فيها الشيخ يوسف بن ابراهيم والاندلس لم يفتح إلا بعد زمان ابن عباس.

وهذه الحاشية ابطلت بها ادعاء نسبة القرطي بالطاء وبدون الموحدة إلى قرطبة بالطاء والموحدة واوضحت بها ان النسبة الى قرطبة ان يقال القرطبي بالطاء والموحدة هذا مقتضى الحاشية التي اثبت مع ما ذكرت من تأخير فتح الاندلس ولم اتعرض الى صحة نسخة الكاتب ولا لفسادها ولو كانت فاسدة لان الصـواب القرظي بالمشالة فالمثناة التحية نسب الى قريظة بالمشالة وهو محمد بن كعب المذكور في القواعد ثم كتب عليها كاتب ما نصه لعله القرظي بالمشالة ثم اني لما علمت ان المحشي هو العلامة الحاج يوسف بن حمو جررت القلم على قولي هو من خرافات جهال العصر فظن من ظن لقلة الفهم ما ظن ان قولي قوم من كلاب تفسير القرطبي بالمشالة.

﴿لأول الحشـــــر﴾ متعلق باخراج واللام للتوقيت كقولك كتبته لكذا ليلة أي عند أول الحشر وهذا أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من اخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام وأخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل: اخر حشرهم يوم القيامة لان المحشر بالشام.

وعن عكرمة من شك ان الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية وقيل آخره نار تحشرهم من المشرق الى المغرب تبيت حيث باتوا وتقيل حيث قالوا وقيل: معناه اخراجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله على سيدنا محمد.

﴿مـــا ظننـــتم﴾ أيها المؤمنـــون ﴿ان يخـــرجـــوا﴾معزتهم ومنعتهم اذ هم أهـل حصـون وعقـار ونخـل كثـيرة وعدد وعدة ﴿وظنـــوا انهم مانعتهـــم حصـــونهم من الله﴾ أي من بأسـه وقدم الخبر وهو مانعة على المبتدأ وهو حصون دلالة على فرط وثوقهم بحصانتها ومنها اياهم واكد بأن وجعل خبرها جملة اسمية دلالة على اعتقادهم انهم في عزة لا تستطاع وليس ذلك كله في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم ويجوز كون ما نعتهم خبر ان وحصونهم فاعل ما نعتهم وفي الحديث: «لان عشت لاخرجن اليهود إن شاء الله من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها إلا مسلم» فقبض قبل ان يفعل وقد امر باخراجهم الناس.

﴿فآتـــاهم الله﴾ أي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقتل رئيسهم كعب بن الاشرف وذلـك مما اضعفهم وسلبهم الامن، والهمم ان يوافقـوا المؤمنين في تخريب البيوت وثبط المنافقين وقيل: الضمير للمؤمنين أي اتاهم نصر الله وقرىء بالمد أي اتاهم عذابه أو نصره ﴿من حيـــث لـــم يحتســـبوا﴾ لم يخطر ببالهم لقوة وثوقهم.

﴿وقـــذف في قلوبـــهم الرعـــب﴾ ارسخ فيها الخوف الذي يملأ القلب

وقرىء بضم العين قبل وذلك بقتل كعب ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾ لينقلوا ما استحسنوا من خشبها وغيرها وقيل: ينقضون السقف ويثقبون الجدار أو يهدمون ما استطاعوا لئلا يسكنها المؤمنون وقيل: سدوا الازقة بالخشب والحجارة وخربها ايضا بسوء رأي وقرأ ابو عمرو بتشديد الراء للتوكيد والتكبير وعن بعضهم الاخراب لتعطيل أو ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم.

﴿وأيدي المؤمنين﴾ معنى تخريبها بايدي المؤمنين انهم عصوا ونكثوا وكانوا سببا لتخريب المؤمنين إياها فكأنهم مروا المؤمنين بالقريب وكلفوهم إياهم يخربون ظاهرها واليهود باطنها قال ابن عباس: كلما طهر المؤمنون من دار هدموها ليتسع لهم المقاتل ويزول متحصل اليهود و نكاله واليهود يخربون ويضربون بالنفض من دار لدار والمؤمنون في اثرهم وذلك لما اراد الله من استئصالهم من تلك البلاد.

﴿فاعتبروا﴾ اتعظوا بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم من غير قتال ولم ينفعهم ما اعتمدوا عليه من غير الله فلا تعتمدوا على غيره جل وعلا.

﴿يا أولي الأبصار﴾ قال القاضي: واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها لما بينهما من المشاركة المقتضية له وذلك ان الحق اثبات القياس لاهله.

﴿ولولا أن كتب الله﴾ قضى ﴿عليهم الجلاء﴾ الخروج عن أوطانهم ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بالقتل والسبي كما فعل بقريضة والجلاء اشق عليهم من القتل والسبي وطهر الله المؤمنين وبلادهم منهم واراحهم وعن بعضهم: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد المسلمين ان يرثوا ارضهم وماهم بلا قتال فكان كذلك قد قضى الله بجلائهم بلا قتال فليعتبروا اولوا الابصار.

﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ ولو سلموا من عذاب الدنيا بل لم يسلموا منه فان الجلاء عذاب والجملة مستأنفة. ﴿ذلك﴾ الذي لحقهم في الدنيا او عذاب النار أو ذلك كله.

﴿بأنـــهـــم شـــاقوا الله﴾ خالفوه ﴿ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم﴾ موصول وصلته دخلت الفاء في خبره أو نكره موصوفة كذلـك. ﴿مـن لـيـنة﴾ أي نخلة وقيل: ما عدا العجوة من اللون فهي ضروب النخل وياؤها عن واو الاصل لونه قلبت الواو ياء للكسر قبلها وقيل ماخلا العجوة والبرنة وهما اجود النخيل وفي الحديث: «العجوة من الجنة وهي شفاء من السم» ويجمع على الوان ولين بترك التاء فقط وممن قال اللينة النخل ما عدا العجوة ابن عباس وعكرمة وغيرهما.

وذكروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقطع ما عدا العجوة وان اهل المدينة يسمون ماعداها الاوان وقيل اللينة النخلة الكريمة اشتقوها من اللين وجمعها اليان ولين بترك التاء فقط وعن ابن عباس: لون من النخل وقيل: ضرب منه يقال لتمره لون شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وهو من اجود تمرهم ونخله منه كوصيف أو أحب.

﴿أو تركتمـــوها﴾ ضمير النصب لما وأنثه لوقوع ما على المؤنث وهو اللينة كما فسر به أو بعض به. ﴿قائمـــة﴾ وقرىء قوما بضم القاف وتشديد الواو مفتوحة جمع وقرىء قائما لا فرد والتذكير نظرا الى لفظ ما بعد النظر الى معناه. ﴿علـى اصـــولهـا﴾ وقرىء بعدم الواو واكتفاء بالضمة أو لانه جمع كرهن بالاسكان ورهن بالضم ﴿فبإذن الله﴾ أي فقطعها بإذن الله وخيرة من الله لكم.

﴿وليخـــزي الفاســقين﴾ بني النضير أي وأذن لكم في القطع أو الترك ان شئتم ليخزيهم أي يهينهم ويغيظهم بالاذن في القطع روي انه لما حاصرهم امر بقطع نخلهم واحراقها وترك العجوة وشق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين: انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل فإنه لمن غلب، قالوا: يا محمد زعمت انك تريد الصلاح فمن الصلاح عشر الشجر وقطع النخل وهل انزل اليك الفساد روي أنهم قالوا: قطع الشجر المثمر فساد فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فقال بعض: نتركها تنفع وقال بعض: نغيظهم بها فنزلت الآية قال حسان:

وهـان على سراة بني لؤي حريق بالـبـويرة مسـتـطير

والبويرة موضع لبني النضير واللبنة ان كانت من الالوان فخصوا القطع والاحراق بها ليبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كان من كرام النخيل فليكون اشد غيظا على اليهود وروي ان رجلين كان احدهما يقطع العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله ﷺ فقال: الذي يقطع العجوة قطعها غيظا للكفار وقال: الذي يقطع اللون تركت العجوة لرسول الله ﷺ واستدل بعضهم بهذا على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرته صلى الله عليه وسلم واحتج به كل من يقـول كل مجتهـد مصيب والحق جواز الاجتهاد وان للمجتهد يصيب ويخطىء وله الاجر ولا وزر واستدل بعضهم بذلك وبالآية على جواز هدم ديار الكفار وقطع الاشجار واغراقها والرمي بالمناجيق سواء ما أثمر وما لم يثمر قيل يجوز ذلك باتفاق وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال.

﴿ومـا أفـاء﴾ رد ﴿الله علـى رسـوله منـهم﴾ من بني النضير قيل: ومن الكفـرة من فدك ﴿فـما اوجفـتم﴾ اسرعتم ايها المسلمون والجملة جواب أو خبر من قيام الملزوم مقام اللازم والسبب مقام المسبب والاصل فهو لرسول الله ﷺ لانكم لم تجروا.

﴿عليـه﴾ أي على تحصيلـه ﴿مـن﴾ زائدة في الفعـول ﴿خـيل ولا ركـاب﴾ ما يركب من الابـل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه ولا قاتلتم ولا تعبتم ومـا كانت إلا على ميلين من المدينة مشوا اليها بارجلهم وركب رسول الله ﷺ حمارا وحملا.

﴿ولكن الله يسـلط رسـله على من يـشـاء﴾ من اعدائه يقذف الرعب فتلك الاموال لرسوله لعدم القتال ولعدم القتال الكبير يضعها حيث يشاء خلق للعبادة وخلق لتوصل به اليه فهي له ينفقها كيف يشاء كما في الاية الثانية وكان الانصار طلبوا قسمها كسائر الغنائم غنائم القتال من غنيمة خبير وغيرها فنزلت الآية فنسبها لنفسه والقرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل لكل منهم خمس الخمس وله الباقي أعطى منه المهاجرين ولم يعط منه انصارياً إلا

اثنين لشدة فاقتهم ولشكواهم إياها أبا دجانه وسهل بن حيف وقيل: ثلاثة ولم اطلع على اسم الثالث ثم رأيته الحارث بن الصمت وروي انه ما أخذ ﷺ إلا قوت عياله وعن بعضهم نفقة سنة.

وروي انه قيل للانصار: إن شئتم أن اقسم لكم وتقربوا المهاجرين معكم في دياركم أو اقسم لهم النخل والدور والارض وعزلت فقالوا: اقرهم في ديارنا واقم لهم النخل والدور والارض فجعلها لهم جميعا.

﴿**والله علـى كـل شيء قديـر**﴾ يفتح بقتال وغيره وكذا الا شياء بفعلها بواسطة وغيرها. ﴿**مـا افـاء الله على رسـوله من أهـل القـرى**﴾ قريظة والنضير وفدك وخيبر وغيرها كذا قيل هذه الجملة في حكم الاولى ومبسه لها ولذا لم تقترن بعاطف امره ان يضع الفيء حيث يضع خمس الغنيمة قاله عمر بن عبد العزيز.

﴿**فللـــه**﴾ جميعه يأمر فيه بما شاء وذكره لتنظيم وقيل بسدس الفيء وسهم الله يصرف في عمارة الكعبة والمساجد. ﴿**وللرســول**﴾ ويصرف سهمه اليوم للامام وقيل المساكين والثغور ومصالح المؤمنين والقولان عن الإمام الشافعي وبدا بالمقاتلة فالاهم فالاهم وقيل: يخمس خمسه كالغنيمة لانه كان ﷺ يفعل ذلك ويصرف الخمس إلا ربعه كما يشاء والان على الخلاف وقيل ينفق من الفيء لاهله سنة وما بقي للكراع والسلاح.

﴿**ولـــذي القـــربى**﴾ بني هاشم وبني عبـد المطلب كتب نجدة عن عامر إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى فكتب اليه انا كنا نراها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك علينا قومنا وكذا قال ابو بكر وعمر.

﴿**والـيتـــامى**﴾ الاطفـال الـذين هلكـت آبـاؤهـم وهـم فقـراء ﴿**والمســاكين**﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿**وابن السـبيل**﴾ المنقطع في سفره من المسلمين وان كان غنيا في بلده وقيل: المراد الغازي وعليه الحسن وقال الاكثرون: لا يخمس الفيء بل فيه لجميع المسلمين حق قرأ عمر الآية

إلى «والذين جاءوا من بعدهم» الآية ثم قال: هذه استوعبت المؤمنين وما على وجه الارض مسلم إلا له حق في الفيء إلا ما ملكت ايمانكم وقيل المراد بالقرى الصفراء والينبوع ووادي القرى وغيرها مما هناك من قرى العرب المفتوحة بلا قتال وانه اعطى ذلك للمهاجرين ولم يعط الانصار شيئا لهم ولم يحبس لنفسه شيئاً وقيل ان هذه نسخت الاولى جعلت الخمس لمن كان له الفيء فصار ما بقي من الغنيمة لاحل القتال أي لمن خرج وتأهل للقتال.

وعن الحسن : ان الفيء الجزية ولا يجعل الآية منسوخة وعن مالك بن أوس أن عمر دعاه إذ جاء حاجبه برفاء فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال: نعم فادخلهم فلبث ثم جاء برفاء فقال هل لك في العباس وعلي يستأذن قال نعم فاذن لهما فدخلا قال العباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الآخر قال مالك بن أوس: تخيل لي أنهم قدموهم.

كذلك قال عمر : انشدكم بالله الذي بأذنه تقوم السموات والارض هل تعلمون ان رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركناه صدقة يريد نفسه قالوا: نعم ثم اقبل على العباس وعلي ثم قال: انشدكما بالله الذي بأذنه تقوم السموات والارض اتعلمان ان رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة قالا: نعم قال عمر: ان الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها احدا غيره فقال وما افاء الله الخ فقسم بينكم اموال بني النضير فوالله ما استأثرها عليكم وبقي هذا المال وكان يأخذ نفقة سنة والباقي يجعله لله وانشدهم الله وانعموا كما مر.

وانشد علياً والعباس فانعما ومات وعمل ابو بكر فيه مثله وهو نفقته ومات وعملت فيه كعمله ثم جئتما يا عباس وعلي فقلت انه قال: لانورث، ما تركناه صدقة قلتما ادفعه الينا فدفعت على عهد الله لتفعلان فيه كما فعل رسول الله ﷺ افتلتمسان مني قضاء غير ذلك لا والله حتى تقوم الساعة فإن عجزتما فادفعاه لي اكفكما اياه.

﴿كي لا يكون﴾ الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء بلخة يعيشون به وكي جارة تعليله وان المصدرية مقدرة أو ناصبة مصدرية للاستقبال وحرف التعليل لام مقدرة.

﴿دولة﴾ ما يتداوله الاغنياء ﴿بين الاغنياء منكم﴾ يقال دال المال أو الملك لفلان بمعنى دار اليه وصار له جدا ونصيبا أي كي لا يكون متداولا بين الاغنياء يتكاثرون به أو دولة جاهلية كانت رؤساؤهم يستأثرون بالغنيمة لانهم أهل الرئاسة والغلبة ويقولون من عزيز ومنه قول الحسن في الجورة اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقرىء بالفتح للدال والمعنى واحد وقيل المضموم اسم بمعنى الشيء للتداول كالغرفة والاكله بالضم بمعنى ما يغرف وما يؤكل والمفتوح مصدر بمعنى اسم مفعول أي مدولا كمصون ومقول كقولك زيد ممرور عليه لكن هذا بناء على جواز نيابة من اولا يجعل للمصدر نائب أو يفقر مضاف أي ذا تداول أو يكون امساكه أو اخذه متداولا أو بأول اسم الفاعل أي دائلا وقرأ هشام تكون بالتاء الفوقية وروي بالتحتيه وكان يرفع دولة على ان الكون تام.

وروي ان الجاهلية اذا غنم اهلها اخذ رئيسهم الربع ويسمى المرباع ثم يختار ما شاء روي ان قوما من الانصار قالوا ان لنا في هذه القرى المفتحة سهما فنزل ﴿وما آتاكم الرسول﴾ من الفيء وغيره ﴿فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فرضوا بذلك واطرد معنى الامر والنهي في كل ما امر به صلى الله عليه وسلم الناس أو نهى عنه من واجب أو مندوب أو محرم أو مكروه وبهذا المعنى يحصل التعميم في قوله تعالى ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.

وقد استنبط ابن مسعود رضي الله عنه لعن الواشمة وغيرها وقيل: لعن الله الواشمة والمتوشمة والنامصة والمتنمصة والفالجة والمتفلجة والمغيرة خلق الله وبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت ما حدث بانني عنك وذكرت ذلك فقال مالي لا العن من لعن رسول

الله وهو في كتاب الله فقالت: لقد قرأت المصحف فما وجدته فقال: إن قرأته فقد وجدته قال الله سبحانه «وما آتاكم الرسول» الآية.....

والوشم برز العضو تحشيته بالاثمد والمتوشمه التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة التي تنتف الشعر من الوجه من الحاجبين اما من خرج لها في موضع اللحية أو غيره فجائز نتفه بل اجاز بعضهم نتف ما يشوه مطلقا وازالة الشوهة بما كان من قص أو نتف والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك والفالجة التي تفلج بين الاسنان والمتفلجة طالبة ذلك وقيل التي تتفلج في مشيها وقد ذكرت اكثر من ذلك في ترتيب لفظ تمناه موسى.

ولقي ابن مسعود رجلا محرما بثيابه فقال له: انزع عنك هذا فقال: اقرأ علي في هذا آية فقرأت الآية عليه «وما اتاكم» الخ.. قالت عائشة - رضي الله عنها - عنه ﷺ: «من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو ردة»، وروي: «من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد»، وعن ابي رافع: عنه ﷺ «لألقين احدكم متكئا على اريكته أي ما يتكىء عليه من فراش أو سرير أو غيرهما فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه» وقد قال قوم ان الخمر محرمة بهذه الآية.

﴿واتقوا الله﴾ أي في امر الفيء وغيره ﴿إن الله شديد العقاب﴾ لمن خالف ﴿للفقراء﴾ الظاهر انه يدل من الذي قي قوله ولذي القربى وما عطف عليه وان قلنا ان اغنياء ذوي القربى يعطون فهو بدل من قوله اليتامى والمساكين وابن السبيل أو الفيء فيء بني النضير قاله القاضي قلت: لو كان بدلا من اليتامى وما بعده لم نقل باللام اللهم إلا ان لوحظت زيادتها أو روعيت اللام في اليتامى ولا يصح بدلا من الله وما بعده أو من الرسول وما بعده لخروجه عن تعظيم الله ولو قلناالمراد بالله انه لسبيله ولان رسول الله لا يسمى فقيرا وقد أخرجه الله من الفقراء في قوله «وينصرون الله ورسوله» ويجوز تعليقه بمحذوف أي اعجبوا للفقراء.

﴿المهاجرين الذين اخرجوا﴾ اخرجهم اهل مكة واخذوا اموالهم

﴿من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله﴾ أي رزقا ليتمكنوا من الطاعة وقيل ثوابا. **﴿ورضوانا﴾** منه عنهم. **﴿ينصرون الله﴾** دينه **﴿ورسوله﴾** بالمال والنفس ويبتغون حال وذكر اخراجهم وابتغاؤهم مقصدهم ليشقوا عليهم وتفخيما لهم وقال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الدنيا والمال والعشيرة وخرجوا حبا لله واخراج الكفار اياهم لسبقهم عليهم في الدين واصرارهم عليه حتى خرجوا وترى واحدا عصب حجرا على بطنه للجوع وآخر لباسه حصير في الشتاء ما له سواه.

وفي الحديث : «فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفاً» وقال: ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة.

﴿اولئك هم الصادقون﴾ قولا وفعلا واعتقادا روي أن الانصار قالوا: يا رسول الله اقسم بيننا وبين اخواننا المهاجرين الارض نصفين قال: لا ولكنكم تكفلونهم المؤونة وتقاسمونهم التمره والارض ارضكم فقالوا: رضينا بذلك يا رسول الله فنزل **﴿والذين تبوأوا الدار﴾** أي توطنوا الدار أو هيأوها للمهاجرين وهي المدينة والذين مبتدأ خبر يحبون وقيل معطوف على المهاجرين وفيه ان المهاجرين نعت بل العطف على الفقراء مع انه يلزم من العطف الاعطاء للانصار.

﴿والايمان﴾ عطف على الدار لتضمن التبوؤ التمكن واللزوم أي لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وإلا فالايمان لايتوطن ولم يهيأوه وقد يقال عطف على الدار بلا تأويل أي توطنوا الدار والايمان أو هيأوهما وتوطين الايمان مجاز وتوطين النار حقيقة لكن يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز واما التهيؤ فقيل انهم هيأوا الايمان قبل الهجرة لانهم بايعوه قبلها وقيل المراد تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان قال: في الدار للعهد أو عوض عن المضاف اليه وحذف المضاف أو اراد بالايمان بالمدينة تسمية للمحل باسم الحال فانها محل له ولظهوره وقد قيل انهم بنوا المساجد قبل الهجرة بسنتين وقيل الواو واو المعية وقيل الايمان مفعول لمحذوف أي والفوا الايمان أو اخلصوه أو اعتقدوه واعترض ابن هشام كون

الـواو للمعية بعـدم الفـائـدة في تقييد الانصـار المعـطوفين على المهاجرين بمصاحبة الايهان اذ هو امر معلوم.

﴿مـــن قبــلهم﴾ أي من قبل هجرتهم والضمير للمهاجرين وقيل من قبلهم معناه انهم سبقوهم في تبوؤ الدار دار الهجرة. ﴿يحبــون من هاجــر اليهم﴾ حتى انزلوهم في منازلهم وقاسموهم أموالهم ولا يستثقلوهم. ﴿ولا يجـدون في صــدورهم﴾انفســهم ﴿حــاجــة﴾ قال الحسن : حسدا ومنه توجد الحزازة وهي حزازة القلب والغيظ وفسره بعض بالحزازة وتطلق الحاجة على طلب ما يحتاج اليه وعلى ما يحتاج اليه.

﴿ممـــا أوتـــوا﴾ أي مما اعـطيه المـهــاجـرون من الـفيء وغـيره ﴿ويؤثـــرون﴾ يختارون المهاجرين وكونهم اشد منهم أثرا أى شدة أي فقرا ﴿على انفســـهم﴾ بالمال وغيره حتى انه ينزل واحدا عن زوجة من زوجتيه أو ازواجه وتتزوج المهاجر وهذا جائز.

﴿ولـو كـان بهـم خصــاصــة﴾ محتـاج الى ما يؤثـرونهم به واصلهـا خصـاصـة البيت وهي فروجـه والجملة حال وروي انـه أهدى رأس شاة لانصاري فقال: ان اخي فلانا يعني المهاجر وعياله احوج مني فبعث اليه به فبعثها هو لآخر حتى تداولت سبعة بيوت ورجعت إلى الاول فنزلت الآية والايثـار شاهد الحب قال الله : «بعزتي وجلالي ما من عبد آثر هواي أي رضاي أو حبي على هواه إلا قللت همومه وجمعت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلته الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وعزتي وعظمتي ما من عبد اثر هواه على هواي إلا كثرت همومه وفرقت عليه ضيعته ونزعت الغنى من قلبه وجعلت الفقر بين عينيه ثم لا أبالي في أي واد هلك».

وجـاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء فاقبل به الى كل واحدة فقلن كذلك فقال: من يضيفه يرحمه الله فقال ابو طلحة الانصاري: انا يا رسول الله فانطلق به فقال: لامرأته اعندك شيء فقالت: لا إلا قوت صبياني قال

فعليهم بشيء أي إلههم ونوميهم فإذا دخل ضيفنا فتريه إنا نأكل فإذا هوى بيده ليأكل فقومي الى السياج كي تصلحيه فاطفئيه ففعلت وأكل الضيف وباتا جائعين ولما اصبح غدا الى رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله من فعلكما البارحة أي عظمه.

ودعا صلى الله عليه وسلم الانصار ليقسم بينهم البحرين فقالوا: لا إلا ان تقطع لاخواننا المهاجرين مثلها قال: اما لا فاصبروا حتى تأتوني على الحوض وعنه صلى الله عليه وسلم: ان بدلاء مني لن يدخلوا الجنة كثرة صوم ولا صلاة انما دخلوها بسلامة الصدر وسخاوة النفس وحسن الخلق والرحمة لجميع المسلمين والايثار على النفس اكرم خلق قال ابو زيد البسطامي قدم علينا شاب من بلخ فقال لي: ماحد الزهد عندكم فقلت: اذا وجدنا اكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال: هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت: له وما هو عندكم فقال إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا وقال المهاجرون له ﷺ ما رأينا قوما ابذل لكثير ولا احسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين اظهرهم لقد كفونا المؤونة واشركونا في الباقي حتى لقد حفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال صلى الله عليه وسلم: «ما دعوتم الله لهم واثنيتم عليهم.

﴿ومـــن يـــوق شـــح نفســـه﴾ أي يزح عنه الشح ويباعد ويحفظ منه والشح الحرص على المال حتى يمنع حقه ويبغض الانفاق أو لايعطي إلا خوفا قال الشاعر:

يمارس نفســا بين جنبيه كره   اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

اي منقبضة

واضيف للنفس لانها عزيزة فيه والبخل نفس المنع وقد يترادفان وقيل: الشح البخل مع الحرص وعن بعضهم شح النفس كثرة طمعها وضبطها على المال والرغبة فيه وامتداد الامل ويوق مجزوم بحذف الالف على الشرط والنائب مستتر وشح مفعول ثان.

﴿فأولـئـك هم المفلحـــون﴾ الفائزون بعصيان النفس لا غيرهم قال

رجل لابن مسعود: اني اخاف أن أكون قد هلكت قال: وما ذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء قال ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن الشح ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشر البخل.

وعن ابن عمر ليس البخل الحرص الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم من اخذ حرام ومع ما يحرم منعه وهذا الشح وفي الحديث «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم» حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وفي الحديث «شر ما في الرجل شح هالك» أي شديد الجزع وجبن خالع أي يخلع فؤاده لشدة خوفه وفي الحديث: «من أدى الزكاة المفروضة واقرىء الضيف واعطى النائبة فقد بريء من الشح قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئا نهاه الله ولم يمنع شيئا امره باعطائه فقد وقي شح نفسه وقرىء بكسر القاف أي ومن يوقه الله من اوقي وقرىء بفتح الشين.

﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ هم الذين هاجروا بعد قوة الاسلام وقيل: التابعون بإحسان الى يوم القيامة فالآية عمت المؤمنين والهاء للمهاجرين الاولين وهو مذهب الجمهور وقال الفراء: اراد الفرقة الثلاثة وهي من آمن في اخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا﴾ في الدين ﴿الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا﴾ حقدا أو حسدا أو اعتقاداً رديئاً وبغضاً.

﴿للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم﴾ فحقيق ان تجيب دعاءنا والذين معطوف على ما مر ويقولون حال أو مبتدأ وخبر والمشهور الاول وعن ابي الدرداء وام الدرداء عن النبي ﷺ «دعوة المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك كلما دعا قال آمين» ولك مثله قال مالك من كان له في احد من الصحابة رأي سوء أو بغض فلا حظ له في فيء المسلمين وتلا ما أفاء الله إلى رؤوف رحيم.

قال الحسن : ادركت ثلاثمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سبعون بدرياً كلهم يحدث عنه ﷺ من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ولا تسبوا الصحابة ولا تماروا في دين الله ولا تكفروا احدا من أهل التوحيد بذنب أي لا تشركوه وكذا قال ابو امامة وابو الدرداء وواثلة وانس كل يحدث ذلك عنه ﷺ وعنه «ادعوا الى اصحابي لا تسبوهم فإن احدكم لو انفق كل يوم مثل جبل احد لم يبلغ مد احدهم» وعنه ﷺ «الله الله في اصحابي لاتتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله أي عصاه ومن اذاه يوشك ان يأخذه».

وقال ﷺ : «إذا ذكر القدر فامسكوا أي عن الخوض فيه بما لا يليق وامنوا به واثبتوه لله واذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا» قالت عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير: «يا ابن اختي امروا ان يستغفروا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم» قال ابو قلابة لايوب: يا ايوب احفظ عني ثلاثا لا تجالس اهل البدع ولا تسمع منهم ولا تفسر القرآن برأيك فإنك لست من ذلك في شيء وانظر الى هؤلاء الرهط من اصحاب النبي ﷺ ولا تذكرنهم إلا بخير وقد رتب الله المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ومن لم يكن واحدا منهم لاحظ له في الاسلام.

وقال الشعبي : يا مالك تفاضلت اليهود والنصاري على الرافضة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لاتقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقيل لعائشة رضي الله عنها: ان ناساً يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابا بكر وعمر فقالت: ما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل واحب الله ان لا ينقطع عنهم الاجر.

وسمع ابن عباس رجلا بنى لهم فقال أمن المهاجرين انت؟ قال لا قال: فمن الانصار؟ قال لا قال: فإنا اشهد انك لست من التابعين لهم باحسان وقالت اصحابنا بكل ذلك إلا من احدث ولم يتب فإنه لا يترحم له عندهم ويتبرأ منه كما تبرأت عائشة وغيرها.

فمن احدث وكيف لا توالي من لم يحدث وقد بذلوا جهدهم في الطاعة روي ان رجلا من المهاجرين قام ثلاثة ايام صائما لا يجد مايفطر عليه وفطن به مسلم اسمه ثابت بن قيس فقال لاهله ان أخا لي لضيف لي فإذا وضعتم طعامكم فليقم احدكم الى السراج كانه يصلحة فليطفه ثم اضربوا بايديكم كأنكم تأكلون ولا تأكلوا حتى يشبع ففعلوا وانما كان طعامهم خبزة ولما اصبح غدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ثابت لقد رضي الله فعلكما البارحة بضيفكم ونزل ويؤثرون على انفسهم الخ....

وقدم عبد الرحمن بن عوف عليه ﷺ ووجد معه سعيد بن ربيع الانصاري فقال له سعيد اقاسمك مالي نصفين وكان ذا غنى ولي امرأتان ايهما اعجبتك طلقتها فتزوجها فقال له: بارك الله لك في مالك واهلك دلوني على السوق فما رجع حتى قضى اقطا كثيراً وسمنا وتمرا فجاء بذلك الى منزلة فمكثا ما شاء الله فرأى صلى الله عليه وسلم اثر صفرة في صدره فقال: ما هذا قال: تزوجت امرأة من الانصار قال: ما سقت اليها قال: نواة من ذهب أو ورق فقال: أولم ولو بشاة.

وروي انه اعطى ﷺ من غنائم خيبر الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة مائة فقال اناس من الانصار: يعطي النبي ﷺ غنائما رجلا سيوفنا تقطر من دمائهم وسيوفهم تقطر من دمائنا واجتمعت فقال: هل فيكم غيركم فقالوا: لا يا رسول الله إلا ابن اخت لنا فقال: اين اخت القوم منهم فقال: يا معشر الانصار الا ترضون ان يذهب الناس بالدنيا وبالشاة والابل وتذهبون انتم بمحمد الى دياركم قالوا: بلى قال: لو أخذ الناس واديا وأخذ الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، الانصار كرشي وعيبتي ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار.

﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿إلى الذين نافقوا﴾ اظهروا خلاف ما ابطنوا وهم عبد الله بن أبي بن سلول وغيره من اصحابه وقوم من منافقي الانصار. ﴿يقولون لاخوانهم﴾ في الكفر والموالاة ﴿الذين﴾ نعت اخوان ﴿كفروا من اهل الكتاب﴾ هم قريظة والنضير ﴿لئن﴾ اللام موطئة في الاربعة.

﴿اخرجتم﴾ من المدينة ﴿لنخرجن معكم﴾ منها ﴿ولا نطيع فيكم﴾ في قتالكم وخذلانكم ﴿احدا﴾ من رسول الله والمؤمنين ﴿ابدا وان قوتلتم﴾ أي ولئن قوتلتم فحذف اللام بدليل ﴿لننصرنكم﴾لنعيننكم واغتروا بها هو كذب كما قال عز وجل ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك ولو قالوه كما قال ﴿لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وكان الامر كذلك فإن المنافقين ارسلوا اهل الكتاب المذكورين بذلك واحلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن لأنه اخبار بالغيب.

﴿ولئن نصروهم﴾ اعانوهم أو جاءوا لنصرهم على الفرض والتقدير كقوله سبحانه لئن اشركت ليحبطن عملك فلا ينافي قوله لا ينصرونهم قال الزمخشري: وغير واحد من الاصحاب كما يعلم ما يكون يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون. ﴿ليولن الأدبار﴾ انهزاما مفعول به مطلق ﴿ثم لا ينصرون﴾ بل يخذلهم الله والواو المحذوفة في يولن والواو في لاينصرون لليهود أو للمنافقين والظاهر ان الأولى للمنافقين والثانية لليهود والجواب للقسم في كل ذلك كله وجواب ان محذوف كما بسطته في النحو.

﴿لأنتم﴾ اللام للابتداء ﴿أشد رهبة﴾ أي مرهوبية مصدر من المبني للمفعول والرهبة الخوف الشديد مع حزن واضطراب ﴿في صدورهم﴾ أي صدور المنافقين وقيل المنافقين واليهود وقيل اليهود.

﴿من الله﴾ وذلك دليل النفاق أي يظهرون لكم في العلاقة خوف الله وانتم اشد في صدورهم منه ولولا رهبتهم منكم لم يظهر وللرهبة من الله اكاذبة

والآية نص في ثبوت رهبة شديدة لهم من الله وفي ان رهبتهم من المؤمنين اشد والمراد ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله أو ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوماً أولي بأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم من اضمار الخوف والكفار ابدا في خوف من المسلمين ما لم يعملوا اعمال الكفار اجلي ﷺ النضير الى الشام فلم يخرجوا معهم وقاتل قريظة بحكم سعد بن معاذ فلم يقاتلوا معهم وتقدم ان بين جلاء النضير وقتال قريظة سنتين اقاموا بالمدينة بعد اجلاء النضير فلما سار ابو سفيان بالاحزاب الى رسول الله ﷺ غدروا فلما هزم الله الاحزاب امره ان يقاتل قريظة فارسل اليهم المنافقون ان اراد اخراجكم من المدينة فلا تخرجوا لئن اخرجتم لنخرجن معكم وإن قوتلتم لننصرنكم فاغتروا فقاتلوا قدر شهرا واقل ولم ينصروهم فنزلوا على سعد فحكم أن يقتل مقاتلهم وتسبى ذريتهم ويقسم مالهم بين المهاجرين والانصار.

وقال عبد الله بن عمر عن سعد بن معاذ: انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى سعد فجاء على حمار فقال: اشرع لي فيهم فقال عسى ان الله امرك فيهم بأمر انت فاعله قال: اشرع لي فيهم قال لو وليت امرهم لقتلت مقاتلهم وسبيت ذراريهم ونساءهم ولقسمت اموالهم فقال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لقد اشرت علي فيهم بالذي امرني الله فيهم وكان محمد بن كعب القرظي ممن لم ينبت شعر عانته فترك.

﴿من الله ذلك﴾ الخوف ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ لايعلمون عظمة الله سبحانه حتى يخشوه حق الخشية نفى عنهم فقه الدين وهو اشد ما ينفى فانه لا شيء يعادل العلم وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم قال زياده بن لبيد: يرفع العلم يارسول الله ونحن نقرأ القرآن إيمانا ولسانا فقال ثكلتك امك يا زياد قد كنت اعدك من فقهاء المدينة أوليس كتاب الله عند اليهود والنصارى فما اغنى عنهم ان ذهاب العلم ذهاب العلماء وقال: ان الله لا ينزع العلم منكم بعد ان اعطاكموه انتزاعاً ولكن ينزعه

بقبض العلماء.

وعن عمر رضي الله عنه (اصحاب الرأي اعداء السنن اعيتهم الاحاديث ان يحفظوها وتفلتت منهم ان يعوها وسئلوا فقالوا برأيهم فضلوا وأضلوا) وعن بعض: ما حدثك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم به فحدث وما حدثك اصحاب الرأي فارم به في البحر وعن بعضهم: مثل العلماء في الارض كمثل النجوم يهتدي بها الناس ما بدت فإذا خفيت تجبروا. وعن الحسن: ركوب النهي اشد من ترك الامر يعين من ترك ما امر به مما ليس واجبا.

﴿لايقاتلونكم﴾ أي اليهود والمنافقون وقيل اليهود ﴿جميعا﴾ مجتمعين أي ومع اجتماعهم لا يقاتلونكم ﴿إلا في قرى﴾جمع قرية ﴿محصنة﴾ بالدروب والخنادق ﴿أو من وراء جُدر﴾رعبا منكم لا يظهرون وقرأ ابن كثير وأبو عمر واو من وراء جدار بكسر الجيم وبألف بعد اسكان الدال واما ابو عمر فتح الدال وقرىء جدر بضم الجيم واسكان الدال وقرىء جدر بفتح الجيم واسكان الدال والمراد الحائط الساتر والمضمومان جمعان.

﴿بأسهم﴾ ضرهم او حربهم ﴿بينهم﴾ شديد واما معكم فلا يبقى لهم بأس لان الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله وقيل بأسهم شديد بينهم من وراء الحيطان وإذا برزوا اليكم فهم اجبن خلق الله.

﴿تحسبهم جميعا﴾ مجتمعين ذوي الفة ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة جمع شتيت كقتيل وقتلى الفة للتأنيث يعني ان بينهم حذا وعداوات لا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة ولا شيء اخزى للقوم من اختلاف قلوبهم فهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم وذلك لاختلاف مقاصدهم وعقائدهم قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهوائهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين وآرائهم تخالف دين اليهود وارائهم.

﴿ذلك بانهم قوم لا يعقلون﴾ ما فيه صلاحهم ولايعلمون ان تشتيت القلوب يوهن قواهم. ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ أي هم

كالذين من قبلهم وهم مشركوا مكة ﴿قريبـــا﴾ ظرف زمان متعلق بها تعلق به الجار وقيل متعلق بمثل اذا التقدير كوجود مثل وذلك ان المشركين اخزاهم الله في بدر قيل غزوة النضير بقليل وقال ابن عباس: الذين من قبلهم هم بنوا قنيقاع اجلاهم عن المدينة قبل النضير ويجوز ان يراد الامم السالفة.

﴿ذاقــوا وبــال أمــرهــم﴾ سوء عاقبة كفرهم بالعذاب في الدنيا والقتل يقـال كلأ وبيل أي وخيم سيء العاقبة ﴿ولهــم عـــذاب أليـــم﴾ في الآخـرة ﴿كمثـــل الشيطـــان﴾ أي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال والوعد بالنصر ثم خذلوهم كمثل الشيطان ابليس.

﴿إذ قال للانســان﴾ ابي جهل ﴿اكفـــر﴾ قال له يوم بدر لا غالب لكم اليوم من النـاس واني جار لكم. ﴿فلمـا كفـر قال إنـي بريء منـك انــي﴾ وسكن الكوفيون وابن عامر الياء ﴿اخـاف الله رب الـعـالمــين﴾ تبرأ منه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كذلك لما قاتلوا لم ينصرهم المنـافقـون وقيل: الانسـان الجنس والشيطان ايضـا يحتمل الجنسية وقيل: الشيطان الابيض من ولـد ابليس اشـد مكر من اولاده والانسان برصيصا الراهب ذكره الشيخ هود رحمه الله والسمرقندي وغيرهما كالقاضي روي عن ابن عباس ان برصيصا تعبد في صومعه سبعين سنة لم يعص طرفة عين.

وأعيا ابليس واعوانه وجمع ابليس مردته ايكم يكفيه قال الابيض انا وهو الـذي تصـدى للنبي ﷺ وجاءه في صورة جبريل ليوسوسه فلحقه جبريل فدفعه الى اقصى الهند حلق وسد رأسه كالرهبان وتزيى بزيهم ونادى برصيصا فلم يجبه لانه كان لا ينتقل عن الصلاة إلا بعد عشرة ايام مرة فتعبد الابيض تحت الصومعة ولما تمت العشرة اطلع منها فرآه متعبدا بزي الراهب فندم على عدم اجابته وقال كنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال ان اكون معك فاتأدب بأدبك واتعلم منك وتدعو لي وادعو لك فقال اني في شغل وان كنت مؤمنا جعل الله لك نصيبا في دعائي ان استجاب لي ثم اقبل على العبادة وتركه.

ولما تمت اربعون يوما اطلع عليه فرآه يصلي فقال ما حاجتك قال ان تأذن

لي فارتفع معك فأذن فعبد معه وجعل لا يفطر ولا يخرج من صلاته إلا بعد اربعين يوما مرة وربما بلغ الثمانين فتقاصرت نفس برصيصا لما رأى اجتهاده ولما حال الحول قال الابيض: اني منطلق ان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رأيت وبلغنا عنك غير الذي رأيت فاشتد ذلك على برصيصا وكره مفارقته لاجتهاده ولما ودعه الابيض قال: عندي دعوة أعلمكها يشف الله بها السقيم المجنون قال برصيصا: كرهت هذه المنزلة ان علم الناس شغلوني عن العبادة قال له انها خير مما انت فيه فما زال حتى علمه وقال لأبليس قد اهلكته فخنق رجلا ثم ظهر وقال: ان بصاحبكم جنونا افأعالجه قالوا نعم فعالجه فاظهر انه لم يقدر ولكن انطلقوا الى برصيصا فإن عنده الاسم الاعظم فانطلقوا فدعا له فذهب الشيطان وكان الابيض يفعل ذلك ويرشد الى برصيصا.

ثم حنث وعذب بنت ملك في بني اسرائيل مات واستخلف عليها اخاه ولها ثلاثة اخوة وظهر وقال اعالجها فقالوا نعم فاظهر انه لم يطق فارشدهم الى برصيصا فقالوا: لا يجيبنا الى ذلك فقال: ابنوا صومعة لجنبه وضعوها فيها وقولوا هذه أمانتنا فاحتسبها، فسألوه فقال لا فبنوا لها وقالوا ذلك فما انتقل عن صلاته حتى عاينها ودخله امر عظيم فجاء الشيطان فخنقها فدعا برصيصا لها فذهب الشيطان واقبل على صلاته فجاءه الشيطان وقال له واقعها فإنك لا تجد مثلها وستتوب وكانت تنكشف له ففعل فحملت فقال له الشيطان قد افتضحت هل لك ان تقتلها فإن سألوك فقل ذهب بها شيطانها فقتلها برصيصا ودفنها تحت الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فجبد طرف ازارها خارجا.

واقبل على صلاته في صومعته فجاء اخوتها يتعاهدونها ويوصونه بها كالعادة قبل ذلك فقالوا ما فعلت اختنا فقال جاء شيطانها وذهب بها فلم اطقه فصدقوه وانصرفوا مكروبين فجاء الشيطان في المنام الى اكبرهم فاخبره بالقصة من الزنا والقتل والحبل والدفن بموضع كذا فكذب الرؤيا وعاوده مرتين وهو يكذبه وفعل ذلك بالاوسط كذلك ولم يخبرا احدا وفعل ذلك بالاصغر وفي

الثالثة قال ذلك لاخوية فقال ارينا كما رأيت فجاءوا برصيصا فقالوا: ما فعلت اختنا فقال اليس قد اعلمتكم وقد اتهمتوني فقالوا لا وانصرفوا خجلين فقال لهم الشيطان انها في الموضع وازارها خارج من التراب فجاوا الموضع فوجدوها كما رأوا في المنام فمشوا هم ومواليهم بالفؤوس والمساحي فهدموا صومعته وكتفوه الى الملك وهو عمها فأقر لان الشيطان قال له اعترف لئلا يجتمع عليك قتل ومكابرة وصلبه على خشبة فقال له الابيض: اتعرفني قال لا قال انا الذي علمتك الدعوات اما اتقيت الله في امانتك وانك تزعم انك اعبد بني اسرائيل ولم يزل يعيره ويعنفه حتى قال الم يكفك ما صنعت حتى اقررت وفضحت نفسك واشباهكم وان مت على هذا فلن تفلح انت ولا اشباهك بعدك قال كيف افعل فقال اسجد لي اخلصك من اعينهم فسجد له فقال له هذا ما اريد منك صارت عاقبتك الكفر.

﴿**فكـــان عاقبتهمـــا**﴾ خبر لكان والضمير للانسان والشيطان ﴿**أنهمـــا في النـــار**﴾ اسم كان في التأويل ﴿**خـــالديـن**﴾ حال من ضمير الاستقرار ﴿**فيـــها**﴾ وقرىء انا برىء منك وقرىء برفع العاقبة على انه اسم كان وانهما في النار خبر في التأويل وقرأ ابن مسعود خالدان بالرفع على انه خبر ثان لان أو خبر لها وفي النار متعلق به وفيها توكيد لقوله في النار ولو جعل اسم كان ضمير شأن وعاقبة مبتدأ لصح.

وروى ان ابا تلك المرأة حي حينئذ وانه جاء هو واخوتها وتقدمهم الشيطان وقال ان القوم علموا مافعلت بالمرأة فإن سجدت لي رددتهم فسجد له وانه دفنها في اصل حائط وبعض يقول اسمه برصيص بدون ألف قال السهيلي وقد ذكر هذه القصة هكذا روى القاضي اسماعيل وغيره من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر بن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عيه وسلم وقول الشيطان اني اخاف الله ليس عقيدته.

﴿**وذلـــك جـــزاء الظالمـــين**﴾ خزي في الدنيا والآخرة وكانت الرهبان بعد ذلك تمشي بالتقية في بني اسرائيل ورماهم الاشرار بالبهتان حتى جاء جريج واتخذ صومعة يترهب فجاءته أمه فنادته فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على

الصلاة فقالت: اللهم لاتمته حتى ينظر في وجه المومسات أي الزانيات فتذكر بنو اسرائيل عبادته فقالت امرأة بغي أي زانية ان شئتم افتنه لكم فتعرضت له فلم يلتفت اليها فامكنت نفسها من راع يأوي الى صومعته فوقع عليها فحملت وولـدت وقالت من جريج وكان ملك المدينة يبغض الزنا فهدموا صومعته وضربوه وجاءوا به وقال ما شأنكم قالوا زنيت قال اين الصبي فجاءوا به فقال دعوني اصلي فصلى فطن في بطن الصبي وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي فاقبلوا يقبلون جريجا ويتمسحون به فقالوا نبني صومعتك من ذهب فقال بل من طين كما كانت.

وروي انهم شهدوا عليه زورا انه ولده فانطق الله الصبي كما ذكر وقيل ذهبوا الى شجرة واقعها الراعي تحتها فنطقت كل ورقة انه زنى بها الراعي وعنه صلى الله عليه وسلم: لو كان جريج فقيها لاجاب امه وذلك الصبي من صبيان نطقوا قبل ميقات النطق منهم مبارك اليمامة وشاهد يوسف وعيسى وموسى وسيدنا محمد ﷺ وصبي كان يرضع ومر به راكب جميل فقالت امه رب اجعل ابني مثله فترك الثدي فاقبل عليه وقال اللهم لا تجعلني مثله ورجع للثـدي حكـاه ابو هريرة قائلا كأني انظر الى اسبابه صلى الله عليه وسلم يمصها يحكي ارتضاعه وصبي كان يرضع وكانوا يضربون جارية يقولون زنيت وسرقت وتقول حسبي الله وقالت امه: اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع وقال: اللهم اجعلني مثلها وذلك انها لم تزن ولم تسرق.

﴿**يا أيهـا الذيـن آمنـوا اتقـوا الله**﴾ أي اتركوا المعاصي ﴿**ولتنظـر نفـس ما قـدمت لغـد**﴾ نكر النفس استقلالا للانفس النواظر فيما قدمنا للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك والغد يوم القيامة ونكره تعظيما ويحتمل ان ينكر النفس للتعظيم أيضا كأنه قال النفس المعتبرة هي تتمكن من النظر فيما قدمت وسمي يوم القيامة غدا تقريبا له.

قال الحسن : لم يزل يقربه حتى جعله كالغد وقيل عبر عنه بالغد لأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد قال مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما علمنا وربحنا ما قدمنا وخسرنا ما خلفنا وروي ان من حق العقل

ان تنظر لنفسك في عاقبة امرك وان ابن آدم إذا مات قالت بنو آدم ما ترك وقالت الملائكة ما قدم.

﴿واتقـــوا الله﴾ في اداء الواجبات وانما قلنا التقوى الاولى في ترك المعاصي وهذه في اداء الواجبات لان الاولى مقرونة بالعمل والثانية مقترنة بالعمل بقوله ﴿إن الله خبـير بما تعمــلون﴾ الجاري مجرى الوعيد والمراد واحد والجملة الثانية تكرار والأولى تأكيد.

﴿ولا تكــونـوا كالذيــن نســوا الله﴾ أي نسوا حقه وتركوه ﴿فانســاهم انفســهم﴾ جعلهم ناسين لها بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفع وأراهم يوم القيامة من الهول ما ينسيهم انفسهم والمشهور الاول وهو جزاء على الذنب بالذنب قال سيفان: المعنى حظ انفسهم ويعطي لفظ الآية ان من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه تعالى كما قال علي: اعرف نفسك تعرف ربك وقال من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه ويجوز ان يراد نسوا الله عند الذنوب فانساهم الاعتذار وطلب التوبة إذا ما من عبد أذنب ذنبا ولم يتب منه إلا جره ذلك الذنب إلى ذنب آخر وانساه الذنب الاول وما من عبد عمل حسنة إلا جرته تلك الحسنـة الى حسنـة أخرى وبصره عقله تقصيره في الاولى ليتوب من تقصيره في حسناته الماضية.

﴿أولئــك هم الفــاســقون﴾ نفاقا وشركا وال للكمال في الفسق حتى انه لا فاسق إلا بتلك الصفة ﴿لا يســتوي اصحــاب النــار واصحــاب الجنــة﴾ لما ارشد المؤمنين بالنظر فيما يقدمون وهدد الكفار بالنسيان والانسـاء بين الفرق بين الفريقين أي لا يستوي من شمر وطهر فاستحق الجنة ومن ترك فاستحق النار ولا يستوي العذاب الدائم والنعيم المقيم وفي الآية اشعار بانهم لشدة غفلتهم عن الاجلة وحرصهم في العاجلة كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون عظيم بين اصحابها وان الفوز مع اهل الجنة وزاد ايضاحا بقوله ﴿اصحــاب الجنــة هم الفائــزون﴾ كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه على حق الابوة بذلك الذي يقتضي البر والتعطف.

وفي الآية ايضا اشعار بان المسلم لا يقتل بالمشرك والحقوا الموحد فاعل الكبيرة بالمسلم وجاء ذلك نصاً في احاديث واستدل بها الشافعية على ان الكفار لا يملكون أموال الموحدين بالقهر وهذا عندنا غير ثابت بأن يملكونها ويعاملون فيها لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم.

﴿**لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعاً من خشية الله**﴾ توبيخ للانسان على عدم تخشعه بالقرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والجبل الذي هو عظيم من حجر صم يخشع ويتصدع أي يتفرق منه لو انزل عليه وذلك حقيقة أو على طريقة العرب في التخييل والتمثيل وعلى انه حقيقة يخلق له عقل قبل وبدل على انه على طريق التخييل قوله ﴿**وتلك الامثال**﴾ هذا المثل وغيره ﴿**نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾ فيعلمون انهم احق بالخشية من الجبل لانه لاعقاب عليه وقرىء مصدعاً بتشديد الصاد ايضا ادغاما للتاء فيه قلبها صاداً.

﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب**﴾ ما غاب عن الحس ﴿**والشهادة**﴾ ما حضر وقدم الغيب لاختصاص الله به ولتقدمه في الوجود وقيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود وقيل الغيب ما اسر العباد والشهادة ما اعلنوا وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا.

﴿**هو الرحمن الرحيم**﴾ أي كثير الأنعام وعظيمه وقيل الرحمن ابلغ وسبق الكلام على ذلك ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك**﴾ لكل شيء المتصرف فيه ﴿**القدوس**﴾ البليغ في النزاهة عما لا يليق وقيل كثيره البركة وعظيمها ومن تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح وهو صفة تفيد المبالغة وقرىء بفتح القاف وهو لغة.

﴿**السلام**﴾ ذوالسلامة من النقائص وهو مصدر وصف به مبالغة أو على تقدير مضاف أي ذو السالم أو لتأويله بالسلام أو اراد بهذه السلامة اعطائها سلمت الخليقة من ظلمه وان فسرت بالسلامة من النقائص وفسرت بالقدوسية بالنزاهة البليغة فالفرق ان السلام بمعنى انه لا يلحقه نقص والقدوس معناه أنه بريء منه.

﴿**المــؤمــن**﴾ بنفســه كقوله شهد الله الاية وقيل المصدق رسله بالمعجزات وقيل الموفي بالوعد والوعيد وقيل من آمن بمعنى امن بالتشديد أي أمن الناس من ظلمه وأمن من أمن به من عذابه فهو واهب الامن وقرىء بفتح الميم الثانية أي المؤمن به فحذف وأوصل.

﴿**المهــيمــن**﴾ أي الامـين الرقيب الحفيظ فهو شاهد للاعمال قاله ابن عباس وهو مفيعل من الامن إلا انه قلبت الهمزة هاء وقيل القائم بالرزق وقيل المصدق وقيل القاضي وقيل العليم.

﴿**العــزيــز**﴾ القوي الغالب القاهر وقيل الذي لا نظير له ﴿**الجبـــار**﴾ الذي جبر خلقه على ما اراد أي اجبره وقهره قال الازهري: وجبر هي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولون بغير همزة وعليه الشافعي والفراء وقيل: من جبر حالهم بمعنى اصلحه شفي واغنى وقيل: الذي لا يداني ولا تلحقه رتبة وقال ابن عباس: العظيم وهو في صفته مدح وفي الخلق ذم وكذا المتكبر لانه في الخلق الظالم والمتكبر المدعي ما ليس له من العظمة فهو كذب.

﴿**المتكـــبر**﴾ تكبر وامتنع عن كل ما يوجب حاجة أو نقصا وقيل البليغ الكـبرياء والعـظمة وقيل المتكبر عن ظلم خلقه. ﴿**سبحـــان الله عمـا يشـــركون**﴾ من الاصنام وغيرها أو عن الشركة في العز والجبروت والكبرياء فمن فعل ذلك فقد نازع الله في صفاته لكن بحكم ليس المشركين.

﴿**هــو الله الخــالق**﴾ المقدر للاشياء على مقتضى الحكمة وقيل المقلب للشيء من حال لحال. ﴿**البـــارىء**﴾ المنشىء من العدم وقيل المميز بعضا من بعض بالاشكال المختلفة وقيل الخالق والبارىء بمعنى ﴿**المصـــور**﴾ الذي يوجد الصور وقرأ حاطب بن بلتعة بالنصب وفتح الواو أي الموجد ما صوره من الخليقة أو المميز ما صور بتفاوت الهيئات رتب الصفات الاولى وعبر عنهـا بالخلق والثانية الايجاد وهو فرد القدرة والثالثة التصوير والصورة صفة تتأخر عن وجود الذات.

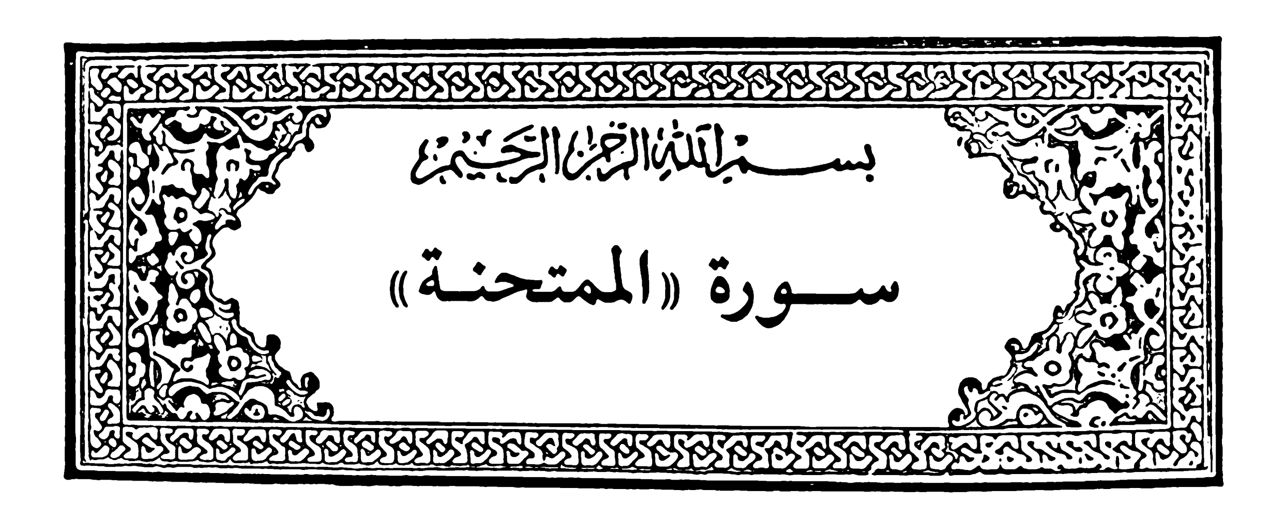
﴿**لــه الاسمــاء الحســنى**﴾ تأنيـث الاحســن والحسن دلالتهـا على

معان شريفة عظيمة وهي تسع وتسعون من احصاهن دخل الجنة أي حق الاحصاء وهو العمل بمقتضاها أو قد تكون سبب لدخول الجنة مع وجود التقوى فافهم.

﴿يسبح له ما في السموات والارض﴾ لتنزهه عن النقائص كلها وقرأ ابن مسعود وما في الارض ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجامع للكمالات.

عن ابي هريرة : سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته واعدت عليه فاعاد علي واعدت عليه فاعاد علي وفي الحديث «من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله له سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة».

اللهم ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسمائك الحسنى يا الله يا الله يا الله وبركة السورة اخز النصارى واكسر شوكتهم واهنهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الممتحنة»

قال ابن حجر المشهور في هذه التسمية انها بفتح الحاء صفة للمرأة التي نزلت السورة بسببها قلت أو مصدر ميمي ويؤيده ما في جمال القراء من انها تسمى سورة الامتحان. قال ابن حجر وقد تكسر الحاء هي صفة السورة كما قيل لبراءة الفاضحة قالت فلا تضاف السورة اليه بل يقال الممتحنة اللهم إلا اضافة موصوف لصفته أو عام لخاص وتسمى سورة المؤلفين وهي مدنية باجتماع وايها ثلاث عشرة وكلمها ثلاثمائة وثمان واربعون وحروفها ألف وخمسمائة وعشرة وفي الحديث «من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة» وقالوا: من شرب ماءها ثلاثة ايام متوالية ازالت عنه مرض الطحال.

بسـم الله الرحمـن والرحيـم

﴿يا أيـها الذيـن آمنـوا لا تتخـذوا عـدوي﴾ بوزن صبور لكنه فيه ادغام ﴿وعـدوكـم﴾ كفـار قريش ﴿اوليـاء﴾ مفعول ثان وغير كفار قريش داخل بلفظ الاية في النهي ولو كانت الآية في خصوص قريش بل نقول لفظها ومعناها في كل كافر ومن نزلت فيه من الكفار بعض منهم.

﴿تلقـون﴾ حال من واو تتخذوا أو نعت لاولياء مربوط بالهاء في قوله ﴿اليهـم﴾ جـار على غير ما هو له ولم يبرز الضمير بان يقال تلقون انتم لان ابرازه شروط في الاسم دون الفعل كذا قيل قلت بل ابرازه شرط في الاسم والفعل نحو زيد عمر وضربه هو إذا كان الضارب زيدا بل ظهور الواو في الآية كاف مع بداية الفعل بالتاء الخاطبية على انه لو قيل انتم كان توكيدا للواو لا فاعل اللهم إلا ان يجهل الواو علامة ولا شك انه لا ضمير مستتر في الفعل ولم يشترط كثيرا الابراز إذا امن اللبس أو الجملة مستأنفة.

﴿بالمـــــودة﴾ المحبة والنصيحة مصدر ميمي والباء وحذفت الباء زائدة للتوكيد أو سببية والمفعول محذوف أي تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة واخبار المسلمين ملحقة باخباره الى الآن والفعل مبني للفاعل اصله تلقيون بكسر القاف نقلت اليها ضمة الياء وحذفت الياء للساكن.

﴿وقــد كفــروا بما جــاءكم من الحــق﴾ الـوحي وقـرأ الجحدري لما جاءكم بلام مكسورة أي كان ما يجب ان يكون سببا لايمانهم سبباً لكفرهم والجملة حال مترادفة من واو تتخذوا أو متداخلة من واو تلقون وان لم تجعل تلقون حالا فلا ترادف ولا تداخل.

﴿يخـرجـون الـرسـول وإيــاكم﴾ من مكـة حال من واو كفـروا أو استئناف كالبيان للكفر وإيا مفعول لمحذوف الاصل ويخرجونكم ولما حذف العـامل انفصل الضمير وفائدة إعادة العامل تقوية التنبيه والانفصال دليل عليها وليس إيا معـطوفـا على الرسول ولو كان ذلك المعنى مرادا لقال يخرحونكم والرسول لامكان الاتصال وقد يقال اياكم تحذير أي ويقولون اياكم ان تؤمنوا بالله ربكم أو ضمن يخرجون معنى يقولون وعلى التحذير فاصل العبادة اياكم ان تؤمنوا بالذي تقولون انه إلهاكم وربكم وهذا ممكن ممن يقول بوجود الله على معنى لا توحده بل اشركوا به وما ظهر لي إلا الوجهان وحفظت عن المرادي وتباعه ان مسوغ الانفصال كون الضمير مفصولا من عالمه بمتبوع.

﴿أن تؤمنـــــوا﴾ مفعول لاجلــه على حذف مضاف أي كراهة ان تؤمنوا ويقدر حرف التعليل أي لان تؤمنوا أو بان تؤمنوا ﴿بالله ربــكم﴾ واخراجهم هو تضييقهم عليهم حتى خرجوا والخطاب في تؤمنوا وربكم وغيرهما تغليب للخطاب في قوله أياكم على الغيبة قي قوله الرسول ورب بدل أو بيان أو نعت فافهم ومقتضى قوله عدوي ان يقول ان تؤمنوا بي وجاء بطريق الالتفات من التكلم للغيبة.

﴿إن كنــتم خرجــتم﴾ جواب ان محذوف دال عليه لا تتخذوا أي ان

كنتم خرجتم عن اوطانكم. ﴿جهادا﴾ مفعول لاجله ﴿في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقيل لاجواب لاداة الشرط في مثل ذلك للاستغناء بما قبلها عنه ولو ذكر كان تركزا دون فائدة.

﴿تسرون اليهم بالمودة﴾ بدل من تلقون أو استئناف أي لا طائل لكم في الاسرار وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان عندي وانا مطلع رسولي على ما تسرون.

﴿وأنا أعلم بما اخفيتم وما أعلنتم﴾ أي اظهرتم واعلم اسم تفصيل أي اعلم منكم أو فقل مضارع والباء زائدة في معولة والاول اولى وما موصول اسمي أي بما اخفيتموه وما اعلنتموه أو حرفي أي باخفائكم واعلانكم والمراد ما اسروا وما اظهروا من المودة وغيرها والمراضاة مصدر ميمي كالمودة قرنا بالتاء شذوذاً واجاز بعض كون تسرون حالا من واو تلقون وكونه خبراً لمحذوف.

﴿ومن يفعله﴾ أي الاتخاذ أو الاسرار ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ مفعول ضل وعداه لتضمنه معنى اخطأ أو تعدى أي فقد اخطأ معتدل السبل ومستقيمة والسواء في الاصل الوسط وعبارة بعض ان السواء الوسط ويجوز كونه ظرفا والسبيل دين الله ﴿ان يثقفوكم﴾ يجدوكم ويظفروا بكم ويتمكنوا منكم.

﴿يكونوا لكم اعداء﴾ ولا ينفعكم القاء المودة اليهم والاسرار أو تظهر لكم عداوتهم ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم. ﴿ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ بما يسوؤكم ويضركم من القتل والضرب ومن الشتم واعظم من ذلك انه لا يقنعهم إلا الارتداد عن دينكم يتمنون كفركم لعلمهم ان الدين اعز عندكم من كل شيء حتى ارواحكم فانكم تبذلونها فيه ومن هم العدو ان يقصد اعز شيء عند عدوه فهم يريدون لكم مضرة الدنيا والدين كما قال ﴿وودوا لو تكفرون﴾ أي احبوا كفركم فلو مصدرية وانما عطف الماضي على المضارع اشعاراً بأن مودة كفركم سابقة عندهم على

كل شيء مع ان الماضي في جواب الشرط للاستقبال فالمراد استمرار مودتهم لكفرهم فمودة مثلهم خطأ عظيم ومغالطة لانفسكم ويجوز كون الواو للاستئناف أو للحال ومن منع قرن الحال الماضي بها قدر قد أو المبتدأ.

﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ قراباتكم ﴿ولا أولادكم﴾ الذين توالون المشركين لاجلهم لايردون عنكم عذاب الله دنيا ولا اخرى أو لاينفعونكم ولو اطعتموا المشركين في الكفر. ﴿يوم القيامة﴾ متعلق بقوله ﴿يفصل﴾ يفرق ﴿بينكم﴾ بما عراكم من الهول ولا تجتمعون كالدنيا بل يفرق بعض من بعض فما لكم ترفضون حق الله لاجل من يفر عنكم ولا ينفعكم. فموالاتهم خطأ من جهة انهم اعدائكم في الدنيا ومن جهة انهم لا ينفعونكم في الاخرة والنائب ضمير الفصل أو بين على قول الاخفش فهو في محل رفع على النيابة ولو كان لا يتصرف.

وقرأ عاصم بالبناء للفاعل وهو لله جل وعلا وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشددة للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن كسر الصاد وقرىء نفصل بالنون والتخفيف وبهاء مع التشديد وتجمع الفقراء يوم القيامة ويقال اين فقراء هذه الامة ومساكينها فيبرزون فيقال ما عندكم فيقولون يا ربنا ابتلينا فصبرنا وانت اعلم ووليت الاموال والسلطان غيرنا فيقال صدقتم فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوي السلطان والاموال قيل لعمرو بن العاص اين المؤمنون يومئذ قال توضع لهم كراسي من نور يظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم اقصر عليهم من ساعة نهار.

﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به هذا وعيد وتحذير نزل ذلك كله من أول السورة في حاطب بن بلتعة روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هشام بن عبد مناف اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يجهز للفتح فقال لهاأمسلمة جئت قالت لا قال فمهاجرة قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر واحتجت حاجة شديدة فقدمت لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها: واين

انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر أي ما طلب مني تغنية ولا نواح فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا وكتب معها كتاباً الى مكة نصه من حاطب بن بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وقال الكلبي: كتب ان محمدا قد نفر ولا ادري اياكم يريد ام غيركم فعليكم بالحذر وقال الواقدي كتب الى سهيل بن عمرو وصفوان بن امية وعكرمة ان رسول الله ﷺ اذن في الناس بالغزو ولا اراه يريد غيركم وقد احببت ان تكون لي عندكم يد.

وفي تفسير يحيى بن سلام نص الكتاب اما بعد يا معشر قريش فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له فانظروا لانفسكم والسلام وفي رواية بجيش كالليل يسير كالسيل وروي يريد غزوكم في مثل الليل والسيل واقسم بالله لو غزاكم وحده لنصر عليكم فكيف وهو في جمع كثير وخرجت سارة ونزل جبرائيل بالخبر فبعث ﷺ عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ وهي موضع قريب من المدينة في جهة حمرا الاسد هذا هو الصحيح وقيل: قرب مكة فإن بها ظعينة وهي المرأة المسافرة سميت لملازمتها الهودج معها كتاب من خاطب الى اهل مكة فخذوها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فادركوها في الموضع فجحدت وحلفت وهموا بالرجوع بعدما فتشوا متاعها.

فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل السيف فقال اخرجي الكتاب وإلا فوالله لاجردنك ولاضربن عنقك وقيل قال: لتخرجين الكتاب أو لتلقين الثياب ولما رأت الجد قيل اخذت منهم عهدا لا يردونها إلى المدينة فاخرجت الكتاب من عقاصها وهو الشعر المضفور وعبارة بعض من عقاص شعرها وفي رواية من ذؤابتها وقيل أخرجته من خمارها ويحتمل الجمع بانها اخرجته من شعرها تحت خمارها وقيل من حجزتها وقيل لما رأت الجد من

علي قالت اعـرض عني فاعرض فحلت قرن رأسها فاخرجته وقيل قال لها اخرجي الكتاب أو لأرمين رأسك في التراب فأخرجته وأعطته له فرجعوا ولم يتعرضوا لها ولا لمالهـــا .

فارسل ﷺ الى حاطب فاتاه فقال: هل تعرف الكتاب قال نعم قال: فما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منـــذ فارقتهم ولكن كنت امـــرأ ملصقـا في قريش. وروي عزيزا فيهم أي غريبـــا والملصق الحليف ولم أكن من أنفسهـــا وكـل من معـك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا إذا فاتني النسب فيحموا اهلي ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام وكان كما قال لم يكن ذلك منه نفاقا قال وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه ولا يغني كتابي فصدقه صلى الله عليه وسلم وعذره فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال: وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فقال الله ورسوله اعلم فنزلت الاية وصدقه الله.

وكان بدريا وانما اطلق عمر عليه اسم المنافق مع تصديق النبي صلى الله عليه وسلم له قبل نزول تصديقه وقال صلى الله عليه وسلم: «لاتقولوا لحاطب إلا خيرا».

﴿**قـــد كانـت لكـــم أســـــوة**﴾ قدوة اسم لما يتـأســى به وقــرىء بضم الهمـزة والخـطاب لحاطب والمؤمنـين حسنة﴿**في ابراهيم والذين معه**﴾. في ابراهيم نعت ثان لاسوة ولكم خبر كان أو في ابراهيم خبر ولكم متعلق بالكون أو في ابراهيم حال من ضمير حسنة أو متعلق بحسنة لا بأسوة لانها وصفت وهذا بناء على ان الموصوف لا يعمل.

﴿**إذ قالـــوا**﴾ متعلق بكأن أو بما يتعلق به الظرف الواقع خبرا ﴿**لقـــومهم إنـــا برآء منكـــم**﴾ جمع بريء كظريف وظـرفـاء وقرىء براء كظراف وبراء

كغراب وبراء كسحاب مصدرا موصوفا به.

﴿ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ أي بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم والهتكم أي انكرناكم وكذبناكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ فتنقلب العدواة والبغضاء الفة ومحبة وقرىء بابدال همزة ابداوا وامر حاطبا والمؤمنين ان يتبرأوا من قومهم كما تبرأ ابراهيم ومن آمن معه من قومهم وقال الطبري: الذين معه هم الانبياء المعاصرون له اومن قرب منهم من عصره ورجحه بعض بأنه لم يروا ان لابراهيم اتباعا مؤمنين في وقت مكافحته نمرود وانه روي انه قال لسارة حين رحل بها الى الشام مهاجرا من بلد نمرود ما على الارض من يعبد الله غيري وغيرك والاقتداء المأمور به هو في البراءة من المشركين وفي حكم البراءة من جميع احكام الباطل وجميع المنافقين.

﴿إلا قول ابراهيم لأبيه﴾ رجاء باسلامه ﴿لاستغفرن لك﴾ استثناء من الاسوة فإن استغفاره لابيه كافرا لا يحسن التأسي به فإنه كان قبل النهي والموعدة وعدها اياه وانما صح هذا الاستثناء لان المراد بالاسوة القول الذي يقتدون به ولاستغفرن جواب قسم محذوف وجملة القسم وجوابه مفعول القول وان قلت اذا كان ذلك استثناء من الاسوة فما بال قوله ﴿وما أملك لك من الله﴾ (من) للابتداء أو (للتبعيض) على أن المراد من عذاب الله﴿من شيء﴾ من زيادة في المفعول قلت اراد استثناء ما ذكر من الاستغفار لابيه وما بعده مبني عليه تابع أو أي أنا استغفر لك وما في طاقتي إلا الاستغفار فالمستثنى المجموع ولا يلزم منه استثناء الجميع وقوله.

﴿ربنا عليك توكلنا واليك انبنا﴾ رجعنا ﴿واليك المصير﴾ متصل في المعنى بقوله قد كانت لكم اسوة حسنة الخ.... أو مفعول لقول محذوف أي قولوا ربنا الخ... امرهم ان يقولوه تعليما لهم لما هو تتميم لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والاقتداء بابراهيم وتنبيهاً على الانابة الى الله والواضح انه من مقول ابراهيم ومن معه وكذلك ما بعد الى

الحكيم.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ بان تسلطهم علينا فيفتنوننا بعذاب لا نتحمله وقال ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنوننا عن ديننا فالفتنة مصدر بمعنى اسم المفعول أي مفتونين وكذا على القول الاول وقيل لا تعذبنا بعذاب منهم أو منك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك وقال قتادة لا تغلبهم علينا فيكون لهم فتنة وسبب ضلالة قيل: وهذا مرجوح لانه دعاء لهم قلت يحتمل الكناية بعدم الجعل فتنة عن عدم الغلبة.

﴿واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم﴾ في ملكه واستعاذوا من فتنة الكفار واستغفروا من الذنوب ومن كان عزيزا حكيما حقيق ان يجيب الداعي ويجير المتوكل وقد توكلوا.

﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ الضمير لابراهيم ومن معه وذلك تكرير لمزيد الحث على التأسي بابراهيم عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم واللام وقد والقسم غاية التوكيد.

﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ بدل من لكم بدل كل ان اريد بـ (لكم) خطاب من كان يرجو وبدل بعض أن اريد خطاب الناس وقيل اشتمال وترك التأسي مؤذن بسوء العقيدة ولذا أعقبه بقوله ﴿ومن يتول﴾ عن دين الله ويعرض عنه ﴿فإن الله هو الغني﴾ عن الخلق ﴿الحميد﴾ لاهل الطاعة اكد بالجملة الاسمية مجردة عن ان وبجملة اسمية مقرونة بها واكد بأن وبهم وتعريف طرفي هذه الجملة.

﴿عسى﴾ وعد مقطوع به على عادة لملوك في ترجيتهم أو المراد اطماع المؤمنين. ﴿الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ من كفار مكة طاعة لله.

﴿مودة﴾ بأن يهديهم فيصيروا لكم اولياء تخالطونهم وتناكحونهم بما نزلت تلك الايات في النهي عن حب الكفار تشدد المؤمنون في عداوة ابآئهم واقاربهم من المشركين ولما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول

التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوا ولما يسر فتح مكة أظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقل من لم يؤمن منهم وقيل: المودة لين عريكة ابى سفيان واسترخاء شكيمته في العداوة لما تزوج رسول الله ﷺ بنته ام حبيب وكانت قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش الى الحبشه فتنصروا رادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فخطبها اليه وساق عنه اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لايجدع انفه.

﴿والله قدير﴾ على كل شيء من تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة وغير ذلك. ﴿والله غفور رحيم﴾ لمن أسلم من المشركين ولما صدر منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم وعن عبدالله بن الزبير أن قتيلة بنت عبدالعزى قدمت وهي مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدية فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول قالت لا تدخلين على بيتنا ولا أقبل منك هدية.

وكانت هداياها صنابا وقرصا وسمنا واقطا حتى استأذن رسول الله ﷺ فسألته فنزل قوله عز وجل ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم﴾ من الكفار ﴿في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم﴾ بدل اشتمال من الذين أي لا ينهاكم عن مبرتهم. ﴿وتقسطوا اليهم﴾ تفضوا اليهم بالقسط أي العدل وناهيك في تأكيد العدل ان الله أمر به واوصى به ان يستعمل مع المشركين وذلك ترجمان واضح عن ذم موحد يجتري على ظلم الاخ المسلم فأمرها صلى الله عليه وسلم ان تقبل هداياها وتدخلها وتكرمها.

وكان قدومها في مدة عهد قريش قدمت محتاجة فقيل قالت بنتها يا رسول الله افاصلها قالت: نعم فنزلت الاية ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ العادلين افادتهم الاية جواز مبرة المشركين الذين لم يخرجوهم ولم يقاتلوهم ولم يظهروا سؤ وقال ابن عباس: أراد الذين لم يقاتلوكم خزاعة وكانوا صالحوه صلى الله عليه وسلم أن لايقاتلوه ولايعينوا عليه أحدا فرخص في برهم وقيل خراعة وقبائل

من العرب ظاهروه ﷺ وأحبوا ظهوره وقيل أراد النساء والصبيان من الكفار.

﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا﴾أعانوا﴿على اخراجكم﴾ وهم مردة قريش﴿إن تولوهم﴾ بدل اشتمال من الذين﴿ومن يتولهم منكم فأولئك﴾ مراعاة لمعنى من﴿هم الظالمون﴾.

وعن الحسن : لم يزل رجل يهدي إلى النبي ﷺ وقام بهديه فقال له صلى الله عليه وسلم : «هل أسلمت؟» قال: لا قال: «فإنه لا يحل لنا رفد المشركين».

﴿يا ايها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ التذكير للفصل والتأنيث ولو كان اصلا لكن قد تجتمع القراء على مرجوح كالتذكير في وجمع الشمس أو لان المؤمنات نعت لاسم الجنس أي النساء المؤمنات واستدل الكوفيون بالاية وغيرها على جواز اسقاط التاء من فعل جمع المؤنث السالم نحو قام الهندات، قاله ابن هشام وسماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن مع عدم ظهور ما ينافي التصديق ولانهن مشارفات ومقاربات لثبات الايمان بالامتحان كما قال ﴿فامتحنوهن﴾ اختبروهن بالحلف على الايمان.

وبالنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بعض زوج وعشق رجل ولا رغبة عن أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله.

وعن ابن عباس الامتحان ان تستخلف ما خرجت عن بغض زوج ولا رغبة عن أرض الى أرض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت إلا محبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله ﴿الله اعلم بإيمانهن﴾ منكم لانه المطلع على ما في الضمير ولا تكلفون علم الغيب.

﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ العلم الذي تبلغه طاقتكم ويمكنكم تخليصه وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وهذا يجب العمل به كالعلم ولذا اسماه علما ﴿فلا ترجعوهن الى الكفار﴾ أزواجهن الكفار بدليل﴿لا هن حل لهم﴾ نص في حصول الفرقة قال ابن هشام: أخبر

بالحل عن الجمع لانه مصدر يقال حل حلا والمصدر إذا نعت به أو اخبر ووصل أو كان حالا لم يثن ولم يجمع ولم يؤنث فيقدر مضاف أي ذوات حل أو يأول بالوصف أي حلال وقد يقع حلال مصدرا ويجوز كون حلال وصفا انتهى بزيادة.

﴿ولا هم يحلون لهن﴾ تكرير للمبالغة والمطابقة وانهم حرموا عليهن كما حرمن عليهم وبدليل ﴿وآتوهم﴾ اعطوهم أي ازواجهن ﴿ما انفقوا﴾ من المهور عليهن نزلت تلك الآية في سبيعة بنت الحارث الهلالية الاسلمية وذلك انه صلى الله عليه وسلم عام الحديبية صالح المشركين على يد سهيل بن عمرو العامري على ان من جاء منهم رده ومن جاء منه لم يردوه عليه وكره كثير من المسلمين ذلك وامسكوا هيبة له ﷺ ولما قفل راجعا لحقته امرأة منهم من المشركين فنادته يا محمد يا محمد إني قد جئتك مؤمنة بالله ومصدقة بما جئت به فقبل عنها ولما بلغ الروحاء لحقه وفد المشركين مع زوجها كافرا قيل: هو عبد الله بن النباش وقيل مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقالوا: يا محمد لم يجف طين كتابك حتى غدرت فهم النبي ﷺ بردها فنزل جبريل وقال اقرأ يا محمد يا ايها الذين آمنوا إذا جاءكم الخ . . .

فقال لهم انما كان الشرط في الرجال لا في النساء وعبارة بعضهم ان الصلح على من اتى منهم مسلما رده اليهم رجلا أو امرأة فنقض الله ذلك في امر النساء وهي رواية الضحاك ويحتمل الجمع بأن معنى كون الشرط في الرجال الشرط الذي اثبته الله ولم ينقضه والظاهر انهم لم يذكروا امرأة فبين ان الشرط في الرجل واما المرأة فلم تذكروها ولا شرطتموها ولا ترد للكافرين لقلة عقلها فترتد وهاجرت ايضا ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي عاتق فجاء اهلها ونزلت الاية ولم يرددها لهم.

وعن عائشة كان يمتحن بهذه الآية يا ايها النبي إذا جاءك المؤمنات الى رحيم ويبايعن بالقول ولم يمس يد امرأة في المبايعة قط ونقض الله شرط الرجال بأوائل براءة أيضا ولما امتحن سبيعة اعطى عمر زوجها ما انفق عليها وتزوجها قيل في الكلام حذف أي اتوهم ما انفقوا ان اردتم نكاحهن وقيل يؤتونهم

ما انفقوا ولو لم يريدوا تزويجهن والظاهر الاول ويصدقونهم فيما قالوا انهم انفقوه.

﴿ولا جناح عليكم ان تنكحوهن﴾ لان الاسلام حال بينهم وبين ازواجهن والكفار ولم يبح الله مؤمنة لكافر وقيل حتى تنقضي عدتها ﴿إذا اتيتموهن اجورهن﴾ أي مهورهن لان المبر اجرة النكاح قال جار الله: لا يخلو ما ان يراد ما يدفع اليهن ليدفعه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك على سبيل القرض واما ان يبين انما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لابد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما أو بذمة وبقي الآخر حربياً وقعت الفرقة بلا عدة إلا ان كانت حاملا فلا تتزوج حتى تضع.

﴿ولا تمسكوا﴾ وقرأ البصريان بالتشديد وقرىء بفتح التاء والتشديد أي لا تتمسكوا ﴿بعصم الكوافر﴾ بماتعتصم به الكوافر من عقد ونسب والعصم جمع عصمة والكوافر جمع كافرة أي لا تقيموا على زوجاتكم المشركات قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه.

قال الزهري: لما نزلت الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم وهما على شركهما.

وهاجر طلحة بن عبدالله وبقيت زوجته أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما وتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع وهاجرت ثم أسلم زوجها فردها له وذلك قبل تحريم تزويج المؤمنة للمشرك وعن عائشة رضي الله عنها لما حرم لم يقدر ﷺ على التفريق بينهما.

وعن النخعي: أراد بالكوافر الازواج المرتدات يلحقن بدار الكفر فيكفرن وقيل المراد كافرات العرب إذا ابين الاسلام وليس للعرب كتاب فارقهن ازواجهن وقيل المراد عابدات الاوثان ومن لا يجوز تزويجه ابتداء وقيل عامة نسخ بها نكاح الكتابية وهو ضعيف.

﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار أي اطلبوه ﴿وليسالوا ما انفقوا﴾ من مهور ازواجهم المهاجرات ودلك بين المسلمين وبين من عاهد قال الزهري: لولا العهد لامسك ﷺ نساء قريش ولم يرد الصداق وكذلك يصنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد ولما نزلت الاية اقر المؤمنون بحكم الله وادوا ما امروا به من نفقات المشركين عن نسائهم.

﴿ذلكم﴾ للذكور جميعاً ﴿حكم الله يحكم بينكم﴾ حال من لحكم على حذف الضمير أي يحكمه أو الضمير المستتر عائد للحكم جعل الحكم حكم مبالغة أو استئناف ﴿والله عليم حكيم﴾ وامتنع الكفار ان يؤدوا الى المسلمين ما انفقوا على أزواجهم الكوافر من المهور وقالوا لا نرض بهذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لاحد صداقا فانزل الله عز وجل ﴿وإن فاتكم﴾ سبقكم وانفلت منكم ﴿شيء من ازواجكم الى الكفار﴾ أي لحقت زوجة أو زوجتان أو اكثر بالكفار مرتدات وقرأ ابن مسعود وان فاتكم احد منا ازواجكم وايقاع شيء موقع احد للتحقير والمبالغة في التعميم أو اراد شيء من مهورهن بالذهاب الى الكفار ارتدادا.

﴿فعاقبتم﴾ غزوتم فغنمتم فالمعاقبة اصابتهم بعقاب. فتلا وغنما قاله الزجاج وقيل: معنى عاقبتم ظهرتم وكانت العاقبة لكم وليست هذه المعاقبة بمعنى مجازاة السوء بالسوء وقد فسرها بعض بالغنم وفسرها مجاهد بالاصابة وروي انه قرأ فاعقبتم وقال: المعنى صنعتم بهم كما صنعوا بكم وهذه مجازاة وقيل من العقبة وهي التوبة شبه ما حكم به على المؤمنين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء تارة بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره أي فجاءت عاقبتكم من اداء المهر وقيل اصبتم

عقبى وهي الغنيمة وقرىء فعقبتم بالتشديد وقرىء بالتخفيف بفتح القاف وقرىء بالتخفيف وكسرها وقيل: معنى اعقبتم دخلتم في العقبة ومعنى عقبتم بالتشديد والتخفيف جاء فعلكم بعد فعلهم وفسر الزجاج القراءات غير قراءة الالف بقوله كانت العقبى لكم.

﴿فـآتـوا الـذين ذهبـت أزواجهم﴾ إلى الكفـار﴿مثـل ما أنفقـوا﴾ من مهـور المهـاجرات ولا تؤتوه زوجها الكافر وانما يؤتونهم من الغنيمة قيل قسمها قاله قتادة: وقال ابن شهاب يعطى من أي وجه الفيء ما امكن والحق بالمشركين من نساء المؤمنين ست ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب اخت ام سلمة لما اراد الهجرة ابت واردت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزي بن نضلة كانت تحت عمرو بن عبد وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمـرو أيضـا ارتـددن فأعطى ﷺ أزواجهن من الغنيمة ما أنفقوا عليهـن من المهور.

واختلف في رد مهر من اسلمت من النساء من ازواجهن هل واجب أو مندوب مثارة هل وقع الصلح على رد الرجال والنساء أو على الرجال فقط واختلف هل يجب رد المال اليوم أو يندب اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم: يجب والاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا وقال عطاء ومجاهد وقتادة لا يجب وان الاية منسوخة وصحح فمن جاءت مهاجرة لم يردوا مهرها لزوجها.

﴿واتقـوا الله الذي انتـم به مؤمنـون﴾ فإن الايمان يقتضي التقوى فوائد قال عكرمة كان العبد إذا جاء مسلما ومولاه مشرك كان حرا، قال بعضهم هذا إذا كان ميسره معاهد قال جابر بن عبد الله بايع مملوكك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم انه عبد ثم علم فاشتراه من ميسرة بغلامين زعم بعض ان سيده معاهد واسلم غيلان بن سلمة على عشرة نسوة وأسلمن معه فأمر ﷺ ان يختار منهن اربعاً ووجد يوم الفتح عند عتبة بن عمر وخمسا فامره بطلاق واحدة فطلق دجاعة بنت الصلت وتزوجها رجل اسمه عامر فولدت

له عبد الله ومن أسلم على.اختين اختار واحدة كما امر صلى الله عليه وسلم مرور الدئلي ومن اسلم على أكثر من أربع فليختر أربعا وقيل: الأربعة الأوائل وقيل: فيمن أسلم على أختين فليختر الأولى يقولون ما لا يصلح نكاحه في الاسلام فهو الذي يفارق.

والصحيح ماذكرنا اولا ومن اسلمت قبل زوجها بانت بواحدة فإن اسلم خطبها فتكون عنده على اثنتين وقيل: ان اسلم في عدتها فهو احق بها واسلمت امرأتا سهيل من عمر وعكرمة بن ابي جهل فاقاما على نكاحهما وإذا اسلمت قبل زوجها فرق بينهما وعن علي هو احق بها ما كان في دار الهجرة وعن عمر انه خير امرأة اسلمت ثم اسلم زوجها وقيل: يعرض عليه الاسلام فإن اسلم فهي له وإن كانا يهوديين أو نصرانيين واسلم قبلها فهما على نكاحهما وان اسلمت قبله فرق بينهما والاسلام يعلو.

وفي المسألة خلاف وعن الحسن في المجوسيين اذا اسلم احدهما فرق الاسلام بينهما لا إن اسلما جميعاً في وقت واحد وان ارتد الرجل وله زوجة مسلمة فلا تتزوج ولا تعتد حتي يعرض عليه الاسلام فإن تاب فهي له امرأة وإلا قتل واعتدت عدةالمطلقة وان ارتد ولحق بالشرك واعتدت من ذلك الحين. وعن الحسن في نصرانية تسلم قبل ان يدخل بها النصراني انه يفرق بينهما ولا شيء لها وقيل إن أبى أن يسلم فلها نصف الصداق لان الاباء جاء منه.

﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ حال من المؤمنات أي يشرعن في المبايعة أو مريدات لها والسكون بناء لاجل نون الاناث نزلت الاية يوم الفتح وفيه بايع الرجال وفي اليوم الثاني بايع النساء وقرأ عليهن الآية وكلام بعض يوهم نزولها في الثاني وليس كذلك وظاهر بعض انه بايعهن في اليوم الاول بعد مبايعة الرجال فرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا فأتته النساء يبايعن وفيهن هند بنت عقبة امرأة ابي سفيان متنقبة متقنعة متنكرة خوفا منه ﷺ فبايعهن على اشياء كما قال جلا وعلا ﴿على ان لا يشركن بالله شيئا﴾ فرفعت هند رأسها لما تلا هذا وما يأتي وقالت والله انك لتأخذ علينا

أمر ما أخذته على الرجال ولقد عبدنا الاوثان وذلك انه بايعهم على الاسلام والجهاد ولم يفصل شيئا ولم يزد.

وعن عطية بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فضربت منا امرأة يدها وقالت فلانة اسعدتني وانا اريد ان اسعدها ولم يقل لها شيئا ثم رجعت فبايعها وفي الحديث: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» وروي ان نساء قلن اسعدتنا نساء في الجاهلية فنسعدهن فقال الاسعاد في الاسلام وفي الحديث: «تأتي النائحة يوم القيامة ان لم تتب وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ولعن النائحة والمستمعة».

﴿ولا يسرقن﴾ لما قرأه عليهن قالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات أي اشياء فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما أصبت في ما مضى وما تصيبين في ما غير حلال لك فضحك النبي ﷺ وعرفها فقال: انك لهند بنت عتبة قالت: نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك.

﴿ولا يزنين﴾ قالت هندا أو تزن الحرة وروي انها قالت ما زنت منهن امرأة قط.

﴿ولا يقتلن﴾ وقرىء بالتشديد ﴿اولادهن﴾ قالت هند ربيناهم صغارا وقتلناهم كبارا وروي وقتلتموهم كباراً فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى اسلقى وتبسم رسول الله ﷺ واراد بقتل الاولاد وذم البنات الذي فعلته الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد.

﴿ولا يأتين﴾ الياء لام الكلمة والنون ضمير الاناث ﴿ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن﴾ قالت هند والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق أي بولد تلتقطه وتنسبه للزوج وتقول هذا ولدي منك ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد إذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها

وقيل ان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ورجليها وقيل هو بين يديها وإذا وضعته كان بين رجليها فوصف اللقيط بوصف الولد الحقيقي وقيل المراد كل بهتان ولم يرد الزنا لانه سبق النهي عنه.

﴿ولا يعصينــك في معــروف﴾ قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيد بالمعروف وهو الشيء الحسن مع انه صلى الله عليه وسلم لا يأمر الاية تنبيها على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والمراد بالمعروف الفرض والمندوب تركا وفعلا وعن الحسن ترك النياحة ومحاذاة الرجال إلا محرما وقيل أن لا ينحن ولا يدعون بالويل ولا يمزقن الثياب ولا يحلقن الشعر ولاينتفنه ولا يخمشن الوجه ولا تحدث المرأة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم ولا ينشرن شعرا.

﴿فبايعــــهن﴾ إذا بايعنــك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء روي انه لما ذكر ذلك قلن نبايعك على ذلك وذكرته واحداً واحدا ولما فرغن قال: فيما استطعتن وأطقتن فقلن الله ورسوله أرحم بنا منا لأنفسنا وفيهن أميمة بنت رقيمة وما كانت المبايعة إلا بالقول واجمعوا انه لم يمس يد امرأة منهن وهن أربعمائة وسبع وخمسون وعن عائشة انه بايع باللسان وقال: إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة فافهم، قالت: قال: اذهبن قد بايعتكن.

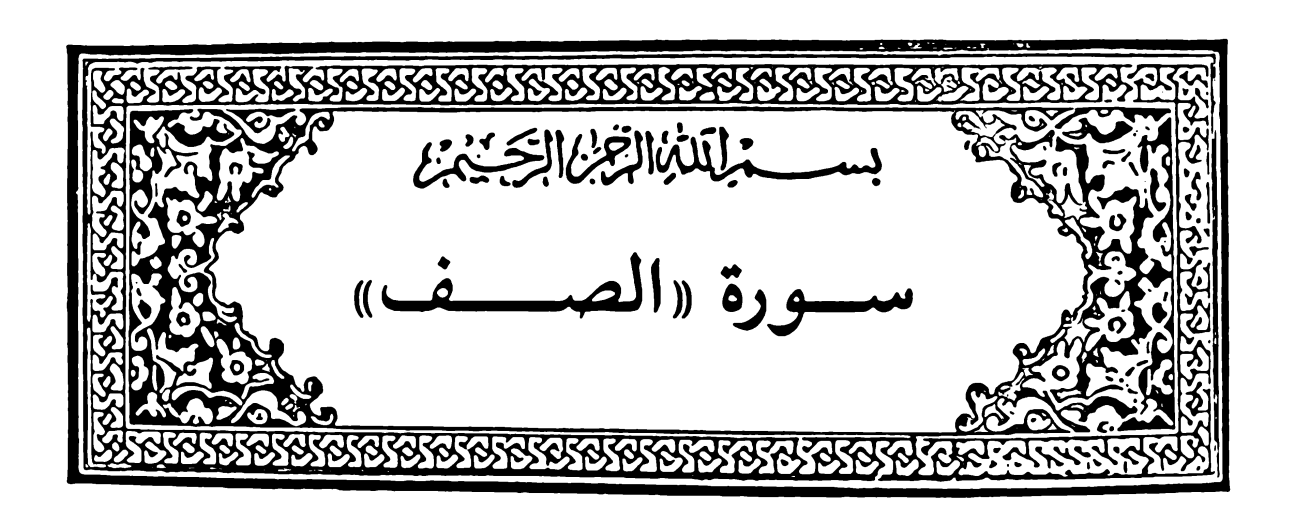
وروي أن عمر في الصفا تحته ﷺ يبايعهن بأمره ﷺ ويبلغهن عنه وذلك بالقــول وقيل: صافحهن ﷺ بيده وكــان على يده ثوب ، وروي وعــلى يده خرقة أو ثوب وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس فيه ايديهن.

﴿واســتغفر لهــن الله إن الله غفــور رحيــم﴾ روي ان ناساً من نفراء المسلمين يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قيل يخبرونهم باخبار المسلمين فنزل ﴿يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾ جملة غضب الخ...... نعت قوماً وهم اليهود قاله ابن زيد.

﴿قــد يئســوا من الاخــرة﴾ يئسـوا من ان يكون لهم حظ في الاخرة لعنادهم رسول الله ﷺ وقد علموانه الرسول المنعوت في التوراة بصفات.

﴿كمـا يئـس الكفـار﴾ الـذين انكـروا البعث ﴿من اصحـاب القبـور﴾ يئسوا من بعثهم إذا امات لهم حميم قالوا هذا اخر العهد به لا يبعث ابدا وعن الكلبي اياس اليهود زعمهم انه لا أكل في الجنة ولا شرب ولا نعيم ومن للابتداء وقيل ان اياس الكفار اياسهم من الجنة إذا بعثوا أو إذا ماتوا وذلك انهم إذا ماتوا صدقوا بالجنة وايسوا منها فمن للبيان وعن ابن عباس القوم الذي غضب عليهم في الآية كفار قريش وقيل: عامة الكفار المنكرين البعث وعليهما فاعادة الظاهر في قوله كما يئس الكفار وضع للظاهر موضع الضمير للدلالة على ان الكفر اقنطهم ويحتمل ان يكون الكفار اليهود في الموضعين واياسهم من الجنة للعناد ومن البيان وقيل: نزلت في منافقين يوادون المشركين ويسرونهم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

اللهم بحق السورة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم علينا وبركتهما اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الصف»

وتسمى سورة الحواريين، مدنية على الصحيح وعليه الجمهور وابن عباس قال السيوطي: ويدل له ما روي ان عبد الله بن سلام قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله سورة الصف فقرأها ﷺ علينا حتى ختمها. وقيل مكية وقيل مكية البعض وآيها اربع عشرة وكلمها مائتان واحدى وعشرون وحروفها تسعـمائـة وفي الحـديث: «من قرأ سورة الـصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه ومن لازم قراءتها في سفره رجع سالما بإذن الله تعالى».

بســـم الله الرحمـــن والرحيـــم

﴿سبح لله ما السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم﴾ روي ان المسلمين قالـوا لو علمنا احب الاعمال إلى الله سبحانه لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم على الجهاد وقيل نزل: إن الله يحب الذين يقاتلون الخ . . . فولوا يوم أُحد فنزل ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلـون﴾ وقيل لما أخبر الله نبيه ﷺ بثواب أهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أُحد فعيرهم الله بالآية.

وقيل: نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وقتلت ولم يقتل واطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل: نزلت في المنافقين يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون أي آمنوا بألسنتهم ولم تطابقهم جوارحهم أو لم تطابقهم قلوبهم وعليه الحسن ولعل النداء بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من افصح كلام وابلغه وقيل كان رجل مؤذيا للمسلمين فقتله صهيب وادعى رجل انه قتله فقال عمر لصهيب اخبر النبي

ﷺ انـك قتلته فقال: إنما قتلته لله ورسوله فقال عمر: يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال: نعم فنزلت الاية في مدعي قتله.

وعن قتادة والضحاك: نزلت في جماعة من شباب المسلمين يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا أو حذفت ألف مالأنها استفهامية جرت بحرف الجر وذلك تخفيف وما والحرف كشيء واحد وقد تثبت الف وقيل ثبوتها لغة وإذا جررتهـا بالحـرف حذفت ألفها ووقفت وزدت هاء السكت وقد يوقف باسكان الميم وقد تسكن وصلا كالوقف.

﴿**كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ فاعل كبر مستتر يدل عليه مقتا وأن تقولوا مخصوص بالذم أو فاعله أن تقولوا جمعا بين التمييز والفاعل الظاهر ولفظ كبر للتعجيب هنـا والمبـالغة في الذم عظم الله الأمر في قلوب السامعين لخروجه عن نظائره وأشكاله والمقت أشد البغض ولا شك في ذلك حيث وصفه بالكبر من يحقر كل عظيم دونه قيل لبعض السلف: حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال: أتأمرني أن أقول ما لا أفعل فاستعجل مقت الله وكل من يقول ما لا يفعل فهو ممقوت ولذلك فر كثير من العلماء عن الوعظ والتذكير وآثروا السكوت قلت: وهذا يعذر صاحبه إن وجد من يكفيه.

ومع هذا فالوعظ والتذكير أولى ويصفي نفسه قال بعض الحكماء: إني لأعظكم وإني لكثير الذنوب ولو ان احد إلا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه لترك الامـر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن محادثة الاخوان حياة القلوب وجلاء النفوس وتذكير من النسيان قال ابو حازم اني لا اعظ الناس وما انا بمـوضع للوعظ ولكن أريد به نفسي وقال الحسن لمطرف: عظ أصحابك فقال: أني أخاف أن أقول مالا أفعل فقال: رحمك الله وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان ان يظفر منكم بهذه فلم يأمر أحد منكم بمعروف ولم ينه عن منكر.

ولما نزل﴿ان الله﴾ الآية قال عبد الله بن رواحة لا ابرح جيشا في سبيل الله حتى اموت فقتل في سبيل الله وكان من نفر من الانصار قالوا لو علمنا

أي الاعمال أحب الى الله لعملنا به حتى نموت ﴿يحب﴾ينصر ويكرم.

﴿الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ مصدر بمعنى اسم الفاعلين أي صافين انفسهم أو اسم مفعول الى مصفوفين أو يقدر مضاف أي ذوي صف أي اصطفاف وهو حال من الواو ومن اجاز حرف عامل المصدر المؤكد اجاز كونه مصدر المحذوف أي صافين صفا أو يصفوفون صفاً والمحذوف حال.

﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ ملزق بعضه الى بعض من غير فرجة لا يزلون عن أماكنهم وقيل في ذلك دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وفي الحديث رصوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالاعناق والذي نفسي بيده اني لأرى الشيطان يتخلل بينكم كالخذف. وفي التوراة محمد المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يغفر ويعفو امته الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد مناديهم ينادي في جو السماء ويتوضأون على أطرافهم ويتزورون على اوساطهم لهم بالليل دوي كدوي النحل صفهم في الصلاة والقتال سواء مولده مكة وهجرته طيبة وملكه بالشام وفي الحديث: «من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة» والجملة حال ثانية من الواو مترادفة أو حال من الضمير في (صفا) ان اول بالوصف أو من الضمير المقدر أي يصفون أو صافين أو مصفوفين متداخلة.

﴿وإذ﴾ مفعول لاذكر قال جار الله: أوحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا ﴿قال موسى لقومه﴾ بني اسرائيل ﴿يا قوم لم تؤذونني﴾ تضرونني بالعصيان والرمي بكونه ادر أي كبير الخصيين وتكذيبه وعبادة البقر وطلب رؤية الله وغير ذلك.

﴿وقد﴾ للتحقيق ﴿تعلمون أني رسول الله اليكم﴾ الواو للحال واليكم متعلق برسول ومن حق الرسول ان يعظم ولا يؤذى ﴿فلما زاغوا﴾ أي قوم موسى أي عدلوا عن الحق ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ عن قبول الحق أو طبعها أو كثر ميلها عن الحق عقوبة عن الذنب بالذنب.

﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ لا يوفقهم ذكر مقالة موسى ليحذر المؤمنون ما وقع فهي هؤلاء من العصيان.

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل﴾ لم يقل يا قوم لانه لا نسب له فيهم ﴿إني رسول الله اليكم مصدقا﴾ حال من رسول أو من ضميره ﴿لما بين يدي من التوراة﴾ واحكامها.

﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي﴾ وقرىء باسكان الياء وتحذف للساكن وهو قراءة ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي والفتح اختيار الخليل وسيبويه وليس قوله اليكم استقراريا حتى تكون الحالية من الضمير المستتر فيه فانه لغو لا ضمير فيه.

﴿اسمه أحمد﴾ هو سيدنا محمد ﷺ وذكر اول الكتب المشهورة التي حكم به النبيون وآخر الانبياء اشارة الى ان دينه التصديق بجميع الانبياء وكتبهم وايمانه بالتوراة بما فيها قال الحواريون لعيسى: يا روح الله هل من بعدنا من امة قال: نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كأنهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وفي الحديث : «أنا أحمد وأنا محمد وأنا الماحي وأنا الحاشر وأنا الهادي وأنا العاقب وأنا الخاتم» معنى الماحي الذي يمحو الله بدينه الكفر، ومعنى العاقب أنه لا نبي بعده، والحاشر الذي لا يحشر الناس يوم القيامة على عقبه.

قال ابو موسى: سمعت النجاشي يقول أشهد ان محمداً رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لاتيته حتى أحمل نعليه قال عبد الله بن سلام مكتوبة في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه انتهى.

قالوا وقد بقي في البيت موضع قبر هو قبر عيسى عليه السلام، وأحمد منقول من الفعل المضارع اومن اسم التفضيل من المبني للفاعل أي اكثر حمدا لله من غيره أو من المبني للمفعول أي يحمده الناس اكثر من غيره وهذا مرجوح وسميت امته في كتب الانبياء الحمادين ولم يسم احد به قبله وأما محمد

فقد سمي به ستةرجال حين شاع انه قرب مبعث نبي اسمه محمد، قاله عياض في الشفاء وقال ابن خالوية والسهيلي ثلاثة قلت بل خمسة عشر محمد ابن عدي بن ربيعة ومحمد بن أحيحة بهمزة مضمومة فحاء مهملة مفتوحة فياء مثناة تحت ساكنة فحاء مهملة، ومحمد بن اسامة، ومحمد ابن البراء، ومحمد ابن الحارث، ومحمد بن حرماز، ومحمد بن حمران، ومحمد بن خزاعة، ومحمد بن يحمد، ومحمد بن خولى، ومحمد بن سفيان، ومحمد بن اليحمدي ومحمد بن يزيد، ومحمد بن الاسيدي، ومحمد بن المقيمني ولم يظهر على يد واحد منهم ما يشكك الناس ولم يدركوا الاسلام إلا الاول فقيل ادركه والا الرابع فهو صحابي جزماً وذكر عياض محمد بن مسلمة الانصاري وليس بشيء فإنه ولد بعد النبي ﷺ بأزيد من عشرين سنة وعن انس عن النبي ﷺ لاتسموا اولادكم محمداً ثم تلعنونهم رواه الحاكم في المستدرك.

﴿ولما جاءهم﴾ جاء أحمد الكفار أو اليهود وقيل: جاءهم عيسى وهو اظهر ﴿بالبينات﴾ بالقرآن أو بالانجيل ﴿قالوا هذا﴾ الذي جئت به ﴿سحر﴾ أو الاشارة الى احد الرسولين سموه سحرا مبالغة ويقويه قراءة حمزة والكسائي ساحر بالالف وكسر الحاء.

﴿مبين ومن اظلم﴾ استفهام انكار واظلم بمعنى اشد ظلما ﴿ممن افترى على الله الكذب﴾ نسبه التشريك والولد اليه ووصف اياته بالسحر ﴿وهو يُدعى الى الاسلام﴾ حال من ضمير افترى وقرأ طلحة بن مصرف يدعي بتشديد الدال يفتعل من الدعاء وعنه وهو يدعو أي الله يدعو.

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يرشد الكافرين الذين سبقت لهم الشقوة ﴿يريدون ليطفئوا﴾ اللام زائدة للتأكيد والنصب بأن مضمرة والمصدر مفعول يريد واللام للتعليل والمفعول محذوف أي يريدون الافتراء ليطفئوا وقال الخليل يريدون في تأويل الارادة مبتدأ خبره الجار والمجرور.

﴿نور الله بأفواههم﴾ اطفاءه إذهابه بقولهم في القرآن مثلا هذا سحر

وذلك تهكم بهم شبه حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه، ونـوره دينه أو كتابه أو حجته. ﴿والله متـم نـوره﴾ مبلغه غايته باظهاره واعلاءه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة.

﴿ولـو كـره الكـافـرون﴾ إتمـامـه إرغـامـاً لهم ﴿هـو الذي ارسـل رسـوله﴾ وقرىء نبيه ﴿بالهـدى﴾ القرآن أو المعجزة ﴿وديـن الحـق﴾ الملة الحنيفية ﴿ليظهـره﴾ يعليه ويغلبـه ﴿عـلى الـديـن كلـه﴾ ال للأستغراق أي على جميع الاديان وقد كان ذلك مابقي دين إلا تحت الاسلام مقهور وقال مجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن في الارض إلا دين الاسلام وقيل لم يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان ذلك وفي الحديث لا يبقى أهل بيت مدر وبر إلا دخله الاسلام يعز عزيزاً ويذل ذليلاً أي من هو أهل للعز عند الله ومن هو أهل للذل.

وعن الحسن صلى الله عليه وسلم نحن الانبياء اخوة لعلات امهاتها شتى وديننا واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي وانه نازل لا محالة فإذا نزل فاعرفوه فإنه مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض كأن رأسه يقطر ماء.

﴿ولـو كره المشـركون﴾ اظهـاره ﴿يا أيـها الذيـن آمنوا هل أدلكـم على تجـارة تنجيكـم﴾ وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿من عـذاب اليـم﴾ كأنهم قالوا نعم فقال:

﴿تؤمنـون بالله﴾ أي تدومون على الايمان وهو مستأنف بمعنى الامر ولذلك جزم يغفر في جوابه ذكره ابن هشام.

﴿ورسـوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسـكم﴾ وذلك بيان للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى الكمال غيرهم والمراد به الامر كما مر وإنما جيء بلفظ الخبر ايذانا بأن ذلك مما لا يترك وكأنه قد وقع ويدل لذلـك قراءة ابن مسعـود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا ويدل على الاستئناف ماروي انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناها فنزلت الاية فمكثوا

ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي قدر لهم الله عليها بقوله تؤمنون وتراخي ذلك لما في الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع من التمكن والاقربية للقبول وقرأ زيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا بحذف النون تخفيفا أو على أضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس وهو ضعيف والاية اضعف على تلك القراءة لشذوذ لام الامر مع الخطاب.

﴿ذلكم﴾ المذكور من الايمان بالجهاد ﴿خير لكم﴾ من اموالكم وانفسكم لانه التجارة المربحة الجنة ورضى الله ﴿إن كنتم تعلمون﴾ انه خير لكم لانهم إذا علموا ذلك احبوا الايمان والجهاد فوق ما يحبون انفسهم واموالهم وان كنتم من أهل العلم إذ الجاهل لا يعتد بفعله وفي الحديث: «هل تريدون من ربكم ان يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة قالوا: حسبنا قال فاغزوا في سبيل الله».

وعن الحسن: من قلت حسناته وكثرت ذنوبه فليجعل دروب الروم من وراء ظهره وعن النبي ﷺ: «ما جميع أعمال البر فى الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة رجل ينفثها في بحر لجي إلا وان طال بالعلم اعظم أجرا» أو يحتمل ان لا يكون خير اسم تفضل بل بمعنى ان ذلك في نفسه خير ونفع.

﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ وعن بعضهم مجزوم في جواب شرط محذوف لا باعتبار تؤمنون أي ان تفعلوه أو في جواب استفهام مقدر أي هل تقبلون ان ادلكم، يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل أدلكم لان مجرد دلالته لايوجب المغفرة.

﴿ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾ والاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة وادنى اهل الجنة ينظر مسيرة خمسمائة عام ليس في ذلك موضع شبر إلا وهو عامر قصور ذهب وفضة وخيام اللؤلؤ والياقوت وروي ان ادناهم من له سبعة قصور ذهبا وفضة وياقوتاً ودراً لكل قصر الف مصراع ووصيف بابواب واغلاق.

﴿واخـــرى﴾ أي ولـكم ونعمـة اخـرى أو ويؤتكم نعمـة اخـرى ﴿تحبـونها﴾ نعت اخرى وقد قدر بعضهم خصلة اخرى وقال الاخفش: اخرى عطف على تجارة ورد بأن هذه ثمن لا مدلول عليها وفي قوله تحبونها توبيخ وتعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وبين الاخرى بقوله ﴿نصـر من الله﴾ أي هي نصر أو بدل من اخـرى أو بيان لجوازه في النكـرة على الصحيح والنصر على قريش وجميع الكفار.

﴿وفتـح﴾ فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم ﴿قريـــب﴾ عاجل وقـرىء بنصب نصر وفتح قريب على بدلية نصرا وبيانية من أخرى أن جعلنا اخرى منصوباً أوعلى المفعوليه أي اعنى أو المصدرية أي تنصرون نصرا ويفتح عليكم فتحاً.

﴿وبشـــر المؤمنـــين﴾ عطف على تؤمنون أو تجاهدون لان المعنى امنوا وجاهدوا أو استئناف أي بشرهم بالنصر ودخول الجنة.

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله﴾ لدين الله ونبيه أي بعض ناصريه وقرأ غير نافع وابن كثير وابي عمرو بالاضافة وقرأ ابن مسعود كونوا انتم انصار الله ﴿كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري﴾ وقرىء بالاسكان.

﴿إلى الله قال الحواريـون نحـن انصـار الله﴾ والحواريون الاصفياء وهم أول من آمن بعيسى وكانوا اثنى عشر من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانـوا قصـارين يحورون الثياب أي يبيضونها وفي الحديث: «ان لكل نبي حواري وحواري أبو بكر وعمر وسعد وعثمان ابن مظعون» ووجه التشبيه ان المراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال من انصاري الى الله ومعنى من انصاري الى الله من جندي متوجها الى نصرة الله عز وعلا ليطابق جوابهم وهو قوله نحن انصار الله وليس معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب وبدليل قراءة بعضهم من انصار الله.

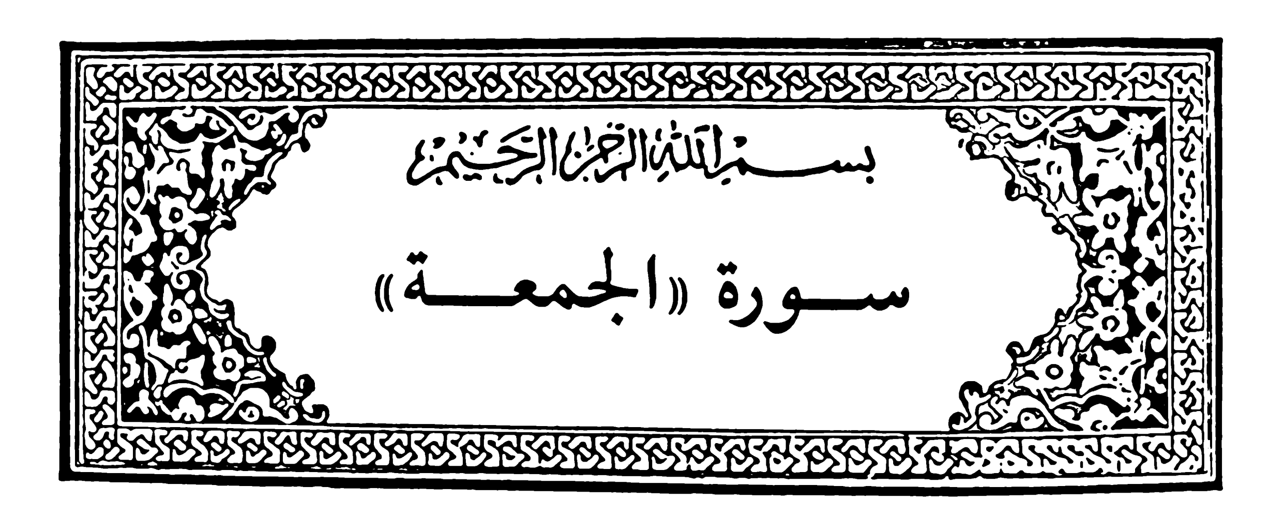
ومعنى من انصاري من يختص بي ويكون معي في نصر الله فالاضافة احد المشاركين للاخر ومعنى نحن انصار الله نحن الذي ينصرون الله فاضافته

اضافة الوصف المجموع الى مفعوله وقيل الى معنى مع.

﴿فـآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة﴾ بعيسى عليه الصلاة والسلام من آمن قال انه عبد لله رفعه الى السماء ومن كفر قال هو ابن الله رفعـه اليه وبعض من كفر قال هو ارتفع فاقتتلت الطائفتان الكافرتان مع المؤمنة فغلبتاها حتى بـُعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غلبتهما المؤمنة كما قال

﴿فأيدنــــا﴾ قوينـا ﴿الذيـن آمنـوا على عدوهم فاصبحوا ظاهـــرين﴾ غالبـين بغلبـة محمـد من زاغ منهم وقيل: هذه الغلبة عقب رفع عيسى وقال زيد بن علي: اصبحت حجة من امن به ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته وعبده والاصباح الصيروره وقال ابن عباس قاتلوا ليلا فاصبحوا ظاهرين عليهم.

اللهم بحق السورة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم علينا وبركتهما اخز النصارى واكسر شوكتهم واهنهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الجمعة»

وهي مدنية على الصحيح لما روي أن أبا هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزلت عليه سورة الجمعة واسلامه بعد الهجرة بمدة وقوله ﴿يا ايها الـذين هادوا﴾ خطاب لليهود وكانوا بالمدينة وآخر السورة في انقضاضهم حال الخطبة لما قدمت العير من الشام وهي مدنية كلها وآيها احدى عشرة وكلمها مائة وثمانون وحروفها سبعمائة وعشرون وفي الحديث «من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين ومن لازم قراءتها أمن من وسوسة الشيطان».

بســـم الله الرحمـــن والرحيـــم

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ فصلٍ بين النعت والمنعوت بالفاعل وقرىء برفع الملك وما بعده على القطع مدحاً.

﴿هـو الـذي بعــث في الأُميــين﴾ أي في العـرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقـرأون وقيل الامي هو الذي على ماخلق عليه كأنه منسوب الى امه وقيل الاميون الذين لا كتاب لهم وهم العرب وقد كانوا يخطون بأيديهم.

﴿رســولا منهـــم﴾ من انفســهم وجنسهم يعلمــون نسبـه وقيل أميا مثلهم وقـد قيل ان الأُميين نسب الى امـة العرب لانهم لا يكتبون ولا يقرأون من بين الامم قيل بدأت الكتـابـة بالـطائف أخذوها من أهل الحيرة وأخذها اهلِ الحيرة من اهل الانبار وجاء في حديث شعيب اني ابعث اعمى في عميان وأمياً في امين وقد وصف في كتب الانبياء ﷺ بأنه أمي وهو مشاكل لحال قومه وذلك اقربٍ لصدقه لئلا يتوهم انه يكتب ما يقول عن غيره أو يقرأه من كتاب وقرأ في الأُمِّين بحذف ياء النسب.

﴿يتلــو عليهـــم آيـــاته﴾ القرآن وقيل ما بين رسالته وقيل الحلال والحرام ﴿ويــزكـيهم﴾ يطهــرهم من الشرك وخبـائث الجـاهلية ﴿ويـعـلمــهم الكتـــاب﴾ القرآن ﴿والحكمـــة﴾ السنة أو الشريعة ﴿وإن﴾ مخففة بدليل لام الفـرق في خبر كان ﴿كانـــوا من قبـــل﴾ أي من قبل مجيئه بالكتاب والحكمة ﴿لفـــي ضـــلال مبيـــن﴾ من الشـرك والأعمال والأقوال القبيحة لم يكن فيهم من يعلم الحق إلا ما جاء به صلى الله عليه وسلم غير متقدم عليه فهم شديدو الاحتياج الى ارشاد.

﴿وآخـــــرين﴾ معطوف على الأميين أي بعثه في الاميين الذين على عهده وفي آخــرين ﴿منهـــم﴾ من الأميين ﴿لمـــا يلحقـــوا بهم﴾ لما يتصلوا بهم وسيلحقون وهم التابعون وقيل كل تابع بإحسان إلى يوم الدين وفي ذلك بيان لفضل الصحابة على غيرهم إن قلنا ان السبق في الفضل وكل قرن خير ممن بعده وقيل: لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال: لو كان الايمان عنـد الثـريا لتناوله رجال من هؤلاء وفي رواية مسلم والبخاري «اخذ بيد سلمان وقال: لو كان الدين في الثريا لناله رجال من هؤلاء.

وقال ايضاً عن أبي هريرة كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت سورة الجمعة فتلاها ولما بلغ وآخرين قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا ولم يكلمه حتى سأله ثلاثا وقال سلمان الفارسي فينا فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليه وقـال «والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء» وقال مجاهد: اراد العجم وحكي عن ابي هريرة اراد فارسا وعن ابن زيد ومجـاهد والضحاك اراد جميع طوائف العرب وغيرهم وإذا لم يخصص بابناء العرب فالمراد انهم منهم في الايمان سواء كانوا منهم في العربية ايضاً ام لا يجوز عطف آخرين على الهاء في يعلمهم لان دعوته ﷺ وتعليمه بعمان الجميع لانهما إذا تناسقا الى آخر الزمان كأنهما مستندان الى اوله فكانه المتولي لكل ما وجد منهما وقيل لما دالة على قرب اللحوق.

﴿وهــو العــزيز الحكـــيم﴾ في تمكينه من ذلك الامر العظيم رجلا امياً واختياره من بين البشر وقيل الحكيم الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته وفي الحديث عن الحسن «أنا سابق العرب وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشه وصهيب سابق الروم».

﴿ذلـك﴾ الفضـل الذي امتاز محمد به عن اقرانه. ﴿فضل الله يؤتيـه من يشـــاء﴾ هم النبي ومن ذكر معه تفضلا وقيل الاشارة الى النبوة فيخص بها النبي ﷺ ﴿والله ذو الفضــل العظــيم﴾ الذي تستحقر دونه نعم الدنيا والآخرة وهو ارسال محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿مثـل الـذيـن حُمِّلــوا التوراة﴾ علمهم الله اياها وكلفهم العمل بها ﴿ثـــم لـم يحملــوهـا﴾ لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها فإن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشـارة به ولم يؤمنوا به وهـم اليهود ولما لم يعملوا بها سماهم غير حاملين أو اراد بالحمـل العمل وقرىء حملوا بالتخفيف والبناء للفاعل أي حملوها ثم لم يحملوها أي لم يعملوا بها.

﴿كمثـل الحمــار يحمــل﴾ حال من الحمار أو نعته لان ال نافيه للجنس قاله ابن هشام. ﴿اسفــارا﴾ كتباً كبارا من العلم يتعب بحملها ولا يدري ما فيها وكل من علم شيئاً ولم يعمل به مما هوفرض فكأنه لم يعلمه وهذا مثله وبئس مثلا فدخل من يقرأ القرآن ولا يعمل به والمفرد سفر سمي لانه يسفر أي يكتشف عما فيه من المعنى وقرأ ابن مسعود كمثل حمار ومثل ذلك قول الشاعر:

لعمـرك ما يدري البعـير إذا غدا　　　بأوســاقـه أو راح ما في الغـرائـر

﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ هم اليهود والمخصوص محذوف أي ذلك المثل وقيل: هو الذين على حذف مضاف أي مثل الذين وقيل:هو مثل وفاعل بئس محذوف أي بئس المثل ويرده ان فيه حذف الفاعل كما لا يجوز والاولى حينئذ جعله الفاعل مستترا عائدا الى المثل.

﴿والله لا يهــدي القــوم الظالمــين﴾ الكافرين والآيات القرآن أو التوراة

لانهم لم يعملوا بها أو كلاهما، قيل: أراد بالظالمين اليهود. ﴿قل يا أيها الذين هـادوا﴾ هاد يهود إذا تهود ﴿إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون النـاس﴾ محمد واصحابه.

﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ قيل: نزلت بسبب ان يهود المدينة لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا يهود خيبر في امره وذكروا لهم نبوته وقالوا ان رأيتم اتباعه اطعناكم وان رأيتم خلافه خالفناه معكم فأجابهم أهل خيبر بانا نحن أبناء ابراهيم خليل الرحمن وأبناء عزيز بن الله ومنا الانبياء ومتى كانت النبوة في العرب فنحن احق بالنبوة من محمد ولا سبيل الى اتباعه أي إن كنتم من الله بهذه المنزلة من انكم الاولياء والاحباء فتمنوا من الله أن يميتكم وتفارقوا هذه الحياة الخسيسة إلى محل الكرامة والولاء يؤثر الآخرة ومبدأها الموت.

﴿ولا يتمنونه أبدا بما﴾ أي لاجل ما ﴿قدمت أيديهم﴾ من الكفر والمعاصي وقد مر انه ينسب الى اليد ما ليس عملا لها وتنسب الاعمال الى يد احد مع انه لا يد له مجازاً ولا لاتفيد التأكيد بخلاف لن وقد جعل الله لنبية ﷺ هنا معجزة واعلمه ان تمنى احدهم الموت في ايام معدودة مات وفارق الدنيا فقال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم إلا غص بريقه فلولا انهم موقنون بصدقة لتمنوا ولكن علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما اجترأ احد ان يتمنى فعجز وأحركت واو الجماعة بالضمة تبعا لمحلها وهو الرفع وقرىء بكسرها تشبيهاً بلو استطعنا.

﴿والله عليم بالظالمين﴾ فيجازيهم ﴿قل ان الموت الذي تفرون منه﴾ وتخافون أن تتمنوه بألسنتكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم ﴿فإنه ملاقيكم﴾ لا تفوتونه والجملة خبر وقرنت بالفاء لكون اسم ان موصوفا بالموصول حتى كان فرارهم سبب للحوقه بهم وقد قرأ زيد بن علي باسقاط الفاء ويجوز كون الخبر هو الذي وقرأ ابن مسعود قل ان الموت الذي تفرون منه ملاقيكم وإذا كان الموصول خبرا فالفاء عاطفة أو استئنافية.

﴿ثم تُردون إلى عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾ العلانية الرد لبعث يوم القيامة﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ومن لازم التنبئة الجزاء.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة﴾ أي لاجلها أو اليها وقيل لام التوقيت أي لوقتها ﴿من يوم﴾ بيان لأداء أو بمعنى في ﴿الجمعة﴾ سمي لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه وقيل اسماه اهل المدينة قبل الهجرة اختاروه ليذكروا الله فيه ويصلوا لما رأوا اليهود يجتمعون في السبت والنصارى في الاحد وقيل سمي لأن الله جمع فيه بين خلق آدم وقيل لانقضاء خلق المخلوقات فيه فاجتمعت في الوجود وقيل: معناه يوم الفرح المجموع وقرىء باسكان الميم وفتحها والمراد النداء عند قعود الامام على المنبر للخطبة.

وكان يؤذن بلال عند قعوده ﷺ على المنبر ولما كثر الناس في زمان عثمان زاد نداء آخر في الزوراء وهي موضع قرب المسجد عند سوق المدينة قيل كان مرتفعا كالمنارة وقيل لما تباعدت المنازل وكثر النأي زاد مؤذن آخر وأما الأذان الاول فجعله على داره المسماة بالزوراء فإذا جلس على المنبر اذن الثاني وإذا نزل اقام الصلاة ولم يعيبوا ذلك عليه.

وقيل لما اراد كعب المذكور يوما للذكر والصلاة وجعلوه يوم العروبة اجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة وهي أول جمعة في الاسلام وكان كعب بن مالك اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يوما: لم تترحم له إذا سمعت نداء الجمعة فقال: لانه أول من جمع بنا في هذا البيت في موضع يسمى نقيع الخصمان فقال له: كم كنتم يومئذ قال:اربعون وأول جمعة جمعها صلى الله عليه وسلم انه لما نزل قباء مهاجرا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب

وصلى الجمعة ونزوله قباء يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى.

﴿فاسعوا الى ذكر الله﴾ امضوا اليه مسرعين فإن السعي دون العدو وفوق المشي والذكر الخطبة عند سعيد بن المسيب وفي الحديث إذا كان يوم الجمعة كان على باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون للاول فالاول فإذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر وقيل: الذكر الخطبة والصلاة وقيل: الصلاة وهو المشهور.

قال ابو حنيفة: ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله أو سبحان الله أو الله اكبر جاز لتسمية الله الخطبة ذكراً وصعد عثمان المنبر فقال: «الحمد لله» وابسح عليه فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم إلى إمام فعال أحوج منه إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد والمشهور أن أقل ما يجزي في خطبة الجمعة وغيرها الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وعن أحمد وابي يوسف والشافعي لابد من كلام يسمى خطبة وما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين والاتقياء والموعظة والذكر في حكم ذكر الله واما ذكر الظلمة والثناء عليهم والدعاء لهم فلا يجوز وهو بعيد من ذكر الله.

وعن بعض: إن السعي هنا المبادرة وقيل: المراد المشي فقط وقيل: السعي بالنية والعمل من وضوء وغسل ومشي ولبس ثوب كل ذلك سعي قال مالك: إنما تؤتى الصلاة بالسكينة وفي الحديث في الصلاة: «لا تأتوها وأنتم تسعون وآتوها وعليكم السكينة» ويدل على أن المراد بالسعي المضي قراءة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين.

«فامضوا إلى ذكر الله»وعن ابن مسعود فلو قرأت فاسعوا لإسرعت حتى يقع رداي وسمع عمر قارئا فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أُبي بن كعب

فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وسمع ابن عمر الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد بن الحسن وهو لابأس به مالم يجهد نفسه.

والخطبة فرض وبها تنعقد الجمعة عند الجمهور وقال داود الظاهري مستحبة وعن علي اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولكن بالنية والخشوع والوقار وعنه صلى الله عليه وسلم: «اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا».

﴿وذروا البيع﴾ اتركوه وهو شامل للشراء حقيقة أو مجازا وعلى الاول ففيه استعمال اللفظ في معنييه الحقيقيين وعلى الثاني فيه استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه والواضح عندي ان المراد البيع بمعنى اتركوا عقده فهو نهي ايضاً عن الشراء لانه ينعقد بالشراء وأيضا اذا حرم البيع حرم الشراء لانه اعانة على المحرم ويحرم إذا كان الأذان الثاني وقيل الاول وهو الواضح. وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك عند الزوال والصحيح انه ان وقع ثبت وعصى المتبايعان لانه لم يحرم لعينه بل لما فيه عن الاشتغال عن الواجب.

وقد صحت صلاة الغاصب في الارض المغصوبه وبالثوب المغصوب على قول ولا يصح الوضوء بالماء المغصوب خلافا لبعض وقيل ان وقع فسد واراد ترك كل ما يشغل ولكن خص البيع لاجتماع الناس الى المصر واغتصاص الاسواق بهم عند دنو الزوال ويتكاثر البيع والشراء وقد منع بعضهم السفر بعد الزوال حتى يصلي الجمعة واجازه اصحاب الرأي ان كان يفارق البلد قبل خروج الوقت وكره ايضا قبل الزوال إلا ان كان لطاعة ومنع بعضهم السفر بعد طلوع الفجر حتى يصليها والصحيح الجواز بدليل انه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة في غزوة يوم الجمعة ولما صلى رآه فقال ما منعك ان تغز وقال اريد ان اصلي معك فالحقهم فقال:لو انفقت ما في الارض جميعاً ما ادركت فضل غزوتهم وإن عمر رأى رجلا عليه أهبة السفر يقول لولا أن اليوم يوم جمعة لخرجت فقال له عمر: اخرج فإن الجمعة لا تحبس

عن سـفر.

ولا يجب ترك البيع على من لا تجب عليه الجمعة على التحقيق كالمريض والحائض والنفساء والخائف ولا تجب إذا كانت الارض تزلق وقيل اذا ابتلت وكذا الجماعة في سائر الصلوات كما في الحديث وقد خطب ابن عباس وامر المؤذن لما بلغ حي على الصلاة ان يقول الصلاة في الرجال فنظر بعض إلى بعض انكروا ذلك فقال كأنكم انكرتم قد فعله من هو خير مني وهو النبي ﷺ ولا تجب على مملوك وامرأة وتجب في الامصار السبعة ولو مع جائر وتجب حيث كان الامام العدل ولا تجب على مسافر وتجب على من سمع النداء وتجب على المكاتب لانه حر عندنا، وقد قال بعض من قال انه عبد مابقي عليه درهم انها تجب عليه وقولان عن احمد في العبد بل روايتان عنه ولا جمعة على من لايسمـع نداءهـا إلا إن كان المؤذن غير جهـور أو منع الريح أو الاصوات من السماع وعن سعيد بن المسيب تجب على من آواه المبيت.

وعن الزهري: تجب على من كان ستة اميال وقال ربيعة: على أربعة أميال وقال مالك والليث: على ثلاثة أميال وقال ابو حنيفة لاجمعة: على أهل نواحي القـرية وتنعقـد بأربعين فصاعدا إن كانوا أحراراً بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يضعنون عنه شتاء ولا صيفا إلا ضعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم وال ولم يشترطه الشافعي وتنعقد باربعة عند ابي حنيفة بشرط الوالي وقال الاوزاعي وابو يوسف: تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال وقال الحسن: تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة: تنعقد باثنى عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه وتصح في موضعين في البلد إذا كثر الناس وضاق الجامع عند احمد لا عند الشافعي ومالك وابي يوسف ولا جمعة عند ابي حنيفـة إلا في مصر جامـع وهـو الذي اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام أو من يقوم مقامه وفي الحديث اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجماعة وان اجتمع ناس على واحد بلا اذن الامام فصلى بهم جاز عند بعض ولا تجب على الاعمى ولا على الشيخ الذي لايقدر.

﴿ذلكم﴾ السعي إلى ذكر الله ﴿خير لكم﴾ من المعاملة بالبيع والشراء وما يشغل لأن نفع الآخرة خير وأبقى ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير والشر أو كنتم من أهل العلم وعنه ﷺ «من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر كتب من المنافقين» وعن ابن عباس: «من تركها أربعا من غير عذر طبع الله على قلبه» قيل: ابطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا انهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم بقوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وافتخروا انهم اهل كتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وافتخروا بالسبت فشرع الله فيهم الجمعة.

وعنه صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهوعند الله يوم المزيد». وقال: اتاني جبرائيل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد وقال: ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وعن كعب:ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم «من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر» وقال: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول» وكانت الطرق في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج.

وقيل: أول بدعة احدثت ترك البكور الى الجمعة وبكر ابن مسعود فرأى ثلاثة سبقوه فاغتم وعاتب نفسه وقال اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد وقال صلى الله عليه وسلم: يبعث الله الايام على هيئاتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها محفون بها كالعروس تهدي الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها الوانهم كالثلج بياضاً وريحهم يسطع كالمسك يخوضون جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجباً يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون وقال صلى الله عليه وسلم: «في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد

مسلم وهو يصلي فهو يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها وفي روايات اسقاط قيد الصلاة ذكر ابو هريرة ذلك لكعب فقال كعب ذلك في كل سنة فقال أبو هريرة : في كل جمعة فقرأ كعب التوراة وقال: صدق رسول الله ﷺ .

التقى كعب معه في الطور فهو يحدثه عن التوراة وابو هريرة يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مما حدث به كعبا ما مر انه يقع في يوم الجمعة أو وقع وقال ايضاً له انه تيب على آدم فيه وانه مات فيه وما من دابـة لا مصخية حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والانس وصدقه كعب ولقي عبد الله بن سلام فحدثه بمجلسه مع كعب وما قالا قال عبـدالله قد علمت ساعـة الاجـابـة فيها فقال أخبرني ولا تكن عني أو لاتضن علي قال هي آخر ساعة فقال كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي الخ . . . . . . وتلك الساعة لايصلي فيها فقـال عبـدالله : ألم يقل من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في الصلاة حتى يصليها فقال: بلى.

وفي الحـديث عنه صلى الله عليه وسلم «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة أي كغسلها ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنه ومن راح في الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الثالثة فكأنما قرب كبشا ومن راح في الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الخامسة فكأنما قرب بيضة».

وقال صلى الله عليه وسلم : «من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم جاء واستمع وأنصت غفر له ما بينها وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا ومن قال انصت فقد لغا ومس الحصى لغو إذا مسه على جهة العبث به ولا يجب لها الغسل ولكنه أفضل إلا من لزمه لنحو جنابة وقال: من غسل لها غفر له ومن اغبرت قدماه في سبيل الله عفر له» وقال «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع ويدهن ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الامام إلا غفر له ما بينها وبين

الأخرى وقال: «من غسل واغتسل وبكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها» قول مكحول معنى غسل واغتسل غسل رأسه وجسده.

وقال صلى الله عليه وسلم «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» والودع الترك وفيه دليل على وجود مصدر لـ (ودع) وورد عنه أنه هتم أن يأمر من يصلي الجماعة في سائر الأيام والجمعة ويتخلف يحرق بيوت من لا يحضرهما ومسائل الجمعة كثيرة مذكورة في الايضاح والقناطير وغيرهما.

﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أديت **﴿فانتشروا في الارض﴾** تفرقوا فيها **﴿وابتغوا﴾** اطلبوا **﴿من فضل الله﴾** من رزقه وذلك اطلاق بعد حصر ولا يخفي انه اباحة بعد منع واراد الطلب مع التلبس بذكر الله وليس الانتشار أو الابتغاء واجبين وان قعد في المسجد فافضل وانما الاية مثل وإذا حللتم فاصطادوا فإنهم إن لم يصطادوا فلا بأس وقوله فكاتبوهم إن علمتم فيه خيرا وقوله وللمطلقات متاع إلا التي تطلق قبل الدخول فلها المتعة فرضا.

وكان بعضهم إذا صلى الجمعة انصرف إلى باب المسجد فقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وعن ابن عباس وانس ابتغاء الفضل عنا عيادة المريض وحضور الجنازة وزيارة أخ في الله وفي، وهذا ينبغي ان يكون المرء بقية يومه وقال الحسن وسعيد بن المسيب ومكحول الفضل المبتغي العلم فينبغي طلبه بعد صلاة الجمعة وقيل صلاة النافلة وكان بعض السلف لا يشغل نفسه بعد صلاة الجمعة بشيء من الدنيا عملا بالاية.

﴿واذكروا الله كثيرا﴾ في جميع احوالكم إلا حال قضاء الحاجة ونحوه ولا تخضوا الذكر بالصلاة وذلك ذكر باللسان ولكن لا يعتد به ما لم يحضر القلب وقيل ذكره طاعته ولا يكون قيل احد ذاكرا لله كثيرا إلا ان ذكره قائما وقاعدا أو مضطجعا وعن معاذ بن جبل واشيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله.

﴿لعلكـم تفلحــــون﴾ تفـوزون بخير الدنيا والآخرة وروي ان أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة الكلبي وهو الذي يجيء جبريل على صورته وكان إذ ذاك مشركا ثم أسلم بعد بتجارة من الشام زيت ودقيق وبر وغير ذلك من الطعام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة وكان إذا جاء ضرب الطبل ايذاناً بقدومه فيجيء الناس للبيع منه وذلك في احجار الزيت وهو مكان وفي سوق المدينة وبه ينزل ولا تبقى عاتق فضلا عن غيرها إلا اتته للاحتياج ولرؤية وجهه ولما رأوه بالبقيع وقيل لما سمعوا الطبل قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثمانية فيهم ابو بكر وعمر وقيل احد عشر وقيل اثنى عشر رجلا وامرأة وقيل اربعون فقال ﷺ:والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لضرم الله عليهم الوادي نارا وروي لو تبايعتم لاحاط بكم الوادي نارا وروي لو تتابعتم حتى لايبقى منكم احد لسأل بكم الوادي نارا وقال لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء وكان فيمن بقي جابر بن عبد الله وعمار ابن ياسر وبلال وابن مسعود وعثمان وعلى وطلحة والزبير وغيرهم فنزل.

﴿وإذا رأوا تجــارة أو لهــواً انفضـــوا﴾ ذهبوا وتفرقوا عنك ﴿إليـهــا﴾ والأصــل أو لهو انـفضـوا إليهــا وحــذف للدلالــة إليه فالأصــل وإذا رأوا تجارة انـفضــوا إليهــا وحــذف للدلالــة وقـرىء انفضــوا إليهــا والأفــراد عنـدي أولى والتجارة غير دحية واللهو الطبل والتصفيق كانوا يتلقون العير بالطبل والتصفيق والصياح والمعازف سرورا عن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير وقيل:اللهو النظر الى وجهه وقيل كان سودان يلعبون بالمدينة للهوا وقيل:أعاد الضمير للتجارة وحدها لانها اهم وهي كانت سبب للهو وعطف اللهو للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل وروية دحية أو للدلالة على ان انفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها إذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اقبح.

﴿وتـركـــوك قائـمــا﴾ على المنبر تخطب للجمعة وفيه دليل على انه ﷺ يخطب قائما كما سئل ابن مسعود اكان ﷺ يخطب قائما أو قاعدا فقال أو ما

تقرأون وتركوك قائما وكذلك يجب ان نفعل لكن نفصل بجلسه ولا بأس بتركها وروي انه ﷺ يجلسها رواه ابن عمر وجابر بن سمرة قال: يقرأ القرآن ويذكر النـاس ومن حدثـك انه يخطب جالسا فقد كذب ودخل كعب بن عجرة المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال: انظروا الى هذا الخبيث يخطب جالسا وقد قال الله﴿وتركوك قائما﴾.

ولم يشترط ابو حنيفة واحمد القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة في أحد قولي الشافعي واقل الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بالتقوى ويجب ان يقرأ قبل ان يجلس أيه ويدعو للمؤمنين بعده وان ترك بعض ذلك لم تتم جمعته عند الشافعي قال جابر بن سمرة كنت اصلي مع رسول الله ﷺ وكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا وقال ﷺ:«كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء وكل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» وعن جابر بن عبد الله: كان صلى الله عليه وسلم يحمد الله ويثني في الخـطبة ثم يعلو صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر بجيش يصبح أو يمسي ويقول بعثت انا والساعة كهاتين يفرق بين السبابة والوسطى ويقول امـا بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي.

وعن ابن مسعـود: كان إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا ويسن للأمام إذا صعد المنبر ان يستقبل الناس ويسلم عليهم عند الشافعي خلافا لابي حنيفة ومالك في التسليم ويحرم الكلام على مستمع الخطبة دون الخطيب على ما صححوا وإذا دخل والامام يخطب صلى تحية المسجد عنده خلافا لابي حنيفة ومالك ولغواً من قال لصاحبه انصت ولكن يشير وحصب ابن عمر رجلين يتحدثان والامام يخطب ان اسكتا والحصب الضرب بالحصباء وان مفسرة.

وكان صلى الله عليه وسلم «إذا تشهد قال:الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي

له واشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لايضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا»، وروي ومن يعصيهما فقد غوى ونسأل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسله ويتبع رضوانه وان يجتنب سخطه إنا نحن به وله.

قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام وان نفر الناس عن الامام فإن بقي وحده او في اقل من ثلاثة فعند ابي حنيفة يستأنف الظهر اربعاً ان نفروا قبل الركوع وقال صاحباه اذا كبر وهم معه مضى فيها وقال زفر إذ انفروا قبل التشهد بطلت وهي ركعتان يجهر فيهما بالفاتحة وسورة وكـان ﷺ وأبـو هريرة يقرأون الجمعة في الأولى وسورة المنافقين في الثانية وكان ابو هريرة خليفة في المدينة عن مروان عند سفره إلى مكة وعن النعمان بن بشير كان ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسورة الاعلى والغاشية ووقتها الزوال.

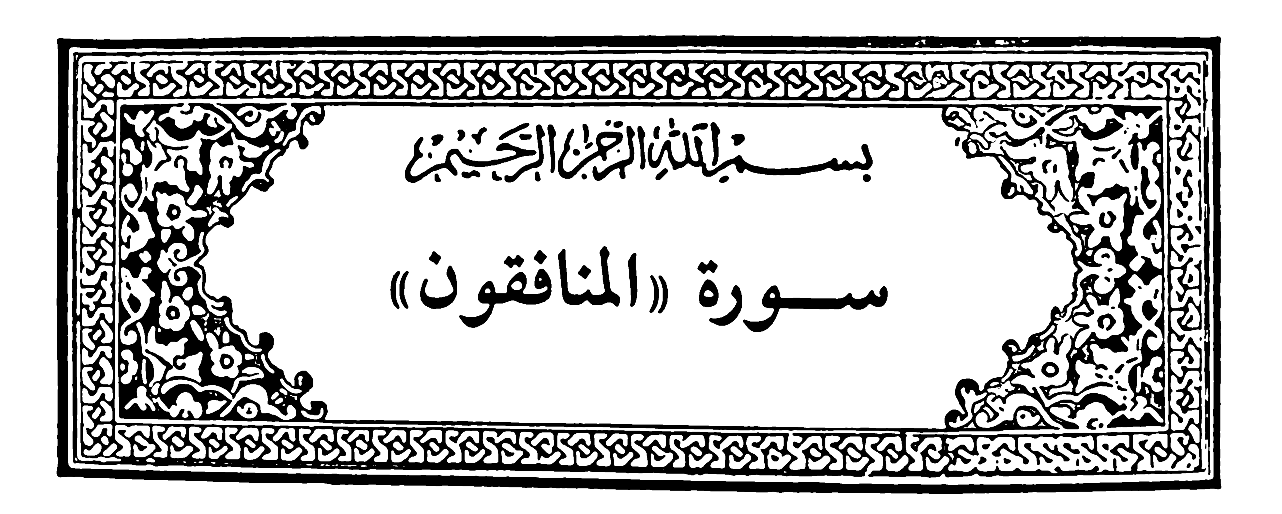
قيل: وكانت الخطبة بعد الصلاة ثم حولت قبلها ووقتها ممتد الى وقت العصر فإذا دخل العصر صلوا اربعا ولا يبتدىء الخطبة قبل تمام العدد وهو اربعون عند الشافعي فلو نقص واحد قبل الدخول في الصلاة صلوا اربعاً واصح اقوال الشافعي فيما قيل ان الاربعين شرط الى آخر الصلاة ولو نقص واحد قبل التسليم صلوا اربعاً وقيل: ان بقي معه اثنان اتموها جمعة وان ادرك المسبوق أقل من ركعة أتم أربعا وإن أدرك ركعة فإذا سلم الامام أتمها جمعة.

وقال المزني: ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة اتمها جمعة ولو وحده وان كان في الاولى اتمها اربعاً وان نقص من العدد واحد ونسب لابي حنيفة.

﴿قـل مـا عنـد الله﴾ من ثـواب الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿خير من اللهـو ومن التجـارة﴾ في نفسـه وتخليده وتحقيقه بخلاف اللهو والتجارة.

﴿والله خـير الرازقـين﴾ كل من ينفق على احد فهو رازق أي منفق من رزق الله سبحانه والله خير من يرزق فعليه توكلوا ومنه اطلبوا.

اللهم ببركة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبركة السورة اخزي النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله واصحابه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «المنافقون»

مدنية آيها احدى عشرة وكلمها مائة وثمانون وحروفها ستمائة وسبعون وفي الحديث «من قرأ سورة المنافقين بريء من النفاق» وتقرأ على الرمد والأوجاع الباطنة والدماميل تزول بإذن الله تعالى.

بسـم الله الرحمـن والرحيـم

﴿إذا جـاءك المنـافقـون﴾ عبد الله بن أُبي بن سلول واصحابه ﴿قالـوا نشـهد إنك لـرسـول الله﴾ بألسنتنـا وقلوبنـا ﴿والله يعلم إنك لرسـوله﴾ حقا ﴿والله يشـهد﴾ يعلـم.

﴿إن المنافقـين لكـاذبـون﴾ لانهم وإن قالوا بالسنتهم انك لرسول الله لم يعتقدوارسالتك في قلوبهم والشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق الله المشهود به وكذب الشاهدين في ادعائهم مواطاة قلوبهم لالسنتهم لان القلب إذا خلا عن المـواطـأة للسـان لم تكن شهادة الحقيقة فهم كاذبون في تسمية ذلك شهادة وقال والله يعلم انك لرسوله لئلا يوهم قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ان ادعاء الرسالة كذب وانه ﷺ غير رسول فإن نفس الرسالة صحيح ونفس إيمائها صحيح والكذب انما جاء من حيث لم تواطىء قلوبهم السنتهم أو أدوا لله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانـوا يعتقـدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه وقيل: قالوا اذا التقينا المشركين شهدنا عندهم انك رسول الله.

والكذب عند الجمهور عدم مطابقة الخبر للواقع ولو طابق الاعتقاد وقال النظام عدم مطابقة الاعتقاد المخبر ولو كان اعتقاده خطاء مستدلا بالآية فإنه سبحانه اطلق عليهم انهم كاذبون في قولهم انك رسول الله مع مطابقته للواقع

وهو انه رسوله حيث خالف خبرهم معتقدهم الذي هو انه غير رسول الله ورد بأن المراد كاذبون في ادعائهم انا نشهد بقلوبنا كالسنتنا انه رسول الله وما قيل ان الكـذب راجع الى نشهد وانه خبر غير مطابق للواقع ليس بشيء لظهور انه ليس بخبر بل انشاء والانشاء لا يوصف بالصدق أو الكذب.

إلا ان قلنا انهم قالوا نشهد برسالتك عند المشركين كلما لقبناهم كما اشار اليه الشيخ هود-رحمه الله-فإنه صح انه خبر ويمكن رد استدلال النظام ايضاً بأن المراد كاذبون في تسميتها شهادة لعدم مواطأة القلب كما ذكره جار الله وكما مر ورده السعد بأن مثل هذا يكون غلطا في إطلاق اللفظ لا كذبا لأن تسمية شيء ليست اخبار أو لو سلم فاشتراط المواطأة في مطلق الشهادة ممنوع انتهى.

قلت لانسلم ان ذلك غلط لانهم قالوه قصداً لاسبق لسان ولا نسلم ان تلك التسمية ليست خبرا بل خبر لأن مضمونها بحسب اللفظ انك رسول الله في نطقنا واعتقادنا وليست هذه مطلق شهادة حتى لا يشترط فيها مواطأة الاعتقـاد بل شهـادة عما في القلب في زعمهم بشهـادة ان واللام والجملة الاسمية ويمكن رد استدلال النظام ايضا بأن المراد كاذبون في ادعاء مواطأة قلوبهم وبأن المراد كاذبون في زعمهم انهم لم يقولوا لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وابسط ذلك في المعاني.

﴿اتخـــذوا أيمـــانهـم﴾ جمع يمين وهي الحلف واراد أيمانهم الكاذبة إنا لم نقل لا تنفقوا وإنا لم نقل لئن رجعناأو اراد قولهم نشهد انك لرسول الله فإن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد كالعزم وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين وقرأ الحسن ايمانهم بكسر الهمزة مصدر أمن أي ما اظهروه بالسنتهم من التصديق ويعضده ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا.

﴿جُنّـــة﴾ سترة عن اموالهم ودمائهـــم ﴿فصـــدوا﴾ اعرضـــوا ﴿عـــن سبيـــل الله﴾ أي دينه أو صدوا الناس أي منعوهم عن سبيل الله من الايمان والـطاعـة والجهـاد، ﴿انهـم ســاء﴾ مبـالغـة ذم وتعجيب ﴿مـا كانــوا

يعملــون﴾ من نفاق وصد الناس عن السبيل وصدودهم.

﴿ذلـــك﴾ أي قولنـا ساء ما كانـوا يعملون أو ما ذكـر من النفـاق والكذب والصد والاستحقار بالايمان **﴿بأنــهـم﴾** أي بسبب أنهم **﴿آمنوا﴾** نطقا لا اعتقادا **﴿ثم كفروا﴾** أي ظهر كفرهم بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقـولـه محمـد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات أو داموا على كفرهم في قلوبهم أو آمنوا ظاهرا عند المؤمنين وكفروا أي اظهروا الكفر عند المشركين أو آمنوا إذا رأوا آية ثم كفروا حيث ما سمعوا من شياطينهم أي المشركين شبهة أو المراد اهل الردة.

﴿فطُبــع﴾ ختـم وقرأ زيد بن علي فطبع الله **﴿علـى قلوبـــهم﴾** فاستحكمـوا في الكفـر **﴿فهـم لا يفقــهون﴾** حقيقة الايمان وصحته ولا يتدبرون القرآن **﴿وإذا رأيتهم تعجبــك اجســامهم﴾** لجمالها **﴿وان يقــولوا تســمع﴾** وقرىء يسمع بالتحتية والبناء للمفعول والخطاب في الاولى للنبي ومن يمكن **﴿لقــولهــم﴾** لفصاحته فتحسب انه صدق قال ابن عباس وغيره كان عبد الله بن ابي بن سلول جسيما جميلا فصيحا وقوم من المنافقين في صفتـه وهم رؤساء المدينة يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستنـدن فيه ولهم جهـارة المنـاظـر وفصـاحة الألسن فكان النبي ﷺ ومن حضر مجلسه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وكان عبد الله لمذكور ابهى المنافقين واطولهم ولم يوجد قميص يكسو العباس إلا قميصه.

﴿كـأنــهــم﴾ من عظم اجسامهم وهم مستندون وخلوهم عن الايمان والبحث عنه **﴿خُشــب﴾** وقرأ ابو عمر والكسائي قيل وابن كثير بسكون الشين تخفيفا أو جمعه خشبة بضم الخاء وسكون الشين وقرىء خشب بفتح الخاء واسكان الشين جمع خشبة كذلك وقرأ ابن عباس بكسر فاء فاسكان جمع خشبة كذلك.

﴿مُســندّة﴾ شبههم بالخشب المسندة لانها لا منفعة فيها بخلاف ما لو

كانت في سقف أو جدار أو نحوهما وقيل الخشب جمع خشباء كحمراء وحمر وهي التي جلا جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد باطنهم ويجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم فهم أجسام بلا احلام والجملة مستأنفة أو خبر لمحذوف مستأنف أي هم كأنهم الى الخ . . . أو حال من هاء قولهم.

﴿يحسبون كل صيحة﴾ كنداء في العسكر وانشاد ضالة وصوت لنفار دابة. ﴿عليهم﴾ مفعول ثاني وبه تم الكلام أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم لجبنهم وخبث افعالهم واقوالهم فضح الله ما اسروه من الخوف وقيل كانوا يتوقعون ان يؤمر النبي بقتلهم وكانوا على وجل ان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم فإذا اخبروا بنزول وحي طارت عقولهم حتى يعلموا انه في غيرهم.

﴿هم﴾ أي المنافقون ﴿العدو﴾ أي الكاملون في العدواة لقولك زيد الرجل قال للكمال لان اعدى الاعداء العود المكاشر والجملة مستأنفة. ﴿فاحذرهم﴾ لا تأمنهم وهم عيون لاعدائك ينقلون اليهم احوالك ولا يغررك ظاهرهم ويجوز ان يتعلق عليهم بيحسبون وهم العدو مفعول ثان والضمير لكل أو لصيحة ولم يقل هو أو هي نظرا للخبر أو يقدر مضاف أو لا أي يحسبون أهل كل صيحة هم العدو لكن قوله فاحذرهم يدل على ان الضمير في قوله هم العدو للمنافقين لا لاصحاب الصيحة إلا ان يقال فاحذرهم ترتيب على كونهم يحسبون كل صيحة عليهم لانهم يحسبونها عليهم لكونهم قد عملوا في السر بالعداوة.

﴿قاتلهم الله﴾ ذم لهم ولعن على صورة الدعاء أي انهم أهل للخزي والهلاك أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك ولا يظهر عندي ان يقال انه طلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم وقال جار الله والقاضي انه طلب من ذاته ذلك.

﴿أنــى يؤفــكــون﴾ كيف يصرفون عن الايمــان مع سطوع البراهين انكار الحقيقة الصرف وابعادا لها وتعجيب من جهلهم وضلالتهم ومن كتب وإذا رأيتهم الى يؤفكون وعلقها أو قرأها على تراب طاهر لم يطأه أحد ويرش في وجه العدو من حيث لا يدري خرص عنه وكف اذاه.

﴿وإذا قيل لهم تعالـوا يستغفـر﴾ مجزوم في جواب الامر ﴿لكـم رسول الله لوّوا﴾ جواب إذا والواو الاولى المفتوحة عين الكلمة ولامها ياء منقلبة الفا محذوفة والواو الثانية الساكنة سكونا حيا وواو الجماعة وشدد غير نافع قيل وغير عاصم الواو الاولى للتكثير والمراد الامالة والاعراض عن الاستغفار استكبارا.

﴿رؤوسـهم ورأيتـهم يصـدون﴾ أي يعـرضون عن ذلك ﴿وهـم﴾ مفتـوحـة ﴿مسـتكبرون﴾ عن الاعتذار ﴿سـواء عليهم استغفرت لهم﴾ باشبـاع ميم عليهم كميم لهم لان همزة استغفـرت همزة قطع ثابتـة وهي للاستفهـام في الاصل وهمزة الوصل مكسورة محذوفة واشبع ابو جعفر فتح الهمزة للاظهار والبيان لا لقلب همزة الوصل الفا كقلبها في الله وقرىء بضم الميم بلا اشباع مع حذف همزة الاستفهام لدلالة أم عليها.

﴿أم لم تسـتغفر لهـم﴾ لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به رسوخا في الكفر ولانهم شقات في الازل.

﴿لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ فسق شرك أو فسق نفاق والفاسق الخارج خرجوا عن الحق والمراد العموم أو هؤلاء المنافقون فوضع الظاهر موضع الضمير ذما لهم بأسم الفسق زعم بعض هذه الاية ناسخة لقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. روي انه قال لو علمت اني لو زدت على السبعين لغفر لهم لزدت وقيل قال أما والله لاستغفرن لهم مالم انه وقيل قال والله لازيدن على السبعين قيل وفي الحديث دليل على رفض دليل الخطاب والله أعلم.

روي أن بني المصـطلق اجتمعـوا لحربـه صلى الله عليه وسلم وقائدهم الحـارث بن أبي ضرار وهـو أبـو جويرية زوجـة النبي صلى الله عليه وسلم فخرج

إليهم فلقيهم على ماء لهم يسمى المريسع من ناحية قديد إلى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم ونقل صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فيئا رده عليهم فبينما الناس اذ وردت واردة على ذلك الماء فيهم عمر ابن الخطاب معه أجير من غفار يقود فرسه اسمه جهجاه بن سعيد فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني الانصاري حليف بني عوف بن الخزرج فهو حليف لعبد الله بن ابي على الماء فاقتتلا فنادى جهجاه يا للمهاجرين ونادى سنان يا للأنصار وأعان جهجاها رجل من المهاجرين فقير يقال له جعال ولطم سنانا فاشتكى سنان عبد الله أو كان يبصر فقال عبد الله لجعال وانك لهناك أي انك بهذه المنزلة من ضرب سنان قال ذلك ازدراء به فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك وشدد لسانه على عبد الله ومع عبد الله رهط من قومه فقال عبد الله غضباناً ما صحبنا محمداً إلا لنلطم وقيل ان جهجاها ضرب سنانا بخشبة على رأسه وقال عبدالله فعلوها وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اخرجوهم الى عشائرهم والحقوا محمداً بقريش لايمتلك علينا ونملك علينا رجلا من انفسنا هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم واما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتي ينفضوا من حول محمد كما قال عز وجل.

﴿هم﴾ أي عبد الله ومن تبعه ﴿الذين يقولون﴾ لاصحابهم من الانصار ﴿**لاتنفقوا على مَن عند رسول الله**﴾ جهجاه وغيره من فقراء المهاجرين ﴿**حتى ينفضوا**﴾ كي يتفرقوا عنه أو حتى للغاية أي فإذا تفرقوا فانفقوا عليهم وقرىء بضم الياء وكسر الفاء وتخفيف الضاد من انفض القوم إذا افنيت ازوادهم جمع زاد وقبح الله رأيهم بقوله ﴿ولله﴾ لا لغيره ﴿**خزائن السموات والارض**﴾ فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم وهو المانع المعطي ﴿**ولكن المنافقين لا يفقهون**﴾ ان الامر لله يقول للشيء كن فيكون وروي انه صلى الله عليه وسلم لما نادى جهجاه للمهاجرين ونادى سنان يا للانصار خرج اليهم وقال مابال دعوى الجاهلية فلما اخبروه بالقصة قال: دعوها فانها منتنة.

وقال ايضاً عبد الله في جملة كلامه ما حكى الله عنه بقوله ﴿يقولون لئن رجعنا﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿إلى المدينة ليخرجن الأعز﴾ فاعل ﴿منها﴾ متعلق بيخرج ﴿الأذل﴾ مفعول أراودا بالأعز أنفسهم وبالأذل المسلمين وقرىء بفتح الياء وضم الراء فالأذل مفعول مطلق أي خروج الأذل قيل أو حال على زيادة ال وكذا على قراءة البناء للمفعول وقرأ الحسن ابن أبي عبله بنون مضمومة وراء مكسورة ونصب الاعز على المفعولية والاذل على انه مفعول مطلق أي اخراج الاذل أو حال على ما مر ويجوز ان يكون حالا هنا وعلى القراءة الثانية بتقدير مضاف عند بعضهم أي مثل الاذل.

قال ابن هشام وهذا اولى من دعوى زيادة ال واجاز بعضهم تعريف الحال وقبح الله قائلي ذلك وازرابهم بقوله ﴿ولله العزة﴾ قدم المجرور للتعظيم ﴿ولرسوله وللمؤمنين﴾ لا للمشركين والمنافقين يعز الله دينه ورسوله والمؤمنين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة انها قالت السبق على الاسلام وهو العز الذي لاذل معه والغنى الذي لا فقر معه.

وعن الحسن: ان رجلا قال له ان الناس قالوا فيك تيه قال لابل عزة وتلا الآية وفي الآية القول بالموجب اذ وقعت صفة في كلام الغير كناية عن شي اثبت له حكم واثبتها المتكلم لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير أو نفيه عنه فالغير المنافقون والاعزيه صفة وكنوا بالاعز عن فريقهم وفريقهم هوالشيء المثبت له حكم والحكم الاخراج والمتكلم الله اثبت العز لغير ذلك الفريق اثبته لنفسه ورسوله والمؤمنين ولم يتعرض لثبوت الاخراج له ولرسوله والمؤمنين ولا لنفيه.

﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ ذلك ولما قال عبد الله ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد بن ارقم جزاه الله عن الاسلام خيرا وكان شابا انت والله الذليل القليل المبغض في قومه ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين ومحبة ولا أحبك ابدا بعد هذه فقال له عبد الله-لعنه الله-اسكت انما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عمر رضي الله عنه

فقال دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال: فإن كرهت ان يقتله مهما جر فأمر به انصاريا يقتله قال يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل فارتحلوا وذلك في ساعة لم يكن ﷺ يرتحل فيها فارسل الى عبد الله فأتاه فقال انت قائل ما بلغني فحلف هو وقوم منافقون بالذي انزل عليه الكتاب ان لا وكذبوا زيدا فعذره ﷺ وكذب زيدا.

وفي رواية وروي ان عبد الله لما حلف وقال ما قال ما عملت عملا هو ارجى ان ادخل به الجنة من غزوتي هذه معك وروي ان قوما من الانصار قالوا يا رسول الله هو شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام لعله وهم وقال صلى الله عليه وسلم لزيد لعلك غضبت عليه قال: لا قال: فلعله شبه عليك قال لا وفشت الملامة في الانصار لزيد وكذبوه وكان معه عمه وقال له ما اردت إلا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومفتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم واستحى بعد ذلك ان يدنو منه وكان الا يتصرف في الناس حياء ولما نزل الناس سلم اسيد بن حصيد عليه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال اوما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن ابي فقال: وما قال: قال يزعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد انت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال يارسول الله: ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه يرى انك سلبته ملكا.

ولما بلغ ذلك ابن عبد الله واسمه حباب وسماه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد الله وقال ان حباب اسم شيطان وكان مخلصا قال بلغني انك تريد قتل ابي مرني احمل اليك رأسه ولقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني وان قتله غيري لم تدعني نفسي انظر الى قاتله يمشي على الارض فاقتل مسلما بكافر فادخل النار فقال ﷺ ترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وسار رسول الله ﷺ يومه وليلته وصدر اليوم حتى اذتهم الشمس فنزل

فنامـوا فعل ذلك ليشغلهم عن حديث عبد الله الكائن بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء فريق البقيع اسمه نقعاء فهاجت ليلا ريح شديدة آذتهم وخافوها وظلت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال لا تخافوا انما هبت لموت عظيم من الكفار بالمدينة فقيل: من هو فقال:هو رفاعة بن زيد بن التابوت من اليهود وكان كهفا للمنافقين ذا مال وجاه فقال: منافق كيف اذن لا يعلم مكان ناقته هلا اخبره بها الذي يأتيه بالوحي فاخبره جبريل بقول المنافق وبأن ناقته بالعشب تعلق زمامها بشجرة فإذا هي كذلك فجاؤوا بها فأمن المنافق وحسن ايمانه.

ولما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بلغ زيد المدينة جلس في بيته حياء وهما فانزل الله السورة في تصديقه وتكذيب عبد الله فبعث الى زيد وضحك في وجهه وقال ان الله صدقك وعرك اذنه فقال وفت أذنك يا غلام وقيل كان ذلك قبل بلوغ المدينة روي ان تصديقه نزل في السفر حال الرجوع بين مايسير نزل عليه عذر زيد فتخلل الناس حتى لحقه وعرك اذنه وصدقه ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة تعرض له ابنه وقال:وراءك والله لا تدخل حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل ولم يزل حبيسا في يده حتى امره صلى الله عليه وسلم بتخليته.

وروي انه قال له لان لم تقر لله ورسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افـاعل انت قال:نعم فلما رأى منه الجد قال: اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال ﷺ لابنه: جزاك الله عن رسول الله خيرا، وقال ايضـاً لا تنقلب الى المدينة حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز فأقر.

وروي ايضاً انه اناخ على مجامع طرق المدينة وجرد سيفه فجاء ابوه فقال له وراءك قال ويلك مالك قال: لا والله لا تدخلها ابدا إلا بأذن رسول الله ﷺ وليعلمن ان اليوم من الاعز ومن الاذل فشكاه الى النبي رسول الله ﷺ فارسل اليه ان دعه يدخل فقال: اما اذا جاء امر رسول الله ﷺ فنعم ولما بان كذبه اخزى وقيل له: اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فإنه نزلت فيك اي شداد فلوى رأسه كما قال الله سبحانه، وقال امرتموني

ان اؤمن فأمنت وان ازكي مالي فزكيت فما بقي إلا ان اسجد لمحمد ﷺ ولبث اياماً قلائلا فاشتكى فمات.

وقال جابر بن عبد الله: كان في المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصار وتداعى الانصاري يا للانصار والمهاجر يا للمهاجرين فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم من رحله فقال: مابال دعوى الجاهليةثم قال: ما شأنهم فاخبر بكسعة المهاجر للانصاري فقال دعوها فانها خبيثة فقال عبد الله لان رجعنا الى المدينة وما تقدم وقيل: كان ذلك كله في عزوة تبوك لا في غزوة المصطلق.

﴿**يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**﴾ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها ومحبتها عن العبادة كالصلاة والقرآن وغيرهما نفلا وفرضا ولا بطلب نماءها وايجاد ما ينفع إلا ولا في الحياة والممات قيل توجبه اللهو إلى ذلك مبالغة ولذلك قال ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ اللهو بها والاشتغال ﴿**فاولئك هم الخاسرون**﴾ في تجارتهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني صاروا في النار وخسروا الجنة وقيل ذكر الله القرآن وقيل الصلوات الخمس وقيل الفرائض وعليه الحسن وقال الكلبي: الجهاد ومن عيوب النفس الاشتغال بما لا يعني والخوض مع اهلها ودواءه ان يعلم ان وقته اعز الاشياء فليشغله باعز الاشياء وهو ذكر الله ومداومة الطاعة والاخلاص من النفس و في الحديث «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وعن الحسين بن منصور عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك وروي أنها نزلت في المنافقين تلهيهم أموالهم وأولادهم فآمنوا بمعنى أقروا بألسنتهم والصحيح أنها نهي للمؤمنين أن يلهوا كالمنافقين.

﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم**﴾ من للتبعيض والمراد الزكاة قاله ابن عباس يعني وما كان واجبا كمال يصرفه الحاج عن نفسه ومال ينفقه الرجل على من لزمته نفقته وقال جماعة المراد النفقة الواجبة والمندوبة وقيل نفقة الحج.

﴿من قبل ان يأتي أحدكم الموت﴾ أي دلائله ويعاين مآسيه معه من الامهال ويفوت وقت العمل والقبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه كما قال الغفور الرحيم ﴿فيقول﴾ يا ﴿رب لولا﴾ حرف تحضيض أو لا زائدة واو حرف تمن ﴿أخرتني﴾ امهلتني واخرت موتي وقرىء باسقاط الياء ﴿إلى أجل قريب﴾ زمن قريب قليل استدرك فيه الفوت واوسي الجرح وعن ابن عباس: أرادوا بالأجل القريب مثل أجلهم في الدنيا وعمر العبد قليل.

﴿فأصدّق﴾ بالنصب في جواب التحضيض أو التمني واصله اتصدق ابدلت التاء صادا وادغمت وقرأ ابي بالاصل ﴿وأكن﴾ بالجزم عطفا على المعنى اعني على تقدير اسقاط الفاء من قوله فاصدق فيكون مجزوما في جواب التحضيض أو التمني فيعطف عليه بالجزم أي ان اخرتني اصدق واكن، ﴿من الصالحين﴾ بالتدارك ويسمى مثل ذلك العطف في غير القرآن عطف توهم قال ابن هشام: قال السيرافي والفارسي: عطف على محل فأصدّق ليست في محل جزم كما هي في محله في ومن يضلل الله فلا هادي له انتهى ومثل قولهما.

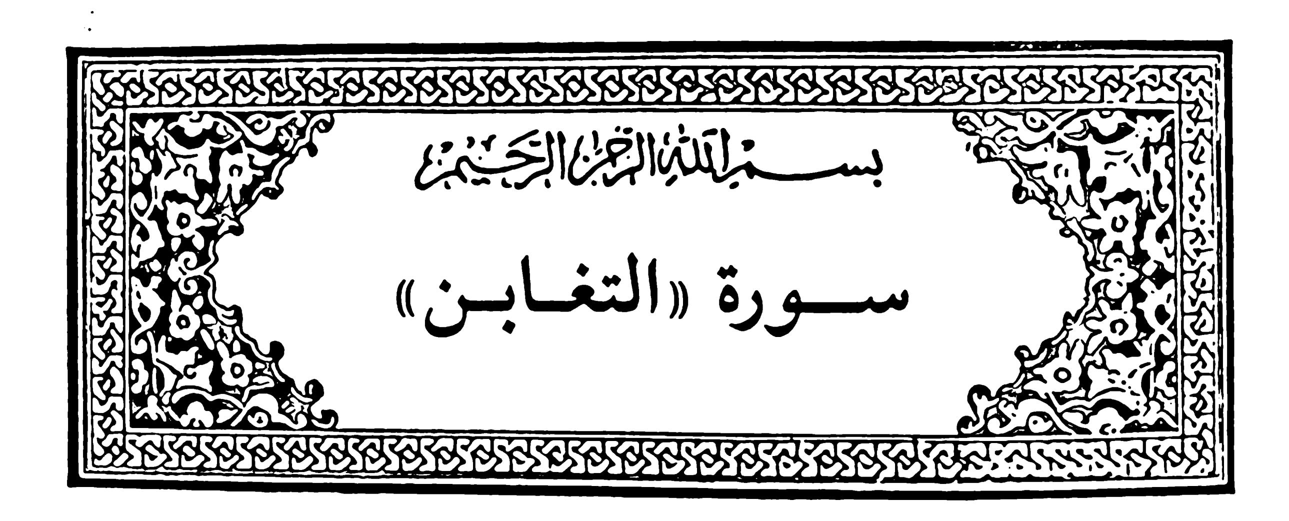
قال القاضي: ولعل مراد القاضي ومرادهما ان اصدق في تأويل مصدر خبر لمحذوف والجملة جواب شرط محذوف أي ان اخرتني فامري التصديق وقرأ عمرو واكون بالنصب عطفا على اللفظ وقرأ عبيد بن عمير بالرفع أي وانا اكون فذلك عدة بالصلاح وعن ابن عباس تصدقوا من قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه نزلت في مانعي الزكاة وقال: والله لو رأى خير لما سأل الرجعة فقيل له: أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال: نعم انا اقرأ عليكم به قرآنا يعني انها نزلت في اهل القبلة كما قال عكرمة والحسن القائل ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة قيل معنى فاصدق فاحج وقيل غير ذلك على حد ما مر في الانفاق والآية تدل على ان وصية الحقوق التي

لا خصم فيها من الثلث كالكفارة والعتق فإن التحسر عن التصدق انما هو لفوته اياهم إلا من الثلث اذ لو كان يصح على كل كيفية ارادوها لما تحسروا لانه انما يتحسر الانسان عما فاته ولو كانوا يدركون كل ما اوصوا به ولو فوق الثلث لاوصوا به وزال التحسر عنهم وفي الزكاة من الايضاح تلويح بذلك.

﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾ لن يمهلها إذا جاء اخر عمرها نفي التأخير بحذف التوكيد تحضيضا على مبادرة الاعمال حيث كان الموت يهجم ولا بد ولا تأخير له.

﴿**والله خبير بما تعملون**﴾ لو ردكم الى الدنيا أي او أخركم لما صلحتم وقيل المعنى ان الله يعلم ما فعل العبد من خير وشر فيجازيه وقرأ ابو بكر بالمثناة تحت ليوافق ماقبله في الغيبة.

اللهم بحق السورة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم علينا اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «التغابن»

مدنية كلها وعليه الاكثر وقيل مكية كلها وقيل: مكية إلا يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم الى آخر السورة وقيل الى آخر ثلاث آيات وآيها ثمان عشرة وكلمها مائتان واحدى واربعون وحروفها ألف وسبعون وفي الحديث: «من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة ومن خاف من شيطان أو خاف من احد يدخل عليه هو فليقرأها فانه يكفي شره.

بســم الله الرحمــن والرحيــم

﴿يسـبح لله ما في السمـوات ومـا في الارض لـه﴾ حقيقة لا لغيره ﴿الملـك ولـه﴾ كذلك ﴿الحمـد﴾ لان كل نعمة فمنه ولو جرت على يد غيره جرياناً يوجب حمدا لا كحمده تعالى ﴿وهـو على كـل شـيء﴾ من اعـطاه ومنـع وغيرهما ﴿قـديـر﴾ والاشياء في قدرته سواء لان قدرته ذاتية تفتضيها الذات.

﴿هـو الذي خلقكم فمنكم كـافر﴾ في الازل فالفاء للترتيب الذكرى ﴿ومنكـم مؤمـن﴾ في الازل أي سبق في علم الله انه شقي ومن سبق فيه انـه سعيد أو الفـاء للترتيب في الحكم على معنى انه يخلقكم ويخبر الملك بالشقاوة والسعادة عقب الخلق فإن الشقاوة والسعادة من البطن وقبله بقول الملك حين تقع النطفة في الرحم يا رب اشقي ام سعيد وما الرزق وما الاجل فيمكث وذلك بعد ان يقول أي رب أي يا رب نطفة ثم يقول أي رب علقة ثم يقول أي رب مضغة.

وعن ابن عبـاس: خلق بنـو آدم مؤمنـا وكـافرا ويبعثهم كذلك وفي الحديث: «ان للجنـة اهـلا في أصـلاب آبـاءهم وللنـار اهلا في اصلاب آباءهم» وقال ابو سعيد الخدري : منكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر

قبل موته وقال عطاء: منكم كافر لله مؤمن بالكواكب ومؤمن بالله كافر بالكوكب وقيل كافر بأن لله خلقه كالدهرية واصحاب الطبائع ومؤمن بأن الله خلقه وقيل مقدر نفره موجه اليه ما يحمله على الكفر ومقدر ايمانه موجه اليه ما يحمله عليه موفق اليه ولا جبر على مصيبة أو طاعة والله خالق للمطيع والعاصي وافعالهما الحسنة والقبيحة ويجزيهما على فعلهما لاختيارهما واختبارهما ايضا مخلوق لله وما لله إلا الخلق والعبد مؤاخذ ومثاب على تصرفه واعتقاده.

وافعال الله كلها حسنة وخلق القبيح ايضاً حكمة خفي علينا حسنا هذا مذهبنا معشر الاباضية والمعتزلة واهل السنة وقيل المعنى آت بالكفر وات بالايمان وذلك بعد البلوغ وقيل ذلك تعديد المنعم وبيان للحمد والشكر أي خلقكم انعاما وتفضلا عليكم فالحق ان تعبدوه كلكم شكرا وما فعلتم بل بعضكم كفر هذه النعمة وبعضكم آمن شكرا والفاء على هذه الاقوال كلها للترتيب الذكرى وقدم الكفر لكثرته.

﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ يجازيكم به من كفر وإيمان ومقتضياتهما ﴿**خلق السموات والارض بالحق**﴾ بالحكمة البالغة وهو انه جعلهن مقار للمكلفين ليعملوا فيجازوا وغير ذلك.

﴿**وصوركم فأحسن صوركم**﴾ جعل صوراتكم احسن صورة وزينكم بصفات علم وتجريب وعقل حتى تصرفتم في جميع المخلوقات وقيل اراد جعلكم عقلاء مدركين والظاهر الموافق لظاهر اللغة تحسين الاجسام فقط وذلك نعم يجب شكرها بالباطن والظاهر كما قال ﴿**وإليه المصير**﴾ يجازيكم فاحسنوا سرائركم وإعمال جوارحكم حتى لا تمسخ ظواهركم بالعقوبة ولا ترى لسانا يتمنى كون صورته على غير صورة الانسان ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب واما ما تراه قبيحا منصور الانسان فهو في نفسه حسن غير قبيح وانما يتراءى قبحه بالنظر الى الصورة التي هي احسن فإنك ترى صورة تعجبك وإذا رأيت اخرى احسن منها انستك الاولى وقبحتها اليك بعض تقبيح واقللت النظر اليها قالت الحكماء لا غاية للجمال والبيان وقرىء بكسر الصاد في فأحسن صوركم.

﴿يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ تظهرون ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ وحق من لا يخفى عليه شيء من الجزئيات والكليات ان يتقي ولا يجتريء على شيء مما يخالف رضاه وعلمه بالاشياء سواء لان علمه ذاتي تقتضيه الذات وقدم القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته متقدمة ومتحصلة بالذات ودلالتها على علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد لانه يستلزم الجزاء وكناية عنه وكلما ذكره بعد قوله ومنكم مؤمن في معنى الوعيد على الكفر وانكار لان يعصي الخالق ولا تشكر نعمته.

﴿ألم يأتكم﴾ يا كفار مكة ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذين كفروا من قبل﴾ كقوم نوح وهود وصالح ﴿فذاقوا﴾ عطف على كفروا ﴿وبال أمرهم﴾ عقوبة كفرهم وضرره في الدنيا واصل الوبال الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطار ثم اطلق على ما يكره ويسوء.

﴿ولهم﴾ في الاخرة ﴿عذاب اليم﴾ موجع ﴿ذلك﴾ أي الوابل أو ذوقه كذا قيل والظاهر ان المراد ذلك المذكور من العذاب في الدنيا والعذاب في الاخرة ﴿بأنه﴾ بسبب ان الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ الحجج الظاهرة على الايمان ﴿فقالوا أبشرٌ يهدونَنا﴾ مبتدأ وخبر والبشر يطلق على الجمع كما يطلق على الواحد فلا حاجة إلى ان تقول مفردا استعمل في الجنس والاولى ان يكون بشر فاعلا لمحذوف أي يهدينا بشر ذل عليه المذكور وذلك ان الهمزة يشتد اشتياقها للفعل اذا كان يجنبها قاله ابن هشام انكروا ان تكون الرسل بشرا لم ينكروا ان يكون الاله حجرا.

﴿فكفروا﴾ بالرسل ﴿وتولوا﴾ عن الايمان والتدبير بالبينات ﴿واستغنى الله﴾ عن كل شيء طاعتهم وايمانهم وغير ذلك كابدال عليه حذف المعمول والواو لعطف قصة على اخرى أو للحال اللازمة ومن منع دخولها على الماضي المتصرف المجرد قدر قد أو المبتدأ أي والاشياء استغنى أو

عنها أو اراد تولوا وظهر استغناءه حيث لم يلجهم الى الايمان مع قدرته على الالجاء.

﴿والله غـــني﴾ عن خلقه وهذا تأكيد في المعنى لقوله استغنى أو اراد استغنى الله عن هؤلاء والله غني عن خلقه أو بعكس ذلك ﴿حـميـد﴾ محمـود في كل افعاله يدل على حمده كل مخلوق وقيل أي استحمده الى خلقه أي استوجب عليهم ان يحمدوه ﴿زعـم﴾ الزعم ادعاء العلم وفي الحديث «زعمـوا مطية الكذب» وعن شريح: لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ولكونه ادعاء العلم يتعدى لمفعولين الاكثر اغناء ان واسمها وخبرها عنهما ولو مخففة كما هنا ولا يستعمل في فصيح الكلام إلا في الكذب أو قول انفرد به قائله كذا قيل وبسطته في النحو.

﴿الـــذين كفـــروا﴾ أهل مكـة وغيرهم ﴿أن﴾ مخففة واسمها ضمير الشـأن أي انـه واجاز بعضهم ان لايكون ضمير الشأن أي انهم ﴿لــن يبعثـوا قل﴾ يا محمد ﴿بلـى وربـي لتبعثـن﴾ يوم القيامة وبلى اثبات لما نفوه فالقسم وما في حيزة تأكيد للاثبات ﴿ثـم لتنبؤن بما عملتم﴾ لتخبرون بما عملتم وتجاوزون ولا يحاسب المشركين وقيل يحاسبون ذماً وتوبيخا.

﴿وذلــك﴾ المـذكـور من البعث والتنبئة ﴿على الله يسـير﴾ سهل لا يصرفه عنه صارف وهوالتام القدرة عز وجل ﴿فآمنـوا بالله ورسوله والنـور﴾ القرآن ﴿الـــذي انزلنـــا﴾ وسمي نوراً لانه يهتدي به في ظلمات الضلال فهو ضوء مضيء.

﴿والله بما تعملـون خبـير﴾ فيجازيكم عليه ﴿يـوم﴾ مفعول اذكر أو متعلق بتنبؤا وبخبير لما فيه من الوعيد كأنه قيل يعاقبكم يوم ﴿يجمعكـم﴾ وقرأ يعقوب بالنون ﴿ليـوم الجـمع﴾ يوم القيامة يجمع فيه الملائكة والثقلان ومجموع الجار والمجرور بدل من الظرف واللام بمعنى في أو للتوقيت.

﴿ذلـك﴾ اليوم ﴿يـوم التغـابن﴾ مصدر تغابن بفتح الباء يغبن فيه بعض الناس بعضا واللام للكمال كقوله «هم القوم كل القوم يا أم خالد»

فإن التغابن ذلك اليوم هو التغابن العظيم حتى ان غيره من التغابن في امر الدنيا ولو عظم كلا تغابن وذلك ان لكل احد منزلا في الجنة ومنزلا في النار فيأخذ اهل الجنة منازلهم في الجنة ومنازل أهل النار فيها ويأخذ أهل النار منازلهم في النار ومنازل أهل الجنة فيها.

وفي الحديث «ما من عبد يدخل الجنة إلا أُرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» والتفاعل ليس على بابه فإن أهل الجنة غبنوا أهل النار بدون ان يغبنهم أهل النار أو فيه مجاز وفي ذلك تهكم بأهل النار فإن المغبون باق معه شيء ينتفع به وأهل النار لانفع لهم وفيه اشارة الى قوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله هل ادلكم الخ . . . . وقوله ان الله اشترى.

وقيل المراد بالغبن كون فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل غبن المظلوم للظالم فإن المظلوم اخذ بظلامه مالا يساوي شيء والظالم يعاقب عليها كذلك، والاول قول مجاهد وغيره وبين التغابن وفصله بقوله ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحـــا**﴾ أي عملا صالحا أو حال من ضمير يعمل أي يعمل حال كونه صالحا فإنه في حال عمل المعصية غير صالح.

﴿**يُكفــر عنه سيئاته ويُدخلـــه**﴾ وقرأ غير نافع. وابن عامر بالياء فيهما ﴿**جنــات تجري من تحتــها الانهــار خالديــن**﴾ حال مقدرة ﴿**فيـــها ابــدا ذلـــك**﴾ المذكور من التكفير والادخال والخلود ﴿**الفــوز العظـــيم**﴾ لان فيه جلب المنفعة العظيمة وهي الادخال والخلود ودفع المضرة وهي عقوبة السيئات التي هي النار.

﴿**والـذيـــن كفـــروا**﴾ بالـواحـدانية والقـدرة ﴿**وكذبــوا بآياتنـــا**﴾ القرآن أو دلائل البعث ﴿**اولئـك اصحــاب النار خالـديـن فيهـا وبئـس المصـير**﴾ النار ﴿**مــا اصـــاب من مصيبـــة**﴾ تقدم بيانه في الحديد وعن بعض ان المراد الرزايا أو جميع الحوادث من خير وشر.

﴿**إلا بـــــأذن الله**﴾ بقضائه وقدره وارادته وعلمه كأنه اذن للمصيبة ان

تصيبه ﴿ومن يؤمن بالله﴾ أي بقوله ان المصيبة بأذنه ﴿يهد قلبه﴾ لليقين وقال الضحاك: وللعلم ان ما يصيبه لا يخطأه وما يخطأه لا يصيبة وقيل: اللطف وزيادة الطاعة وقيل بالصبر على المصيبة والثبات والاسترجاع عندها فتهون وقال مجاهد : إن ابتلى صبر أو أعطي شكر أو ظلم غفر.

وفي الحديث «قضاء الله خير لكل مسلم ان اعطاه شكر وان بلاه صبر» وقرأ يهد قلبه بالبناء للمفعول ورفع القلب على النيابة ونصبه تشبيها بالمفعول به أو على نزع الخافض والنائب مستتر كما قيل في نفسه ان النصب تشبيه أو نزع أو المعنى ان الكافر ضال عن قلبه لعبد منه والمؤمن واجد له وقرىء يهد قلبه بالنون وقرىء يهد قلبه بتشديد الدال أصله يهتد بالتاء أبدلت دالا ونقلت فتحتها ميما وادغمت وقرىء يهدا قلبه بالالف المبدلة عن الهمزة الساكنة للجزم بمعنى يسكن ويطمئن وقرىء بالهمزة الساكنة.

﴿والله بكل شيء عليم﴾ حتى ما في القلب وحتى القلب الذي يتأثر فيه الخير والذي لا يتأثر فيه. ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم﴾ عن الايمان والطاعة فلا بأس عليه ﴿فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ الواضح أو الموضح وقد بلغ وليس عليه ان يكرههم لا إكراه في الدين وفي ذلك وعيدلهم وتبرئة له.

﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل﴾ التقديم للحصر والفاء زائدة ﴿المؤمنون﴾ فإن التوكل مقتضي ايمانهم بأن كل شيء منه تعالى وفي ذلك تشجيع للنبي صلى الله عليه وسلم في الامر بان يتوكل فينصره الله.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم﴾يشغلكم عن الله يخاصمكم في أمر الدين والدنيا ويضركم ومن للتبعيض قال عطاء بن ياسر وعطاء بن ابي رباح: نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فإذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيثبطوه وندم وهم بعقابهم فنزل قوله﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم﴾.

﴿فاحذروهم﴾ أي جميع الازواج والاولاد لأن منهم عدوا ولا يخلون عن منع عن الخير فلا تأمنوا غوائلهم. ﴿وإن تعفو﴾ بترك المعاقبة ﴿وتصفحوا﴾ بالاعراض وترك كثرة الملامة ﴿وتغفروا﴾ تستروا خطاياهم ولا تعاقبوهم.

﴿فإن الله غفور رحيم﴾ يثيبكم ويتفضل عليكم كما عفوتم وصفحتم وغفرتم وقال الكلبي: ان الرجل إذا اراد الهجرة تعلق به ولده وزوجته فقالوا له نناشدك الله ان تذهب وتتركنا فنضيع، فمنهم من يطيع امرهم فيقيم فحذرهم الله أياهم ومنهم من يمضي على الهجرة ويقول اما والله لان لم تهاجروا معي وابقاكم الله حتى تجتمعوا معي في دار الهجرة لا انفعكم بشيء أبدا فلما جمعهم الله أنزل ★ ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ حضا على الاحسان اليهم وقال ابن عباس: أسلم رجال من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم ولما أتوه رأوا الناس قد فقهوا وفهموا بالعتاب فنزل ذلك.

وروي انهم قالوا اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا وقالوا لان اجتمعنا لم ننفعكم وهاجروا وروي انهم قالوا صبرنا على اسلامكم ولا صبر على فراقكم فتركوا الهجرة ثم هاجروا فرأوا من سبقهم بالهجرة فقهوا فلم ينفقوا عليهم ولم يصيبوهم بخير لانهم منعوهم منزل ذلك وقال الحسن: ان العدو من الازواج والاولاد من لم يؤمن وكانوا يؤذونهم على اسلامهم فأمرهم الله بالعفو وقال مجاهد يحمل الرجل حب ولده وزوجته على قطيعة رحمه ومعصية رسول الله ﷺ وفي الحديث «ليس عدوك الذي ان قتلك ادخلك به الله الجنة وان قتلته كان لك ثواباً ولكن أعدا الاعداء نفسك التي بين جنبيك ثم أعدا الاعداء ولدك الذي خرج من صلبك ثم أعدا الاعداء زوجتك التي تضاجعك ثم أعدا الاعداء ما ملكت يمينك» قال بعضهم: من حملك من أزواجك وأولادك على جمع الدنيا والركون اليها فهو عدو لك ومن حثك على الانفاق والتوكل والقناعة فليس بعد.

قال الحسن: لا يغرنك من حولك من السباع الضارية ابنك وحليلتك

وكلالتك وخادمك أما ابنك كمثل الاسد في الشدة والصولة وينازعك فيما في يدك واما حليلتك فكالكلبة في الهريرة والبصبصة واما كلالتك فدرهم في ميراث احدهم احب اليهم من ان تعتق رقبة واما خادمك كالثعلب في الحيل والسرقة.

واقول لك ياابن آدم اتق الله فلا توقر ظهرك بصلاحهم فإن مالك خطوات الى منزلك القابل لاربعة اذرع في ذراعين فإذا وضعك هنالك انصرفوا عنك وصرفوا النيات وضربوا بالدفوف وضحكوا بالقهقهة وفرحوا بما تركتهم وانت محاسب بما في ايديهم.

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ بلاء واختبار يوقعكم في الاثم وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم «إلا ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء لا يقلدن الرجل منكم دينه امرأته» وعنه ان عمر عرضت له امرأته في شيء فقال: ما انت انما انت لعبة إذا كانت لنا اليك حاجة دعوناك ولست من الامر في شيء وكيف يباشر احد المعصية لاجل عدوه وعن ابن مسعود يقول: احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فإنه ليس منكم من احد يرجع الى أهل ومال وولد إلا مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وفي الحديث «الولد مجبنة مجلبة».

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة على المنبر حتى جاء الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يجرانهما يعثران ويقومان فنزل ﷺ عن المنبر واخذهما وصعد بهما ثم قرأ انما اموالكم الاية وقال اني رأيت هذين فلم اصبر ثم اخذ في خطبته وهذه فتنة الفضلاء.

اما فتنة الجهلاء فمؤدية الى الهلاك وعن ابي ذر رضي الله عنه انتهيت الى النبي ﷺ وهو يقول هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة قلت ما شأني أيرى في شيئا فجلست وهو يقول فما استطعت ان اسكت وتغشاني ما شاء الله فقلت من هم بابي انت وامي يا رسول الله قال: هم

الأكثرون مالا إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا امامه ويمينه وشماله وقليل ما هم وفي رواية ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وفي الحديث «يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته» وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وقيل: اذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والأولاد عنهما.

﴿والله عنده أجر عظيم﴾ لمن آثر الله على الاموال والاولاد ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أي طاقتكم وهي المراد بقوله حق تقاته وقيل هذه ناسخة لقوله حق تقاته وقيل ما كنتم احياء وقيل ما استطعتم فعلا من الافعال وما ظرفية مصدرية أو مصدرية والمصدر على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول مطلق أي قدر الاستطاعة أو تقوى الاستطاعة.

﴿واسمعوا﴾ الحق ﴿واطيعوا﴾ قائله عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم على المسلم السمع والطاعة فيما احب وفيما كره مالم يؤمر بمعصية فلا طاعة في معصية الله قال عمر بن الحصين للحكم الغفاري: هل تعلم يوم قال رسول الله ﷺ «لا طاعة في معصية الله» قال نعم الله اكبر.

﴿وانفقوا﴾ مالكم في وجه الله فرضا ونفلا وقيل المراد الفرض ﴿خيرا﴾ أي يكن الانفاق خيرا فحذف الكون وفيه ضمير هو اسمه بدون سبق ان اولو الشرطية على القلة أو هو مفعول مطلق أي انفاقاً خيرا أو انفاق خير أو هو مفعول انفقوا أي انفقوا ما يسمى خيراً وهو المال فإن الخير قد يطلق على المال القليل كالكثير أو مفعول لمحذوف أي اتوا خيرا قال ابن هشام في المسائل السفرية خيرا مفعول لمحذوف أي وآثر خيرا وهو محكي عن سيبويه وانما احفظه عنه في انتهوا خيراً لكم أو مذكور وهو انفقوا على ان المراد بالخير المال كقوله ان ترك خيرا وقد يبعده قوله لكم. واما على انه خبر لكان محذوفه أي يكن الانفاق خيرا لكم قاله ابو عبيدة أو على انه نعت لمصدر محذوف أي انفاقاً خيرا قاله الكسائي والفراء أو على الحال من ضمير مصدر الفعل أي الانفاق قاله بعضهم فهي خسمة اقوال وهي مشهورة في كتب الاعاريب ونسبتها الى من ذكر من كتاب مكي والذي احفظه ان الذي يقدر

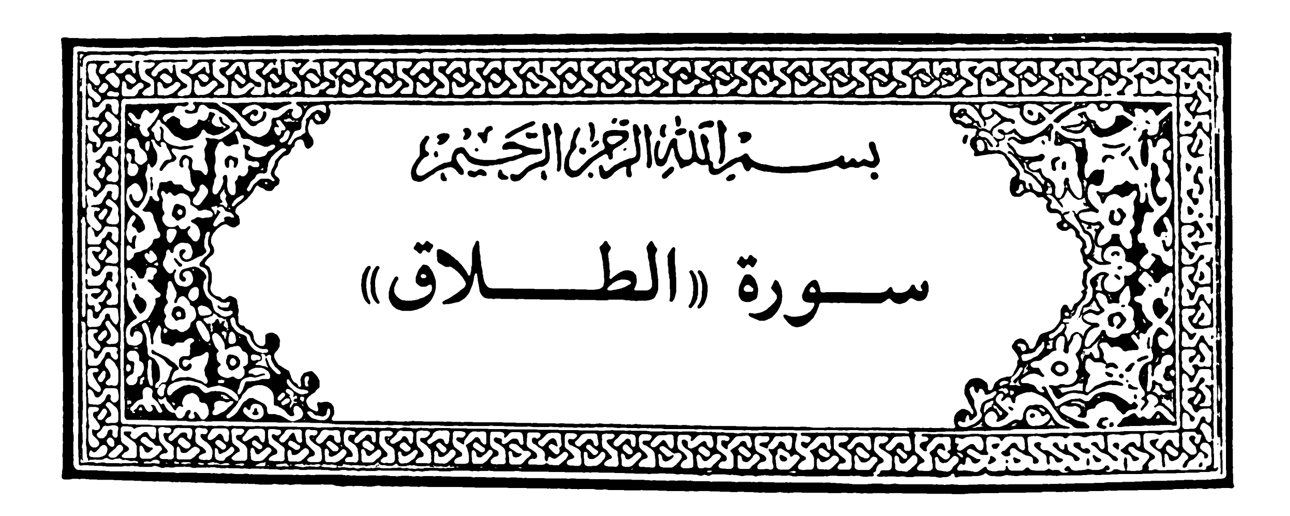
كان الكسائي فلعل له قولين ويتأتى منها في انتهوا خيرا لكم ثلاثة اقوال ما عدا القول بأنه مفعول لفعل مذكور وما عدا الحال فإن الاول لا سبيل اليه والثاني ضعيف بعيد من حيث المعنى وهذا تأكيد للحث على هذه الاوامر وخير اسم تفضيل أو اسم مقابل للضر والمكروه.

﴿لأنفسكم﴾ متعلق بـ (خيرا) أو نعت له أو متعلق بـ (أنفقوا) فإن النفقة على الفقير مثلا نفقة عائد على المنفق.

﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون إن تقرضوا الله﴾ أي تنفقوا في وجهه ﴿قرضا حسنا﴾ أي باخلاص وطيب قلب ﴿يضاعفه لكم﴾ قال ابو ذر عنه ﷺ كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أي وأكثر وعن ابن المسيب الذكر في سبيل الله يضاعف كما تضاعف النفقة والدرهم بسبعمائة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه بالتشديد.

﴿ويغفر لكم والله شكور﴾ يعطي الجزيل بالقليل ﴿حليم﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم ﴿عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم﴾.

اللهم بحق نبيك محمد علينا صلى الله عليه وسلم وحق السورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الطلاق»

مدنية وتسمى سورة النساء القصرى كما سماها ابن مسعود وانكره الداوودي فقال لا ارى قوله القصرى محفوظا ولا يقال في سور القرآن قصرى ولا صغرى قال ابن حجر وهو رد للاخبار الثابتة بلا مستند والقصر والطول امر نسبي وقد اخرج البخاري عن زيد بن ثابت انه قال: طولى الطولتين وأراد سورة الاعراف، وآيها اثنتا عشرة وقيل احدى عشرة وقيل ثلاث عشرة وكلمها مائتان وتسع وأربعون وحروفها ألف وستون وفي الحديث «من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ وإن رش ماءها في موضع لم يسكن أبدا أو رش في مسكون اثار القتال فيه والفراق فاتق الله».

بســم الله الرحمــن والرحيــم

﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ خص النداء وعم الخطاب بالحكم الذي هو الطلاق لانه إمام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلو كذا اظهاراً لتقدمه واعتناء بتصدره ولانه إذا أراد أرادوا فكانه جميعهم فنداؤه كندائهم أو المراد يا ايها النبي والامة أو لان الكلام معه والحكم يعمهم أو يقدر القول أي قل لامتك اذا طلقتم والمراد اذا اردتم التطليق تنزيلا للامر الذي قرب وقوعه منزلة الواقع كقوله ﷺ «من قتل فله سلبه» ولأن الارادة سبب للتطليق وملزوم له.

﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ اللام للتوقيت ويقدر مضاف اي لاول عدتهن أو زمانها وهي الطهر والمراد ان يكون في طهر لم يمسها فيه أو يقدر مستقبلات لعدتهن ويتعين هذا لمن عد العدة بالحيض وعلى كل حال انما يطلق في الطهر وان طلق في الحيض غصى ومضى الطلاق لما روي ان ابن عمر طلق فيه وامره ﷺ بالمراجعة ولولا مضيه لم يأمره بالمراجعة والنهي قيل:

يدل على الفساد وقيل: لا واختلف في الامر هل يدل على النهى عن الضد أم لا.

وروي ان عمر اخبره بذلك فتغيظ وقال مرة ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فإن بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق بها وفعل وتلك التطليقة محسوبة وفي رواية مرة فليراجعها ليطلقها طاهرا أو حاملا وفي رواية ما هكذا امر الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة ونزلت الآية تسبب طلاقه في الحيض.

وقال ابن عباس: نزلت في تطليقه صلى الله عليه وسلم زوجته حفصة فقال له: راجعها فإنها صوامة قوامة ومن أزواجك في الجنة وكان صلى الله عليه وسلم وابن عباس وابن عمر يقرأون في قبل عدتهن وأحسن الطلاق واحله في السنة وابعده من الندم ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه ويتركها حتى تنقضي عدتها وكانت الصحابة يستحبون ان لا يطلقوا السنة إلا واحدة ثم لا يطلقوا حتى تنقضي العدة وكان احسن من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وعن مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة إلا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة أو متفرقة وكره ابو حنيفة واصحابه ما زاد على الواحدة في طهر ولم يكرهوه في الاطهار لقوله ﷺ لابن عمر وطلقها لكل قرء تطليقة وقال الشافعي: يجوز ارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وطلق رجل امرأته بين يديه ﷺ ثلاثا فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم.

وروي ان ابن عمر قال: يا رسول الله أرأيت ان طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر انه كان لا يؤتى برجل طلق ثلاثا إلا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وقال سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين: إن من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض أو ثلاثا لم يقع تشبيها بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف ومن طلق ثلاثا فقد يندم ولات حين ندم ومن طلق أقل فله التوسعة وينفعه الندم لأنه إن شاء راجعها قبل الفوت

وإنما أمرنا بالطلاق في الطهر لئلا يطول عليها زمان العدة وذلك في الدخول بها بدليل قوله (لعدتهن) وأما غيرها فلا عدة عليها ويطلق قيل: حين شاء ولا تطلق للسنة إلا واحدة ويكره طلاقها بائنا.

وأما التي لم تحض والآيسة والحامل فيطلقن للسنة متى شاء الزوج بدليل انهن غير مستقبلات لطهر واحد لا أكثر وقال أبو حنيفة وأبو يوسف يفرق عليهن الثلاث في الأشهر وقال محمد وزفر: الحامل تطلق للسنة واحدة وقيل: لا يكون طلاقهن بدعيا ولا سنيا قيل والخلع في حيض أو طهر جامع فيه لا يكون بدعيا لانه صلى الله عليه وسلم أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها قلت يحتمل انه عرفها طاهرا أو اعتمادا على انه قد بلغ الناس ان الطلاق في الحيض لا يحل ولا يلزمه السؤال نعم قيل: ان الخلع فرقة لا طلاق ومن راجع في الحيض جاز طلاقه في طهر يليه قبل المسيس مع انه طلق في الحيض.

وأما قوله ﷺ في شأن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فأمر استحباب ولا يستأذن على المطلقة ولكن يضرب برجله وينحنح قال بعض ويسلم وتتشوف له وتتصنع ولا يرى لها رأسا ولا بطنا ولا رجلا وينام معها في البيت لا في فراش واحد وقيل ينام معها ايضا في فراش واحد ومن غاب كتب إليها إذا حاضت ثم تطهرت فاعتدا وإن بان حملها كتب اليها طلاقها ومن طلق ثم طلق اعتدت من الاول وقيل: من الثاني.

﴿وأحصوا العدة﴾ احفظوا الاقراء لتراجعوا ان شئتم قيل فراغها وللميراث والنفقة والسكنى.

﴿واتقوا الله ربكم﴾ بدل أي احذروا معصيته في كل شيء فلا تطيلوا عدتهن ولا تضروهن ولا تطلقوهن في الحيض أو في طهر جامعتم فيه أو في طهر قبل الغسل.

﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ أي بيوت سكناهن سواء كانت البيوت لهن وطلقن فيها أو للزوج أو لغيرهما وان كانت لغيرهما فارتجعها صاحبها فعلى

الزوج ان يحضر منزلا لها وان كان البيت له فليتركها فيه وإن كانت في بيتها وطلبت ان تسكن في بيت ملكه زوجها فلها والظاهر انه ان اراد ان ينقلها من بيت له إلى آخر له بالملك والكراء أو غيره جاز لما كان الزوج قد يكره مساكنة مطلقتة لغضب أو حاجة للمسكن أو غير ذلك نهى الازواج ان يخرجوهن.

قال جار الله: وقد تريد المطلقة الخروج فنهاها الله ونهى زوجها ان يأذن لها في الخروج كما قال ﴿ولا يخرجن﴾ والسكون بناء والجزم في المحل واذن الزوج لها في الخروج لا يحل الخروج لها وقد حرمه الله .

والحق انه ان اذن لها جاز لان لزوم البيت حق له وإذا انقضت العدة اخرجوهن وخرجن ولا يخرجن قبل وان خرجن اثمن إلا لضرورة كخوف هدم أو غرق أو بيع غزل أو شراء قطن أو نحوهما ان كان العرف كذلك ولم يمنعها زوجها ولا تخرج لنحو البيع إلا نهارا وذلك حفظ للنسب وستر للعورة ولو طلقن ثلاثا أو بائنا وان خرجن لحاجة نهارا فلا يأتي الليل عليهن إلا في بيوتهن.

وقال ابن العباس والحسن ان شاءت خرجت اذا طلقت ثلاثا قيل وكذا البائن والموت وان سافرت اعتدت ذاهبة وراجعة والبدوية تعتد في البدو مع زوجها أو حيث كانت بأمره وعن فاطمة بنت قيس انها اتت رسول الله ﷺ وقد ابانها زوجها فقال: لا سكنى لك ولا نفقة فبلغ قولها عمر فقال: ما كنا لنأخذ بقول امرأة لعلها وهمت وسمعته ﷺ يقول للبائنة السكنى والنفقة أي فلا تخرج.

وسأل ميمون بن مهران ابن المسيب عن اشياء فقال: انك تسأل سؤال رجل يمحن فهل خالفت في شيء مما سمعت من غيري قلت: لا إلا قولك في المطلقة البائن انها لا تنتقل فما بال حديث فاطمة بنت قيس فقال ويح هذه المرأة كيف أفتت الناس قلت إن كان أفتاها رسول الله ﷺ فما افتيت ومات رجال رحمهم الله بأحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا

فأذن لهن صلى الله عليه وسلم يتحدثن عند احداهن وإذا كان وقت النوم تأوي كل الى بيتها واذن لخالة جابر بن عبد الله طلقها زوجها ان تخرج لجذاذ نخلها.

﴿إلا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾ الاستثناء منقطع راجع الى قوله لا تخرجوهن وان مصدرية يأتين فعل مضارع في محل نصب بأن مؤول بالمصدر وفاعل والفاحشة الزنى عند الحسن بأربعة شهود أو اقرار فيخرجن لأقامة الحد ولا ترجع لأبطال حقها. وعن ابن مسعود ترجع والاربعة أو الاقرار هي التبين وقيل الفاحشة المبينة النشوز البين وقيل سوء لسانها أو خلقها ويدل له قراءة ابي إلا ان يفحشن عليكم وعليه ابن عباس وقيل المراد نشوزهن حتى يطلقن فإذا طلقن على النشوز فلا حق لهن أو الاستثناء راجع الى قوله ولا يخرجن مبالغة في النهي دلالة على أن خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة.

ويجوز كون الاستثناء متصلا بأن يقدر المضاف أو يقدر المصدر باسم الفاعل أو يبقى مبالغة ويكون ذلك حالا من هاء تخرجوهن أو من نون يخرجن أي إلا ذوات اتيان أو اتيات والتشديد للمبالغة وقرأ عاصم مبينة بفتح الياء فاء لتشديد المتعدية ويجوز ان يكون كذلك على الكسر أي مبينة للامر كاشفة له.

﴿وتلك﴾ الأحكام من الطلاق للعدة وإحصائها والتقوى وعدم الاخراج والخروج.

﴿حدود الله ومن يتعد حدود الله﴾ يجاوزها والاضافة للحقيقة فيصدق ذلك على من تعدى حدا واحدا والتعدي المجاوزة ﴿فقد ظلم﴾ ضر ﴿نفسه﴾ بأن عرضها للعقاب ﴿لاتدري﴾ النفي أو انت ايها النبي أو أيها المطلق أو لا تدري المطلقة وعلى هذا الاخير يرجع ذلك الى قوله لا يخرجن.

﴿لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا﴾ هو ان يقلب قلبه من بغضها إلى حبها فيندم فيراجعها قبل انقضاء العدة ان لم يكن ثلاث تطليقات أو

بائنا فهذا راجع الى قوله احصوا العدة وفيه تأكيد لطلاق السنة فإنه اذا طلقها ثلاث فلا يرجعها وقيل يجوز ان يكون المراد بالامر الرغبة في الرجعة قبل الانقضاء أو الاستئناف بعده.

وفي الحديث عن ابن عمر «أبغض الحلال الى الله الطلاق» وفي رواية بعض «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق» وفيه عن ثوبان أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس به حرمت عليها رائحة الجنة ولعل ترجية او توقع للخلق لارجاء من الله أو توقع حاشاه وهي ومعمولاها مفعول ادري سد مسد مفعولين.

﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي قاربن آخر عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ راجعوهن ﴿بمعروف﴾ هو حسن العشرة وأداء الحقوق ﴿او فارقوهن بمعروف﴾ بايفاء الحق واتقاء الضرر ولا يجوز لهم ان يطلقوهن فإذا قرب انقضاء العدة راجعوهن وهكذا الى التطليقة الثالثة اضرارا فتنقضي العدة بتسع حيضات تعذيباً لهن.

﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ أيها الاحرار عند قتادة وايها المسلمون عند الحسرة عند الرجعة والفرقة وجوبا عنده وندبا عند أبي حنيفة ووجوبا في الرجعة وندبا في الفرقة عند الشافعي والاول عليه ابن عباس وتمنع نفسها منه حتى يشهد على الرجعة وان جامعها قبل الاشهاد حرمت عليه على الصحيح وقال النخعي: جماعها مراجعة ويشهد بعد بالمراجعة ومعنى وجود الاشهاد عندنا على الفرقة انها لا تصح ولا يحكم بها إلا بالاشهاد اما لو طلقها بلا شهادة فقد وقع الطلاق في نفس الامر ولكن لا يحكم به إلا ان اقرت ولم ينكر.

وسئل عمران بن حصين عمن طلق وجامع ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت بغير سنة وروجعت بغير سنة فليشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا يعود أي الى مثل هذا والصحيح مذهب الشافعي وفائدة الاشهاد عدم التجاحد وان لا يتهم في امساكها والارث ويراجعها ما لم تغتسل من

الحيضة الثالثة ما لم تجز الماء على باطن قدميها ومن قال الاقراء الحيضات قال: ما لم تدخل في الحيضة الثالثة وقيل: غير ذلك وذو العدل هو من ظهر منه الوفاء بدين الله. وعن النخعي هو من لم تظهر منه ريبة وعن بعض ذو العدل حقيقة الذي لا يخاف إلا الله.

﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أدوها صحيحة عند الحاجة إليها أيها الشهود طلبا لرضى الله وقياما بوصيته وإقامة للحق ودفعا للظلم لا لأجل المشهود له أو المشهود عليه ولا لغرض من الاغراض وإذا طلقها مرة أو مرتين وتزوجت غيره ثم طلقت فهي عنده على ما بقي عند أُبي بن كعب وعلي وعمران بن حصين وعمر بن الخطاب وغيره وقيل على ثلاث.

﴿ذلكم﴾ المذكور من الحث على الاشهاد والاقامة أو من جميع ما ذكر في الآية.

﴿يُوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أما غيره فإنه ولو وعظ به فكأنه غير موعوظ لعدم تأثير الوعظ فيه والذي ينتفع بالوعظ هو المقصود تذكيره.

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ هذه الجملة والجمل بعدها تبع لقوله يوعظ به أو معترضات بين الكلام على الطلاق والعدة مؤكدات لما سبق من اجزاء امر الطلاق على السنة والنهي عن الاضرار بالمعتدة واخراجها عن المسكن وتعدي حدود الله وكتمان بر الشهادة أي ومن يتق الله في امر الازواج وغيرهن ويؤدي الحق والمهر والنفقة يجعل له مخرجا مما في شأن الازواج من الغموم فيه والمضائق ومن غير ذلك من كرب الدنيا والاخرة ومخرجا اسم مكان وقيل يجعل مخرجا من الركوب عما نهاه عنه ويغفر له ما مضى ان اتقى أي تاب.

﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ لا يخطر بباله أو لايرجو ﴿ومن يتوكل على الله﴾ في اموره ﴿فهو حسبه﴾ كافية قال ابن مسعود هذه الآية اكثر الآيات حظا على التفويض لله سبحانه وسئل صلى الله عليه وسلم

عمن طلق ثلاثاً أو ألفاً هل له مخرج فتلا «ومن يتق الله» إلى آخره.

وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لم تتق الله فيجعل لك مخرجا بانت عنك بثلاث والزيادة اثم في عنقك وقرأها صلى الله عليه وسلم فقال مخرجا من شبهات الدنيا وسكرات الموت وشدائد يوم القيامة وقال إني لأعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله إلى آخره فما زال يكررها وقال «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا».

وقال: «أبى الله عز وجل أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون» وقال ابن مسعود: لا يكثر همك يا عبدالله ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال استنزلوا الرزق بالصدقة وقال اكثر المفسرين: ونزل ذلك في عوف ابن مالك الاشجعي اسر المشركون ابناً له يسمى مالكا وقيل سالما واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفاقة وان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تأمرني به فقال ما امسى عند آل محمد الامد فاتق الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فعاد الى بيته فامر اهله بذلك ففعلوا وفعل فبينما هو في بيته إذا قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها وعنه العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع عن ابن عباس استاق معه اربعة آلاف شاة فسأل النبي ﷺ ايحل له ما جاء به ابنه فقال: نعم.

﴿إن الله بالغ امره﴾ يبلغ امراً اراده ولا يفوته توكلت أو لم تتوكل فإن توكلت كفاك وتعجلت الراحة والبركة وإلا تركك الى عجزك وسخطك قاله مسروق وهو من التابعين سرقه سارق وهو صغير وقرأ حفص بالاضافة وقرأ بالغ امره برفع امر أي نافذ امره فاعل بالغ أو مبتدأه وقرىء بنصب بالغ منوناً على الحالية من اسم ان وعليه فخبرها هو قوله

﴿قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ مصد قدر الثلاثي الذي بمعنى التقدير أو اراد مقدارا أو أجلا جعل لكل شيء حدا كرخاء وشدة وفي ذلك بيان لوجود التوكل وتفويض الامر لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه

لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل وتقدير لما سبق من توقيت العدة ومن الاحصاء وتمهيد لما يأتي.

وروي أن أناساً لما نزل ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ قالوا: قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللاتي لا تحضن وقيل قال أبي بن كعب وقيل خلاد بن النعمان بن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتي لم تحض والحبلى فنزل قوله ﴿واللائي﴾ قد سبقت كنايته عندنا معشر المغاربة هو يقرأ بهمزة وياء وباحداهما في الموضعين ﴿يئسن﴾ لكبرهن ﴿من المحيض﴾ مصدر ميمي على غير قياس على ما قررته في شرح اللامية ومن للابتداء.

﴿من﴾ للتبعيض ﴿نسائكم إن ارتبتم﴾ شككتم في عدتهن وجهلتم وقيل: ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدرته بستين سنة وبخمس وخمسين وبغير ذلك كما بينته في شرح النيل أو هو دم حيض أو استحاضته وإذا كان ثلاثة اشهر عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بالثلاثة.

وقال الثعلبي: قيل الارتياب بأمر الحمل ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ الفاء زائدة في خبر الموصول لشبه اسم الشرط أو التقدير اما وجواب ان محذوف أو الفاء فاء الجواب والجملة جواب ان والمجموع خبر الموصول وهو اولى لعدم الحذف.

﴿واللائي لم يحضن﴾ لصغرهن مبتدأ محذوف الخبر أي كذلك او عدتهن ثلاثة اشهر ويضعف كونه معطوفا على اللائي وعن الحسن اذا كانت المرأة لا تحيض إلا كل سنة اعتدت به اذا علم انه حيضها وقيل تعتد بالحيض ما كان وعن عكرمه من الريبة الاستحاضة والتي لا يقيم حيض تحيض في الشهر مرتين أو مرة فعدتهن ثلاثة اشهر وقالت العامة: ان حيضها إذا كان في الشهر مرتين اعتدت به ولا تكون الثلاثة دون ذلك وعن ابن المسيب عنده المستحاضة سنة وعن الحسن وعطاء والحكم بن عيينة أن

المستحاضة تعتد ايام صلاتها وان حاضت بعد الطلاق حيضة أو حيضتين وارتفع اعتدت تسعة اشهر فإن تبين حملها وإلا اعتدت بعد ذلك ثلاثة اشهر وهذا عند عمر بن الخطاب.

وطلق علقمة امرأته فحاضت حيضتين وبقيت ثمانية عشر شهرا وقيل ستة عشر شهـرا ثم ماتت فقال عبد الله بن مسعود: حبس الله عليك ميراثها وروي عن عمر ان الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها وطلقت ولم تحض تتربص تسعة اشهر فإن لم تحض اعتدت بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن في رواية تتربص سنة فإن لم تحض اعتدت بثلاثة اشهر وقال اكثر اصحابنا وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وعطاء والشافعي واصحاب الرأي واكثر العلماء لا تنقضي عدتها إلا ان جاءت بثلاث حيضات أو تبلغ سن اليأس فتعتـد بثـلاثة أشهر وقيل ثلاثة أشهر عدة التي لا تحيض بعد ما كانت تحيض كما انها عدة كبيرة لم تحض واترابها يحضن واما المتوفى عنها فعدتها أربعة أشهر وعشر ولو كانت تحيض وقيل ان كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة اشهر لظاهر الآية وعليه ابن مسعود وابي وابو هريرة وغيرهم.

﴿**وأُولات**﴾صاحبـات ﴿**الاحمـال اجلهـن**﴾ أي منتهى اجلهن ﴿**أن يضـعن حملـهن**﴾ وان كن متوفى عنهن وقيل الحامل الموتفى عنها أجلها أبعـد الأجلين وهو قول علي وابن عباس ونسب لجابر بن زيد وأبي عبيدة والعامة من فقهائنا والصحيح الاول وعليه ابي وعمر وابن مسعود تتزوج اذا ولدت بعد موت زوجها ولو بيوم أو اقل ولو لم تطهر لكن لايقربها زوجها إلا اذا طهرت واغتسلت لانه روي ان سبيعة الاسلمية بنت الحارث ولدت بعد موت زوجها بليال وهو سعد بن خولة من بني عامر ابن لوي وهو ممن شهد بدرا مات في حجة الوداع ولما تم نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها رجل من بني عبد الدار فقال لها: مالي اراك تجملت للخطاب ما انت والله بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر فجمعت ثيابها عليها حتى امست فاتت رسول الله ﷺ فافتاهاان تتزوج حين ولدت ان شاءت.

وعن ابن مسعود من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة أي أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل ولو توفي عنهن قال القاضي والمحـافـظة على عموم هذه الآية أولى من محافظة عموم (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجـا) لأن عمـوم أولات الاحمال بالذات وعموم (أزواجا) بالعرض والحكم معلل هنـا بحـذفـه ثم ولأنه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وبتقديم الآخر بناء للعام على الخاص وقيل: لما علموا عدة المطلقة قالوا فما عدة من لا قروء لها صغر أو كبر فنزل (واللائي يئسن) إلى آخره.

ثم قال قائـل فما عدة الحـامل (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) **فائـــدة مستـطردة** من قال لزوجتـه: أن طالق ثلاثـا طلقت ثلاثـا وفي كـتـاب الحضرمي من أصحـابنـا انها طلقت واحـدة ولا يلحقها قوله ثلاثا وله ان يراجعها بنكاح جديد وتكون في تطليقتين انتهى بلفظه وفي الحاشية الصغيرة على النكاح الذي هو تأليف الشيخ يحيى انه طلاق واحد عند غيرنا ويراجعها أي بلا تجديد ومن طلق زوجته وزادها تطليقة أو تطليقتين قبل انقضاء العدة لحقتاها مع انه لم يراجعها.

﴿**ومـــن يتــــق الله**﴾ بالوقـــوف عند احكامـــه ﴿**يجعـــل له من امـــره يســـرا**﴾ سهـولة في الدنيا والآخرة﴿**ذلـــك**﴾ المذكور من الأحكام﴿**أمـــر الله أنزله إليكم**﴾ في القرآن لتعملوا به .

﴿**ومـــن يتـــق الله**﴾ بمـــراعـــاةالاحـكـــام ﴿**يكفـــر عنه سيئاتـــــه**﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات وقرىء نكفر بالنون.

﴿**ويعظـــــم له اجـــرا**﴾ يضاعف اجره ﴿**اســـــكنوهن**﴾ أي المطلقات ﴿**من حيـــث ســـــكنتم**﴾ أي اسكنوهن مكانا من موضع سكونكم فمن للتبعيض كما قال قتـادة إن لم يكن إلا بيت واحـد فاسكنهـا في بعض جوانبه وهذا الاسكان واجب باجماع إلا المبتوته فمالك يرى لها السكنى حفظا للنسب ولا يرى لها النفقة وكذا الشافعي وعلى السكنى اكثر العلماء بانت بالخلع أو الثلاث أو اللعان وقال ابن عباس: لا سكنى لها إلا ان كانت حاملا وعليه

الحسن والشعبي وعن ابن عباس والحسن والشعبي والشافعي واحمد انه لا نفقة لها ايضا وعن ابن مسعود والنخعي والثوري واصحاب الرأي تجب لها النفقة وعن ابن المسيب وابن عمر المطلقة ثلاثاً وليست حبلى لها السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى.

وكذا كل مبتوته لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال ﷺ لا سكنى ولا نفقة لك وقال عمر سمعته ﷺ يقول لها السكنى والنفقة واسم زوجها ابو عمرو بن حفص روي انه طلقها وهو غائب فارسل وكيله اليها شعيرا فسخطته فقال: والله مالك علينا من شيء فاتت النبي ﷺ فقال لانفقة لك وامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال: تلك امرأة يغشاها اصحابي فاعتدي عند ابن ام مكتوم فانه اعمى تضعين ثيابك وهذا دليل على انه لا سكنى وأجيب بأنه امرها بالعدة عند ابن مكتوم لان منزلها وحش يخاف عليها فيه كما روي عن عائشة وقال ابن المسيب: نقلت لطول لسانها على أحمائها وقال لها إذا حللت فاعلميني.

فلما حلت قالت ان معاوية ابن ابي سفيان وابا جهم خطباني فقال ابو جهم: فلا يضع عصاه عن عاتقه أي يلازم السفر واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال: انكحي اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا فاغتبطته والمتوفى عنها لها السكنى بدليل أن اخت أبي سعيد الخدري جاءت رسول الله ﷺ تسأله ن ترجع إلى أهلها في بني خدرة فإن زوجها خرج في طلب عبيد له ابقوا فلحقهم فقتلوه وقالت انه لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة فأذن لها ودخلت في حجرتها وناداها ونوديت فجاءت فقال امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله فاعتدت في البيت اربعة اشهر وعشرا فنسخ اذنه لها بقوله امكثي وبه قال عمر وابن مسعود وعثمان وعبد الله بن عمر ومالك والثوري واحمد واسحاق لها السكنى والشافعي في احد قوليه.

وقال علي وابن عباس وعائشة والحسن وعطاء وابو حنيفةوالشافعي في احد قوليه لاسكنى لها وان قوله امكثي استحباب واما المعتدة عن وط ء الشبهة والمفسوخة النكاح بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت

حاملا.

﴿مـــن وُجــدكــم﴾ مما وجدتــم على قدر المال وكذا في النفقة وهوبيان وتفسير لقوله من حيث سكنتم بناء على ان الوجد بمعنى الموجود اويقدر مضاف أي امكنة وجدكم وقرىء بضم الواو وكسرها ومعنى قولي انه بيان ان من البيان لا عطف بيان لاختصاصه بالاسماء على الصحيح ولا يكون في الجملة وشبهها.

﴿ولا تضـــاروهـــن﴾ في السكنى بانزال من لا يوافقهن معهن أو يشغل مكانتهن.

﴿لتضـــيقــوا عليـــهن﴾ في المساكن فيخرجن وقيل: المراد ان يراجعها إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل: يلجئها أن تفتدي منه.

﴿وإن كـــن﴾ أي المـطلقـات ﴿أولات حمل فانفقــوا عليهن حتى يضـعن حملــهن﴾ فيخرجن من عدتهن وتنفق الحامل المتوفي عنها زوجها من التركة عند ابن مسعود وشريح والشعبي والنخعي والثوري ونسب لعلي وعن ابن عباس وابن الزبير تنفق من نصيبها قيل وبه اخذ اصحابنا ابو عبيدة والعامة من فقهائنا وعن جابر بن عبد الله والحسن وابن المسيب وعطاء لا نفقة لها ونسب لاكثر العلماء ويدل له انه لا ينفق الولي من مال وليه بعد موت صاحب المال وعن علي ايما رجل طلق امرأته فلينفق عليها حتى يتبين اهي حامل ام لا فان كان حمل انفق حتى تضع وإلا فلا نفقة ومن قال كل مطلقة تجب نفقتها قال فائدة الشرط ان مدة الحمل ربما طالت فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار العدة بالحيض فنفي هذا الوهم وللمرضعة نفقة.

﴿فـإن ارضـــعــن لكــم﴾ اولادكم منهن أو من غيرهن بعـد الفـراق وانقــطاع علاقــة النكــاح وضمــير الانــاث للمـطلقـات. ﴿فـاتــوهـــن اجـــورهـــن﴾ أي على الارضاع وتؤجر على ولدها ولو لم يبن عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا اجرة لها إلا بعد ان يبين وفيه دليل على ان اللبن للام

ولو خلق للولد.

﴿وأتمـــروا﴾ بالالف بعـد الـواو والاولى في نسخنا وهو امر من ائتمر فالاصل وأئتمروا بياء ساكنة سكونا حيا بعد صورة الف كما يكتبه بعض المشارقة والائتمار قبول الامر.

﴿بينــكم بمعــروف﴾ بجميل في الارضاع والاجرة وغيرهما يتراضون على اجر معلوم بلا اضرار على احدهم ولا يقصر في حقها ولا تقصر في حق الولد والخطاب للآباء والامهات ويجوز ان يكون الائتمار بمعنى التأمر بهمزة قبل الالف كالاشتوا بمعنى التشاور أي وليأمر بعضكم بعضا.

﴿وان تعــاســرتم﴾ تضايقتم في امر الرضاع بأن امتنع الأب عن الاجرة والام عن الارضــاع فلا اجـرة أو امتنعت ولـو مع الاجـرة أو شطت في الاجرة﴿فسترضع له﴾ أي للزوج﴿اخرى﴾ ولاتكره على الارضاع إلا إن لم يقبل الولد إلا منها فإنها تجبر على إرضاعه باجرة المثل ومثل الزوج في الغنى والفقر وفي ذلك عتاب للام واظهار غني عنها أي سيرضعه غيرك وانت ملومة قال بعضهم: ذلك في البائن واما الرجعية والباقية على الزوجية فيجب عليهما ان يرضعا بلا اجرة إلا ان تكون شريفة وقيل لهما الاجرة ان اردن ولا يجبرن على الرضـاع.

﴿لينفــق ذو سعـــة﴾ أي ذو وسع في المال ﴿من ســعتــه﴾ أي من وسعه على قدره واراد النفقة على المطلقات والمرضعات أو السعة بمعنى الطاقة وقرىء لينفق بالنصب على ان اللام للتعليل أي شرعنا ذلك لينفق لاعلى ان اللام للامر وحذف نون التوكيد الخفيفة لانها تحذف فصيحا للضرورة أو للساكن.

﴿ومـــن قـــدر﴾ ضـيق وقرأ ابن ابي عبلة بالبناء للفاعل ونصب رزقه ﴿عليــه رزقــه فلينـفق﴾ على طاقتـه ﴿مـما آتــاه﴾ اعطـاه ﴿الله لا يكلف الله نفســا إلا ما آتــاها﴾ ما مفعول ثان ليكلف لا يكلف الفقير مثـل تكليف الغني وفي ذلـك تطبيب لقلب الفقـير وتسهيل عليه كما قال

﴿سيجعل الله﴾ له ولغيره من الفقراء.

﴿بعد عسر﴾ فقر﴿يسرا﴾ غنى من حيث شاء بالفتوحات وغيرها ﴿وكأين﴾أي كم ﴿من قرية عتت﴾ أي اعرض اهلها عنادا وافسادا والجملة خبر كأين.

﴿عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا﴾ بالمناقشة والاستقصاء بالمجازاة في الدنيا واثبات ذنوبهم في صحفهم وذلك في الدنيا فالماضي على اصله وقيل في الآخرة فمعناه الاستقبال لكن كان ذلك واقع لتحقق وقوعه في الآخرة وكذا في قوله ﴿وعذبناها عذابا نكرا﴾ قال الحسن أي عظيما منكرا بالسيف أو القحط اوغيرهما أو بالنار في الآخرة وقرىء بالاسكان للكاف.

﴿فذاقت﴾ الترتيب ذكرى أو تحقيقي على تأويل ما قبله بالارادة ﴿وبال﴾ أي عقوبة ﴿أمرها﴾ من كفر ومعاص ﴿وكان عاقبة امرها خسرا﴾ هلاكا وفوت الجنة.

﴿أعد الله﴾ هيأ ﴿لهم عذابا شديدا﴾ تكرير للوعيد تخويفا وبيانا لكونه مترقبا خيث عبر بالاعداد وبيانا لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله ﴿فاتقوا الله يا أولي﴾ اصحاب ﴿الألباب﴾ العقول وان جعلنا عتت نعتاً لقرية أو لكأين لوقوعها عليها كان اعد الله لهم خيرا فلا تكرير.

﴿الذين﴾ نعت لاولي أو بيان أو بدل ﴿آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا﴾ جبريل لكثرة ذكره كقولك زيد صوم لكثرة صيامه أو لنزوله بالذكر وهو القرآن أو يقدر مضاف أي ذا ذكر اوصفة مبالغة أو نسب سكنت الكاف من الكسر أو لانه مذكور في السموات فجعل ذكرا تكثير أو تقدير المضاف أو نسب أو الذكر بمعنى الشرف اطلق عليه على جهة التكثير أو الاضافة أو النسب أو اراد بالذكر محمداً ﷺ على تلك الاوجه كلهاوهو مواظب للذكر والقرآن ومبلغ وعليه فاراد بالانزال الارسال مجازيا بالاستعارة بجامع توجيه شيء الى شيء فقوله ﴿رسولا﴾ تجريد وترشيح لغوي أو مجازا

بالارسال فان انزال الوحي سبب لارساله وقيل الذكر القرآن والرسول نبينا ﷺ وهو مفعول لمحذوف مع عاطف أي وارسل رسولا قيل هذا ابين الاقوال.

وقيل مفعول لذكرا على ان رسولا نبينا وذكرا تكلم أو تشريف أو بدل من ذكرا على ان المراد به جبريل لانه وصف بتلاوة الآيات فكان انزاله في معنى انزال الذكر أي القرآن أو بدل منه على معنى الرسالة وقرىء بالرفع أي هو رسول.

﴿**يتلو عليكم آيات الله مبينات**﴾ بفتح الياء وكسرها والجملة نعت رسولا أو حال من فاعل انزل ومعنى الكسر انهن يبينن الحلال والحرام وغيرهما ومعنى الفتح انهن قد اوضحهن الله.

﴿**ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات**﴾ الكفر والمعاصي ﴿**الى النور**﴾ الايمان والطاعة فالمراد ليحصل لمن قدر في علمه عز وجل انه يؤمن ويعمل ما هم عليه لأن من الايمان والعمل وهم وقت النزول في الظلمات أو ليديمه لهم وهذا بالنظر الى من آمن وقت النزول أو قبله لا بعده أو اراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم شبه جهل المؤمنين بالظلمات ولو كانوا لا يؤاخذون به لانه قبل النزول.

﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله**﴾ وقرأ غير ابن عامر ونافع بالياء ﴿**جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد احسن الله له رزقا**﴾ تعجيب وتعظيم لما رزق المؤمنون من الثواب في الجنة والجملة حال من المستتر في ندخله او من الهاء أو من ضمير خالدين أو ضمير فيها أو مستأنفة وفي ذلك التفات على قراءة النون وقيل اراد بالرزق انه رزقه طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة.

﴿**الله**﴾ بدل من الله أو خبر لمحذوف أو مبتدأ خبره بعده ﴿**الذي خلق سبع سموات**﴾ وخلق ﴿**ومن الارض**﴾ أي من الجسم الذي خلقته ارضا وكأنها خلقت ارضا وفتقت سبعا.

﴿**مثلهن**﴾ عددا وغلظا بين كل سمائين وبين كل ارضين خمسمائة سنة

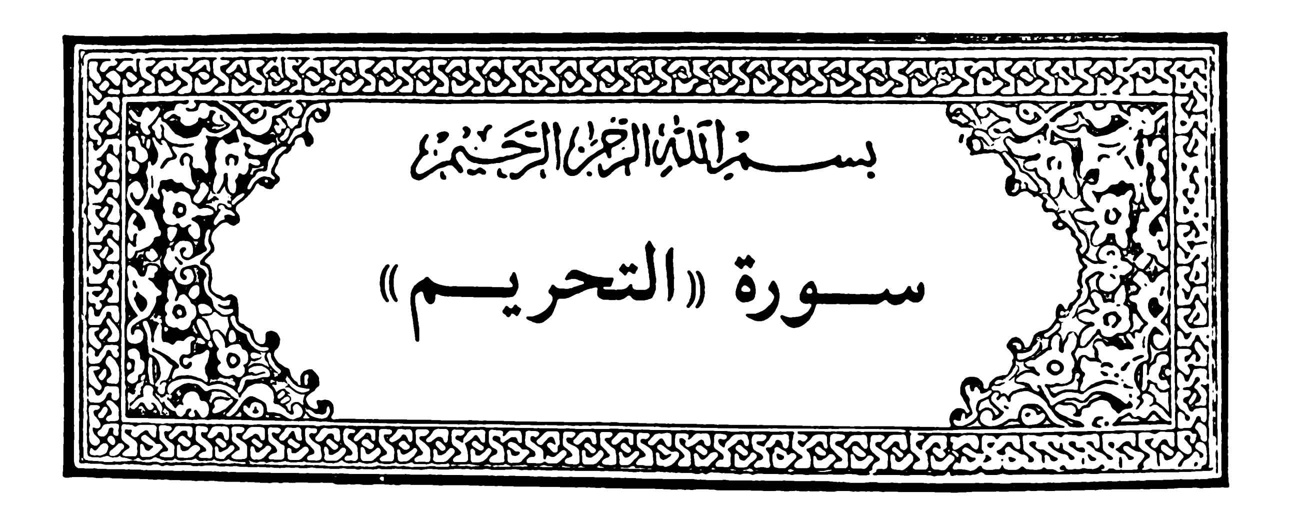
وغلط كل ارض وكل سماء كذلك قيل مافي القرآن آيه تدل على ان الارضين سبع إلا هذه وهو مذهب الجمهور ويوافقه قوله صلى الله عليه وسلم «من سرق شبرامن أرض جاره طوقه الله الى سبع ارضين» ونحوه وزعم بعضهم ان الارض واحدة وان مما ثلتها ارتفاع جرمها وان فيها عالما يعبد الله كما في كل سماء ارتفاع وعالم يعبد الله وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر.

﴿**يتنــزل الأمر بينهـــن**﴾ يتنزل امر الله من وحي وقضاء وتصرف بين السماء السابعة والارض السابعة قال مجاهد وقتادة: في كل سماء وفي كل ارض خلق وامر وقضاء وقيل المراد بالامر ما يدبره من عجائب صنعه وقيل اراد بين السموات السبع والارض وقرىء ينزل بالتشديد ونصب الامر أو بالتخفيف وفتح الياء ورفع الامر وسؤال نافع الازرق ابن عباس هل تحت السابعة خلق قال نعم ملك او جن.

﴿**لتعلمـــوا**﴾ متعلق بيتنــزل أو بخلق وقيل بمحـذوف أي اعلمكم بالخلق والتنزل لتعلموا وقرىء بالمثناة التحتية.

﴿**أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحــاط بكـل شــيء علمـــا**﴾ تمييز محول عن الفاعلية أي احاط علمه بكل شيء لا تخفى عليه خافيه.

اللهم بحق نبيك محمد علينـا صلى الله عليه وسلم وحق السورة اخز النصارى واهنهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم واكسر شوكتهم صلى الله على سيدنا محمد آلــه وصحبــه وســلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «التحريم»

وتسـمى سورة النبي وسورة لم تحرم وهي مدنية قيل باجماع وليس كذلك بل قيل مكية وعن قتادة ان المدني منها الى رأس العشر والباقي مكي وآيها اثنتا عشرة وكلمها مائتـان وسبع واربعون وحروفها الف وستون قال صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحاً» وإذا قرئت على المريض سكن مرضه أو على المصروع افاق وإذا قرأها الساهر نومته ومن لازمها ادى الله دينه.

بســـم الله الرحمــن والرحيـــم

روي انـه ﷺ خلا بمارية وهي جاريتـه وهي ام ابراهيم في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمي عليّ وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امرا مني وذلك بعد ان عاتبته فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين ولم تر حرجا في الافشاء اليها وقيل خلا بمارية في يوم حفصة جاء الى بيت حفصة فوجدها خرجت لزيارة ابيها فدعا بمارية فقال معها فجاءت حفصة وقالت: يا نبي الله افي بيتي وعلى فراشي فقال صلى الله عليه وسلم مرضيا لها ايرضيك ان احرمها قالت: نعم فقال: إني قد حرمتها قال ابن عباس: وقال مع ذلك والله لا أطأها أبدا ثم قال لها لا تخبري بها احدا ثم ان حفصة قرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة واخبرتها لتسر بالامر ولم تر في الافشاء اليها حرجاً واستكتمتها فطلقها أي حفصة واعتزل نساءه تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية.

وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير ما طلقك فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فإنها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه لما كان يوم حفصة استأذنته ﷺ في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل

رسول الله ﷺ الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج ﷺ ووجهه يقطـــر عرقا وحفصة تبكي.

وقال بعض: خرجت مارية ودخلت حفصة عليه فقال ما يبكيك قالت انما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي ما رأيت لي حرمة ولا حقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال صلى الله عليه وسلم: أليس هي جاريتي أحلها الله لي اسكتي فهي عليَّ حرام اليس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن ولما خرج ﷺ وقرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك إن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرتها بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواجه ﷺ فغضبت عائشة رضي الله عنها فلم يزل رسول الله ﷺ حتى حلف ان لا يقربها وعن انس: كانت له ﷺ أمة يطأها فلم تزل به عائشه وحفصة حتى حرمها على نفسه.

وقيل شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش وكان يحبه ويشربه منها في بيتها وكان يحب الحلواء فاتفقت عائشة وحفصة ان تقول من دخل عليها منهما ان منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب ولن اعود فحرم العسل وفي رواية ان معهما في الاتفاق سودة والحلواء كل حلو والمغافير بالمعجمة صمغ العرفط وهو حلو كريه الرائحة وكان يكره الرائحة الخبيثة والعرافط بضم المهملة شجرة بالحجاز قيل له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمر خبيث الرائحة مع انه حلو وقيل: رائحته كرائحة النبيذ وقيل: كل شجر له شوك ولما قال بل شربت عسلا قلن أكلت نحلة العرفط ودخل بعد ذلك على زينب فقالت إلا اسقيك من ذلك العسل فقال لاحاجة لي به قالت عائشة: تقول سودة حين بلغنا امتناعه والله لقد حرمناه فقلت لها: اسكتي.

وروي أنه كان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن

فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسالت عائشة عن ذلك فقيل لها اهدت لها امرأة من اهلها عكة فيها عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منهـا شربة فقالت عائشة اما والله لنحتالن لها فذكـرت ذلـك لسـودة فقـالت: إذا دخـل عليك فإنـه سيدنو منك فقولي له يارسـول الله اكلت مغـافير فانه سيقول لا فقولي له جرست نحلة العرفط وسأقول له ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك قالت سودة: لما دخل عليَّ كدت والله أباديه بالذي قالت وانه لعلى الباب فرقا ونزل في ذلك.

﴿يـا أيـها النـبي لـم تحـرم ما احـل الله لـــك﴾ من ملك اليمين في شأن مارية أو من العســل وهو الصحيح ﴿تبتـغي﴾ بذلك التحريـــم ﴿مـــرضـــات﴾ مصـدر ميمي أي رضي ﴿ازواجـــــك﴾ تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو أستئناف. ﴿والله غفـــور رحـــيم﴾ قال جار الله القاضي غفـر لك هذه الزلة التي هي تحريم ما الله محلله ورحمة لم يؤاخذك بها انتهى. وشنع العلماء عليهما في تلك العبارة قال المراد تحريم امتناع على الانتفاع لا تحريم اعتقاد.

﴿قـــد فـــرض الله لكـــم تحـــلة﴾ مصـدر حلل كمصـدر المضعف كزكى الاصل تحلله باسكان الحاء وكسر اللام الاولى نقلت كسرة اللام للحاء وادغمت اللام في اللام ﴿أيمـــانكـــم﴾ شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو التحرير وعن الحسن انه ﷺ لم يكفر لانه غفر له ما تقدم وما تأخر وانما ذلك تعليم للناس.

وعن مقاتل انه اعتق رقبة في تحريم مارية أو المراد بالتحلة الاستثناء حتى لا يحنث واحتج بذلك على من رأى تحريم المرأة أو التحريم مطلقا يمينا ورده القاضي بانه لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه ﷺ اتى بلفظ اليمين كما قيل وعن ابن عباس في الرجل يحرم امرأته ان عليه كفارة يمين وتلا لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهو قول كثير من اصحابنا وقال الحسن تحريم الامة يمين والحرة طلاق وعن علي تحريم المرأة ثلاث تطليقات وعن ابن مسعود وعثمان ظهار وعن ابي حنيفة تحريم الحلال

يمين فإذا حرم طعاما فقد حلف على اكله أو امة فعلى وطئها أو زوجة فايلاء ان لم ينو وان نوى الظهار فطلاق بائن وكذا ان نوى اثنين أو ثلاثة وان قال نويت غير الطلاق دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في الحكم بابطال الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولايراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعند عمر وفي رواية عنه وعند عمر وفي رواية عنه وعن ابن مسعود وابي بكر وابن عباس وزيد ان التحريم يمين وعن زيد تحريم المرأة طلاق واحد بائن وكان مسروق لا يراه شيئاً.

وكذا الشعبي محتجا بقوله عز وعلا ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم..﴾ الى اخره وقوله ﴿لا تُحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ قيل ولم يثبت عنه ﷺ انه قال لحلال هو حرام علي وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم أي تمنع بسبب اليمين أي اقدم على ما خلفت عليه وكفر نحو وحرمنا عليه المراضع وقيل ان نوى التحريم طلاقا فطلاق أو ظهار فظهار وتحريم ذاتها وأطلق فكفارة يمين وإن نوى عتقا لجاريته عتقت أو تحريم ذاتها واطلق فيمين ايضا وقيل عن ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين انه ان حرم طعاما فلا شيء عليه.

ونسب للشافعي وعنه ان لم ينو قولان احدهما انه يمين والآخر انه لغو عن بعضهم انه ان حرم زوجة أو جارية فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطأها وان حرم طعاما فلا كفارة حتى يأكل كالحلف عليه ونسب لابي حنيفة واصحابه وفي رواية عن ابن عباس اذا حرم امرأته فلا شيء عليه.

﴿والله مولاكم﴾ وليكم وناصركم ومتولى اموركم وسيدكم. ﴿وهو العليم﴾ بمصالحكم فيشرعها لكم ﴿الحكيم﴾ فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة وقيل معنى مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم.

﴿وإذ﴾ مفعول اذكر ﴿أسـر النـبي﴾ جاء على طريق الالتفات من الخطاب للغيبة تعظيما له باسم النبوة والاصل وإذا اسررت الى بعض ازواجك فعبر بالظاهر وهو من قبيل الغيبة عن ضمير المخاطب وان جعل اذكر خطابا لكل من يصلح للذكر أو قدر اذكروا فلا التفات بينه وبين الظاهر.

﴿إلـى بعـض ازواجـه﴾ حفصـة ﴿حديثـا﴾ هو تحريم مارية أو العمل أو ان الخلافة بعده لابي حفصة وهو عمر وابي عائشة وهو ابو بكر ونسب بعضهم الاول للجمهور ذكر لها ذلك فقال: اكتميه فهذا هو الاسرار بكسر الهمزة والثالث لابن عباس والكلبي واقول الحق ان الحديث جميع ذلك بدليل عرف بعضه واعرض عن بعض أو انه تحريم مارية وامر الخلافة كما قال به بعض.

﴿فلمـا نبـأت﴾ الضمـير للبعض باعتبار معناه لان المراد به حفصة كما مر أي فلما اخـبرت حفصـة عائشـة وقـرىء انبـات بالهمزة قبل النون ﴿بـه﴾ أي بالحديث ﴿واظهـره الله﴾ أي اظهر الله نبيه واطلعه باسكان الطاء ﴿عليـه﴾ أي على الحديث الذي تكلمت به حفصة لعائشة أي أخبره بإفشائها للحديث أو الضمير للتنبئة المفهومة من بنات ولو كانت التنبئة مؤنثـة لتـأويلها بالمذكر وهو الاخبار أو الضمير للتنبيء بإسكان النون كالتنبئة لجواز التفعلة والتفعيل في المهموز على ما بسطته في النحو ويجوز كون الضمير في اظهره للحديث وفي عليه للنبي ﷺ فالاظهار منا ظهور والوضوح وعلى كل فالاظهار من للظهور والوضوح وعلى كل حال فالاظهار بواسطة جبريل أو بالهام.

﴿عـرف بعضـه﴾ المفعول الاول محذوف أي عرف الرسول حفصة بعض ما تكلمت به أي اخبرها اني عالم به. ﴿واعـرض عن بعـض﴾ لم يخبرها ببعض ما تكلمت به تكرما وحياء وحسن عشرة قال سفيان ما زال التغافل من فعال الكرام وعن الحسن ما استقصى كريم قط ويجوز ان يكون معنى عرف عاقب أي جازاها على بعض بان طلقها اعنى حفصة وتجاوز عن بعض ويدل لهذا قراءة الكسائي بعدم تشديد الراء من قولك لاعرفن ذلك

أي لاجازينك به وقيل لم يطلقها وانما هم به فقال جبريل: لا تطلقها فانها صوامة قوامة ومن نسائك في الجنة وروي انه قال الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحاب الكرامة التي خص الله بها ابي والبعض الذي عرف به حفصة امامة ابيها وأبي عائشة والمعرض عنه حديث مارية وقيل عرفها حديث مارية واعرض عن حديث الخلافة لئلا يشهر في الناس وانما حذف المفعول الاول لعرف لعدم تعلق الغرض به بل الغرض الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم لم يوجد منه إلا تعريف البعض.

قال القاضي عرف المشدد من اطلاق المسبب للسبب والمخفف بالعكس ويدل على ان التعريف بمعنى الاعلام والاخبار لابمعنى المجازاة قوله ﴿فلما نبأها به﴾ أي بالبعض ذكر ضميرها لانه الغرض هنا ﴿قالت من انبأك هذا﴾ أي من اعلمك اياه واخبرك به.

﴿قال نبأني العليم﴾ بما تكنة الضمائر ﴿الخبير﴾ بخفي الامور وانما دل ذلك على ان المراد بالتعريف اوفق الاعلام لانه للاعلام وكانه قيل قام زيد فلما قام قال عمرو لم قمت.

﴿ان تتوبا﴾ يا حفصة وعائشة التفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة في العتاب. ﴿إلى الله﴾ من التعاون على رسول الله ﷺ والايذاء له ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ سبب ناب عن المسبب الذي هو الجواب أي فقد أديتما الواجب من التوبة لانه قد صغت قلوبكما اوالجواب محذوف أي قبلت توبتكما يقال صغي أي مال وزاغ أي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميلكما بالقلبين عن مخالصة رسول الله ﷺ من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود: فقد زاغت والمراد بالقلوب قلبان ولم يعبر بالتثنية لكراهة الجمع بين مثنيين فيما هو كالكلمة الواحدة ومثل ذلك مقيس ولو كان الدال على الاثنين غير ضمير كما هو هنا ضمير وبسطت ذلك في حاشية القطر وشرحه وعن ابن عباس الم ازل حريصا على ان اسأل عمر عمن خوطبت بقوله ان تتوبا حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة أي الركوة فتبرز أي اتي البراز الفضاء من الارض

لقضاء الحاجة ثم اتاني فسكبت الماء على يديه فتوضأ وقلت يا امير المؤمنين من المرأتان من ازواج النبي ﷺ اللتان قال الله لهما ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس كانه كره ما سألته عنه قال هما حفصة وعائشة قال: وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي أي اماكن عالية في ارض المدينة وكنا معشر قريش نغلب النساء.

فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم وغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره احداهن من اليوم الى اليوم فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن افتأمن ان يغضب الله لغضب رسوله فتهلك فتبسم صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يضرنك ان كانت جارتك أي ضرتك وهي عائشة وهي جارة لها ايضا اوسم أي احسن واجمل عنده ﷺ واحب اليه فتبسم اخرى فقلت استأنس يا رسول الله قال: نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه إلا اهبة ثلاثة أي جلوداً وهو متوكىء على سرر ما عليه إلا حصر فقلت يا رسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون الله.

فاستوى جالسا قائلا اتشك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان قد اقسم أن لا يدخل عليهن شهرا لاجل الحديث الذي افشته حفصة كما مر من شدة موجدته أي غضبه حتى عاتبه الله ولما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بعائشة فدخل عليها فقالت مامضى إلا تسع وعشرون ليله!أعدهن وأنت أقسمت يا رسول الله على شهر فقال ان الشهر تسع وعشرون يعني شهره ذلك وفي رواية جابر بن زيد عن ابن عباس قلت لعمر من المرأتان اللتان تظاهران ان على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقال حفصه وعائشة وقال عمر يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقل ما تكلمت واحمد الارجوت إن

يصدق الله قولي فنزل

﴿وان تظـــاهرا﴾ ابدلت التاء ظاء وادغمت وقرأ بالتخفيف الكوفيون وقرأ باسقاط الالف وتشديد الظاء يفتعل ابدلت التاء ظاء أو ادغمت الظاء فيها أي وان تعاونتا.

﴿عليـــه﴾ أي علي ايذاء النبي ﷺ بما يسـوؤه من الافراط في الغيرة وغيره ﴿فإن الله هــو مــولاه﴾ أي فلن يعدم مظاهرا لان الله مولاه ناصره بذاته يتولى نصـره.

﴿وجـبريـل﴾ وأفـراده مع دحـولـه في المـلائكـة يعـد تعـظيها له ﴿وصــالــح المؤمـنـين﴾ أي من صلح ممن آمن بالله وهم المـوفـون وقيل: هم الملائكة أو قيل: خيار المؤمنين وهم الموفون وصالح مدح ويدل للأول قول سعيد بن جبير من بريء منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم ذكره بعض المخالفين وقيل ابو بكر وعمر وعليه ابن مسعود وابي والمراد بصالح المؤمنين الجنس فيصدق على الواحد فصاعدا أو الاستغراق اوهو جمع مذكر سالم حذفت واوه في الخط تبعا لحذفها في النطق كما كتب يدع الداعي باسقاط الواو الحرفية.

﴿والمـلائكــة بــعــد ذلـك﴾ النصر من الله وجـبريل والمؤمـــنين ﴿ظـهـير﴾ المـلائكـة مبتـدأ وظهـير خبره وجـبريل وصالح معطوفان على الضمير المستتر في مولاه لانه بمعنى موال وقد فصل بالهاء لا على محل اسم ان أو على محل ان واسمها لانه يلزم من العطف على محل اسم ان يقول مواليه بفتح الميم وذلك لانه يقال الزيدون قائمون لاقائم ويجوز كون جبريل مبتدأ يقدر خبره أو مبتدأ ظهير وما بينهما معطوف وعلى كل حال فانما اخبر بظهير على الجماعة لانه بمعنى فريق ظهير أو لانه فعيل بمعنى فاعل على صيغة المصدر كصهيل وذميل أو لانهم كواحد على من يعاديه.

وفي الحديث «هم يد على من سواهم» وإذا جعلنا جبريل مبتدأ خبره ظهير فالاشارةالى نصر الله وانما قال بعد ذلك لان نصرة هؤلاء تابعة لنصرة الله بل

هي نصرته وقيل فضل نصرة بهم على غيره من وجوه نصره.

وعن عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت عسى ربه ان طلقهن ان يبدله من هو خير منهن فنزل ﴿**عسى ربه إن طلقكن ان يبدله**﴾ ان يناوله ويعوضه وقرأ غير نافع وابي عمرو بالتخفيف وادعى جار الله ان التشديد للتكثير وعسى ترجية للمخلوق أو قطع بالتبديل لو طلق.

وقلت يا رسول الله لو اتخذنا مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يدخل عليك البار والفاجر فلو امرت نساءك بالحجاب فنزلت آية الحجاب ولما نزل ولقد خلقنا الانسان الى خلقاً آخر قلت تبارك الله احسن الخالقين، فقال ﷺ «والذي نفسي بيده لو ختمها الله بما قلت» وقال قائل هذه غيره وقد مر.

﴿**ازواجاً خيراً منكن**﴾ لا دليل فيه على ان في الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين لانهن لو طلقهن لعصيانهن له كان من لا يعصيه من الموصوفات بالصفات المذكورة بعد خيراً منهن ولان المعلق بما لم يقع لايقع وليس في ذلك ما يدل على انه لم يطلق حفصة لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وعن بعضهم غلب غير المطلقة على المطلقة أو عمم الخطاب بأن يطلقها ثانيا.

﴿**مسلمات**﴾ أي خاضعات لله بالطاعة ﴿**مؤمنات**﴾ مصدقات بالله وقيل مسلمات بمعنى مقرات ومؤمنات بمعنى مخلصات، ﴿**قانتات**﴾ مصليات بالليل وقيل داعيات وقيل مطيعات وفيه تكرير إلا ان اريد الدوام على الطاعة.

﴿**تائبات**﴾ عن الذنوب ﴿**عابدات**﴾ قيل كثيرات العبادة أو متذللات لأمره ﷺ ، ﴿**سائحات**﴾ أي صائمات يقال للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه ولا يزال ممسكا حتى يجد ما يطعم فشبه به الصائم لانه ممسك الى وقت الافطار وقيل مهاجرات قال زيد بن اسلم: لم تكن في هذه

الامة سياحة إلا الهجرة وقيل يسحن معه حيث ساح وفي تلك الصفات ولا سيما قانتات تعريض بهن انهن لم يتحقق ذلك فيهن حيث يؤذينه ولم يأت بالعطف لاجتماعهن في الواحدة منهن وعطف في قوله

﴿ثيـــبات وابكـــارا﴾ لانه لا تكون الواحدة ثيبا وبكرا أو لانه حكم على المجموع أي مشتملات على الثيبات والابكار فهما في حكم صفة واحدة فافهم والثيب ضد العذراء وذلك ترجية له وتخويف لهن وتوقيف على قدرته وإلا فقد علم انه لايطلقهن وقرىء سيحات بتشديد الياء وهو أبلغ.

﴿يا أيـــها الذيـــن آمنـــوا قوا أنفســـكم﴾ بامتثال ما امرتم به واجتناب ما نهيتم عنه واجعلوا ذلك وقاية لك.

﴿وأهليكـــــم﴾ بالنصح والتأديب والحمل على الخير وفي الحديث «رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معكم في الجنة» وذكر ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله، بتشديد الهاء أي أوقعهم في الجهل بان منعهم من التعلم أو لم يعلمهم وقرىء واهلوكم عطفا على واو قوا والوجود الفصل وعليه فالانفس انفس المخاطبين واهلهم والخطاب في انفسكم شامل للاهل تغلبا له على الغيبة.

﴿نـــارا﴾ مفعـــول ثان لقـــوا ﴿وقـــودهـــا﴾ أي ما تتقد به اتقاد غيرها بالحطب وقرىء وقودها بضم الواو على المصدرية بمعنى اسم مفعول أو بتقدير مضاف أي ذو وقودها.

﴿النـــاس والحجـــارة﴾ التي اتخذت اصناما وحجارة الكبريت لانها أشد اتقاداً وحراً وحجارة غير ذلك يعلمها الله.

﴿عليـــها ملائكـــة غـــلاظ﴾ قولا ﴿شـــداد﴾ فعلا أو غلاظ الخلق اقوياء على الافعال الشديدة يدفع الواحد منهم سبعين الفاً دفعة واحدة في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم وهم الزبانية التسعة عشرا واعوانهم اعاذنا الله من الجميع ببركة بسم الله الرحمن الرحيم وفيهم اقصى الخشونة لاتأخذهم

رأفة في انفاذ امر الله والغضب له.

﴿لا يعصون الله ما امرهم﴾ في الماضي اولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها.

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ في المستقبل أو يؤدونه ولا يتوانون عنه وفي الحديث «أذن الله لي ان أتحدث عن ملك من الملائكة ان ما بين شحمة اذنه وعاتقه لخفقان الطائر سبعين عاما» وما في الموضعين مصدرية والمصدر في الاول بدل من اسم الجلالة وفي الثاني مفعول يفعلون أو اسم فيهما وحذف والعائد شذوذ أي به وان قدر ما امرهم الله اياه ويؤمرونه على تعدية امر لمفعول ثان مقيد لم يكن شذوذا والنار اعدت للكافرين ولكن خاطب المسلمين بتوقي مساكنة الذين أعدت لهم هذه النار باجتناب الفسق أو أمرهم بالتقوى عن الارتداد والندم على الدخول في الاسلام أو الخطاب للمنافقين فآمنوا بمعنى اقروا ويدل له قوله تعالى

﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ يقال ذلك عند دخولهم النار فإنه لا عذر لكم أو لانه لا ينفعكم الاعتذار.

﴿إنما تُجزون ما كنتم تعملون﴾ من السيئات ﴿يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا﴾ صفة مبالغة يستوي فيها المذكر والمؤنث كامرأة صبور وهند غضوب وقرىء توبا نصوحا والنصح صفة التائب وهي ان ينصح نفسه يأتي بالتوبة على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات واسناده للتوبة مجاز عقلي ويجوز ان يكون نصوح مبالغة في النصاحة وهي الخياطة فيكون شبه فساد الذنب بخرق الثوب واشتق من النصاحة نصوحا على الاستعارة التبعية ويكون التجوز في الاثبات أيضا.

وقرأ ابو بكر بضم النون فيكون مصدراً بمعنى النصح كالشكر والشكور أو بمعنى الفصاحة كالثبات والثبوت أي ذات نصوح أو ناصحة فالوصف بالمصدر لتقدير مضاف أو تأويله بالوصف أو للمبالغة أو هو مفعول مطلق أي ينصحون نصوحا أو مفعول لأجله أي لنصوح انفسكم وتجب التوبة

النصوح من كل كبير وصغير وهي ان لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع ويعزم ان لا يعود وإن عاد تاب وان يندم وان يهجر اخوان السوء ويغتم لارتكاب الذنب كما تلذذ بفعله ويذوق نفسه مرارة الطاعة كما اذاقها حلاوة المعصية ويذيبها بالطاعة كما رباها بالمعصية ويعيد الفريضة ان كان ذنبه هو تركها ويرد المظالم ان كان ظلماً أو يجعله صاحبه في حل وان كان قذفا أو غيبة تاب عند من قذف أو اغتاب عنده وان وصل المظلوم فليحالله وإلا كتم وقيل لا بد من اخباره ومحاللته.

ولا يكشف نفسه ليحده الامام خلافا لمن اشترط ذلك ولا يشترط الاستغفار باللسان إلا ان حضرها غيره أي شاهد معصيته خلافا للكلبي وغيره وان ناب من ذنب وبقي آخر هل تصح توبته قولان قيل صحت توبته عن الذنب وبقي الآخر وقيل لم تصح وعن ابي بكر الوراق التوبة النصوح هي ان تضيق عليك الارض بما رحبت كتوبة الذين خلفوا عن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك: ان تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينيك وتستعد لمنتظرك وعن حذيفة: حسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يرجع فيه وعن السدي: لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله.

وروي احب الناس ان يكونوا مثله ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضاها وفي الحديث «يا ايها الناس توبوا الى الله فإني اتوب اليه في اليوم مائة مرة» وقال: «إن الله لأفرح بتوبة أحدكم (أشد فرحا) منه إذا ضاع بعيره في فلاة مع زاده ثم وجده» وقال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وبالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» وبسط اليد كناية عن طلب التوبة وكل طالب يقبل مطلوبه وتقبل التوبة ما لم يغرر.

﴿عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات

تجري من تحتها الانهار﴾ قطع وبت منه تعالى على جهة الاطماع والترجي على عادة الملوك اشعاراً بأن ذلك تَفَضُّل منه وأن العبد ينبغي ان يكون خائفا راجيا ويدل لذلك قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم على معنى توبوا الى الله توبة نصوحا يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم بالجزم في جواب الامر.

﴿يوم﴾ متعلق بيدخل ﴿لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ بادخال النار روي انه صلى الله عليه وسلم تضرع الى الله في امر أمته فاوحى الله اليه ان شئت جعلت حسابهم اليك فقال: يا رب أنت أرحم بهم فقال الله تعالى: اذن لا أخزيك فيهم والآية تعريض بمن أخزاهم الله من الكفار والمنافقين واستحماد الى المؤمنين إذ كفر عنهم سيئاتهم ولم يخزهم.

وقيل الذين مبتدأ خبره ﴿نورهم يسعى بين ايديهم﴾ امامهم ﴿وبأيمانهم﴾ وذلك اذا خرجوا من قبورهم وفي المحشر وفي ممرهم الى الجنة.

﴿يقولون﴾ إذا طفىء نور المنافقين ﴿ربنا اتمم لنا نورنا﴾ الى الجنة قاله ابن عباس وانما يقولونه اشفاقا وإلا فقد علموا سعادتهم أو نسيانا وذهولا وعن الحسن الله متمه لهم ولكن يدعون تقربا اليه كقوله واستغفر لذنبك وقد غفر له أي على هيئة التقرب فإن الدار ليست دار عمل وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا وقيل يقوله الادنون منزلة وهم الذين يعطون من النور قدر ما يبصرون موضع اقدامهم وقيل بقوله الذين يمشون حبواً وزحفا فإن منهم من هو كذلك ومنهم من كالبرق ومنهم كالريح ومنهم كأجود الخيل ومنهم كأجود البهائم ومنهم من كالساعي والملائكة يقولون رب سلم سلم..

﴿واغفر لنا﴾ ذنوبنا وقد علموا بغفرانها ففيه بعض ما ذكرناه في اتمم. ﴿انك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالحجة ﴿واغلظ عليهم﴾ أي على الكفار والمنافقين أي استعمل معهم الخشونة اذا بلغ الرفق حده وقال قتادة: مجاهدة المنافقين اقامة الحدود عليهم وعن مجاهد: الوعيد وقيل: إفشاء أسرارهم ولو كانوا قرابة

أو أصهار لان الكفر والنفاق أوجبا لهم ذلك.

﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ جهنم ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح﴾ واسمها والهة ﴿وامرأة لوط﴾ واسمها والعة مثل حالهم في ان قربهم لا يمنعهم من العقاب بحالها.

﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ هما نوح ولوط وهذا تعظيم لهما صلى الله وسلم عليهما لنفسه ﴿فخانتاهما﴾ في الدين بفعل الكبائر وعن ابن عباس ان امرأة نوح كانت تفشي سره وامرأة لوط اذا نزل به ضيف اخبرت قومه ليعملوا بهم وروي انها توقد بالليل ناراً وتدخن في النهار علامة وروي ان امرأة نوح كانت إذا آمن به احد اخبرت به الجبابرة وقيل: خيانتهما الزنى وهو مذهب الحسن ورد بانه سبح في الطبع نقيصه عند كل احد بخلاف الكفر فإن الكفار يقولون انه حق قال ابن عباس وابن عبد السلام ما بغت امرأة نبي قط أي ما زنت وقيل: إن خيانتهما الشرك كانتا تخفيانه. وروي أن امرأة نوح كانت تقول أنه مجنون.

﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئا﴾ بحق الزواج فلتحذر ازواج النبي العصيان فانه لا يغني عنهن فالاية تعريض لهن والتعريض بحفصة ارجح لانها افشت سره ﷺ كما افشت امرأة نوح سره.

﴿وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ مع سائر داخليها الذين لا وصلة لهم بينهم وبين الانبياء.

﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ آسية بنت مزاحم رضي الله عنها أي ان صلة الكافرين بالمؤمنين لا تضر المؤمنين كما لم يضر فساد فرعون آسية وهو اعدى اعداء الله وعن بعضهم انها عمة موسى آمنت به عليه الصلاة والسلام حين سمعت بتلقف عصاه الافك فاوتد لها فرعون اربعة اوتاد ليديها ورجليها واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى عظيمة على صدرها وعبر بعضهم بالصخرة وقيل امر أن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه.

وروي عن الحسن انها رفعت الى الجنة فهي تأكل وتتنعم وروي انهم اذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة عن الشمس.

﴿إذ﴾ قال القاضي ظرف للمثل المحذوف ﴿**قالت رب ابن لي عندك**﴾ أي في القرب من رحمتك والبعد من عذاب اعدائك أو ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنة المأوى.

فعبرت عن القرب للعرش بقولها عندك ﴿**بيتاً في الجنة**﴾ بيان لمكان القرب أو لكون الجنة من الجنان القريب المعرش المعبر عن قربه بالعندية قالت ذلك حال التعذيب فاراها الله بيتها في الجنة فسهل عليها العذاب وهو من درة بيضاء.

﴿**ونجني من فرعون**﴾ أي من نفسه الخبيثة ﴿**وعمله**﴾ أي تعذيبه وقال ابن عباس جماعه وقيل شركه ومعاصيه وقيل جميع ذلك.

﴿**ونجني من القوم الظالمين**﴾ القبط التابعين له في الظلم والشرك والمعاصي والدعاء عند المصائب من سير الصالحين وسنن الانبياء قيل ان امرأة فرعون آسية من بني اسرائيل مؤمنة مخلصة تعبد الله سراً حتى انها تتعلل بقضاء حاجتها فتبرز فتصلي خوفاً من فرعون الى ان قتل فرعون امرأة حزقيل وهي مطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل ولما قتلت عاينت آسية الملائكة عرجت بروحها لما اراد الله تعالى بها من الخير فازدادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون فظل يخبرها بما فعل بالماشطة امرأة حزقيل فقالت له آسية: الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله فقال لها لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت: ما اعتراني الجنون ولكني آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين.

فدعا فرعون امها وقال لها إن ابنتك قد اخذها الجنون الذي اخذ الماشطة فاقسم لتذوق الموت أو لتكفرن بإله موسى فخلت بها امها وسألتها

موافقة فرعون فأبت وقالت اما ان اكفر بالله فلا والله ما افعل ذلك ابدا فامر بها فرعون حتى مدت بين اربعة اوتاد ولم تزل تعذب حتى ماتت فذلك قوله تعالى ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ قاله ابن عباس مر بها موسى تعذب فاشارت اليه باصبعها تشكو فدعا الله أن يخفف عنها فلم تجد للعذاب ألما إلى أن ماتت فرأت بيتا لها في الجنة وقد دعت الله به فرأته من درة بيضاء ففرحت وضحكت فقال فرعون: لعنة الله انظروا اليها تضحك وهي في العذاب لجنونها.

﴿ومريم﴾ عطف على امرأة فرعون ﴿ابنة عمران﴾ وفيها تسلية للارامل ﴿التي احصنت﴾ حفظت ﴿فرجها﴾ عن الرجال وزعم بعضهم من الجمهور على ان الفرج فرج قميصها.

﴿فنفخنا فيه﴾ أي في الفرج أي نفخ جبريل بأمرنا ﴿من روحنا﴾ أي من الروح الذي هو خلق وملك لنا واضافته للتشريف والمراد الجنس قيل تناول جبريل جيبها باصبعه فنفخ فيه فسار الى بطنها فحملت.

وقرأ أُبي فنفخنا في الفرج وقرأ ابن مسعود فنفخنا فيها أي في مريم أو يقدر مضاف أي في فرجها.

﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ أي شرائعه وقيل بصحفة المنزلة على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وقيل جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وقال الكلبي كلماته عيسى لقول جبرائيل لها: ﴿انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾ وقوله ﴿ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم الخ... ويدل له قراءة بعضهم وهو الخدري بكلمة ربها بالافراد لكن يحتمل الافراد الحقيقة أو الجنس الاستغراقي فتصلح فيه الاقوال وقرىء صدقت بالتخفيف.

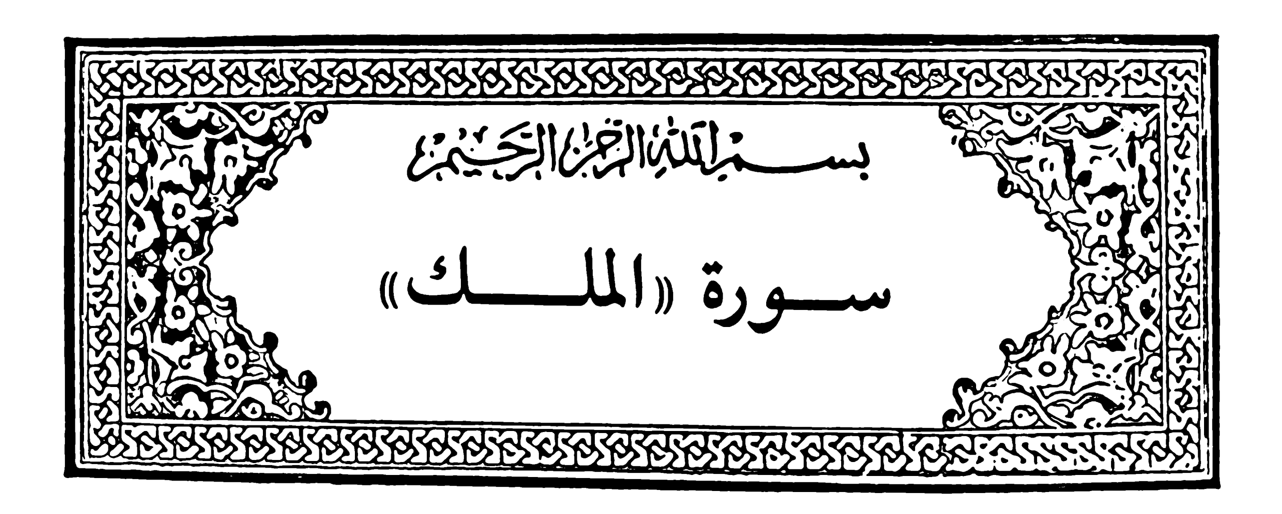
﴿وكتبه﴾ هو الانجيل أو جميع الكتب أو الاربعة فالاضافة للجنس أو للاستغراق وقد قرأ ابو عمرو وحفص وكتبه بالجمع وقيل المراد الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى وقيل: ما كتب في اللوح وقيل: المراد بالكلمات

أو الكلمة التوراة وبالكتاب الجنس واختار أبو حاتم قراءة أبي عمرو وحفص واختار أبو عبيدة قراءة الجمهور كتابة بالأفراد.

﴿وكانت من القانتين﴾ المطيلين القيام في الصلاة وقيل المطيعين ولم يقل من القانتات لان القنوت صفة للذكر والانثى والذكر اقوى فيها فغلب فجعلت بعضا منهم ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى.

وروي ان عائشة رضي الله عنها سالت النبي ﷺ لم سمى الله المسلمة وهي مريم ولم يسم الكافرتين امرأة نوح وامراة لوط فقال: لم يسمهما بغضا لهما واعترضت هذه الرواية بانها غير صحيحة اذ قد يسمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين والحمد لله الذي ابى ان يجعل لغير ما صح علامة توهم الصحة وقد يقال توجيها للصحة بانه لم يذكر الكافرتين باسميهما بغضا لهما وذكر الكفار بأسمائهم في مواضع لنكتة والنكت لا تتزاحم وفي الحديث عن أنس: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» وفي الحديث: «كمل من الرجال كثيرا ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية وخديجة وفاطمة وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

اللهم بحق هذه السورة وحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علينا اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الملك»

قال ابن مسعود هذا هو اسمها في التوراة وتسمى المانعة لانها تمنع من عذاب القبر قال: كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة وفي الحديث عن ابن عباس وانس: (انها المنجية تنجي من عذاب القبر) وتسمى المجادلة لانها تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها وتسمى الواقية والناعشة تنعش قارئها أي ترفعه.

وهي مكية قيل باجماع قيل: كلها قلت عن ابن عباس: انها مكية إلا ثلاث آيات وذكر السيوطي ان بعضا قال انها مدنية قال وهو قول غريب وآيها ثلاثون وكلمها ثلاثمائة وثلاثون وحروفها الف وثلاثمائة وثلاثة عشر وفي الحديث «من قرأ سورة الملك فكانما أحيا ليلة القدر».

وفي الحديث «وددت ان سورة تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن» وقال «من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك» وكان صلى الله عليه وسلم يقرأها عند اخذ مضجعه وإذا قرأت على الرمد ثلاثة ايام كل يوم ثلاث مرات زال بإذن الله وعن ابن عباس ضرب بعض اصحاب النبي ﷺ بيته على قبر وهو لا يحسب انه قبر فإذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر».

بسم الله الرحمن والرحيم

﴿تبارك﴾ تنزه عن صفات الخلق وقيل من البركة وهي التزيد والنمو أي كثرت نعمه وعظمت.

﴿الــذي بيــده المــلك﴾ في تصرفـه السلطان والقدرة في الامور كلها الموجود وغيره ويعز من يشاء ويذل من يشاء وذكر اليد كناية عن الاحاطة بالاشياء.

﴿وهـــو عـلى كــل شــيء﴾ مما يصح تعليق القدرة به ﴿قــديــر﴾ اما ما كان كاتخاذ الصاحبة فلا يقال قادر عليه ولا غير قادر.

﴿الــذي خلــق المــوت والحيــاة﴾ اراد موت الانسان وحياته في الدنيا وقدم الموت لانه أقرب للقهر والتخويف واقوى داعياً الى العمل لان وراءه الجزاء أو اراد بالموت كون الشيء في حكم الميت كالتراب والنطفة والعلقة فإن هذا ونحوه هو المبدأ ثم خلق الحياة بعده أو اراد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة والصحيح الاول أي اعطاكم الحياة التي تقدروا بها على العمل وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن للجزاء والحياة ما يصح بوجوده الاحساس.

وقيل ما به يكون الشيء حياً هو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت ضد الحياة وقيل عدمها وعليه فخلقه بمعنى تقديره وقيل زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد، وهو نعمة لانه يفصل بين حال التكليف في هذه الدار والمجازاة في الآخرة وكذا الحياة لان بها التلذذ في الدنيا والثواب في الآخرة ويأتي الموت يوم القيامة على صورة كبش ملح على السور بين الجنة والنار فينادي ماذا تعرفون يا أهل الجنة ويا أهل النار هذا فيقولون الموت فيذبح على السور وهم ينظرون ثم يقال يا أهل الجنة ويا أهل النار خلودا لا موت وذلك بعد دخول الجنة والنار وليسوا يعرفونه قبل ذلك على صورة الكبش ولكن يلهمهم الله يومئذ فيعرفونه وذبحه هو ازالة تلك الصورة وافناؤها لان جملتها هي الموت بقدرة الله لا حيوان حلت فيه الحياة .

وعن ابن عباس: خلق الله الموت على صورة كبش ملح لا يمر بشيء فيجد ريحه إلا مات والحياة على صورة فرس أبلق وهو الذي ركب جبريل واخذ السامري قبضة من اثره فالقاها في صورة العجل فخار وحيي لا يمر

شيء ميت ويجد ريحه إلا حيي.

﴿ليبلوكم﴾ ليعاملكم في الحياة معاملة المختبر الذي لا يعلم بالتكليف يجازيكم بعدها وهو سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها وفي الازل بلا أول والخطاب للمكلفين.

﴿أيكم أحسن عملا﴾ أصوب عملا واخلص واطوع لله والصواب ان يكون على السنة والكتاب والخالص ان يكون لله وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرأها ولما وصل هذا قال: ايكم احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته أي أيكم اتم عقلا عن الله وفهما للمراد وقيل: أيكم ازهد في الدنيا وهو قول سفيان الثوري وقال السدي: اكثركم للموت ذكرا واحسن استعدادا له واشد خوفا وحذرا ولله در القائل:

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلا — عن الشغل للذات للمرء زاجر
ابعد اقتراب الاربعين تربص — وشيب فذاك منذر لك ذاعر
فكم في بطون الارض بعد ظهورها — محاسنهم فيها بوال دواثر
وانت على الدنيا مكب منافس — لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسي وتصبح لاهياً — اتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وان امرأ يسعى لدنياه جاهدا — ويذهل عن اخراه لا شك خاسر
كأنك مغتر بما انت سائر — لنفسك عمدا وعن الرشد حائر
فجد ولا تغفل فعيشك زائل — وانت الى دار المنية صائر
ولا تطلب الدنيا فإن طلابها — وان نلت منها ثروة لك ضائر
وكيف يلذ العيش من هو موقن — بموقف عدل حين تبْلى السرائر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت — لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

وجملة (أيكم أحسن عملا) مفعول ثان ليبلو لتضمن معنى العلم وليس من التعليق بالاستفهام لان التعليق ان يوقع بعد العامل جملة سدت مسد مفعولين وقيل تعليق.

﴿وهو العزيز﴾ الغائب الذي لايعجز من اساء العمل

﴿**الغفــور**﴾ لمن تــاب.

﴿**الــذي خلق سبــع ســماوات طبــاقــا**﴾ نعت أو حال لسبع بمعنى مطابقات أو ذوات طباق أو مفعول مطلق أي طوبقت طباقا وهو مصدر طابق وقيل جمع طبق بفتح الباء أو طبقة بفتحها أو اسكانها والمراد ان بعضها فوق بعض من غير مماسة سمع اعرابي يذم رجلا ويقول شره طباق وخيره غير باق والسماء الدنيا من الموج المكفوف والموج ما ارتفع من غليان الماء والمكفوف المحبوس.

قال الثعالبي: وما ذكروا ان بعض السموات من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من ياقوت ونحو ذلك ضعيف لم يثبت به حديث وذلك انه روي عن كعب الأحبار ان الاولى من موج مكفوف والثانية من زمرد أخضر والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوته حمراء وقيل الثانية نحاس والثالثة فضة والرابعة ذهب والخامسة ياقوت والسادسة زمرد والســابعـة نور وقيل الاولى زمـردة خضراء والثانية فضة والثالثة ياقوت احمر والرابعة درة بيضاء والخامسة ذهب احمر والسادسة ياقوتة صفراء والسابعة نور

واسم الاولى رقيقاء والثانية اذلقون والثالثة قيدوم وقيل عيناء والرابعة عرداء وقيل باعـونـاء والخـامسـة دبقاء وقيل سحيقاء والسادسة قناء وقيل عدرباء والسابعة عبراء وقيل سمعواء.

﴿**مــا تــرى**﴾ يا محــمد أو يا من يصلح للرواية والخطاب ﴿**فــي خـلق الرحمــن من تـفــاوت**﴾ اختلاف وعدم تناسب وقرأ حمزة والكسائي من تفوت بتشـديد الواو مضمومة بدون الف قبلها والمعنى واحد واراد بخلق الرحمن مخلوقه وهو السموات وعبر به مع ان مقتضى الظاهر الاضمار بان يقول ماترى فيهن لتعظيمهن والتنبيه على سبب سلامتهن من التفاوت وذلك السبب هو كون خالقهن الرحمن وعلى انه يباهر قدرته هو خالق مثل ذلك رحمة وتفضلا وانعاماً جليلا لايحصى كما يدل عليه اسم الرحمن وقيل: اراد بخلق الرحمن

جميع المخلوقات فإنها متقنة محكمة وما استفهامية انكارية ومن بيان لها أو زائدة في المفعول والجملة مستأنفة أو مقول لقول محذوف نعت أي مقولا فيهن ما ترى الى اخره أو ما نافية ومن زائدة في المفعول والجملة نعت والاول ابلغ.

﴿فارجــــع البصــــر﴾ إلى السمــاء بعد مـا نظرت اليها مرارا مرة اخرى متأملا.

﴿هــــل تــرى من فــطور﴾ شقوق والرجع مستند على ما قبله ومتسبب عنه ﴿ثــم ارجــع البصــر كرتـين﴾ أي رجعتين مرتين أي كرة بعد اخرى فهو من التثنية المراد بها اكثر من اثنين كـ (لبيك) و (سعديك) بدليل رجوع البصر حسيرا.

﴿ينقــلب﴾ يرجــع ﴿اليــك البصــر خاسئا﴾ ذليلا لعدم ادارك الخلل الذي يبحث عنه ﴿وهـــو حســير﴾ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة.

﴿ولــقد زينــا السمـــاء الدنيــا﴾ نعت السماء لان السماء مؤنث والألف في الدنيا للتأنيث والمذكر الادنى أي السماء لان السماء الدانية للارض أي القريبة قربا لم يكن لغيرها من السموات.

﴿بمصــــابيــح﴾ بكواكب كالمصابيح في الاضاءة ليلا وليست الكواكب في هذه السماء بل في غيرها ومعنى تزينها بها اظهارها
عليها والتنكير للتعظيم وفيها القمر فقط وقيل غير هذا فانظره وذلك التزيين والاضاءة فائدتان.

واشار الى اخرى بقوله ﴿وجعلــناهــا رجـــوماً﴾ جمع رجم سمي به وهو مصدر ما يكون به الرجم ﴿للشــياطـين﴾ المعادين لكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات ترجمهم الملائكة عند استراق السمع فمنهم من يموت ومنهم من يحرق فقط أو يصير غولا يضل الناس اويخيل وعن بعض ان بعضا يحترق وبعضاً يقع في البر فيصير غولا وبعضاً يقع في البحر فيصير تمساحاً ومعنى الرجم بها ان يفصل منن الكوكب شهاب فيرمى به كما يقتبس من النار وهي باقية على حالها بدليل ان الكوكب اكبر من الدنيا فيما قيل وان عددها لا

ينقص مع كثرة الرجم قال قتادة خلق النجوم ليهتدى بها وللتزيين والرجم ومن تأول غير هذا فقد تكلف بما لاعلم له به أو الرجم بمعنى الظن كقوله رجما بالغيب أي ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والكهنة وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من أهل الارض نجم ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون النجوم صلة.

﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ بعد الاحراق في الدنيا والسعير النار الموقودة وكان الرجم قيل مبعث النبي ﷺ قليلا وقيل معدوما.

﴿وللذين كفروا بربهم﴾ من الانس والجن وقال الحسن: المراد الشياطين المرجومون. ﴿عذاب جهنم وبئس المصير﴾ هي وقرىء بنصب عذاب جهنم عطفاً على معمولي عامل والمراد بجنهم نار الآخرة مطلقا والمراد بالتي في الآثار الطبقة العليا من النار وهي لعصاة الموحدين.

﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً﴾ صوتا منكرا كصوت الحمار ليقال ان لاهلها فيها صوتا منكرا كاقبح ما يكون من صوت الحمار وقيل والمراد حسيسها.

﴿وهي تفور﴾ تغلي بهم كالمرجل بمافيه قيل: كما يغلي الماء الكثير بالحب القليل.

﴿تكاد تميَّز﴾ اصله تتميز حذفت احدى التائين أي تتقطع ﴿من الغيظ﴾ أي لاجل غيظه على اعداء الله فهي شديدة الاشتعال بهم شبهها بعاقل مغتاظ لشدة غليانها كأنها تغضفت أي استرخت اجفانها العليا على عينها غضبا وكبرا ويجوز ان يراد غيظ الزبانية.

﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ جماعة ﴿سألهم خزنتها﴾ سؤال توبيخ قيل وظاهر الآية انه لا يلقى فيها احد إلا سئل على جهة التوبيخ أي يسأل في جماعة لا وحده والخزنة تسعة عشر ملكا مالك واعوانه.

﴿ألم يأتكم نذير﴾ الجملة مفعول المؤوّل لانه بمعنى القول أو

مفعول لقول محذوف والنذير الرسول ينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا ويطيعوا في الدنيا.

﴿**قالوا بلى قد جاءنا نذير**﴾ اعتراف بها يزيل عللهم قيل: واقرار بانهم غير مجبرين على الاعمال كما قال ﴿**فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء**﴾ ومفعول كذب محذوف لعدم تعلق الغرض به لانه تعلق بمجرد التكذيب أي فكذبنا والنذير مفرا اريد به الجنس فيصدق على الواحد فصاعدا أو بمعنى الجمع لانه فعيل بمعنى فاعل كظهير في سورة التحريم أو اسم مصدر أي جاءنا انذار والانذار يستلزم المنذر بكسر الذال كالمنذر بفتحها أو مصدر نذر الثلاثي أو يقدر مضاف على هذين الوجهين أي اهل انذار أو مصدر أو اسمه سمي به المنذر للمبالغة.

ويدل على ان المراد المنذر وان المراد الجماعة قوله ﴿**إن أنتم**﴾ أي ما انتم ﴿**إلا في ضلال كبير**﴾ بخطاب الجماعة ويجوز ان يراد بالقدير الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب أو خاطب الكل لأن تكذيب الواحد وتضليله تكذيب وتضليل الكل أو ذلك توزيع أي قال الافواج قد جاء الى كل فوج رسول فكذبناهم ويجوز كون الخطاب من الزبانية على ارادة القول فالضلال ما كانوا عليه من المعاصي أو عقاب الآخرة لانه يجيء قطعا أو ذلك حساب الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا ولم نقبله.

والصحيح الاول وهو ان الخطاب من الكفار المرسل اولهم وللمؤمنين فيكونون مفرطين ومبالغين في التكذيب حتى نفوا الارسال والتنزل اصلا وفي نسبتهم الى الضلال حتى قصورهم عليها وليس كل أهل النار كذبوا بالارسال والانزال ونسبوا الرسل الى الضلال فإن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا من اسر الشرك فكأنه قال بلسانه ان انتم إلا في ضلال مبين واهل الكتاب لم يكذبوا رسلهم إلا من اشرك منهم والذين حضروا بيننا ولم يؤمنوا به مشركون ولكن من كذب نبيا أو كتابا كأنما كذب الانبياء والكتب فاليهود كذبوا الانجيل وعيسى والقرآن ونبينا والنصارى كذبوا القرآن والنبي.

﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ كلام الرسل أي نقبله بمعجزاتهم ﴿او نعقل﴾ نفهم فهم تفكر قال الفخر تبعا لجار الله جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع او العقل قال جار الله ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث أو على مذهب اصحاب الرأي كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط لم يسمعوا بهذين الفريقين وهذا منه ازراء لصاحب هذا القول.

﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾ من جملتهم وفي الآية عندي دليل على ان العقد نوعان غريزي وكسبي فالغريزي في كونهم من اصحاب السعير اذ لولا وجود الغريزي لم يكلفوا فضلا عن ان يكونوا من اصحابها والكسبي في قولهم أو نعقل فهذا العقل الذي نفوه بلو كسبي ولا بد إذاً لو انتفى الغريزي لم يكونوا من اصحاب النار لكن الكسبي نتيجة الغريزي.

﴿فاعترفوا﴾ اقروا ﴿بذنبهم﴾ أي كفرهم ولذا افرد واراد معاصيهم فافرد لارادة الجنس وهذا الاعتراض انما ينفع لو كان في الدنيا أو الافراد لا ارادة معنى المصدر.

﴿فسحقاً﴾ وقرأ بضم الحاء الكسائي وكلاهما اسم مصدر هو الاسحاق أي الابعاد من الرحمة ﴿لاصحاب السعير﴾ متعلق بـ (سحقا) أو غير متعلق لان اللام للتقوية والاصل اسحقهم الله سحقا ولما حذف اسحق جر مفعوله باللام وعلق بـ (سحقا) قال القاضي: وفي الآية تغليب للايجاز والمبالغة والتعليل قيد بيان التعليل ان الافواج الملقاة في النار لما قالوا لو كنا نسمع اونعقل ما كنا في اصحاب السعير جعلوا انفسهم مغايرة لاصحاب السعير فغلب السعير عليهم حتى ان درجوا في (فسحقا لاصحاب السعير) وهذه العبارة أوجز من ان يقال «فسحقا لهم» ولسائر اصحاب السعير للمبالغة فإن المتبادر من ظاهر هذه العبارة كل من يدخل السعير يكون بعيدا من رحمة الله وليس كذلك فإن عصاة الموحدين يخرجون من النار وللتعليل

حيث يفهم منه ان سبب بعدهم من رحمة الله اختيارهم المعصية فقد غلب الشياطين الذين اعتاد لهم عذاب السعير على الكافرين المعترفين بذنبهم في اطـلاق اسم اصحـاب السعـير عليهم لان هذا الاسم اطـلاق اولا على الشياطين في ضمن واعتدنا لهم عذاب السعير وكونهم من اصحاب السعير علة لاستحقاقهم السحق ولا يخفى ان مذهبنا معشر الاباضية ان العصاة لا يخرجون من النار.

﴿**إن الـذين يخشـون ربـهم بالغـيب**﴾ يذكرونه ويخافونه سرا كما بين الناس أو اكثر ويستغفرونه أو آمنوا بربهم وخافوه ولم يروه أو اراد بالغيب قلوبهم لانها اخفيت وقال قتادة: الغيب النشر والحشر والجنة والنار.

﴿**لهـم مغفـرة واجـر كبـير**﴾ كل لذائذ الدنيا صغيرة دونه ﴿**واسـروا قولكـم**﴾ ايها الناس ﴿**أو اجـهـروا بـه**﴾ أي يستوي اسراركم واجهاركم عند الله فالامر للتسوية لا على ظاهره ثم علل ذلك الاستواء بقوله ﴿**إنـه عليـم بذات الصـدور**﴾ قبل التكلم بها.

﴿**ألا يعلـم من خلـق**﴾ انكار أي كيف لا يعلم من خلق ﴿**وهـو اللطيـف**﴾ في علمه ﴿**الخـبير**﴾ فيه والجملة حال أي كيف لا يعلم حال مخلوقـاته وهو لطيف خبير يتوصل علمه الى ما بطن وما ظهر وفاعل يعلم ضمير ومن مفعول أي والرابط محذوف أي خلقه أو من فاعل أي كيف لا يعلم السر والجهر من خلق الاشياء فالرابط مستتر روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها بواسطة جبريل فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد فنبه الله على جهلهم ولا يقال هلا جعلت المقصود العلم فلا يقدر له مفعول وهلا كان المعنى إلا يكون عالما من هو خالق لان الخلق يستلزم العلم لانا نقول قوله وهو اللطيف الخبير يمنع ذلك لان ألا يعلم متعمد عليه والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهوعالم لكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء إلا ان جعلنا وهو اللطيف الخبير استئنافاً لا حالا فيصح ذلك.

﴿هــو الــذي جـعـل لكـم الارض ذلــولا﴾ صفة مبالغة في الذل أي سهلة المشي فيها منقادة ﴿فامشــوا في منـاكبـها﴾ أي اطرافها وقال الحسن: طرقها وكذا مجاهد وقيل: جبالها وهذا توكيد للذل وتمثيل للغاية فيه فان منكب البعير يبعد عن ان يطأه الراكب وهو يمشي على منكبيها أي ذليلة غاية الذلة والامر للاباحة اباحة المشي في هذه الارض التي هي ذلول حتى انه يمشي في جبالها.

﴿وكلــوا من رزقــه﴾ التمـسـوا من نعمـه ﴿واليـه النشــور﴾ من القبور للجزاء قال الغزالي: جعل الله الارض ذلولا لعباده ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها متحرزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون لأن العمـر ليسير بهم سير السفينة براكبها فالناس سفر واول منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته واطاعته بضاعته والأوقات رؤوس أمواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله عز وجل في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البغض من الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس واحدة من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد ودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر بالطاعة بحسب تكرر الاوقات انتهى. قال ابو مدين عمرك: نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك.

﴿أأمنــــتم﴾ بابـدال الهمـزة الثانية الفا عند نافع وابي عمرو ورويس وقرىء بتخفيف الهمزتين وبتسهيل الثانية وبادخال الف بينها وبين الاخرى وتركه وقرأ ابن كثير بقلب الاولى واوا لانضمام ما قبلها.

﴿مــن فــي الســـماء﴾ وهم الملائكة الموكلون على تدبير امر هذا العالم أو المراد الله على معنى من في السماء امره وقضاؤه فإن السماء مسكن ملائكته والى جهة السماء عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل امره ونهيه أو المراد

الله بناء على زعم العرب ان الله في السماء والرحمة والعذاب ينزلان منه شبهوه بخلقه.

﴿ان يخسف بكم الارض﴾ يغيبكم فيها كقارون ومصدر يخسف بدل اشتمال من من ﴿فإذا هي تمور﴾ تتحرك الى جهات بعد الخسف أو المراد بالخسف امر الارض به فالمور بعد الامر وإذا للمفاجآت وقيل: تمور بمعنى تهوى بهم وقيل: تتحرك بكم وتعلو عليكم وتكونون في بطنها.

﴿أم أمنتم من في السماء ان يرسل﴾ بدل كذلك ﴿عليكم حاصبا﴾ ريحاً ترميكم بالحصباء والريح يذكر ويؤنث والحصباء الحجارة كما حصب قوم لوط وقيل الحصاصب البرد.

﴿فستعلمون﴾ عند الموت ومعاينة العذاب حيث لا ينفعكم العلم وقرىء بالمثناة التحية على الالتفات.

﴿كيف نذير﴾ أي انذاري ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير﴾ عقابي اياهم أي كان شديدا أو انكاري عليهم تكذيبهم عند هلاكهم ان أمري حق وذلك تهديد للمشركين وتسلية له صلى الله عليه وسلم.

﴿اولم يروا﴾ ينظروا ﴿إلى الطير﴾ جمع طائر ﴿فوقهم صافات﴾ حال أو نعت عند من اجاز نعت المحلي بال الجنسية بالمنكرة ويجوز كون الحالية من ضمير الاستقرار في فوقهم فإن الظرف متعلق بمحذوف حال من الطير ومعنى صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانهن لانهن اذا بسطنها جعلن قوادمهن صفا.

﴿ويقبضن﴾ عطف على صافات لان صافات اسم فاعل في معنى الفعل ولكن يرد يقبضن الى الوصف لا صافات الى الفعل لان اصل الحال والنعت ان يكونا اسمين أي صافات لاجنحتهن وقابضات لهن أي ضامات لهن اذا ضربن بهن جنوبهن وقتا بعد وقت استعانة على الطيران والصف والقبض حالتان للطائر يستريح من احداهما للاخرى وعبر في القبض بالفعل لدلالته على التجدد فإن اصل الطيران هو صف الاجنحة لان في الهواء

كالسباحة في الماء والاصل فيها بسط الاطراف واما القبض فطارىء متجدد حالا بعد اخر وقيل قبضهن كفهن عن الطيران فيقفن في الهواء.

﴿ما يمسكهن﴾ في القبض والبسط ﴿إلا الرحمن﴾ بقدرته وبما دبرلهن من القوادم والخوافي واقدارهن على الجري في الهواء.

﴿إنه بكل شيء بصير﴾ يخلق الغرائب ويدبر العجائب ولا تخفى عليه خافية فثبوت الطير في الهواء يدلكم على قدرتنا ان نفعل بكم ماتقدم وغيره من العذاب.

﴿أمَّن﴾ مبتدأ للانكار ﴿هذا﴾ خبره ﴿الذي﴾ نعت أو بيان أو بذل ﴿هو جند﴾ أي اعوان ﴿لكم﴾ نعت لجند ﴿ينصركم﴾ نعت آخر لجند أو حال من جند أو من ضمير الاستقرار في لكم أو خبر ثان وليست ام هذه متصلة كمايوهمه كلام بعض بل هي منقطعة نعم ذلك معادل لقوله اولم يروا على معنى افلم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من العذاب.

﴿من دون الرحمن﴾ أي سواه لا ناصر إلا هو وقال ابن عباس يمنعكم من عذابي ان اردت عذابكم. ﴿إن الكافرون﴾ ما الكافرون ﴿إلا في غرور﴾ من الشيطان ان العذاب لا ينزل بكم.

﴿أمَّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك﴾ الرحمن ﴿رزقه﴾ مطره وسائر اسباب المعيشة أو المراد نفس الرزق والجواب محذوف أي فمن هذا الذي يرزقكم ويجوز ان تكون الاشارتان الى الاوثان لاعتقادهم ان ينصروا ويرزقوا بركتها.

﴿بل لجوا﴾ تمادوا ﴿في عتو﴾ عناد مصدر بوزن النفور لكن في ادغام ﴿ونفور﴾ عن الحق لثقله عليهم ﴿افمن يمشي مكباً﴾ اسم فاعل اكب وهو لازم ومعناه الصيرورة مثل أغدى البعير أي صار ذا غدة وصار ذلك الماشي ذا كب قالوا: وذلك غريب من حيث ان فعل لازم وفعل متعد وهذا اولى من ان يقال كب مطاوع كب وكان لازما أن كب متعد لواحد

والمطاوع بالكسر ينقص درجة عن المطاوع بالفتح غالبا وانما قلنا باولوية الاول لأن كون افعل مطاوعا نادر بل قيل ممنوع واما مطاوع كب واكب المتعدي فهو انكب ومثل ذلك قشع الله السحاب فانقشع واقشعه الله ومعنى مشيه مكباانه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة الطريق واختلاف اجزائه ارتفاعا وانخفاضا وغير ذلك.

﴿على وجهه أهدى﴾ اسم تفضيل من هدى اللازم المتضمن معنى الاهتداء خارج عن بابه ﴿أمَّن يمشي سوياً﴾ سالما من العثور لاستواء طريقه كما قال ﴿على صراط مستقيم﴾ مستو فهذا مقابل لقوله يمشي مكبا أي مكبا لوعورة الطريق واختلافه ولم يذكر فيه الصراط اشعاراً بأن ما عليه المشرك ليس بأهل ان يسمى طريقا فإن ما لم يستقم من الارض لا يكون طريقا والمراد بالمكب المشرك ومثله المنافق وبالسوي المسلم أو اراد بالمكب الاعمى فإنه لا يهتدي الى الطريق فلا يزال ينكب واشار به الى المشرك وبالسوي البصير واشار به الى المؤمن وعن قتادة: الكافر اكب على المعاصي فيحشر على وجهه بخلاف المؤمن فيحشر على قدميه الى الجنة وقال الكلبي المكب ابو جهل والسوي رسول الله ﷺ وقيل حمزة رضي الله عنه.

﴿قل هو الذي انشأكم﴾ خلقكم ﴿وجعل لكم السمع﴾ لتسمعوا المواعظ ﴿والأبصار﴾ لتنظروا صنائعه. ﴿والافئدة﴾ أي القلوب لتتفكروا وتعتبروا وتدركوا الحق فضيعتم هذه النعم إذ لم تستعملوها فيما خلقت لاجله كما قال:

﴿قليلا﴾ مفعول مطلق نعت لمصدر محذوف أي شكرا قليلا أو ظرف زمان أي زمانا قليلا والناصب تشكرون ولعل المراد بالقلة النفي فإن المشركين لا شكر لهم.

﴿ما﴾ حرف زائد لتوكيد القلة أو نكره تامة أو القلة على اصلها اشار بها الى قلة من يؤمن. ﴿تشكرون﴾ استئناف مع قوله قليلا ما ويجوز كون قليلا حالا من احد المكافين حالا مقدرة وما مصدرية ومصدر تشكرون فاعل قليلا أي مقدرة قلة شكركم.

﴿قل هو الذي ذرأكم﴾ خلقكم ﴿في الارض﴾ لتعبدوه ﴿وإليه تحشرون﴾ يوم القيامة للجزاء ﴿ويقولون﴾ أي المشركون للمؤمنين والنبي ﴿متى هذا الوعد﴾ وعد القيامة وعذابها اخبرونا بوقته.

﴿إن كنتم صادقين﴾ ويحتمل ان يراد بالوعد وعود نزول العذاب.

﴿قل إنما العلم﴾ علم وقته ﴿عند الله﴾ فقط ﴿وانما انا نذير مبين﴾ واضح أو موضح لما انذركم به ومبين له والانذار يكفي فيه العلم بالشيء مع جهل وقته بل يكفي فيه الظن.

﴿فلما رأوه﴾ أي الوعد أي الموعد حكي حالا مستقبله متحققة الوقوع وهو القيامة كأنها قد وقعت فهو يخبر انهم لما رأوها ساءت وجوههم كذا ظهر لي وان قلنا الوعد وعد بدر فظاهر فانه قد نزل عذابه بهم أو رأوا منازلهم عند الموت.

﴿زلفة﴾ حال أي قرباً جعله نفس القرب مبالغة أو يقدر مضاف أي ذا زلفة أو يأول بالوصف أي زليفا أو مفعول مطلق أي يزلف زلفة ويزلف حال قيل أو زلفة ظرف أي مكاناً وعن الحسن زلفة عيانا.

﴿سيئت﴾ قراءة نافع بالروم في السين ولذا لا يضبط في المصاحف بكسرة بل تجعل نقطة حمراء بعد السين وقيل الياء الحمراء وكذا قرأ في (وسيء) وعبر بعض بالاشمام والمراد به الروم وهو اخفاء صوت الحركة كما صرحوا به والذي عندي انه يقرأ بالاشمام الذي هو خلطه كسرة وضمة.

﴿وجوه الذين كفروا﴾ ساء العذاب وجوههم بان يأثر عليها الكآبة حتى اسودت ولم يقل سيئت وجوههم ليذكرهم باسم ما اوجب السوء وهو الكفر.

﴿وقيل﴾ أي قالت الزبانية ﴿هذا الذي كنتم به تدعون﴾ لقولهم اتينا بعذاب الله استهزاء وتكذيبا أي تطلبون وتستعجلون فتدعون تفتعلون من

الدعاء اصله تدتعون ابدلت التاء الثانية دالا وادغمت فيها الدال أو المعنى تدعون انه باطل فهومن الدعوى ويؤيد الاول قراءة بعض باسكان الدال. وقرأها بعض الزهاد في اول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلاة الفجر.

وكان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ والمؤمنين بالهلاك فانزل الله ﴿**قــل**﴾ يا محمـد ﴿**أرأيتــم ان اهــلكــني**﴾ امــاتــني ﴿**الله ومــن مــعــي**﴾ من المؤمنين ﴿**اورحمنــــا**﴾ بتأخير اجلنا على ما هو في الازل من تأخيرها.

﴿**فمــن يجـيـر**﴾ يمنع ﴿**الكــافريــن من عــذاب أليــم**﴾ انكار أي لاينجيهم احد متنا أو حيينا فهم يعذبون في الآخرة والدنيا ولا مانع لهم ونحن إما أن نموت كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نحيا لتقوية الاسلام او المراد إن أهلكنا الله بالموت فمن يمنعكم من النار بعد فوت هداتكم وان رحمنا بالامهـال والغلبة فمن يجيركم من القتل أو من عذاب الاخرة فان المقتول بايدينا الى النار أو المراد ان اهلكنا أو بذنوبنا في الاخرة ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا لايماننا فمن يجيركم وانتم غير مؤمنين.

﴿**قــل هــو الرحمــــن**﴾ هو عائد إلى منهم في الذهن اخبر عنه بما هو المراد به أو الرحمن بدل و﴿**آمنــا بــه**﴾ خبر أو المعنى ان الذي ادعوكم اليه هو الرحمن أي مولى النعم اما به للعلم.

﴿**وعليــه توكلنــــا**﴾ اخر معمول آمنا وهو به ولم يقدمه فيفيد الحصر لأن الغرض لم يتعلق بالحصر ولا بمن يؤمنون به وهو الله ولو كان هو الذي يؤمنون به بل الغرض الرد على الكفار امنا ولم نكفر كما كفرتم وقدم معمول توكلنا وهو عليه للحصر أي لمن نتكل على ما اتكلتم بل على الله وحده لأن غيره لا يضر ولا ينفع.

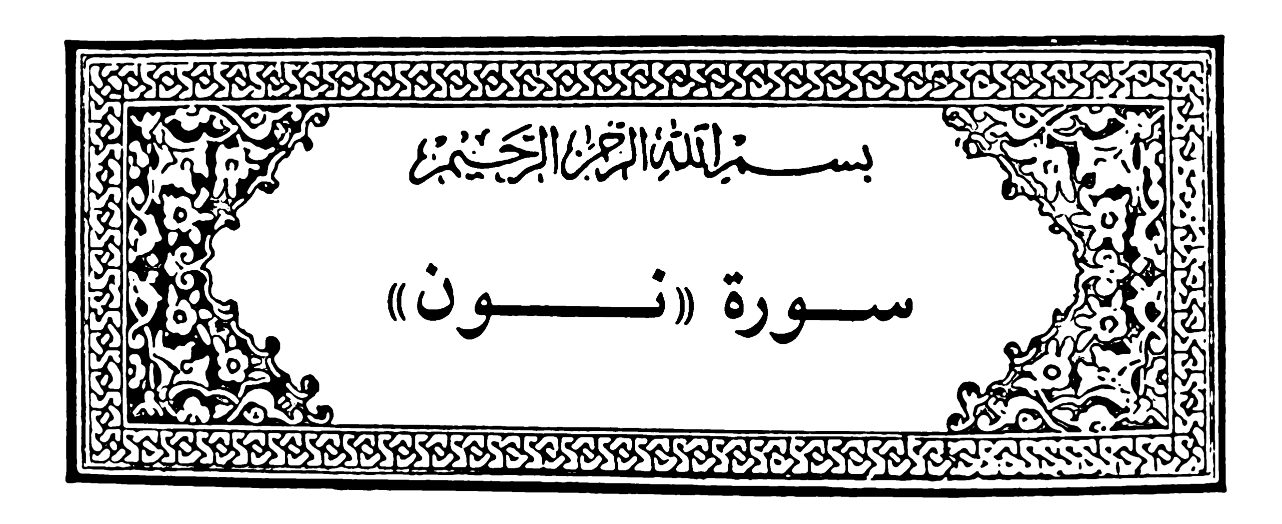
﴿**فســتعلمــون**﴾ وقـرأ الكسائي بالمثناة تحت ﴿**مــن هــو في ضــلال**

مبـين﴾ انتم ونحن ويقدرهم أو نحن على قراءة الكسائي ويعلمون ذلك عند معاينة العذاب أو عند الموت أو يوم القيامة.

﴿قـل أرأيتـم إن أصبح ماؤكـم﴾ مطلقا وقيل ماء زمزم قيل وميمون ﴿غـورا﴾ مصـدر واطلق على الماء مبالغة أو ذا غورا وغائر أي غائبا في الارض لا تناله الدلاء والايدي.

﴿فمـن يأتيـكم﴾ انكار أي لا يأتيكم احد ﴿بمـاء معـين﴾ ظاهر على الارض تناله اليد والدلو وقيل المعين العذب وعليه ابن عباس ذكر لهم ما يشتد عليهم فقد وهو الماء العذب فانهم أشد اليه حاجة شرباً وغيره وقيل: معين بمعنى كثير كاف وقيل بمعنى جار ونسب لابن عباس وقال الحسن: المعين الذي هو من العين واذا كان لا يقدر احد ان يأتي بماء معين سوى الله كما تقرون فلم تعبدون سواه وكيف تنكرون ان يبعثكم. وتليت الاية عند جاهل فقال: يأتي به القوس والمعاول فذهب ماء عينه نعوذ بالله من الجرأة على الله وأياته.

اللهم ببركـة نبيك محمـد صلى الله عليه وسلم وبركة هذه السورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «نون»

وتسمى سورة القلم وهي مكية واستثنى منها (إنا بلوناهم) الى (يعلمون) وقوله (فاصبر) الى (الصالحين) فإنه مدني حكاه السخاوي آيها اثنتان وخمسون وكلمها ثلاثمائة وحروفها الف ومائتان وستة وخمسون، وفي الحديث «من قرأ سورة القلم اعطاه الله سبحانه وتعالى ثواب الذين حسن الله أخلاقهم».

قالوا: (من قرأها على الأوجاع الدائمة برئت عنه إن شاء الله تعالى مثل الصداع والضرس).

بســـم الله الرحمـــن والرحيـــم

﴿ن﴾من أسماء الحروف ويؤيده قراءته باسكان النون الثانية وكتبها بصورة الحروف، وقيل اسم السورة وغير ذلك من الخلاف في أوائل السور معنى واعرابا وقرىء بفتح النون الثانية وكسرها على حد مامر في ص ، وقال ابن عباس: هو حرف من حروف الرحمن وأن هذا الاسم تفرق في أوائل سورة، ففي بعضها الراء وفي بعضها حـــم وفي بعضها ن وقيل مفتاح اسمه ناصر ونصير، وقال الحسن: الدواة ويؤيده ذكر القلم والظاهر انه وضع لغوي قال الشاعر:

اذا ماالـــشـــوق رحـــبـــي الـيـهـم القت الـنـــون بالـــدمـــع السجام

أي الدواة ويشكل عليه أنه إن كان ينكره فأين الاعراب والتنوين او علم جنس أو شخص فأين الاعراب واين التنوين إن صرف نعم قرىء بفتح النون فلعل فتحة اعراب نصب أو جر مع منع الصرف فيهما على القسم بحرف مقدر أو النصب بفعل محذوف وعلى التنكير يكون المراد دواة مبهمة

وفي حديث رواه معاوية بن قرة أن ن لوح من نور وقيل: لوح من ذهب وقيل: نهر في الجنة وقيل: حوت، وفي هذه الاقوال مافي القول بالدواة.

وعن مجاهد وابن عباس: ن هو الحوت الذي ظهره الارضون اسمه البهموت، قال أول ماخلق الله القلم فجرى بما هو كائن ثم النون وهو الحوت، وفي عرايس القرآن اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت وقيل اسمه لفوتان وقيل الارض على ثور اسمه ليوتا وهو على حوت اسمه بهموت.

قال ابن الاعرابي: روى الوليد بن مسلم عن مالك عن موسى مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول؛ أول ماخلق الله القلم ثم خلق النون وهو الدواة وذلك قوله تعالى ﴿ن والقلـم﴾ وفي حديث صريح بمعنى النون ثم قال له اكتب قال: وما اكتب قال: ماكان وما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم فلا يكتب ثم خلق العقل فقال له منا خلقت خلقا أعجب منك وعزتي لأكلمنك فيمن أحببت ولأنقضنك فيمن أبغضت ثم قال ﷺ «أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعلمهم بطاعته» وقيل: اسم ذلك الحوت ليونا.

وعن علي: بلهوت بسط الارض على ظهره فتحرك بها فأثبتها بالجبال فهي تفخر على الارض، وقيل: فتق الارض سبعا وأمر ملكا فحملهن واهبط له ثورا من جنة الفردوس له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قدمه على سنامه ولم يستقر ثم أتى بياقوتة خضراء من أعلى درجات الفردوس غلظها خمسمائة سنة وجعلت بين سنام الثور وأذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون الثور خارجه من أقطار الارض وهو كل يوم يتنفس تنفسا واحدا، اذا تنفس مد البحر، واذا رد نفسه زجر.

وخلق للثور صخره كغلظ سبع سموات وسبع أرضين وضع عليها أقدامه قيل وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة وخلق لها الحوت المسمى نونا وهذا الحوت على البحر والبحر على الريح والريح على الظلمة والظلمة على القدرة.

وعن كعب الاحبار: أن ابليس بلغ الحوت وقال له: لو نفضت ما على ظهرك لاسترحت فهم فبعث الله له دابة دخلت منخره فوصلت الى دماغه

فعج الى الله فأذن لها فخرجت فهو ينظر اليها وهي تنظر اليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت، وقيل تحت السابعة أرض من نار وخلق لايعلمه الا الله وبحر من تحتها نار وأرض من نار وبحر من نار وهكذا الى سبع أرضين من نار وسبعة أبحر من نار وتحت ذلك صخرة وتحتها ماء وتحته حوت وتحته ظلمة الهواء ولايعلم مابعده الا الله، وقيل: الماسك للارض التى نحن عليها صخرة خضراء في كف ملك قائم على ظهر حوت منطو بالسموات الى تحت العرش وبين الحوت والقلم مناسبة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادا من المداد يكتب به وادغم الكساءي وابن عامر ويعقوب النون الثانية في الواو إجراء الواو المنفصل مجرى المتصل فان النون المسكن يدغم في حروف الفم.

وقد روى ذلك عن نافع وعاصم في رواية أبي بكر عنه وروى أن ورشا وأبا بكر وابن عامر الكسائي يدغمون ويبقون الغنه .

﴿والقلــم﴾ قال الحسن: والذي يكتب به الملائكة الذكر واعمال العباد وقيل الذي كتب به الكتابات في اللوح المحفوظ وهو من نور طوله مابين السماء والارض انشق نصفين هيبة لله عز وجل فقال له: اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى فانما يجري الخلق على أمر فرغ منه وقيل: القلم جنس اقلامنا هذه أقسم بها لكثرة فوائدها فانها قوام الدنيا والاخرة فانها أخو اللسان وعضد الانسان ونعمة عامة.

﴿**وما يسطــرون**﴾ أي ما يكتب الملائكة من خير وشر وما تكتبه الحفظة أو ما يكتبون من كتب الله او ما يكتب الناس بأقلامهم نص عليه ابن عباس ويجوز عود الضمير للملائكة والناس ويجوز عودة القلم تعظيما له كما قيل أن الواو في رب ارجعون لله عز وجل واسناد للفعل الى الاله واجراء له مجرى العقلاء ويجوز كون ما موصولا اسميا وكونه موصولا حرفيا.

﴿**ما أنت**﴾ يا محمد﴿**بنعمة ربك بمجنون**﴾ جواب القسم رد به على القائلين يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون والباء الاولى متعلقة

بحرف النفي أي انتفى الجنون عنك بنعمة الله أو بمحذوف حال من اسم ما والعامل معنى النفي وقيل: صاحب الحال ضمير مجنون والعامل لفظ مجنون والباء الزائدة لاتمنع من ذلك وقيل: تتعلق بمجنون وفي هذين القولين نفي جنون خاص وهو الذي يكون من نعمة الله وليس في الوجود جنون هو نعمة ولا المراد نفي جنون خاص والجمهور لا يعلقون بحرف المعنى فيعلقون الباء بانتفى محذوفا دل عليه ما وعلى الحالية فالمعنى كيف يكون مجنونا وانت بحال النبوة والحكمة والفصاحة والعقل الكامل.

﴿**وإن لك لأجرا غير ممنون**﴾ أي غير مقطوع وهو في مقابلة افتراءهم عليك وبيان الشريعة فاصبر واحتسب وقيل: غير ممنون عليك به فان المن بالشيء يكدره ولانه ثواب استحقه عملك وليس يتفضل ابتداء فكيف يمن به او ليس من مخلوق ويممن عليك به.

﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ تتحمل من قومك ما لايتحمله غيرك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن تعني خلقه ما في القرآن من المعروف او تعني انه عظيم كما وصف في هذه الآية وسائليها

سعيد بن هشام وقالت: عقب جوابها ألست تقرأ القرآن ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ روى انها قالت: والقرآن فيه الدين، فبذلك فسر بعضهم الخلق العظيم بالدين بالغ ﷺ في الامتثال والاجتناب حتى صار كان الخير خلق طبيعة فيه وكان لا يجازي بالسيئة ويتجنب الناس بالقول والفعل والجود ولايقطع ويطلق الوجه وقيل الخلق العظيم ما أمره الله به في قوله ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وعن الجنيد سمي خلقه عظيما اذ لم تكن له همة سوى الله تعالى عاشر الحق بخلقه وزائلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وفي وصايا بعض الحكماء عليك بالخلق مع الخلق وبالصدق مع الحق وحسن الخلق خير كله

وفي الحديث أن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار،

وسئل ﷺ ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج، وفي الحديث «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»، وفي الحديث «أن الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وإن البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس، وإن أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بخلقه، وإن أحبكم الي وأقربكم الي منازل يوم القيامة أحسانكم أخلاقا الموطئون إن كنا فالذين يألفون ويؤلفون».

وروي انه كان ﷺ أحسن الناس وجها وخلقا ولم يلبس طويلا ولاقصيرا ولافاحشا ولامتفحشا وتأخذ الامة بيده فتنطلق به حيث شاءت ويجيب اذا دعي واذا صوفح لا ينزع يده ولايعرض بوجهه حتى يفعل ذلك من صافحه ولم يقدم ركبتيه بين جليس له قط ولم يخير بين أمرين إلا اختيار أيسرهما مالم يكن اثما وإن كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم قط الا ان تنتهك حرمة الله وما ضرب شيئا بيده الا ان يجاهد في سبيل الله واذا كان في بيته كان في خدمة اهله واذا حضرت الصلاة توضأ وخرج وما رؤي أكثر تبسما منه، وخدمه أنس عشر سنين وما قال له اف قط وما قال لم فعلت ولا لما لم تفعل وما مس حريرا ولا غيره ألين من كفه ولا شم مسكا او عطرا أطيب من عرفه وكان يمشي معه يوما وعليه برد فجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجبده جبدا شديدا حتى أثرت الحاشية في عنقه وقال يا محمد مرلي من مال الله الذي عندك، فالتفت اليه وضحك وأمر له بعطاء وكان لأنس أخ يقال له ابو عمير يلعب بنفير كان له ومات وهو طائر كالعصفور لكن أحمر المنقار واذا رآه قال له: يا ابا عمير ما فعل النفير.

﴿فستبصر﴾ يا محمد وفيه إشارة لامته. ﴿ويبصرون﴾ أي كفار مكة. ﴿بأيّكم﴾ جمع أي حذفت نونه للاضافة او لباء زائدة في الخط لاتقرأ كما قرىء بايكم بياء واحدة نطقا وكتابة.

﴿المفتون﴾ وذلك في يوم القيامة اذا نزل بهم الحساب والعقاب وعند

الموت والجملة معلق عنها احد الفعلين بالاستفهام في محل نصب سدت مسد مفعولين ويقدر الاخر والابصار بمعنى العلم.

قال ابن هشام: ومن المبتدأ المجرور بحرف زائد عند سيبويه بأيكم المفتون فأيكم مبتدأ والباء زائدة والمفتون خبر ولم يعكس لان صيغة مفعول لاتكون عنده بمعنى المصدر فالمفتون اسم مفعول اي المفتون عن الصواب أهم أم انتم والمفتون ابليس او المجنون وممن قال بالزيادة ابو عبيدة وقتادة وقال الاخفش الباء بمعنى في متعلقه بمحذوف خبر والمفتون مبتدأ مصدر بمعنى الفتنة كالمعقول والمجلود بمعنى العقل والجلد ويجوز كون الباء بمعنى في والمفتون اسم مفعول اي في أي الفريقين من يستحق هذا الاسم وذلك تعريض بأبي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهما أوفى اليهم الشيطان فانه مفتون انتهى بزيادة.

﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ وهو المفتون على الحقيقة. ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ الكاملين في عدم المفتونية وذلك وعيد الضالين ووعد المهتدين يجازيهم على ما علمه منهم.

﴿فلا تطع المكذبين﴾ في عبادة آلهتهم او مسحها وذلك تهييج واغراء على معاصاتهم.

﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ جواب لو محذوف وهي امتناعية ومفعول ود محذوف يود أي ودوا والادهان لو تدهن فيدهنون لسرهم ذلك ولرضوا عنك وأولى من ذلك ان لو مصدرية والمصدر مفعول ود ولم يصب يدهنون في جواب التمني لانه لم يسق مساق الجزاء بل هو من جملة ما تمنوا او خبر لمحذوف أي فهم مدهنون أي فهم يدهنون حين ادهانك او ودوا ادهانك فهم الان مدهنون طمعا في ادهانك.

وقرىء فيدهنون بحذف النون تخفيفا او نصبا على العطف على المعنى كانه جىء بأن المصدرية بدل لو المصدرية أي ودوا ان تدهن فيدهنوا او على عطف المصدر على المصدر المقدم بواسطة لو على حد.

بناء على انه يكفي في ذلك المصدر غير الصريح وهو مذهب الدماميني وحكى سيبويه الحذف عن هارون عن بعض المصاحف والادهان الملاينة فيما لاتحل فيه والمدارة الملاينة فيما تحل فيه ويجوز كون الحذف نصا في جواب التمني سوقا لادهانهم مساق الجزاء، وكانوا قد راودوه على ان يعبد الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه غوابلهم، وروى انهم قالوا: لو عبدت آلهتنا وعظمتها لعبدنا آلهك وعظمناه، وروي انهم قالوا: اعبدها عاما فأبى وقالوا: شهرا فأبى وقالوا: جمعه فأبى وقالوا: يوما فأبى وقالوا: ساعة فأبى وقالوا: امسح عليها بيدك فكأنه هم أن يفعل ليدخلوا في الاسلام فنهاه الله .

والادهان هنا شرك اذا فسر بعبادة آلهتهم والادهان أيضا الخيانة في أمر الدين ورسم بانه بذل الدين بالدنيا فانظر كتب الفقه.

﴿ولا تطـــع كـــل حـــلاف﴾ حكم على الجميع لا المجموع فذلك من عموم السب لا سلب العموم والغالب في نحو كل بعد أداة السلب عكس ذلـك والحلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى بذلك زجرا لمن اعتاد الحلف، وقيل المراد كثير الحلف في الباطل وقيل: مكثار في الشر.

﴿مهـــين﴾ حقير الرأي ضعيف في الخير او المراد الكذاب لانه حقير في الناس وعلى الاول مجاهد وعلى الثاني ابن عباس وما يكذب الكاذب الا لحقارة نفسه عنده ومهين اسم مفعول من هان يهين كهان يهون اصله مهيون فعل فيه ما فعل بمبيعه او من مهن يمهن المتعدي او صفة مشبهة من مهن يمهن اللازم.

﴿همـــاز﴾ عياب بذكـر عيوب الناس ويطعن فيهم وعن الحسن: يلوي شدقيه في اقفيه الناس وقيل يهمز بلسانه وعينه وقيل بيده وجوارحه باشارة.

﴿مشـــاء﴾ اصله بالياء بعد الالف قلبت همزة لتطرفها بعد الالف زائدة.

﴿بنمـــيم﴾ أي بالكلام الذي يفسد بين الناس أي كثير السعي به، قال ابو عمر وابن عبد البر وهو من علماء الاندلس وزهادها في بهجة المجالس قال النبي ﷺ «مـــن كـــف عـــن أعـــراض المسلـــمين لســـانه قال الله

يوم القيامة عثرنه وقال: شراركم ايها الناس المشاءون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباعون لاهل البر العثرات » وعن حذيفة عن النبي ﷺ «لا يدخل الجنة قتات» أي نمام.

﴿مناع للخير﴾ أي للمال أي يمنع ماله عن اهله أي بخيل لا يؤدي المال قاله الحسن وعلمه كثير من المفسرين وقيل يمنع الناس عن الاسلام وعن ابن عباس: يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا انفعه بشيء ابدا وقيل: يمنع عن الايمان والانفاق والاعمال الصالحة.

﴿معتد﴾ ظلوم يعتدي على الحق ويبالغ في مجاورته.

﴿أثيم﴾ كثير الاثم وعظيمه وقيل: المراد التوغل في الشرك.

﴿عتل﴾ قوي البنية غليظ الاعضاء قاسي القلب بعيد الفهم أكول شروب جيفة بالليل حمار بالنهار وقيل: غليظ جاف من عتله اذا جبده بعنف وغلظة وقيل: الفاحش السيء الخلق وقيل: شديد الخصومة في الباطل وقيل: شديد الكفر وقيل: الاكول الشروب القوي الشديد لايزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا في النار دفعة واحدة وقرأ الحسن برفعه على الذم قال الزمخشري: وهذه القراءة تقويه لما يدل عليه قوله (بعد ذلك) أي بعد ذلك المذكور من الصفات وهو متعلق بعتل او بزنيم على معنى ثبتت له العتلية او الزنيمية بعد ذلك او بمحذوف أي نقول بعد ذلك زنيم بالحر أي نصفه بهذه الصفة.

كما يقول زيد: مررت بعمرو الظريف الكريم وتقول انت واقول العالم بحر العلم (زنيم) دعي قال حسان:

وانت زنيم نيط في آل هاشم   كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

مأخوذ من زنمتيّ الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها يعرف بين الناس كما تعرف الشاة بزنمتيها بين الغنم وهو معروف بالشر وقيل: الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة وقيل: المريب القبيح الافعال وقيل: الزنيم نعت من لايعرف

قال أكثر المفسرين هذه الاوصاف لم يرد بها رجل بعينه ولا يناسب هذا التفسير قوله زنيم ان فسر بالدعي فانه ليس كل دعي شريرا او فسر بمن له زنمة نعم النطفة اذا خبثت خبث الناشيء منها غالبا ولذا قال ﷺ «لايدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده» يعني ان خبث النطفة تتسبب في عصيانه فلايدخل الجنة وقيل الزنمة جلدة تعلق في حلق الشاة فهو ملصق بغيره كهذه الجلدة.

وقيل: المراد بالزنيم وتلك الصفات الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده واياه عني حسان بالبيت المذكور قال ابن قتيبة: لانعرف ان الله وصف أحدا ولاذكر من عيوبه مثلما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لايفارقه دنيا ولا اخرى قيل: بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية وكان جافيا قاسيا فاجترأ على المعاصي وقال السدي: المراد الاخنس بن شريق وكان دعيا ايضا اصله من ثقيف والصق في زهرة من قريش وقيل عن ابن عباس: الزنيم الذي في عنقه زنمة وكان الاخنس بهذه الصفة.

وقيل عن ابن عباس: ان المراد ابو جهل وقيل: الاسود بن عبد يغوث وعليه مجاهد والمشهور أنه المراد الوليد وكان موسرا لعشرة من البنين وكان يقول لهم ولقرابته من اسلم منكم منعته رفدي أي عطائي **ان كان ذا مال وبنين**﴾ بفتح الهمزة على ان حرف مصدر وحرف الجر مقدر أي لئن كان أي لكونه ذا مال وبنين وهو متعلق (يطع) أي لاتطع من هذه صفاته ليساره وكثرة اولاده او متعلق بكذب محذوفا او متعلقا يقال محذوفا لا بالذي بعد اذا لانه جوابها والجواب لايعمل فيما قبل اداة الشرط على الاصح فعلى غير الاصح او على اخراج اذا عن الشرط يصح تعليقه به اي يقول حين تلاوة الآيات عليه هي اساطير الاولين لاغتراره بكثرة ماله وبنيه اغترارا عظيما وقراءة حمزة ويعقوب وابو بكر أن كان بهمزة الاستفهام وهمزة ان مخففين.

وقرأ ابن عامر الهمزة الثانية بين الهمزة والالف واللام مقدرة كما مر اي أتطيعه او أكذب او أقال لان كان ذا مال وروي عن نافع كسر الهمزة بدون استفهام والمشهور عنه الفتح ومعنى الكسر الشرط واشتراط الغنى والبنين في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد فجاء النهي على

طريقة ما تقتضي نفس المعاصي من انه يطيعه اذا كان ذا مال وبنين والشرط مصروف للمخاطب كما يصرف الترجي اليه في نحو لعله يتذكر.

﴿اذا تتلى عليه آياتنا﴾ القرآن﴿قال أساطير الاولين﴾ أي هي أساطير الاولين أي ما افترق وكتبوه.

﴿سنسمه﴾ أي سنجعل له علامة﴿على الخرطوم﴾ على الانف يعير ما عاش خطم انفه بالسيف يوم بدر أعني الوليد وقيل سنسمه بالكي على وجهه وقد أصابه جراحة يوم بدر بقى اثرها والاول قول ابن عباس وقيل: نسمه في الآخرة بسواد الانف والوجه بسمه يمتاز بها عن سائر الكفار كما امتاز في الدنيا بعداوة شديدة لرسول الله ﷺ او سمة يعلمها الله وقيل سنشهره بهذه السمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لاتخفى السمة على الخرطوم.

وقال قتادة وغيره: ذلك عبارة عن ان يذله غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين ظاهر فكيف بها على اكرم موضع منه وهو الانف وقد وسم العباس رضي الله عنه اباعر في وجهها فقال رسول الله ﷺ «أكرموا الوجوه» فوسموها في جواعرها وقالوا في العزيز الأنف في الأنَفَة وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وفي الذليل جدع أنفه ورغم انفه وفي لفظ الخرطوم استخفاف واستهانة به وعن النضر بن شميل: ان الخرطوم الخمر وان المعنى سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة لتسلفها وتقدمها من سائر الخمر ولانها تصير في الخياشيم من الانف.

﴿إنا بلوناهم﴾ امتحنا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ اذ كذبوه. ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ أي البستان واصحابه قوم من اهل الاسلام وكان دون صنعاء بفرسخين في اليمن يقال له صوران وكان ابوهم صالحا يأخذ منه قوت سنة ويتصدق بالباقي وقيل: كان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما خطاه المحل وما القته الريح وما بعد من البساط وما يبقى فيه بعد الرفع وما في اسفل الاكدس وكل ما ينتثر وكذا في العنب والزرع وغيرهما فكان يجتمع لهم كثير ولما مات ترك ثلاثة بنين وهم اصحاب الجنة وقالوا فعل ابونا ذلك حين كثر المال وقل العيال ونحن اليوم

في عيال كثير ومال قليل ويضيق ذلك علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خيفة من المساكين كما قال الله عنهم.

وقيل كانوا من بني اسرائيل وقالوا ان فعل ابينا كان خطأ ولا سبيل علينا لمسكين وكان ابوهم يعطي منه المساكين وابن السبيل ﴿**اذ اقسموا**﴾ اذ ظرف او للتعليل حلفوا بالله ﴿**ليصرمنها**﴾ ليقطعن ثمر الجنة ﴿**مصبحين**﴾ حال من الواو المحذوفة للساكن أي حال الاصباح وهو وقت يغفل المساكين عن الخروج اليها وقيل كانوا اذ ذاك مشركين وهو تفسير مجاهد ثم تابوا.

﴿**ولا يستثنون**﴾ لايقولون ان شاء الله فان الاستثناء لغة مطلق الاخراج بأي لفظ كان فبمعنى قولك لاقطعن إن شاء الله معنى وقولك لاقطعن الا إن شاء الله واحد والاستثناء فيهما المشيئة وهي خلاف القطع.

وأما في قولك قام القوم إلا زيدا فزيد من القوم بخلاف قاموا إلا حمارا والذي يظهر لي ان المراد بقوله لايستثنون لايخرجون حصة المساكين كما كان ابوهم يخرجها ثم رأيت القاضي والحمد لله صرح به والجملة مستأنفة او معطوفة على جواب القسم فتكون من المحلوف عليه ﴿**فطاف عليها طائف**﴾ جاء عليها بلاء طائف قيل: هو النار أحرقتها ولايكون الطائف الا بالليل وقيل: غير النار وقرىء طيف ﴿**من ربك وهم نائمون**﴾ الواو واو الحال ومن للابتداء ﴿**فأصبحت كالصريم**﴾ أي كالبستان الذي صرمت ثماره لم يبق منه شيء فهو فعل بمعنى مفعول ولاثمر فيه او كالليل باحتراقها واسودادها فان الليل المظلم يقال له صريم او كالنهار لبياضها لذهاب خضرتها. وقال ابن عباس: الصريم الرماد بلغة جذيمة وقيل: صرم منها الخير فليس ينتفع بشىء منها وقيل: كالشىء الذاهب المنقطع الهالك أهلك الله الجنان والحرث وقيل: الصريم الرمل وقيل: كالزرع اليابس المحصود ومن كتب (سنسمه) الى الصريم في عظمة جمل قديمة من مزبلة قديمة ودفنها في بيت ظالم خرب.

﴿فتـــنادوا مصبـــحين أن﴾ أن مفسرة او مصدرية على تقدير الباء بناء على جواز دخول أن المصدرية على الامر ﴿اغــدوا﴾ اخرجوا اليه غدوة ﴿على حــــرثــكم﴾ عدى (غدا) بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاقبال يتعدى بعلى كما يتعدى بالى او شبه البكور المصرم ببكور العدو بالعين المهملة.

يقال غدا علمهم العدو وغدوا العدو ويتضمن الاستيلاء قيل اراد بالحرث الثمار الزرع والاعناب اطلاق لاسم البعض على العام ﴿إن كنــتم صـــارمــين﴾ مزيد من صرم ثمركم ويحتمل أن يزيد إن كنتم اهل عزم واقــدام على رأيكــم من قولــك سيف صارم ﴿فــانــطــلقــوا وهــم يتخــافتــون﴾ يتكلمون كلاما خفيا خوفا ان يشعر بهم المساكين يقال خفى وخفت وخفــد أي كتم واسروا من الاخير قولهم الموطوط خفدود ﴿ان لايــدخلنــها اليــوم عليــكم مســكين﴾ ان تفسير لتخافتهم أي انهم قالوا سرا لايدخلنها اليوم عليكم مسكين ولانهاية بدليل دخول نون التوكيد لا نافية لشذوذ دخول نون التوكيد بعدها وقرىء باسقاط ان وهي قراءة ابن مسعود وعليها فالجملة محكية بالتخافت لتضمنه معنى القول او بقول محذوف والمراد بالنهي الممسكين عن الدخول نهيهم عن تمكينهم المسكين عن الدخول فضلا عن اخذه فهذه مبالغة وكناية كقولك لا ارينك هاهنا تعني لاتحضر فضلا عن ان أراك﴿وغــدوا على حــرد﴾ غضب او نكد او منع او قصد وسرعة متعلق بقوله ﴿قــادريــن﴾ أي ذهبوا غدوة قادرين على نكد او غضب او منع او قصد، التقديم للحصر او القدر بمعنى التضييق او متعلق بمحذوف حال من الواو وقادرين حال ايضا منه او من ضمير الاستقرار وان جعلنا غدا بمعنى صار فهو خبرها وانما قدروا على ذلك في معتقدهم او قصدوا حرمان المساكين فحصلوا على الحرمان والمسكنة ولفظ الحرد قلب وعكس لقولهم ان اغدوا على حرثكم تهكما بهم لسوء النية اراد والذهاب للحرث وما تحصلوا الا على الحرد.

وقرىء بفتح الراء اي غضب وقيل حرد علم لتلك الجنة ومثله من الاعلام المؤنثة يجوز صرفه ولاسيما ان هذا بمعنى الجنان والبستان اي قادرين في

انفسهم على صرم تلك الجنة ونفعها يقال حاردت الابل منعت لبنها والسنة لا مطر فيها أو لا غلة وجاء السيل يحرد أي يسرع ﴿فلما رأوها﴾ على غير ما علموها ﴿قالوا إنا لضالون﴾ عن طريق جنتنا وما هذه بجنتنا ولما تأملوا وتثبتوا علموا انها هي فقالوا﴿بل نحن محرومون﴾ منعنا الله من ثمارها ونفعها لجنايتنا على انفسنا بمنعنا الفقراء وترك الاستثناء ويجوز ان يراد بالضلالة ضلالة الدين ﴿قال أوسطهم﴾ اعدلهم وافضلهم رأيا وعقلا.

يقال فلان من سطة قومه ويقال اعطني من سطات مالك وقيل اوسطهم سنا ﴿ألم أقل لكم لولا﴾ حرف تحضيض ﴿تسبحون﴾ أي هلا تستثنون بان تقولوا إن شاء الله سماه تسبيحا لان فيه تعظيم الله حيث لاقدرة لأحد الا بمشيئة الله او هلا تستثنون حق المساكين أي تخرجونه فالتسبيح بمعنى التوبة عن تفريطهم في حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله يقال هلا تسبحون وقيل هلا تذكرون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وكان هذا الاوسط ذكر لهم ذلك حين اقسموا كما مر وحذرهم انتقام الله من المجرمين واغراهم الى حسم شر نيتهم قبل حلول النقمة فعصوه وقال الحسن: التسبيح الصلاة كانوا يتوانون في الصلاة وإلا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا الفقراء وذلك كله دليل على انهم مسلمون لامشركون ويدل على ان المراد بالتسبيح ذكر الله والاستغفار او قولهم سبحان الله والتوبة قوله ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ بمنع الفقراء حقهم وترك الاستثناء تعالى الله عن الظلم وكل قبيح ﴿فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ يلوم بعضهم بعضا فان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعذر.

قيل: ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض فعلى هذا فهم اكثر من ثلاثة ﴿قالوا يا﴾ حرف تنبيه او حرف نداء أي ياقوم ﴿ويلنا﴾ دعاء بالهلاك على انفسهم اي قد عملنا ما نكون به أهلا للويل او هو للمنادى نداء تفجع كما تقول ياوجعاه او تعجب لعظمة او

استغاثة ليزل عنهم ولا يلتبس ذلك بالنداء المحض واشار الى موجب الويل بقوله ﴿إنـا كنـا طـاغـين﴾ متجاوزين حق الله حيث منعنا الفقراء ولم نشكـر نعم الله ﴿عسى ربنـا أن يبـدلنـا﴾ وقرىء بالتخفيف اي يعوضنا ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة ﴿خـيرا منـها إنـا الى ربنـا راغـبون﴾ ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا علم الله منهم الاخلاص والصدق فأبدلهم جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا.

قاله ابن مسعود رضي الله عنه ورأى ابو خالد اليماني تلك الجنة التي ابدلها الله لهم ورأى كل عنقـود منها كالرجل الاسود القائم وقدرة الله اعظم فلا يستغرب مثل هذا اذا كان الراوي ثقة ونهى رسول الله ﷺ عن الحصاد ليلا وعن الجذاذ ليلا وعن التضحية ليلا قال ولا تصنعوا كما صنع أهل الجنة وكلام ابن مسعود دليل على ان اصحاب تلك الجنة من اهل الجنة وكذا قال مجاهد وهو ظاهر شبه الله اليهم الرغبة اليه والتسبيح والاعتراف بالذنب ولم يذكرهم بما يبطل هذا منهم وسأل بعضهم قتادة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال: لقد كلفنى تعبا ﴿كـذلك﴾ اي مثل ذلك العذاب الذي عذبناه اصحاب الجنة واهل مكة ﴿العـذاب﴾ في الدنيا اي هكذا عذاب الدنيا او مثل عذاب اهل الجنة عذاب من خالفنا من اهل مكة وغيرهم ﴿ولعـذاب الآخـرة اكـبر لـو كانـوا يعلـمون﴾ عذابها وجواب لو محذوف أي ما خالفونا او دل عليه ما سبق أي لو كانوا من اهل العلم لتحقق عندهم ان عذاب الاخرة اكبر ﴿ان للمتـقين عنـد ربـهم﴾ اي في الاخرة ﴿جنـات النعـيم﴾ ما فيهن الا النعيم الخالص عما يشوب جنات الدنيا.

لما نزلت هذه الآية قالت عظماء قريش ان كان ثم جنات نعيم فلنا هنالك اكبر الحظ فنزل انكارا عليهم﴿افنجعـل المسـلمين كالمجـرمين﴾ وروي انهم اذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله للمؤمنين وكانوا ذوي حظ في الـدنيا وحظ المؤمنين فيها قليل قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد

واصحـابه لم تكن حالنا وحالهم الا كحال الدنيا او يساووننا فانكر عليهم التسوية ولاسيما الزيادة على المؤمنين والمراد بالمجرمين المشركون ومثلهم المنافقون .

حلف ابن مسعود رضـي الله عنه ولم يستثن وقال: لا أستثني انه لا يجعل الله من له سهم في الاسلام كمن لاسهم له ولا ولي الله عبد في الدنيا فولاه غيره في الآخرة ولايحب عبد قوما الا كانوا معهم وقال: لو حلفت لايستر الله على عبـد في الـدنيا الا ستر عليه في الآخـرة لبررت ﴿**مـالـكم كيـف تحكـمون**﴾ هـذا الحكم المعوج الفاسد وهذان الاستفهامان للتعجب اي تعجب يامحمد وغيره وللاستبعاد والاشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي وجاء ذلك على طريق الالتفاف من الغيبة الى الخطاب زيادة للتعجب والاستبعاد﴿**أم لكـم**﴾ اي بل لكم او الاصل أكان امر الجزاء مفوضا اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم ﴿**كتـاب**﴾ من السماء ﴿**فيه تدرسون**﴾ تقرءون﴿**ان لكم فيه**﴾ اي في الكتاب﴿**لما**﴾ اللام للتأكيد في اسم ان لا زائدة كما قيل الا ان اريد بالزيادة ماذكرت ﴿**تخيرون**﴾ اصله تتخيرون حذفت احدى التائين او تختارون رجعت الالف الى الياء فابدلت التاء ياء وادغمت فيها وتخير الشيء واختياره اخذ غيره والاصل فتح همزة ان فتكون مصدرية والمصدر مفعول تدرس وادخل اللام في اسمها فكسرت فكان المفعول جملة سبب اللام .

والمعنى تدرسون فيه ثبوت الاختيار لكم اي ما يدل على هذا الثبوت او كسرت الهمزة ودخلت اللام قبل تسليط الدرس اي تدرسون فيه هذا اللفظ الذي هو قولك ان لكم فيه لما تخيرون ويجوز ان تكون ان استئنافا وتؤيده قراءة الاعرج ان بهمزة الاستفهام وقرىء شاذا بفتح الهمزة مع ثبوت اللام الابتدائية في اسمها ولعل من قال بالزيادة بني على هذه القراءة فجعل اللام زائدة لا للابتداء وذكر ابن هشام بعض ذلك.

﴿**أم لـكم أيمـان**﴾ عهود مؤكدة بالايمان ﴿**علينـا بالـغة**﴾متناهية في التوكيد وعلينا متعلق بما تعلق به لكم او بمحذوف نعت لايمان من تقديم

نعت غير مفرد على فرد وقرىء بنصب بالغة على الحال من ضمير الاستقرار في لكم فناصبة لكم او الاستقرار المحذوف او من ضمير الاستقرار في علينا كذلك ان جعل نعتا والنصب قراءة الحسن ﴿الى يــوم القــيامة﴾ متعلق بما تعلق به اللام او على اي ايمان لاتخرج عن عهدتها الى اليوم الذي نحكم بها فيه او متعلق ببالغة ﴿إن لــكم لمــا تحــكمــون﴾ جواب لما في قوله او لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة من القسم كله.

قيل: ان اقسمنا لكم مرارا ان لكم لما تحكمون به لانفسكم لم نفعل ذلك ولا عهد لكم عند الله وللمؤمنين عهد عنده فلن يخلف الله عهده، قال ابن هشام من أمثلة جواب القسم ما يخفى نحو ام لكم ايمان علينا الى اخره ﴿سلــهم أيــهم بذلــك زعيــم﴾ اي متكفل وجملة ايهم بذلك زعيم مفعـول ثان لسـل والاشـارة للحكم الذي يحكمونه لانفسهم ﴿أم لــهم شــركاء﴾ اصنام يتكفلون لهم به او موافقون او شهداء يشهدون بصدق ماادعـوا ﴿فلــيأتـوا بشركــائــهم ان كانوا صــادقين﴾ في دعواهم وذلك الامر للتعجيز اي لامعبود لهم يتكفل ولامساعد لهم على ذلك كما انه لاكتاب لهم في ذلك ولاعهد ولازعيم نفى في الآية جميع ما ربما تشبثوا به من عقل او نقل.

وقيل: المراد استدعاؤهم ان يحضروا في الدنيا هؤلاء الشركاء في زعمهم الذين هم بحال من يضر وينفع ليراهم الناس وفي قوله ام لهم شركاء نفي الشركاء النافعين فانهم لو كانوا لعلمهم الله ولما لم يكونوا ساقهم مساق من جهل فهو يبحث عنه او المعنى ام لهم شركاء اي اصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة.

قال القاضي: كأنه لما نفى ان تكون التسوية من الله سبحانه نفى بهذا ان تكون مما يشركون الله به انتهى ﴿يــوم﴾ مفعول لمحذوف اي اذكر او ظرف متعلق بيأتوا او بزعيم او بمحذوف للتهويل اي يكون كذا وكذا يوم ﴿يكــشــف﴾ وهو يوم القيامة ﴿عــن ســاق﴾ نائب الفاعل والكشف عن الساق كناية عن شدة الامر للجزاء والحساب ولاساق ثم ولا كشفا عنه كما

تقـول كشفت الحرب عن ساقها وشمرت وكما يقال أبدت العذراء حزامها والحزام رباط السراويل عند اسفل رجل المرأة وشمرت المخدرات عن سوقهن يقال ذلك عند الشدة كأنهن هربن وكشفن عند ذلك السوق والحزام ليتمكنن من الهرب ولو لم يكن هناك عذراء ولا مخدرة وكما تقول لمن لابد له اذا كان شحيحا يده مغلولة تمثيلا للبخل وتقول للجواد كثير الرماد ولو لم يكن عنده رماد.

والمراد بالساق الاصل اي يكشف عن اصل الامر وحقيقته استعارة تحقيقية تصريحية اصلية من ساق الانسان او ساق الشجرة ومن شبه الله بخلقه واثبت له الساق كساق زيد وعمرو فلقلة فهمه لعنه الله وقبحه.

قال عاصم بن كليب: رايت ابن عبـاس غضب غضبـا شديدا لم اره غضب مثله قط فقال: انكم تقولون قولا عظيما يعني التشبيه الذي ذكر وانما اراد يكشف عن الامر الشديد قال عاصم: كليب عن ابن عباس لو علمت من يقول هذا التشبيه لفعلت وفعلت وقال ابن عباس: ذلك الوقت هو اشد ساعـة في القيامة وعن عمرو بن العاص، يوشك ان ينحل شيطان أوثقه سليمان عليه السـلام في البحـر فيعلم النـاس التشبيه يزينـون احـاديثهم باحاديث اهل الكتاب في صفة ربهم وعن ابن مسعود لاتسألوا اهل الكتاب عن شيء فلن يهدوكم وقد ضلوا انما هو كذب يصدقونه او صدق يكذبونه.

ومن اهل التشبيه مقاتل قال ابو عبيدة: خرج من خراسان رجلان مشبه حتى مثـل وهو مقاتل بن سليمان وناف حتى عطل وهو جهم بن صفوان ولايعلم مقدار عظم هذا العلم ومنافعه الا من أحس بعظم مضار فقده واما قول ابن مسعود يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنـافقـون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد فمعناه عن هوله الشديد وحقيقة امره او عن ساق آخرته وكذا في الآية يستعار الساق للآخرة وقيل الساق القدرة وعن ابي موسى الاشعري عن النبي ﷺ الساق نور عظيم ومعنى الطبق ان تكون فقرة واحدة لاتنثني وكأنها اقيمت بسفود دخل فيها وتنكير الساق للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف.

وقرىء نكشف بالنون والبناء للفاعل قرىء تكشف بالمثناة فوق والبناء للمفعول ونسبت هذه القراءة لابن عباس وبها مع البناء للفاعل ورويت ايضا عن ابن عباس والنائب والفاعل ضمير الساعة والقيامة او الحال من اسناد الفعل الى زمانه فجاز أو قرىء تكشف بالمثناة الفوقية مضمومة وكسر الشين من كشف الرجل اذا دخل في الكشف واصبح دخل في الصباح واشام واعرق دخل الشام والعراق.

قال جار الله ومن حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن وهذا منه رد على المشبه ازراء برأيه ﴿**ويدعـــون الى السجـــود**﴾ امتحانا لايمانهم فانه لو صح تأتي منهم السجود وتوبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم اي جعلها يابسة لاتنثني وتنديما على تفريطهم في السجود حين كانوا في الدنيا مستـطيعـين وان اريد باليوم وقت النـزع صح التفسـير بذلك والدعاء الى الصلوات لاوقاتها لات حين السجود ﴿**فلا يستطيعـــون**﴾ السجود لذهاب وقته ولكون ظهرهم طبقة ولذهاب سلامتهم.

اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد فتتساقط عبدة الاصنـام في النار ويقال لليهود ما تعبدون قالوا نعبد عزيز ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدا فما تبتغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم لاتردون فيحشرون الى النار كسراب يحطم بعضهم بعضا وكذا النصارى غير انهم يقولون نعبد المسيح ابن الله ويدعو الناس للسجود فيسجد المؤمنون وكلما اراد من كان يسجد رياء او سمعة او نفاقا ان يسجد وقع على قفاه وروي يسجد كل مؤمن وترجع أصلاب المنافقين والكفار كصباص البقر عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا ويجعل ظهورهم كصفحة نحاس.

واما حديث رؤية الباري فكذب موضوع الحديث اثبات الساق لله افتراء مدفوع وانه كون الصراط جسرا على متن جهنم فكلام مسموع شدد بعض اصحابنا والظاهر انه حق مرفوع وانما الممنوع قطعا هو تفسير الصراط المستقيم في مثل اهدنا الصراط المستقيم به فانه الدين القيم لا الجسر وروى المخالفون

عن ابي سعيد: ان العصاة الموحدين من هذه الامة يخرجون من النار فريقا بعد فريق على قدر ايمانهم وطاعتهم وقد اخذتهم النار كذلك الى ساق والى ركبة واقل واكثر وانه قال ان لم تصدقوني فاقرأوا «ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما» ويقول الله شفع الملائكة وشفع الانبياء وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيخرج منها قوما لم يعلموا خيرا قط الى نهر الحياة في فم الجنة فيخرجون كما تنبت الحبة ما يلي الشمس اصفر واخضر وما يلي الظل ابيض فيجعل في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة بعتقاء الرحمن فيدخلهم الجنة ويقول ما رأيتم فهو لكم فيقولون اعطينا ما لم تعط احدا ياربنا فيقول لكم افضل من ذلك فيقولون ياربنا ما افضل منه فيقول رضاي عنكم ابدا وهذا كله غير ثابت عند اصحابنا﴿**خاشعة**﴾ حال من واو يدعون او من ولو يستطيعون ومعناه ذليلة ﴿**أبصارهم**﴾ فاعل خاشعة اي لايرفعون ابصارهم﴿**ترهقهم**﴾ تغشاهم ﴿**ذلة**﴾ اي نوع عظيم من الذل يسجد المؤمنون يوم القيامة فيرفعون وجوههم اشد بياصا من الثلج وقد علاه النور وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وحسرة وندامة ﴿**وقد كانوا**﴾ في الدنيا في حال الصحة ﴿**يدعون**﴾ بالنداء والاقامة على ما قدروا﴿**الى السجود**﴾ الصلاة المفروضة ﴿**وهم سالمون**﴾ قادرون قال كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة﴿**فذرني**﴾ دعني ﴿**ومن يكذب بهذا الحديث**﴾ القرآن والواو للمعية اي كلني معه فاني اكفيكه فلا تشتغل به فاني عالم بجزائه فهذه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين

﴿**سنستدرجهم**﴾ نقربهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحه وازدياد النعمة يتدرعون بذلك الى زيادة الكفر والمعاصي ﴿**من حيث لايعلمون**﴾ من الجهة التي لايشعرون أنها استدراج وهو الانعام والتصحيح ايحسبونها ايثارا وتفضيلا على المؤمنين وذلك هو سبب هلاكهم ﴿**وأملي لهم**﴾ أمهلهم في العمر وقيل امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم انما نملي لهم ليزدادوا إثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان وافضال من

الله يوجب عليكم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم به بالاستدراج وكم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر.

وسمى ذلك استدراجا وسماه كيدا لكونه في صورة الكيد بحيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك كما قال ﴿إن كيدي متين﴾ لايدفع وقد عذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل ان الاستدراج انه كلما أذنبوا ذنبا جدد لهم نعمة وانساهم الاستغفار والتوبة والموفق اذا تجددت نعمة جدد شكرا واذا أذنب عاجل التوبة والكيد ضرب من الاحتيال﴿أم تسألهم أجرا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ أي فهم مثقلون من غرامة يحملها فرضتها عليهم يعطونكها فيعرضون عنك وثبطهم ذلك عن الايمان فالمغرم مصدر ميمي ﴿أم عندهم الغيب﴾ اللوح المحفوظ او الغيبيات ﴿فهم يكتبون﴾ منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ فيهم وهون على نفسك اذا هم قبل وذلك منسوخ بآية السيف والحق انه لانسخ في الآية ولكنه هم ﷺ حين حل به ماحل بأحد أن يدعو على الذين انهزموا او حين اراد ان يدعو على ثقيف ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾في الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام﴿اذ نادى﴾ ربه في بطن الحوت ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غما وغيظا.

يقال كظم السقاء اذا ملاه قال النقاش المكظوم الذي اخذ بكظمه وهو مجارى القلب اي لايوجد منك ماوجد منه من الضجر فتبتلى كما ابتلي واذ متعلق بمحذوف حال من صاحب او بمحذوف على ان الاصل ولا يكن فعلك كفعل صاحب الحوت اذ نادى ﴿لولا ان تداركه﴾ أن مصدرية والمصدر مبتدأ محذوف الخبر وجوبا على طريقة المبتدأ بعد لولا وجرد الفعل من تاء التأنيث لان الفاعل تأنيثه مجازي غير ضمير ولاسيما ان الفاصل موجود﴿نعمة من ربه﴾ رحمة وتاب عليه وقرأ كما رحمة من ربه وقرىء تداركته بتاء التأنيث واخر الماضي وهي قراءة ابن عباس وابن مسعود وقراءة

الحسن تداركه بضم التاء على ان الفعل مضارع وفعله دارك ويجوز ايضا على قراءة الجمهور كونه مضارعا لكن فعله خماسي اصله تتداركه وحذفت احدى التـائـين تاء التانيث والمضارعه او تاء الماضي من أوله ويحمل المضارع على حكاية الحال الماضية جعلت حالة نزول الآية كأنها حالة تدارك النعمة لو جعلت حالة التدارك كأنها حالة النزول.

او المعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه﴿لنبـذ بالعـراء﴾ لطرح من بطن الحوت في الارض الفضاء لايستره شيء ﴿وهـو مذمـوم﴾ الجملة حالية قيل في النبذ الممنوع بلولا فنبذه مذموما ممنوع لتدارك النعمة ونبذه غير مذموم واقع والمذموم المطرود عن الرحمة والكرامة وقيل لعل المراد ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين او لعل هذه الواقعة كانه قبل النبوة يدل عليه ﴿فـاجتـبـاه﴾ اي اختـاره واصطفاه ﴿ربـه﴾ قلت الحق ان الانبياء لايعملون الكبيرة قبل النبوة ولابعدها قيل الصحيح ان الصغيرة كذلك وذلك الترجيان مبنيان على ما يقال من ان قوله وهو مذموم يدل على انه فعل ذنبا ومبنيان على الامكان يقطع النظر عن المنع بلفظ لولا.

وقيل: معنى الآية لولا تدارك النعمة لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء القيامة اي بقضائها واجتباه ربه جمعه اليه وقربه بالتوبة والنبوة ﴿فجعـلـه مـن الصـالحين﴾ قيل: من الانبياء ومن الكاملين في الصـلاح بان عصمه من فعل ماتركه اولى قيل: وفيه دليل على خلق الله الافعال وهو الحق وعن ابن عباس: رد الله عليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه وعن اسماء بنت عميس: (علمني ﷺ كلمات اقولهن عند الكرب او في الكرب الله ربي لا اشرك به شيئا) ﴿وان﴾ مخففة من الثقيلة واللام في بـ (يزلقونك) لام الفرق بين النفي والاثبات ومن جعل ان نافيه جعل اللام بمعنى الا ﴿يكـاد الذيـن كفـروا ليزلـقونك﴾ وقرأ غير نافع بضم الياء.

يقـال ازلقـه وزلقه حلقه اي يكادون يذهبونك كما قرىء ليزهقونك اي يهلكونك ﴿بأبصـارهم﴾ وقال ابن عباس ينفدونك بها وقيل يصيبونك بها كما يصيب العـاين بعينـه ما يعجبـه وقيل: يصرعونك وقيل ينظرون اليك

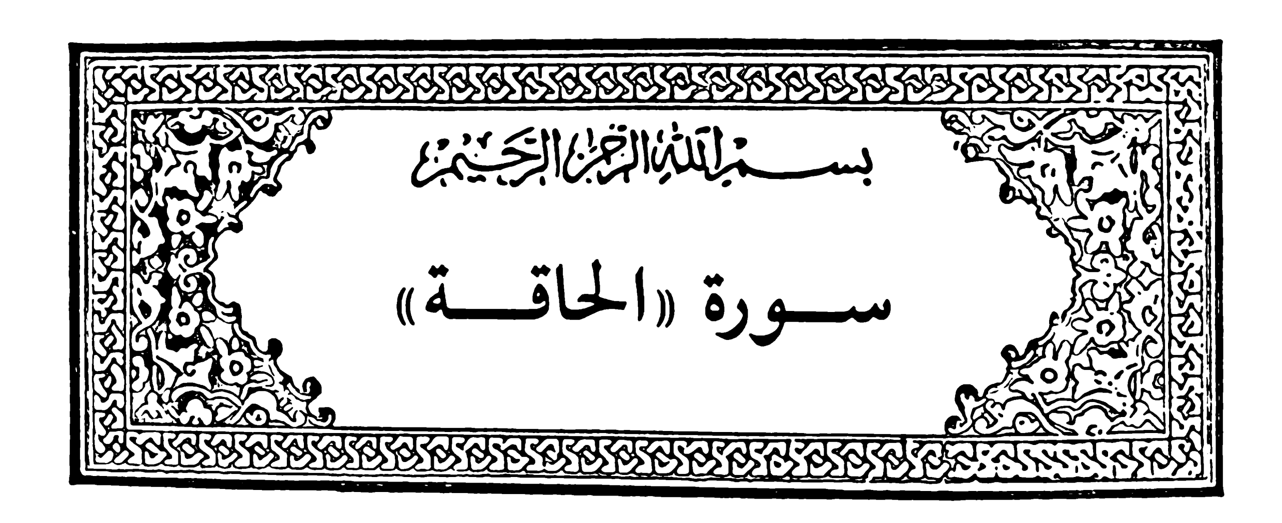
بغضب حتى كادوا يزلون قدمك او يرمونك كقولهم نظر إليَّ يكاد يصرعني او يكاد يأكلني اي لو امكن ان يصرعني بنظره او يأكلني لفعل او نظر الي نظرا يدل على قرب صرعـه او اكله اياي وروي ان قريشا ارادت اصابته بعين فنظرت فقالت: مارأينا مثله ولامثل حجة والعين من خصائص بعض النفوس وكانت في بني اسد اشد ماتكون تمر الناقة او البقرة باحدهم فيعاينها ويقول لجاريته خذي الاناء والدرهم فاتينا بلحمها فما تبرح حتى تقع فتنحر.

وكان رجل منهم بمكة يمكث لايأكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبابه فتمر به الابل او غيرها فيقول لم أر اليوم ابلا وغنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى تسقط منهم طائفة او ما شاء الله فسأله الكفار ان يصيب رسول الله ﷺ بالعين فعصمه الله وانزل هذه الآية وعن ابن عباس: كل ما في القرآن من كاد فهو مالا يكون يكاد سنا برقه بالابصار ولم يذهبها واكاد اخفيها ولم يفعل قلت لم تصح الرواية عنه فقد قال وما كادوا يفعلون وقد فعلوا وقد يجاب بان محل الكلية ماإذا عدمت القرينة وفي الحديث «العين حق» اي شيء صحيح الوقوع لاتزال بالرجل حتى توردە القبر ولا بالجمل حتى تدخله القدر ولا بالنخلة حتى تدخلها التنور وقال رسول الله ﷺ «لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا» قال ذلك لما قالت اسماء ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاستغسلهم وفي ذلك اثبات القدر وابطال قول من قال بان العين غير ثابت ولا تؤثر العين الا بإذن الله قال الحسن: دواء من اصابته العين ان يقرأ هذه الآية.

وقيل معنى يزلقونك بابصارهم يصرفونك عن الحق كما تقول صرعني او ضربني بعينه قيل ويدل له قوله ﴿**لما سمعوا الذكر**﴾ اي القرآن قلت لادليل فيه فان سماع الذكر ينهض فيهم بغضا وحسدا وارادة ضر فيحدون النظر اليه حسدا للنبوة ﴿**ويقولون**﴾ حسدا ﴿**إنه لمجنون**﴾ بسبب ماجاء به من الوحي والقرآن حاروا في امره ونفروا عنه الناس بقولهم وقد استيقنت انفسهم انه على الحق وانه اعقلهم ﴿**وما هو**﴾ اي محمد اي امره او كلامه او اقرانه ﴿**إلا ذكر**﴾ وعظ وتبيين

﴿للعالمــــين﴾ الانس والجن يتذكرون به امر الاخرة والجنة والنار او يقدر مضاف اخر اي وما محمد الا ذو ذكر او بأول ذكر بذاكر او يبقى على ظاهره مبالغة وقيل الضمير للقران اي وما الذكر وهو القرآن الا وعظ وتذكير للعالمين لا يتسبب الجنون عنه بل يزيل الجنون ممن كان هو فيه ولا يتعاطاه الا من هو اكمل الناس عقلا ورأيا.

اللهم بحق هذه السورة وحق نبيك محمد ﷺ علينا اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الحاقة»

مكية باجماع وآيها اثنتان وخمسون وقيل: احدى وخمسون وكلمها مائتان وست وخمسون وحروفها الف واربع وثلاثون.

وعن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا» وتنفع لحفظ الجنين وماؤها يحك به الصبي حال الولادة فيسلم مما يصيب الاطفال وتقرأ على زيت يدهن به المولود فيحفظ من الدواب المؤذية والآفات ومن قرأها على زيت ودهن به وجعا برىء ان شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحاقة﴾ اي القيامة من حق يحق فهو حاق اي ثابت لانها ثابتة الوقوع او لان الامور تحق فيها فتعرف عن الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال اي يجب او لان ما انكروه من البعث والجزاء والحساب يحق فيها او لانها المظهرة لذلك وقيل الحاقة النازلة التي لاكاذبة لها وقيل التي تحق على القوم اي تقع بهم ﴿ما﴾ استفهامية تعجبية وتفخيمية وتهويلية وهي خبر ﴿الحاقة﴾ مبتدأ وهذا اولى من العكس لان ما نكرة والحاقة معرفة وجملة المبتدأ والخبر خبر الحاقة الاولى والرابط اعادة المبتدأ بلفظه اقامة للظاهر مقام المضمر تفخيما ففي الكلام تفخيمان وزاد تفخيما اخر بقوله ﴿وما ادراك ما الحاقة﴾ ان فيها اهوالا عظاما لايدرك احد غايتها فمن اين لك درايتها ومن يعلمك اياها.

وماالحاقة مبتدأ وخبر في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني والثالث هذا هو التحقيق والبسط في النحو والاول الكاف تعدت اليه بالهمزة وعلقت بالاستفهام وزعم غير واحد ان الجملة مفعول ثان وعن بعضهم كل شىء في القرآن وما اراك بكذا فقد اعلمه اياه وكل شىء وما يدريك فهو لم يعلمه

اياه ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ اي بالقيامة عند الكلبي سميت لانها تتقرع الناس وتضربهم بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار فانها تفطر السماء وتشقها وتدك وتنسف الارض والجبال وتطمس النجوم وتكدرها والاصل كذبت بها فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التفخيم بعنوان اخر غير الاول وهو عنوان القرع وفيه تخويف لاهل مكة بما حل بهؤلاء المكذبين بها.

وقال الحسن: القارعة عذاب الدنيا والاخرة ﴿فاما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ اي بالواقعة المجاوزة الحد في الشدة وهي الصيحة عند قتادة نقضتهم واهدتهم وقيل: الرجفة وقال مجاهد: الذنوب وقال ابن عباس والكلبي: الصاعقة التي اهلكوا بها وقيل: الفرقة الطاغية وهي التي عقروا الناقة فاهلكت ثمود بسببهم وقيل: الفعلة الطاغية وقال الحسن وابو عبيدة وابن زيد: الطاغية الطغيان فهو من المصادر الجائية على وزن اسم الفاعل قيل: ويقوي هذا القول القول بانها الذنوب والقول بانها الفعلة الطاغية كذبت ثمود بطغواها ويرده ان الطغوى في هذه الآية سبب للتكذيب وللاهلاك بل يضعف هذه الاقوال انها لاتطابق قوله ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح﴾واهلاك الفريقين لتكذيبهم بالقارعة ﴿صرصر﴾ شديدةالصوت من الصر بفتح الصاد او شديدة البرد برد يضر بالنبات من الصر بالكسر وهي تحرق بشدة بردها وكان البرد كرر فيها ﴿عاتية﴾ قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم.

قال الحسن: شديدة وضم اصابعه وشدها وكذا قال مجاهد: كانها طغت عليهم فما قدروا عليها بحيلة من استتار ولا اطاقوها وعن ابن عباس وعلي: انها عتت على الخزنة فخرجت بلا كيل ولا وزن ولم يعرفوا كم خرج منها وذلك بامر الله وعنهما لم تنزل قطرة ماء ولاخرجت ريح الا بكيل الا ما كان من طوفان نوح وريح عاد وكذا في الحديث ﴿سخرها عليهم﴾ اي سلطها الله عليهم بقدرته وفيه نفي لما قيل انها من اتصال الكواكب ولين كانت سببا لقد كان مسببا والجملة مستأنفة او صفة او حال ﴿سبع ليال﴾جمع ليلة بدليل عدم التاء في العدد ﴿وثمانية أيام﴾قال

وهب هي التي تسميها العرب ايام العجوز قيل لانها في عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها اولها من صبح يوم الاربعاء لثمان ليال بقين من شوال فاول الايام الاربعاء واول ليل ليلة الخميس وآخرها الاربعاء الآخر الى غروبه وآخر ليل ليلته ﴿حسوما﴾ قال ابن زيد جمع حاسم اي قاطع قطعتهم واهلكتهم وقال ابن عباس: متتابعة كاملة لم يفتر فيها العذاب.

وقيل شبهت بفعل الحاسم وتتابعه في عادة الكي على الجرح او غيره مرة بعد اخرى حتى ينحسم وقيل: حسمت الخير عنهم وقيل معناه شوم كقاعد وقعود وشاهد وشهود وساجد وسجود او هو مصدر كقعد قعودا وسجد سجودا اي تحسمهم الريح والايام حسوما او نعت لثمانية اولها ولسبع اي ذات حسم او حاسمات او مبالغة او مفعول لاجله بناء على جواز تخالف فاعله وفاعل عامله فان المسخر هو الله والحاسم الريح او على ان الحاسم الله فيتفق العامل اي سخرها ليحسمهم بها.

وقرأ السدي بفتح الحاء على انه صفة مبالغة حال او نعت وتجوز الحالية من مفعول سخر واسماه تلك الايام الوبر والصن والمنبر والمؤتمر والامر والمعلل او مطفىء الجمر وقيل: مكفي الظعن ﴿فترى القوم﴾ لو حضرتهم ﴿فيها﴾ اي في الريح على حذف مضاف اي في مهلها او في الليالي والايام وقيل: في دارهم ﴿صرعى﴾ مصروعين موتى جمع صريع وقرىء صرعى بالتنوين على لغة من يصرف ما يمنع الصرف مطلقا في السعة فان الفه للتأنيث ﴿كأنهم أعجاز﴾ اصول ﴿نخل خاوية﴾ ساقطة بالية تضرب الريح احدهم وتقلع راسه بجميع احشاءه فتلقيه خاويا والقتهم بعد ذلك في البحر كما قال ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ اي فهل ترى لهم نفسا باقية ويجوز ان يكون المراد هل ترى لهم باقيا فالتاء للمبالغة او هو مصدر على وزن اسم الفاعل اي بقاء او اسم لما بقي كالبقية والاستفهام انكاري أي لاترى لهم من باقية ولهم حال من باقية ومن زائدة في المفعول لاتمنع من ذلك

﴿وجـاء فرعـون ومـن قبـلـه﴾من الامم المكـذبة للرسل وقرأ عاصم والكسائي في رواية عنهما وابو عمر وبكسر القاف وفتح الباء اي ومن معه من أتباعه ويؤيدها قراءة ابن مسعود وابي ومن معه وقراءة أبي موسى ومن تلقاه ﴿المؤتفـكات﴾ اي اهل المؤتفكات وهي قرى قوم لوط الثلاثة وقيل خمسة وقيل: المراد الاواقم المؤتفكات ﴿بالخـاطئة﴾ مصدر بمعنى الخطأ او اسم فاعل اي الفعلة او الافعال الخاطئة طريق الصواب او ذات الخطأ على انه مصدر والمراد الشرك والمعاصي متعلق بجاء.

﴿فعصـوا رسـول ربـهم﴾اي رسله فالاضافة للحقيقة وللاستغراق وقيل: المراد عصت كل امة من أرسل اليها وقيل: موسى وقيل: لوط وقيل: كلاهما لتقدم ذكر الامتين جميعا وقيل: لوط وغيره ﴿فاخـذهـم﴾ ربهم ﴿أخـذة رابـية﴾زائدة في الشدة على غيرها كزيادة اعمالهم في القبح وقال ابن عباس شديدة ﴿انـا لمـا طـغى المـاء﴾ شبه كثرة الماء بالتكبر ووجـه الشبـه الاستعـلاء المفـرط فاستعار للكثرة الطغيان واشتق منه طغى ﴿حمـلناكم في الجـارية﴾اي لما علا الماء كل شيء من جبل وغيره وجاوز حده المعتاد وخرج عن الخزنة وذلك في طوفان نوح حملنا آباءكم في الجارية اي السفينة فحذف المضاف كما ترى او سمى حمل آباؤنا حملا لنا لان نجاتهم سبب لولادتنا وايضا انا في اصلابهم فذلك منة علينا والناس كلهم من سام وحام ويافث اولاد نوح واعقم الله غيرهم ممن حمل فيها

﴿لنجعـلهـا﴾ اي تلك الفعلة التي هي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين واجاز بعضهم عود الضمير للجارية ﴿لـكم تـذكـرة﴾ عظة وتذكيرا تدل على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته ﴿وتعيهـا﴾ تحفظها وقرأ ابن كثير تعيها بسكون العين تخفيفا كما يخفف كتف وكبد من الاسماء وعلم وشهد من الافعال ونحو ذلك بالاسكان للوسط واما اوعى الرباعي فمعناه حفظ في غير نفسه كان يحفظ شيئا في الكتاب بالكتابة او في الوعاء والاذن الـواعية التي من شأنها ان تعي ماسمعت من الحق هي اذن المؤمن وهي

المراد، بقوله ﴿اذن واعيـــة﴾ وهي العاملة بها سمعت والمراد صاحبها ولكن عبر بها اشعارا بانها المراد وان ما سواها لايبالي به ولو ملأ مابين السموات والارض وأتى بذلك ازراء وتوبيخا بهذه القلة وتعظيما للواعي.

وقرأ غير نافع بضم الذال ويحتمل ان المراد مجرد الحفظ ليحيي العلم وآيات الله فيعمل من يعمل فينجو ويترك من يترك فيغرق لما عظم أهوال يوم القيامة وذكر للمكذبين بها شرحها بقوله ﴿فـــاذا نـفـــخ﴾ لم يقل نفخت لان النـائب ولـو كان مؤنثـا لكن تأنيثـه مجازي وايضـا هو مفصـول ﴿في الصـــور﴾القرن ﴿نـفـخة﴾ مصدر اسند اليه الفعل وحسن لانه مقيد بالـوحـدة بالهيئـة لتاء اصالة وبقوله ﴿واحـــدة﴾تأكيدا وقرىء بنصبه على المصدرية فالنائب المجرور قبله وهي النفخة الاولى التى عندها فساد العالم وقيل الثانية والقولان عن ابن عباس ولا ينافي الاول قوله يومئذ تعرضون فان العرض ولو كان بعد النفخة الثانية ان قلنا نفختان فقط.

لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب ودخول الجنة والنار جعل ظرفا للكل كما تقول جبته عام كذا انما هو في وقت من اوقـاتـه ﴿وحمـــلت﴾ بالتشـديد للمبـالغـة وقرأ الجمهور بالتخفيف ﴿الارض والجبـــال﴾ حملتها الريح القوية او الملائكة او الله بلا واسطة مخلوق بل بقدرته ﴿فدكتـــا دكـــة واحــــدة﴾ دقت الارض والفريق الآخر وهو الجبال دقة واحدة او ضرب البعض البعض وصارتا هباء او بسطتا فصارتا ارضا مستوية والدك سبب التسوية وناقة دكاء لاسنام لها وجمل ادك وارض دكاء مستوية متسعة ﴿فيومئـــذ وقـعـــت الواقـــعة﴾ قامت القيامة والمـراد بالـيوم مطلق الحـين وقيل الـواقـعـة الـعـذاب ﴿وانشقـــت السمـــاء﴾لتنـزيل المـلائكـة ﴿فهي يومئـــذ واهـــية﴾ ضعيفة مسترخية لتشققها ﴿والمـــلك﴾ المراد الجنس ﴿علـى أرجـــائها﴾ جوانبها.

وقـال الحسن: أبوابها جمع رجى بالقصر وذلك على ظاهره ويموت من يموت من الملائكة بعد ذلك ولعل الانشقاق بعد اجتماع الناس في الحشر ويحتمل ان ذلك تمثيل لخراب البنيان وتحول اهله لاطرافه قيل: يكونون على

أرجائها واذا امرهم الله نزلوا واحاطوا باهل الارض واهل كل سماء يحيط بمن تحته وقال الضحاك وابن جبير الضمير للارض لا للسماء ﴿**ويحمـــل عـــرش ربـــك فوقهـــم**﴾ فوق الملائكة المذكورين في قوله والملك على ارجائها او فوق الثمانية فانها في نية التقديم او فوق الخلائق ﴿**يومئـــذ ثمـــانية**﴾ ثمانية املاك تاييد لحملته لما دهمهم من الهول واما الان فحاملوا العرش اربعة املاك وذلك قول الحسن وقيل ثمانية الاف.

وقيل عن الحسن: انه وقف لايدري أثمانية املاك ام ثمانية الاف وعن الضحـاك ثمانية صفـوف لايعلم عدتهم الا الله قيل: هذه الصفـوف من الكروبين وقيل ثمانية انواع من انواع الملائكة ويجوز ان تكون الثمانية خلقا اخر غير الملائكة، قيل ولعل ذلك تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام المشهور انهم ثمانية املاك الا من لما خلق الله العرش قال لهم: احملوه فلم يقدروا فخلق لكل واحد منهم اعوانا مثـل جنـود السموات السبع والارضيين السبع وما في الارض من الحصى والثـرى فلم يقـدروا ايضا وقال للثمانية قولوا لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالوا، وحملوه فهم مطرقون مسبحون والعرش فوق رؤوسهم وارجلهم في تخوم الارض السابعة.

قيل: على متن الريح وقيل: حملوه على كواهلهم وقيل: حملته نملة بعد ان قالت لا اله الا الله وعنه ﷺ «أذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الارض السفلى والعرش على قرنه وبين شحمة اذنه الى عاتقه خفقان الطائر سبعمائة سنة يقول سبحانك على حلمك بعد علمك»، وقيل: وعن شهـر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد حلمك وقيل بين اطلاقها مسيرة خمسمائة عام وبين شحمـة اذنها وعاتقها مسيرة سبعمائة عام وبين عقبها واسفل قدمها مسيرة خمسمائة عام ورؤوسهم فوق السماء السابعة وقال الغزالي: ثمانية املاك قدم الملك مسيرة عشرين الف سنة وقيل: بين الظلف والركبة مسيرة سبعين عاما

وقيل: ما بين السماء والارض.

وعن ابن مسعود: من خمص الرجل الى الكعب خمسمائة عام ومن الكعب الى الركبة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط خمسمائة عام قال ابن عمر: وبين الموق الى مؤخر العين خمسمائة عام، قيل: هم على صفة الناس، وقيل: بعضهم على صورة الانسان وبعض على صورة الاسد وبعض على صورة الثور وبعض على صورة النسر، وقال ابن زيد: ثمانية املاك على صورة الوعل وهو الاروى، وقيل: هم على ارجاء الصخرة التي تحت الارض السابعة ورؤوسهم تحت العرش لكل واحد اربعة اوجه وجه الانسان ووجه الاسد ووجه الثور ووجه النسر، والمشهور ان بين كل سماء الى اخرى خمسمائة عام وكذا بين السماء والارض وفي حديث «بين كل سماء الى الاخرى ثلاث وسبعون سنة او احدى وسبعون او اثنتان وسبعون وبين السابعة والعرش كذلك وبين اعلى العرش واسفله كذلك» ﴿يومئذ تعرضون﴾ للحساب كما يعرض العسكر على السلطان ليعرف احوالهم.

وروي ان في يوم القيامة ثلاث عرضات اثنتان اعتذار واحتجاج وتوبيخ وفي الثالثة نشر الكتب باخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله، قال الغزالي في آخر (احيائه) يجب على كل مسلم البدار الى محاسبة نفسه كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا» وانما حسابه لنفسه ان تتوب من كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى انتهى ﴿لا تخفى منكم خافية﴾ فعلة خافية او خصلة خافية لاتخفى عليه سريرة فضلا عن ان يكون العرض للاطلاع.

وانما المراد به افشاء الحال والمبالغة في العدل والحساب والتهديد فالمراد بالخافية ما من شأنه الخفاء عن الخلق وقيل: المراد لايخفى عنه ما كان يخفى عن بعضكم في الدنيا ويحتمل ان يراد لاتخفى اليوم على الناس ليفتضح

المسيء حتى ان الواحد ليقف للحساب من الذنب الواحد مائة عام ومن للابتداء متعلقة بتخفى او بمحذوف حال من خافية وان قلت كيف يصح التعليق بتخفى قلت على معنى قولك رأيت زيدا من ذلك الموضع وانت في حال الرؤية لست في ذلك الموضع بل فيه زيد او على ان من بمعنى عن اي لايخفى عن بعضكم ذنب وقرأ الكسائي وحمزة لايخفى بالمثناة تحت لظهور الفاعل مع مجازية تأنيثه ومع الفصل بالجار والمجرور ﴿**فاما من أوتي كتابه بيمينه**﴾ تفضيل للعرض وهذ هو السعيد ولا يعذب بالنار وقال قومنا: هو هذا والذي يدخل النار ويخرج من عصاة الموحدين بناء على الخروج وقال بعضهم هذا يعطاها بشماله

﴿**فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه**﴾خطاب لجماعة اصحابه فرحا وقيل للناس مطلقا وقيل: لارقابة وهاء اسم فعل بمعنى تعالوا كذا قيل والمشهور انها بمعنى خذوا وفيه لغات بسطتها في النحو اجودها هاء يارجل بفتح الهمزة وهاء للمرأة بكسرها بلا ياء وهاء ما يارجلان او امرأتان بضمها وهاؤم يارجال بضم الهمزة مع اسكان الميم او ضمها وهاؤن بضم الهمزة وتشديد النون يانسوة وقيل: الهمزة بدل من الكاف ورد بان الكاف لاتبدل من الهمزة ولا الهمزة منها الا ان اراد انها تحل محل الكاف في لغة من قال هاك يارجل وهاك ياأمرأة وهاكما وهاكم وهاكن.

وقيل هاؤم هاكم ابدلت الكاف واوا فالواو همزة ولعل هذا مراد من قال ابدلت الهمزة من الكاف انها ابدلت منها بواسطة ابدال الكاف اولا واوا وان فسرنا هاؤم بتعالوا فلا تنازع بينه وبين اقرأوا وان فسر بخذوا تنازعا قاله ابن هشام وعلى التنازع فكتابيه مفعول المفعل وهو اقرأوا او مفعول اسم الفعل وهو هاؤم محذوف وجوبا لانه فضلة عمل فيها المهمل السابق اي هاؤموه ولو اعمل هاؤم في كتابيه لقيل اقرأوه باثبات مفعوله وجوبا لان اقرأوا ثان مهمل فلا يحذف معموله الا ضرورة او شذوذا خلافا لبعضهم القائل ان اثبات اولوي لا وجوبي والياء مضاف اليه والهاء للسكت حرف زائد فليقف القارىء

عليها تبعا للمصحف فان كتابتها في الامام اعني مصحف عثمان نص في الوقف عليها.

وقيل: يجوز ان تصل وتحذفها وقيل: يجوز اثباتها وصلا ووقفا وقد قرأ جماعة باثباتها وصلا ووقفا وقرأ ابن محيصن باثبات الياء ساكنة واسقاط الهاء ﴿**إني ظننت أني ملاق حسابيه**﴾ الظن هنا بمعنى العلم وعبر به اشعارا بان الظن المطبوع عليه البشر الذي لا تنفك عنه العلوم النظرية غالبا لا يقدح في الاعتقاد فان المسلم متيقن وان خطر في نفسه شيء كرهه اشد الكراهية والظن الغالب يقوم مقام العلم ولما كان ذلك في كلام العرب اطلق الظن على اليقين وملاق اسم فاعل لاقي تقدر الضمة على الياء المحذوفة للساكن بعدها وهو التنوين والكلام على هاء حسابية وماليه وسطانية مثله على هاء كتابيه وقفا ووصلا ثبوتا وعدما وقراءة ﴿**فهو في عيشة راضية**﴾ في حياة يرضاها فراضية اسم فاعل بمعنى مفعول او مجاز في الاسناد اسند الرضى الذي هو فعل الفاعل الذي هو السعيد الى المفعول الذي هو عيشة لما بين الفاعل والمفعول من المخالطة او يقدر مضاف اي راض صاحبها وهذا الصاحب هو السعيد المخبر عنه اي في عيشة يرضاها كل من كانت له او راضية نسب بالصيغة لا بالياء اي ذات رضى اي يرضاها صاحبها كالابن اي صاحب لبن وتامر اي صاحب تمر وزارع اي صاحب زرع ونابل اي صاحب نبل او ذلك قلب.

كما تقول اكل الزرع جملا وانما كانت مرضية لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم لقي الثواب ومن العقاب يدعي الراس في الخير باسمه واسم ابيه فيجيء فيخرج له كتاب ابيض بخط ابيض في ظاهره السيئات فيشفق ويتغير لونه فاذا بلغ آخره وجد حسناته مضاعفة وسيئاته مغفورة مبدلة حسنات فيبيض وجهه ويتوج ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل ويطول ستين ذراعا ويقال انطق لاصحابك وبشرهم ان لكل واحد مالك فيبشرهم فلا يعرفونه فيقول انا فلان والكافر بعكس ذلك يعظم جسمه للنار ويلبس القطران وكتابه اسود وخطه اسود ويبدأ بالحسنات فيفرح واذا وصل السيئات

تغير وجهه واسود وازرقت عيناه ويبشر اصحابه ﴿فـــي جنـــة عالـــية﴾ مرتفعة لانها في السماء السابعة او علت درجاتها او بنائها واشجارها ﴿قطـــوفـها﴾ جمع قطف بضم القاف وهو ما يقطف اي يجتني بسرعة.

واما القطف بالفتح فمصدر ﴿دانـــية﴾ قريبة لمن يتناولها ان شاء بيده او فيه قائما او قاعدا او مضجعا او متكئا او راكعا ﴿كلـــــوا﴾ يقال لهم كلوا ما شئتم ﴿واشـــربـوا﴾ ما شئتم فحذف المفعول للتعميم ﴿هنـــيئـــا﴾ مصدر مفعول مطلق بتقدير مضاف محذوف اي اكل هنيء وشرب هنيء فناصبة احدهما ويقدر للآخر على غير التنازع او على التنازع فيقدر للمهمل ضمير او بتقدير منعوت اي اكلا هنيئا وشربا هنيئا فهو لاحدهما ويقدر للاخر لا على التنازع لان النعت لايكون ضميرا والنعت بالمصدر مبالغة او بتقدير مضاف او تاويل المصدر بالوصف او هنيئا صفة بمعنى اسم فاعل او اسم مفعول ويجوز كونه نعتا لاكل وشرب على المصدرية لصلاحية المصدرية للواحد غيره وعلى الوصفية اذا قلنا انه بمعنى اسم الفاعل لصلاحيته لذلك لانه بوزن فعيل.

ويجوز كونه حالا على المصدرية للمبالغة او للتأويل بمضاف او وصف ويجوز ايضا على انه وصف والافراد لكونه مصدرا او وصفا بوزن فعيل ومعناه فاعل ويجوز كونه مصدرا لمحذوف اي هنئتم هنيئا واذا امتلأت بطونهم قيل لهم هنيئا فيرشحون مسكا لابول ولاغائط ﴿بمـــا اسلفـــتم﴾ قدمتم من الاعمال الصالحة ﴿فـــي الايـــام﴾ايام الدنيا ﴿الخـــالـية﴾الماضية وعبرت بالايام وهي جمع قلة ولم يقل في السنين او الشهور او نحو ذلك اشعار بان زمان الدنيا قليل قد استوجبتم به هذا النعيم الكثير وعبر بالخالية اشعارا بانهم استوجبوا الدائم بالمنقطع وعن مجاهد الايام الخالية ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله.

قيل: يقول الله يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم اي ارتفعت وبعدت عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا بما اسلفتم في الايام الخالية ونظر الله

علمه وقيل الايام ايام صوم شهر رمضان والايام البيض جاء في الحديث انه يوضع للصوام يومئذ موائد يأكلون ويشربون والناس في الحساب فيقال ياربنا الناس في الحساب وهؤلاء يأكلون فيقال لهم طال ما صاموا في الدنيا وانتم مفطرون وطالما قاموا وانتم نائمون.

والحق ان المراد بالايام ايام الطاعة مطلقة اي طاعة بدليل آية اخرى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ولانه الظاهر وعن عمر بن الخطاب : (حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فانه أهون وأيسر لحسابكم وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية) وعن الحسن: ان المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ﴿**وأما من أوتي كتابه بشماله**﴾ وهو المشرك والمنافق وعن بعض قومنا ان الموحد يخرج منها وانه يعطى كتابه بشماله ﴿**فيقول**﴾ فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة ﴿**ياليتني لم أوت كتابيه**﴾ يا حرف نداء والمنادى محذوف او حرف تنبيه.

وكذا في مثله انه يؤته لما حصل له من الخجل والافتضاح ﴿**ولم أدر ما حسابيه**﴾ لم أدر اي شيء حسابي لانه لاطائل ولاحاصل له وانه كله عليه لا له ﴿**ياليتها**﴾ اي الموتة في الدنيا ﴿**كانت القاضية**﴾ القاطعة لحياتي بان لا ابعث او المعنى ياليت الموتة التى كانت في الدنيا انها كانت الان.

تمنى الموت ولم يكن شيء عنده أبشع وأمر من الموت لما رأى ان حالته هذه أبشع من حال الموت او المعنى ليت حياة الدنيا كان الموت بدلها ولم اخلق في الدنيا حيا ﴿**ما أغنى عني ماليه**﴾ اذ لم اؤد حقوقه ولم اقدمه امامي مع كثرته ما نافية ومفعول أغنى محذوف اي ما أغنى شيئا من العذاب او ما استفهامية للانكار مفعول مقدم لأغنى وماليه المال مضاف للياء المقرونة بهاء السكت وهو فاعل أغنى او ما اسم موصول وليه جار ومجرور وهاء السكت اي الذي لي من مال وانصار ﴿**هلك عني سلطانيه**﴾ قوتي

وحجتي التي احج بها في الدنيا او ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا ضالا عن حجتي شاهدة علي جوارحي بالشرك وقيل: ينطق بذلك سلاطين الدنيا والظاهر ان سلطان كل احد حاله في الدنيا من عدد وقوة ومال وعن ابن عباس نزلت الآية في الاسود بن عبد الاشد وقال ابن جريح نزلت في ابي جهل وروي ان العضد قال

عضد الدولة وابن ركنها　　　　ملك الاملاك غلاب القدير

فلم يفلح بعد ذلك وجن فصار لاينطق لسانه الا بهذه الآية ﴿خـــذوه﴾ اي يقول الله لخزنة جهنم خذوا هذا الذي اعطى كتابه بشماله فاذا قال هذا ابتدره مائة الف ملك لو أخذ منهم الدنيا بما فيها بقبضة لقدر ﴿فغلـــوه﴾ اجمعوا يديه الى عنقه في الغل ﴿ثم الجحـــيم﴾ النار العظمى لانه يتعاظم على الناس مفعول ثان لصلوه وقدم للحصر والمفاضلة والاهتمام بنوع العذاب وتـعـدى لاثنـين للتضعيف ﴿صلـــوه﴾ ادخلوه واحـرقـوه بها ﴿ثم في سلـــسلة﴾ متعلق باسلكـوه وقدم للحصر والمفاضلة والاهتمام وهي حلق حلقة متصلة باخرى ﴿ذرعـــها﴾ اي مقدارها ويطلق بالمعنى المصدري على التقدير بالذراع او غيرها ﴿سبعـــون ذراعـــا﴾ بذراع الملك.

وتوقف بعضهم وهو مذهب الحسن والاول مذهب ابن عباس وقال ابو نوفل كل ذراع سبعون باعا وكل باع ابعد ما بينك وبين مكة والخطاب في رحبة الكوفة و قال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقيل: السبعون كناية عن الطول فتحتمل الاكثر والاقل ﴿فاسلكـــوه﴾اي ادخلوه فيها بعد ادخاله في الجحيم والفاء زائدة لاعاطفة ولذا لم تمنع من تقديم المعمول ولو كانت عاطفة لاجتمع عاطفان وهو في السلسة لايقدر على الحركة وثم للمهلة او للتفاوت ما بين ادخال في الجحيم والسلك في السلسلة وهو أشد تدخل من فمه وتخرج من دبره فهي التي تسلك فيه لاهو يسلك فيها ففي الكلام قلب كقولك ادخلت في القلنسوه رأسي تلوى على جسده ويلتف فيها حتى لايقدر على حركة ويضيق فيها وينادي صحابه هل تعرفوني فيقولون لا لكن نرى ما بك

من الغم فيقول انا فلان ولكل منكم مثل هذا وعليه فلا قلب.

وعنه ﷺ لو ارسل حجر مثل القدح من السماء لبلغ الارض قبل الليل وبينهما خمسمائة عام ولو ارسل من راس تلك السلسلة لبلغ اسفلها في اربعين خريفا اي لطولها وهذا يقوي ما مر من ان السبعين تمثيل وعن وهب لو جمع حديد الدنيا ماوزن حلقة منها.

قال عمر لكعب: يا ابا اسحاق خوفنا قال: يا امير المؤمنين كيف بك اذا جيء باللوح المحفوظ الذي حفظ اعمال بني آدم وبرزت الجحيم وازلفت الجنة وقام الناس لرب العالمين وزفرت جهنم زفرة لايبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه حتى يقول ابراهيم نفسي ولو عملت عمل سبعين نبيا لظننت في ذلك اليوم انك غير ناج فيدفع للعادل كتابه بيمينه فلا فرح كفرحه يومئذ فيقول هاؤم اقرأوا الأية ويعطى للجائر كتابه بيده الشمال تدخل في صدره فيأخذ الكتاب من وراء ظهره فلا حزن كحزنه فينتثر لحمه وعظامه ومخه فقال عمر حسبي حسبي ﴿**انه كان لا يؤمن بالله العظيم**﴾ تعليل جملي مستأنف وهو ابلغ من التعليل بالفرد وهو استئناف نحوي وبياني كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب العظيم الشديد فقيل انه لم يصدق بمن هو عظيم فكفره وجحده واعظم نفسه ﴿**ولا يحض**﴾ لايحث نفسه ولا اهله ﴿**على طعام المسكين**﴾ الطعام اسم لما يؤكل.

والمراد والله اعلم على بذل طعام المسكين او اسم مصدر اي على اطعامه اي لايحض على الاطعام فضلا عن ان يطعم وافادت الآية ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وهو الصحيح لان ذلك عطف على ما هو موجب العذاب وهو عدم الايمان وافادت ان حرمان المسكين عظيم حيث جعل قرينا للكفر وافادت ان تارك الحض على طعامه بهذه المنزلة فكيف بتارك الاطعام وهم مخاطبون ايضا بترك الصلاة والصوم والزكاة وغيرها على الصحيح كما علمت ولكنه خص الكفر وعدم الحض على الاطعام في هذه الآية لان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب على ان ترك الزكاة داخل في ترك الاطعام.

وعن الحسن ان هذه الآية ادركت اقواما يعزمون على اهلهم ان لايردوا سائلا ومعنى ادراكها اياهم انها نزلت في حياتهم وعملوا بها او بلغتهم ولو في غير زمان النزول فاثرت فيهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها بالاطعام مشيرا للآية وكذا تصدق مالك بن دينار او غيره بنصف رغيف ثم بالنصف الثاني وقال ان احدهما للايمان والآخر لمكان الاطعام ﴿**فليس له اليوم هاهنا حميم**﴾ قريب يمنعه من العذاب وينفعه قاله الحسن وقال مجاهد: شفيق وقيل: صديق لطيف المودة والاقوال للجمهور وقيل الحميم الماء الساخن فكانه اخبر ان الكافر ليس له ماء ولا شيء مائع ﴿**ولا طعام**﴾ وقوله ﴿**إلا من غسلين**﴾ راجع الى الحميم والطعام على هذا القول وعلى غيره للطعام.

وانما يتم هذا القول ان فسر الحميم بالماء الساخن على حد الانتفاع ثم احترس بقوله غسلين فكانه قيل له بدلا من هذا الماء والطعام غسلين وهو بوزن فعلين بكسر الفاء واللام واسكان الياء اسكانا ميتا من الغسل فالياء والنون زائدتان وهو غسالة اهل النار وصديدهم ودمهم وقيل: شجر فيها وقيل: ما يخرج من الجرح اذا غسل وهو قريب من الاول ﴿**لا يأكله الا الخاطئون**﴾ المشركون والمنافقون وهم اصحاب الخطايا وهي الآثام وأخطأ الرجل أذنب وأخطأ جاوز الحق الى الباطل وتعدى الحد فذلك من الخطأ بمعنى الاثم او من الخطأ بمعنى التخطي وهو الجواز فوق الشيء وقرىء الخاطئون بابدال الهمزة ياء واثبات الياء ولم تستثقل عليها الضمة لمراعاة الهمزة. وقرىء الخاطون بضم الطاء متصلة بالواو.

والظاهر ان هذه مبنية على قلب الهمزة ياء حذفت الياء للساكن بعد حذف ضمتها للثقل وقيل: مبنية على حذف الهمزة ﴿**فلا أقسم**﴾ لوضوح الامر حتى لايحتاج الى قسم فلان فيه او اي اقسم تأكيدا فلا زائدة لتاكيد القسم او لا نافية رد لامر المشركين والوقف عليها اي لايصح ما قال المشركون من انكار البعث وغيره وتقدم اكثر من هذا ﴿**بما تبصرون وما لا**

﴿تبصـــرون﴾ بما تشاهـدون ومالا تشاهدون وذلك شامل للخلق الموجود والماضي والآتي والخالق جل وعلا وقيل: الدنيا والآخرة وقيل: ما على الارض ومـا في باطنها وقيل: الاجسام والارواح وقيل: الانسان والملائكة مع الجن وقيل: النعم الظاهرة والباطنة وقيل: ما اعلم به خلقا واستأثر بعلمه ﴿انــه﴾ أي القرآن ﴿لقـــول رســـول كريـــم﴾ اي تلاوة مرسل كريم على الله وهو محمد ﷺ يبلغه عن الله لا قول شاعر او كاهن وقيل: جبريل.

والصحيح الاول لانه رد لقولهم هو قول شاعر او كاهن ولم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة كذا قيل ولا دليل في ذلك لصحة ان يكون المعنى انه لقول جبريل يتلقاه محمد منه لاشعرا او كهانة يأتي بها محمد والقرآن كلام الله مخلوق وما فيه من المعاني علم الله به بلا اول ﴿ومــا هــو بقــول شــاعر﴾ كما يزعمون تارة فانه ليس من ضرب الشعر ولا تركيبه ﴿قلـــيلا﴾ ايمانا قليلا او زمانا قليلا على ما مر تفسيره ﴿مــا﴾ زائدة او نكرة تامة وكذا في مثله ﴿تؤمنـــون﴾ لما ظهر لكم صدقه تصدقونه تصديقا قليلا لفرط عنادكم او القلة نفي كما مر فالايمان لغوي او شرعي على معنى قلة من يؤمن منكم واجـاز بعضهم ان تكون ما نافية وقليلا منصوب بها بعدها بناء على أنها لاصدر لها او بمحذوف ﴿ولا بقـــول كاهـــن﴾ كما تزعمون تارة اخرى لانه ليس من جنس الكهـانـة ﴿قليـــلا مـــا تـــذكـــرون﴾ آمنوا باشياء يسيرة وتذكروها كالصلة والعفاف فلم تغن عنهم ولو تذكروا كثيرا لم يلتبس عليهم الامر.

وقرن الايمان بنفي الشاعرية والتذكر نفي الكهانية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لاينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على ذكر احوال الرسول ﷺ ومعاني القرآن المنافية لطريق الكهنة ومعاني اقوالهم قاله القـاضـي ﴿تنـــزيل مـــن رب العـــالمين﴾ اي هو تنزيل وقرأ ابن كثير ويعقوب يؤمنون ويذكرون بالمثناة تحت وقرأ بعضهم تنزيل اي يتنزل تنزيلا ﴿ولـــو تقـــول﴾ الرسول فهذا مما يؤيد ان الرسول نبينا ﷺ لا جبريل اي لو تكلف القول اي افتراء وقرىء بالبناء للمفعول ورفع بعض على النيابة

﴿علينـا بعـض الاقــاويل﴾ جمع اقوال والاقوال جمع قول قيل: سماها أقـاويل تحقـيرا كانها جمع فعـولـه كأضـاحيك وأعاجيب وأحاديث في جمع أضحوكة وأعجوبة وأحدوثة كذا يقال وأقوال ان أفعوله يستعمل في التعظيم اكثر مما يستعمل في التحقير ﴿لاخـــذنـا منه باليمــين﴾ لنلنا منه عقابا بالقوة والقدرة وقيل قطعنا يده اليمنى وقيل لاخذنا بيده اليمنى على جهة الهوان.

كما يقال لمن يسجن او يعاقب خذوا بيمينه او بيده وهي اشرف اليدين جر بها للعذاب وقيل: اليمين مفعول اخذنا والباء صلة والمعنى اخذنا قوته وسلبناها وقيل لانتقمنا منه بالحق وعلى الاول والرابع استعمل اليمين في القوة لان القوة كل شيء في ميامنه وقيل: خص اليمين لان القاتل اذا اراد ان يوقع الضرب في القفا اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في عنقه وهو اشد على المقتــول صبره لنـظره الى السيف اخـذ بيمينـه ﴿ثـم لقـطعــنـا منــه الوتـــين﴾ نباط القلب وهو عرق متصل به اذا قطع مات صاحبه وهو حبل الوريد وقيل حبل القلب الذي في الظهر اذا انقطع مات صاحبه وقيل عرق في الظهر متصل بالقلب.

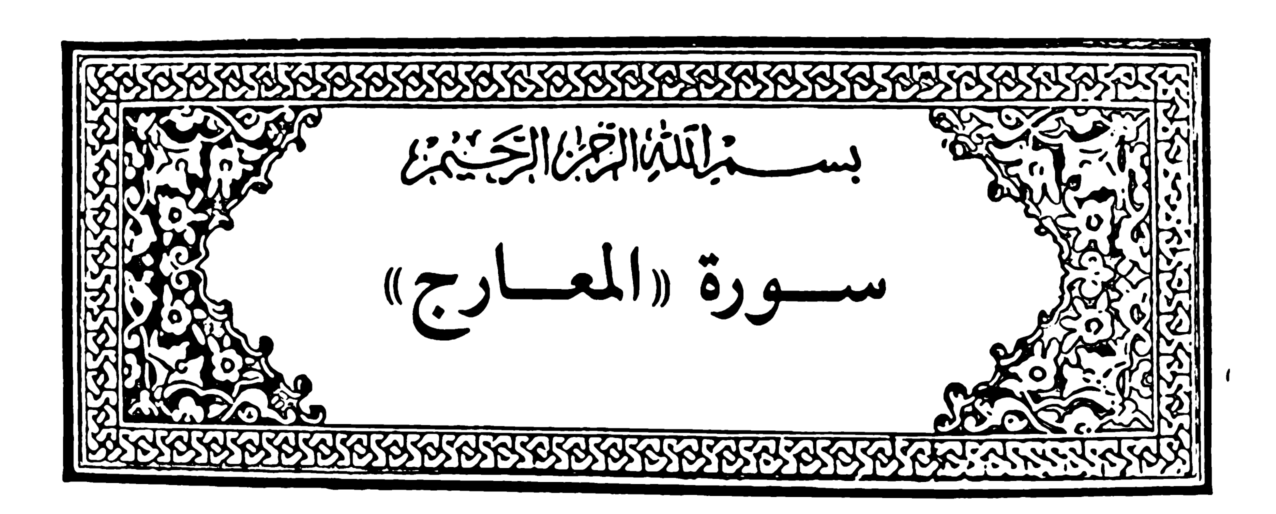
وذلك مجرد كناية عن اهلاكه واماتته او عن المنع بواسطة اقامة الحجة بان نبعث اليه من يعارضه ويظهر للناس كذبه وعن سلب قوة المتكلم بذلك حتى لايشتبه الحق بالباطل ومنه في الموضعين متعلق بها قبله او بمحذوف حال مما بعده اما ان جعلنا الباء زائدة فظاهر والا فانها يصح على قول من اجاز تقديم الحال على صاحبه المجرور بحرف غير زائد وفسر بعض اصحابنا القرآن الى هذه الآية فخاف التقول فعلق حجرا لما كتبه فالقاه في البحر عصمنا الله من التقول ﴿فمـا منــكم﴾ ايها الناس ﴿مـــن احـــد﴾ من زائدة واحد مبتدأ ومن الاولى للتبعيض متعلقة بمحذوف خبر ﴿عنـــه﴾ اي عن القتل المعبر عنه بالاخذ باليمين وقطع الوتين او عن قطع الوتين او عما ذكر من الاخذ والقطع او عن الرسول ﴿حـــاجــزين﴾ ايانا اي لا يمنع مانع من ذلك وهو عارف بانه لايجيره احد من عقابنا فكيف يكذب وحاجزين نعت لاحد

على لفظه من الجر وعلى معناه من العموم النص لوقوعه في سياق النفي اي انتم بجميعكم لا تحجزون عنه العذاب.

وقيل: خبر ما بناء على جواز عملها ولو فصلت من اسمها بغير الخبر وعليه فمنكم حال من اسم ما او من ضمير خبرها وكان الخبر جمعا والاسم مفردا لما في كون حاجزين نعت احد ومعنى كونها للتبعيض انه لا يحجز عنه بعضكم لاهذا ولاهذا ولاهذا الى آخركم ولما كان الحكم على هذه الحالة جمعوا دفعة في لفظ احد فقيل ان هذه الافراد غير حاجزين فهذا معنى العموم المذكور ويصح جعلها للبيان على هذه الطريقة ﴿وإنه﴾ اي القرآن وقيل: الرسول ﴿لتذكرة﴾ عظة وان جعلنا الضمير للرسول قدر المضاف اي ذو تذكرة او يؤول بالمذكر او يبقى على ظاهرة مبالغة ﴿للمتقين﴾ عقاب الله ينفعهم ويزيدهم ايمانا او مؤثر فيمن هو يكون منفيا في علم الله ﴿وانا لنعلم ان منكم﴾ايها الناس وقيل: الخطاب للمؤمنين اي من المؤمنين من سيكذب بالقرآن.

وروي عن الحسن ان الخطاب في قوله فما منكم للمسلمين ﴿مكذبين﴾ بالقرآن ومصدقين فيجازي كلا بما يليق به ﴿وانه﴾ اي القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾يوم القيامة لما رأوا ثواب المصدقين به والحسرة والتندم والحزن قال الفخر او حسرة عليهم في الدنيا اذا رأوا دولة المؤمنين وقال مقاتل الضمير في انهم للتكذيب المدلول عليه بمكذبين لكن قوله ﴿وانه﴾ اي القرآن ﴿لحق اليقين﴾ اي حق هو يقين او اليقين الحق يدل على انه للقران واجتماع الضمائر اولى من تشتيتها او حق بمعنى عين او محض ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ اي نزه ربك وباسم زائد او المفعول محذوف هو لفظ الرب او لفظ الجلالة اي سبح الله بذكر اسمه تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليكم.

قيل: لما نزلت قال ﷺ «اجعلوها في ركوعكم» اللهم ببركة نبيك محمد ﷺ وبركة هذه السورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين الموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «المعارج»

وتسمى سورة الواقع وسورة سأل سائل وهي مكية قيل: بلا خلاف وفي نسخة من تفسير الشيخ هود انها مدنية كلها وآيها اربع واربعون وكلمها مائتان واربع وعشرون وحروفها تسعمائة وتسعة وعشرون وعنه ﷺ «من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ومن قرأها ليلا امن الجنابة والاحلام الردية والمفزعة وحفظ حتى الصبح»

بسـم الله الرحمـن الرحيـم

﴿سـأل سائـل﴾ بالالف في سال لا بالهمزة عند نافع وابن عامر بمعنى سأل بالهمزة وقريش تقوله بغير همز قال حسان في شأن هذيل حين طلبوا رسول الله ﷺ ان يبيح لهم الزنى :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

والسؤال الطلب والسائل النضر بن الحارث القائل ان كان هذا هو الحق من عندك الخ قاله ابن عباس او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او رسول الله ﷺ استعجل بعذاب او بمعنى سال الوادي بغير همزة ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر بمعنى اسم الفاعل اي اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم.

والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع فان هذا العذاب المندفع عليهم هو قتل بدر او عذاب النار وقرأ غير هؤلاء سأل بالهمز من السؤال اي الطلب وعن قتادة: سأل سائل عن عذاب الله على من يقع فنزلت وقيل: في معنى سال سائل بالالف سال واد في جهنم يسمى (سالا) وعليه زيد بن ثابت أعني انه الالف ويفسر بذلك وكذا عبد الرحمن بن عوف واما سائل فهو بالهمزة بعد الالف بلا خلاف اما همزة سال المهموز او بدل من الياء عنها الف سال غير

مهموز ﴿بعــــذاب﴾ الباء بمعنى عن او ضمن السؤال معنى الدعاء يقال دعاية يدعون فيها بكل فاكهة او بمعنى الاستعجال واما على معنى السيلان فالبـاء للتعدية ﴿واقـــع للكـــافرين﴾ نعتان لعذاب او اللام متعلقة بواقع اي نازل لاجلهم او واقع عليهم.

فعليه فاللام للتعليل او للاستعلاء ويصح تعليقه بسأل أي دعا للكافرين بعـذاب وعـلى تفسـير قتادة تتعلق بمحذوف خبر لمحذوف والجملة جواب السؤال اي هو للكافرين كذا ظهر لي ثم رأيت ان ابيا كتب في مصحفه واقع على الكافرين وهو يؤيد ان اللام بمعنى على متعلقة بواقع ﴿ليـس لـه دافـــع﴾ لا راد لذلك سواء طلبوه او لم يطلبوه ﴿مـــن الله﴾ متعلق بواقع اي صادر من الله او نعت لدافع اي لايقيض الله له من يدفعه عنه لتعلق ارادته به ﴿ذي المعـــارج﴾ المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة.

وقال ابن عباس: السموات فان الملائكة يعرجون فيها وقيل: الفواضل والنعم لان الفواضل والنعم مراتب تصل الخلق على مراتب مختلفة وقيل: درج تعرج فيها الارواح اذا رأتها وثبت اليها والمفرد معرج ويجيز الكوفيون كونه جمع معراج بالالف حذفت في الجمع لم تقلب فيه ياء وذي نعت الله ﴿تعــرج الملائـــكة والـــروح﴾ جبريل وهو اعظمهم وافضلهم ولذا خص بالذكر بعد العموم وقرأ يعرج بالمثناة التحتية وذلك قول الجمهور وقال قتادة: الروح ملائكة حفظة للملائكة الحفظة لبني آدم لا يرونهم كما لا نرى الملائكة وقيل: هو اسـم جنس لأرواح الحـيوان ﴿الـيه﴾ الى الله ﴿في يـوم كـان مقـــداره خمســين الف سـنة﴾ من سني الدنيا.

اي لو صعـد انسان الى السماء السابعة من الارض السابعة لصعد في خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك في يوم اراد في ساعة في اليوم او اقل وقيل الى منتهى العرش من الارض السابعة وبينها وبين اعلى العرش مسيرة

خمسين الف سنة بين كل سماء واخرى وارض واخرى وبين السماء السابعة والعرش وغلظ كل واحد خمسمائة عام قيل وحيث قال مقداره الف سنة اراد زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وجملة تعرج الى آخره مستأنفة لبيان ارتفاع المعارج على التحقيق لا التمثيل كما قيل الا العروج اليه فالمراد به العروج الى عرشه وهو في كل مكان بالعلم والقدرة وفي يوم متعلق بتعرج وكان الى آخره نعت يوم وان علقنا في يوم بواقع او يسال على معنى السيلان او بدافع او بيقع محذوفا كان اليوم يوم القيامة أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة ومقداره خمسون الف سنة من سني الدنيا على الحقيقة ويجعله الله على المؤمن اخف من صلاة مكتوبة كما رواه ابو سعيد وروى ابو هريرة اخف من وقت صلاة.

فيحتمل الوقت المحدود وورد به التصريح في بعض طرق الحديث ويحتمل قدر ما توقع فيه الصلاة وروي ان في ذلك اليوم خمسين موطنا كل موطن الف سنة وقدر ذلك على المؤمن ما بين الظهر والعصر وعن بعض انه حيث قال مقداره الف سنة فالمراد في طوائف دون طوائف اخرى قال ابن عبد الحق اعلم رحمك الله ان يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الايام بل هو الاف من الاعوام يتصرف فيه هذا الانام على الوجوه والاقدام حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الاحكام وليس خلاصة دفعة واحدة ولا فراغهم في مرة واحدة بل يتخلصون ويفرغون شيئا بعد شيء لكن طول ذلك خمسون الف سنة فيفرغون بفرغ اليوم فمنهم من يحبس فيه كله ومنهم من يحبس في قدر يوم دنيوي او ساعة او اقل او اكثر ويكون رايحا في ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يدخل الجنة والنار بلا حبس انتهى.

ويسمى وقت الحبس والحساب يوما تسمية للبعض باسم الكل وذلك لان يوم القيامة له اول ولا آخر له وعن ابن عباس ان المعنى لو كلفتم القضاء بين العباد لفرغتم في مقدار خمسين الف سنة وفي رواية لم يفرغوا منه في مقدار ذلك وعن عطاء يحاسبهم في نصف يوم دنيوي وروي في طرفة عين وروي ان الله قال لو ولى حسابهم الملائكة والثقلان لم يفرغوا في خمسين الف سنة

وانا افرغ منه في ساعة والتقدير تمثيل ليتمكنوا من بعض عظمة الله فيتدرجوا من البعض المبعض وذلك يفيد مالا يفيده قولك انه يحاسبهم بلا وقت فان الحساب علمه بحالهم وجزائهم وعن بعضهم التقدير بخمسين الف سنة تمثيل للشدة على الكفار او لكثرة ما فيه من الاهوال والمحاسبات.

فالمراد مقدار ذلك في الشدة ﴿فاصبر صبرا جميلا﴾ لايشوبه استعجال او اضطراب قلب او جزع على تكذيب المشركين لك وهو منسوخ بآية السبق كذا قيل واقول هو غير منسوخ وانما اراد امره بالصبر على المصائب من تكذيب المشركين وقولهم ساحرا او مجنون والصبر واجب في كل وقت والفاء للاستئناف والتفريغ او للعطف على سال عطف انشاء على اخبار ووجه التفريغ والعطف ان سؤالهم حتى يقع العذاب او على من يقع او دعائهم به كان عن استهزاء او تعنت والاستهزاء والتعنت يضجر انه فامره بالصبر.

وان كان المراد بقوله سال سائل رسول الله ﷺ عن العذاب واستبطائه للنظر او كان المراد سؤال العذاب فوجه التفريغ والعطف ان العذاب والضر قد قربا فاصبر لاتستعجل وزعم بعضهم انه لو قيل هذا خطاب لجنس الانسان في شأن هول ذلك اليوم ما بعد

﴿انهم يرونه﴾ اي العذاب او يوم القيامة على ما مر قال ابن هشام: المعنى يظنونه قلت بل المعنى يعتقدونه لانهم جازمون بالبعد فحمله على الظن مشكل الا ان يحمل الظن على ما يشمل الاعتقاد الجازم المخالف للواقع ﴿بعيدا﴾ من الامكان غير واقع ﴿ونراه﴾ نعلمه ﴿قريبا﴾ ممكنا واقعا والعرب تستعمل البعد في الانتفاء والقرب في الحصول وتستعمل البعد في التعسر والقرب في السهولة.

فالعذاب والبعث واقعان سهلان في قدرة الله ﴿يوم﴾ متعلق بـ (قريبا) اي يمكن او يقع يوم او بيقع محذوفا او بدل من مجموع الجار والمجرور او من محل المجرور وهو النصب لصحة ظهوره في الفصيح والجار والمجرور هما قوله في يوم وانما يصح الابدال ان علق في يوم بواقع او بسال من السيلان

او متعلق بها حذف تهويلا وتفخيما اي يكون كيت وكيت يوم ﴿تكون السماء كالمهل﴾ في اللون والسيلان وهو دردي الزيت او الفضة المذابة او غير ذلك مما مر وذلك انه يزول نورها وتتكدر.

وروي ان ابن مسعود اهديت له فضة فامر فاذيبت فقال ادع لي نفرا من اهل الكوفة فدخلوا فقالوا ما رأينا شيئا اشبه بالمهل من هذا وظاهر كلامهم ان المهل صفة تكون عليها السماء وليست بصفة الفضة ولكن اشبهتها ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف في الخفة والطيران بالريح وقيل كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان احمر وابيض واسود فاذا طيرت بالريح في الجوزا اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل: العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف.

وعن مجاهد: الصوف الاحمر المنفوش تصير الجبال اولا رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم هباء منثورا ذاهبا ﴿ولا يسأل حميم﴾ قريب او صديق ﴿حميما﴾ كيف حالك ولا يكلمه لان بكل ما يشغله عن السؤال والكلام وفي الحديث ثلاثة مواطن لايسأل فيها احد احدا اذا وضعت الموازيين حتى يعلم ايثقل ميزانه او يخف واذا تطايرت الكتب حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه ام بشماله وعند الصراط حتى يعلم ايجوز ام لا وقال الحسن لا يسأل قريب قريبه ان يحمل عنه من ذنوبه قلت المشهور وفي الاحاديث ان القريب يسأل قريبه ان يحمل ولعل عدم السؤال بعد اعلامهم انه لايحمل احد ذنب احد او لعل المراد لايسأله سؤالا ينفعه.

وقيل: لايسأله نصرة او شفاعة ولا منفعة ولايجدها عنده وعن قتادة: يسأله عن حاله لظهورها واشتغاله بنفسه وقرأ ابن كثير بخلاف يسأل للمفعول قال الثعالبي عنه ببناء المعنى لايسأل حاضره لان كل مجرم له سيما يعرف بها كان ان كل مؤمن له سيما خير يعرف بها وهو تغير غير مفيد لمعنى قراءته وقد ادخل فيه معنى ما بعده وقال القاضي معناها لايطلب من حميم حميم ولا يسأل منه حاله وهو واضح قال الزمخشري لايقال الحميم اين حميمك ولايطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب ولعله مراد الثعالبي وقوله

﴿يبصــــرونـــهم﴾ حال من النكرة لتقدم النفي او نعت والضمير للحميم لانه نكرة في سياق النفي فتعم كانه قيل الاصدقاء او الاقرباء كلهم لايسأل واحد منهم اخر مع انهم مجعولون باصرين اياهم فالمانع من السؤال الشدة والتشاغل لا الخفاء لعدم الخفاء او المانع منه معرفة كل بسيماه كما مر من بياض وجه او سواده.

وعن ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار ثم لايتعارفون بعد ذلك وعدى الفعل الى اثنين بالتشديد الاول الواو نائبا عن الفاعل والثاني الهاء ويجوز ان تكون الجملة مستأنفة وقرىء يبصرونهم بضم الياء واسكان الباء وفتح الصاد تعدية بالهمزة ﴿يـــود المجـــرم﴾ حال من الواو او من الهاء او استئناف بدل على ان اشتـغـال كل مجرم بنفســه بحث يود اي يتمنى ﴿لـــو يفتـــدي﴾ مفعول يود اي يود الافتداء فلو مصدرية او مفعول يود محذوف ولـو شرطية اي يود الافتـداء لو يفتـدى ﴿من عـــذاب يومئـــذ ببنـــيه وصـــــاحبته﴾ زوجتـه ﴿واخيـــه﴾ الى اخره لسره ذلك تمنى ان يفتدي باقرب الناس واعقلهم.

ويوم ظرف منصوب معرب او الفتحة للبناء وهو في محل نصب بني لاضافته لمبني مع ابهـامـه متعلق بعذاب لانه بمعنى تعذيب او متعلق بيود وقرىء باضـافـة عذاب ليوم مع جر يوم للاعـراب ومـع فتحـه للبنـاء وبـه نقـرأ ﴿وفصيـــلتـه﴾ اي عشـيرته الذين فصل عنهم وقيل قبيلته وقيل اقربائه الاقربين وقيل عشيرته الادنون ﴿التـــي تـــؤويه﴾ تضمه في النسب وعند الشـدائد ﴿ومـــن فـي الارض جميــــعا﴾ من الثقلين او الخلائق تمنى لو ملك هؤلاء فيفتدى بهم ﴿ثـــم ننجـــيه﴾ الافتداء من العذاب والعطف على يفتـدي وكـان العـطف بثم استبعـادا للانجاء اي هيهات ان ننجيه ﴿كـــلا﴾ ارتـدع يامجـرم عن تمني الافتـداء وانـه لاينفـع ولا ينجيك ﴿انـــها﴾ اي النار المفهومة من قوله من عذاب يومئذ او الضمير عائد الى مبهم يفسره الخبر وهو قوله ﴿لظـــى﴾ اماله حمزه والكسائي وكذا النوبي وتولى وادعى وهود وورش وابو عمرو بين فيهن والباقون اخلصوا الفتح والالف علم

النار منقول من اللظى وهو اللهب التظت النار التهبت وهي قيل الدركة الثانية ويجيزان يراد بلظى اللهب ﴿نـــزاعة﴾ خبر ثان او نعت لظى بمعنى اللهب او خبر لمحذوف وان جعلنا لظى بدلا من اسم ان او بيانا فنزاعة خبرها وان جعلنا الضمير المقصة فلظى نزاعة مبتدأ وخبر والجملة خبر لان.

وقرأ عاصم في رواية حفص بنصب نزاعة على الحال المؤكدة اللازمة لحال من ضمير في لظى لتضمن معنى ملتظية مؤكدة لازمة ايضا لا منتقلة كما قيل فان التظاءها لايزول وان قدرنا خموده في وقت ما كانت منتقلة كذا قيل والحق النظر الى النزع للشوى فان اعتبرنا النزع بالقوة فالحال لازمة فان تلك اللهب ابدا تنزع شوى ما القى فيها وان اعتبرنا النزع بالفعل كانت منتقلة ويجوز حمل النصب على المفعولية اي اعني نزاعة او عظمت نزاعة ﴿للشـــوى﴾ الاطراف كاليدين والرجلين والاذنين مما ليس بمقتل قيل: تنزع منها اللحم والجلد وقيل: اللحم والجلد والعظم وقيل: تنزع العصب وقال الحسن: تنزع الرأس وقال مجاهد: تنزع جلود الناس وقيل: الاطراف ومكرم خلقه كلحم الوجه وقيل: نزاعة لجلد الرأس.

وعليه فهـو جمع شواة وكـل شيء تـنـزعـه اعـاده الله واللام لام التقوية ﴿تدعـــو﴾ استئناف او خبر آخر لان او لمحذوف او حال او نعت لنزاعة بناء على جواز نعت الصفة او لظى ان قلنا هو نكرة بمعنى اللهب وانث لمعنى النار ومعنى تدعو تجذب شبه الجذب بالدعاء بجامع الاحضار واستعار للجذب لفظ الدعاء واشتق من لفظ الدعاء بمعنى الجذب تدعو بمعنى تجذب او تدعو زبانئها فحذف المضاف او اسند الدعاء اليها مع انه لهم للملابسة بينها وبينهم وقيل تدعو الكافر و المنافق بلسان فصيح يخلقه الله الي ياكافر الي يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الحب.

وعن ابن عباس وغيره تدعوهم باسمائهم واسماء اباَئهم وقيل تدعو بمعنى تهلك وتعذب كقولهم دعاك الله اي اهلكك ﴿مـن ادبـــر﴾ اعرض عن الايمان ﴿وتولــــى﴾ عن الطاعة وقيل ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وقيل ادبر عن الايمان وتولى عن الحق وقيل ادبر عن الحق وتولى عنه ﴿وجمـــع﴾

المال ﴿فأوعى﴾ اي اوعاه اي جعله في وعاء وامسك فيه حرصا واملا ولم يؤد الحق منه حذف مفعول جمع التعميم اي جمع انواع الاموال ايا كان من حل وحرام ومفعول اوعى للمفاصلة.

وكان عبد الله بن حكيم لايربط على كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فاوعى وفي الجمع والايعاء اشارة الى تشاغله به عن الدين والى فتنته وتكبره ﴿ان الانسان خلق هلوعا﴾ شديد الحرص قليل الصبر وعن ابن عباس: الهلوع الحريص على مالا يحل وقيل: الشحيح البخيل وقيل: الضجور وقيل: الجزوع وقيل: ضيق القلب وقيل: الفزع المضطرب عند الخوف والطمع وقيل: السريع الجزع عند المكروه السريع المنع عند الخير الكثير قيل: عن احمد بن يحي وهو ثعلب قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع قلت: قد فسره الله فلا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة جزعه واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وكذا روي في تفسيره عن ابن عباس واشار الى قول

﴿إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً﴾ الشر الضر مطلقا وقيل: الفقر والخير المال وقيل: المراد الصحة والمرض اذا صح منع المعروف والحقوق وإذا مرض جزع واخذ يوصي والمراد بالانسان الناس ولذلك استثنى منه المصلين الدائمين والذين في اموالهم حق الخ...

والمراد ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما ولا جبل ولا جبر وإلا لم يذمه الله وقيل المراد بالانسان الكافر وهلوعاً وجزوعاً ومنوعاً احوال مقدرة لانه في حال البطن والمهد ونحوهما ليس هلوعاً جزوعاً منوعاً او مقارنة على انه مجبول عليها كل احد فلا يؤاخذه الله الأعلى ما زاد على ما جبله الله عليه وإذا الاولى متعلق بجزوع والاخرى متعلق بمنوع وعنه ﷺ شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع وتلك الصفات صفات مبالغة.

﴿إلا المصلين﴾استثناء للمؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على

المكاره وعقولها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين ولا هالعين نفي عنهم هذه الصفات إلا ما يكون بغير اختيار واثبت لهم غيرها من الصفات الدالة على الاستغراق في الطاعة من دوام الصلاة واخرج حق المال وغير ذلك.

﴿**الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ يواظبون عليها لا يشغلهم عنها اول وقتها شاغل وعنه ﷺ «أفضل العمل أدومه وإن قل» وعن عائشة رضي الله عنها: كان عمله ديمة وعن عقبة بن عامر: الدائم على صلاته هو الذي لا يلتفت يمينا او شمالا او خلفا وهذا اثبات للدوام في كل صلاة.

﴿**والذين في اموالهم حق معلوم**﴾ كالزكاة فإنها قدر معلوم وكالصدقة يثبتها الانسان على نفسه يؤديها في اوقات معلومات اشفاقا على الخلق وقال الحسن: المراد الزكاة وقيل: المراد صدقة التطوع المرتبة وهو الاصح وعليه ابن عباس لان السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة وبنيت فيها إلا ان قيل هذه الاية مدنية ثم رأيت ان اصحاب القولين الاولين يقولون انها مدنية.

﴿**للسائل**﴾ لطالب المعروف وهو مسكين وقيل مطلقا وقال الحسن: هو المسكين الذي يسأل ثم يكف عن المسألة حتى ينفد مابيده وفي الحديث «المسكين هو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يسأل الناس إلحافا».

﴿**والمحروم**﴾ الذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم اي يمنع لايعطى شيئا. ﴿**والذين يصدقون بيوم الدين**﴾ الجزاء تصديقا حقيقا وهم الذين اتعبواانفسهم في الطاعة وصرفوا اموالهم طمعا في الثواب كما اشار اليه بلفظ الدين بالدال المهملة وهو الجزاء على الاعمال.

﴿**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**﴾ خائفون وفي الحديث الرباني «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين لايخافني في الدنيا إلا أمنته في الآخرة ولا يأمنني في الدنيا إلا أخفته في الآخرة» وقال ﷺ «من خيار أمتي فيما نبأني الملأ الأعلى في الدرجات العلا قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف شدة عذاب ربهم ويذكرون ربهم بالغداة

والعشي في بيوته الطيبة ويدعونه بألسنتهم رغبا ورهبا ويسألونه بأيديهم خفضا ورفقا ويشتاقون إليه بقلوبهم مؤونتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون على الارض بأقدامهم دبيب النمل بغير فرح ولا ميل».

﴿ان عــذاب ربــهم غــير مأمــون﴾ لا يؤمن نزوله فلا ينبغي لاحد ان يأمنـه وان جمع الصفات المذكورة والآتية وغيرها وفاق الاولين والآخرين والملائكة في العبادة فإنه لا تأتي على المكلف ساعة لا يجب فيها الخوف والرجاء والجملة معترضة غير تعليلية او معترضة تعليلية.

﴿والذيـن هم لفــروجـهم حافظــون إلا على ازواجهــم﴾ غير شاملة للسراري ولـذا قال ﴿او مــا ملكــت ايمانــهم﴾ من السراري ﴿فإنهــم غــير ملــومــين﴾ على نكاحهن.

﴿فمــن ابتـغى وراء ذلــك﴾ كنكـاح غـير الـزوجـة والسرية ونكـاح الارض والاستمتاع باليد ونحو ذلك.

﴿فأولئــك هــم العــادون﴾ المتجاوزون الحلال او المعادون المحاربون لنـا. ﴿والــذين هم لأمــانـاتــهم﴾ وقرأ ابن كثير لامانتهم بالافراد لأمن اللبس فمعنى الجمع مستفاد من الاضافة فإن اضافته للاستغراق وايضا اصل الامانة مصدر يصلح للقليل والكثير.

﴿وعــــهــدهم﴾ بالافـراد لانـه مصدر باق على معناه او تغلبت عليه الاسمية ويمكن ان يكون ابن كثير افرد ما قبله الموافقة بينهما والمراد بالامانة حق الله وبالعهد حق العابد او المراد ما ايتموا عليه من الدين والدنيا والعهد والمأخوذ عنهم في ذلك قيل جمع الامانة لتنوعها في الاموال والاسرار وفيما بين العبد وربه من امر ونهي والعهد ما تقلده الانسان من قول او فعل او مودة اذا كانت هذه الاشياء على منهاج الشريعة فهو عهد يجب حفظه.

﴿راعــــون﴾ محافـظـون ﴿والــذين هم بشــهـادتهم﴾ وقـرأ يعقـوب ﴿بشهاداتهم﴾ بالجمع تصريحا بتعدد الانواع واختلافها واما اذا لم يكن الجمع فاللفظ لا يدل على انواع دلالة صريحة بل تستفاد من خارج كذا يظهر لي.

﴿قائمـــون﴾ أي يؤدونها والشهادة من جملة الامانات وخصت بالذكر لانها افضل واعظم وفي اقامتها احياء الحقوق وفي تركها تضييع الحقوق والقيام بالشهادة أداؤها عند الحاكم مثلا وعدم كتمانها او اذا رأوا حقا اندرس وحرمة انتهكت جاءوا بها لله ولو لم يطلبوا وقيل القيام بها حفظها واتقانها حتى لا يكون زيادة او نقص كما قال صلى الله عليه وسلم «مثل الشمس فاشهد» وقيل: المراد بالشهادة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعليه فالجمع في قراءة يعقوب مراعاة لشهادة كل انسان بذلك أو لأن هذه الجملة مشتملة على معان عديدة فالناطق بها ناطق بتلك المعاني كلها.

قيل ولكـون المـراد شهـادة ان لا إلـه إلا الله عطف على الذين قوله ﴿والـذين هـم على صـلاتـهم يحافظـون﴾ يصلونها او الوقت في طهارة ووضـوء وسـتر العورة وترك الوسواس وحضور القلب والخشوع واتمام اركانها وعدم الالتفات والاخلاص ورجاء القبول وترك ما يحبطها من الذنوب ولفضل الصـلاة كرر ذكرها، ذكرها أولا: بعنوان الدوام عليها بان لا تترك وثانيا: بمـراعـاة ما يصلحهـا من فرائض وسنن ولم يكرر غيرها لفضلها عليه بدأ الاوصاف بها وختمها بها ولأن من تلك الاوصاف لا تنفع بدونها لكنها اي الصـلاة لا تنفـع ايضا بدون الاوصاف المواجبة وجاء بالفعل لدلالته على التجدد والصلاة تتكرر وتتجدد.

قال الغزالي: ينبغي لك ان تفهم ما تقرأه في صلاتك ولا تغفل في قراءتك عن امـره سبحـانـه ونهيه ووعـده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته وإحسـانـه فلكـل واحد حق فالرجاء حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق ذكر خيار الأنبياء وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم والفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجـات ذلـك لاتنحصر وهذا حق القراءة وهو حق الاذكار وحق التسبيحات ويراعى الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين نغماته في آيات الرحمة وآيات العذاب والوعد والوعيد والتحميد

والتعظيم.

﴿اولئك في جنات﴾ خبر اول او متعلق بالخبر بعده او بمحذوف حال من ضمير الخبر بعده.

﴿مكرمون﴾ بثواب الله وفضله لتلك الخصال وفي بمعنى الباء اي مكرمون بجنات والتنكير للتعظيم روي ان جماعة من المشركين كانوا يلتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا وفرقا يستمعون ويكذبون ويقولون استهزاء ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد دخلناها قبلهم.

فنزل ﴿فمال الذين كفروا قبلك﴾ جهتك ونحوك وهو ظرف متعلق بما بعده ما مبتدأ استفهامية واللام حرف جر كتبت منفصلة في كتاب عثمان متعلقة بمحذوف. خبر ابو عمرو وقف على ما والكسائي عليها وعلى اللام وجهان والباقون على اللام اتباعاً للرسم.

﴿مهطعين﴾ حال من الذين اي مسرعين مادين اعناقهم وابصارهم اليك وروي انه كان يصلي عند الكعبة احيانا ويقرا القرآن فكان كثير من الكفار يقومون من مجالسهم مسرعين اليه يستمعون قراءته ويقول بعض لبعض شاعر او كاهن أو مفتر وغير ذلك والاستفهام توبيخ وانكار اصابة فعلهم ومتعلق التوبيخ والانكار عدم الانتفاع بما يسمعون واسراعهم للتكذيب لا للايمان.

﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ متعلق بقوله ﴿عزين﴾ حال ايضاً أي مجتمعين حلقا او كائنين فرقا ومعنى المجاوزة انفصالهم عن اليمين والشمال فإن من كان في يمينك او شمالك بالقرب قد انفصل عنك وكذا ان اتصل بك فإنه غير داخل فيك او واقع عليك اشار اليه الدماميني او عن بمعنى في والعزون جمع عزة بالتخفيف بوزن فعلة بحذف اللام والاصل عزوة فإن كل فرقة تعتزي أي تنتسب الى غير ما تعتزي اليه الاخرى قيل العزة الجمع اليسير كأنهم كانوا ثلاثة ثلاثة او اربعة أربعة وعن أبي هريرة ورجاء ابن سمرة خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مفترقون فقال مالي أراكم عزين وروي ان

المستهزئين خمسة ارهط.

﴿أيطمع كل امرىء﴾ احد ﴿منهم ان يدخل جنة نعيم﴾ بلا ايمان ولا عمل كما يدخلها المسلمون وكانوا يقولون ان صح ما يقول محمد واصحابه كنا افضل حظا منهم كما في الدنيا والاستفهام للانكار انكر صحة طمعهم.

﴿كلا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة اي ليسوا من اهلها. ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ وهو النطفة القذرة والعلقة والمضغة والجملة تعليل أي لا يدخلونها لانهم خلقوا من قبيح منتن لا يناسب القدس ولم يستكملوا بالايمان والطاعة ولم يتخلقوا باخلاق عالم القدس وهم الملائكة والناس كلهم مخلوقون من ذلك غير آدم وحواء وعيسى والتفاضل انما هو بالايمان والطاعة وانما ابهم لقبح ذلك ولا يقال فلم صرح في غير هذا الموضع لان هذا الموضع موضع ذم فابهم قصد الذم وتعظيما له واشعارا بان ذلك منصب يستحي منه ولا منصب اوضع منه.

واما كون المانع لهم من الجنة مجرد كونهم من نطفة فلا وجه له ومن للابتداء او للتبعيض ويجوز ان تكون للتعليل فيكون المعنى خلقناكم لما تعلمون وهو الايمان والعبادة فيهما تكمل النفس ومن لم يستكملها بذلك لم يكن له منزل الكاملين وهو الجنة ويجوز كون الجملة غير تعليلية ومن للابتداء والمراد الاستدلال بالخلق اول مرة على البعث ثانيا ردا عليهم حيث قالوا استهزاء وتكذيبا ان حق ما يقول محمد واصحابه فإنا افضل منهم هنالك كما فضلنا عليهم في الدنيا واذا انكروا البعث فلا جنة لهم وقيل: المعنى انا خلقناهم من العقل أي معه أي صورناهم عقلاء لا كالبهائم لاعلم لها او خلقناهم ليعلموا و يعقلوا لا كالبهائم وهو قريب من الوجه الثاني وبصق صلى الله عليه وسلم في كفه ووضع على البصاق اصبعه فقال يقول الله ما يعجزني وقد خلقتك من مثل هذا حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وآن أوان الصدقة.

وقال ﷺ «كلكم يحب الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله جعلنا الله فداك قال: فاقصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء قالوا: يارسول الله كلنا يستحي منه قال: ليس كذلك الحياء ولكن الحياء من الله ان لا تنسوا المقابر والبلا ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا تنسوا الرأس وما حوى، ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا هنالك اذاً استحى العبد من الله هنالك أصاب ولاية الله».

﴿فلا أقسم﴾ فيه ما مر ﴿برب المشارق والمغارب﴾ مشرق كل يوم ومغربه او مشرق كل نجم أو الشمس أو القمر ومغربها أو جهات المشرق وجهات المغرب وعن بعضهم ان للشمس ثلاثمائة وستين مشرقاً وثلاثمائة وستين مغربا اقسم الله بها او نفى الاقسام بها.

﴿إنا لقادرون على ان نبدل خيرا منها﴾ نهلكهم ونأتي بخير منهم او نعطي محمداً بدلا خيراً منهم وهو الانصار.

﴿وما نحن بمسبوقين﴾ مغلوبين عما نريد اي يفوتنا ما اردنا ﴿فذرهم﴾ اتركهم ﴿يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا﴾ يلقوا ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ هذه الآية قيل منسوخة بآية السبق واقول غير منسوخة بل المراد اني اجازيهم ولست انت تجازيهم.

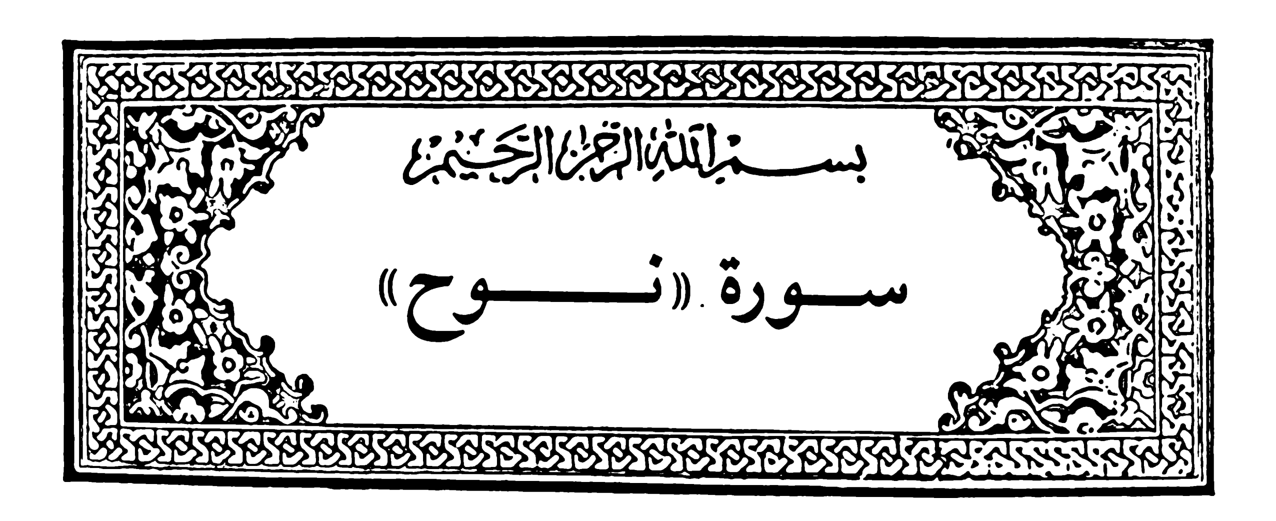
﴿يوم﴾ بدل ﴿يخرجون من الاجداث﴾ القبور ﴿سراعاً﴾ جمع سريع يخرجون مسرعين الى المحشر. ﴿كأنهم الى نصب﴾ أي شيء منصوب كعلم او راية وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وعنهما نصب بضم النون واسكان الصاد على انه تخفيف نصب بضمهما او جمعه وقيل: المراد في الآية ما عبد من دون الله وقرىء يخرجون بالبناء للمفعول من الاخراج وقرىء بادغام ثاء الاجداث في سين سراعاً.

﴿يوفضون﴾ أي يسرعون الى الداعي في بيت المقدس كما كانوا لعنهم الله يسرعون الى عبادة الاصنام وكأنه استهزاء بهم وقيل: لعلكم تعيدون

الاصنام اليوم لتحيكم.

﴿**خاشعة ابصارهم**﴾ ذليلة ﴿**ترهقهم ذلة**﴾ تغشاهم ﴿**ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون**﴾ في الدنيا اليوم خبر والذي نعته او اليوم نعت او بيان او يدل والذين خبر وهو نعت لمحذوف اي ذلك اليوم هو اليوم الموعود.

اللهم ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبركة السورة اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «نوح»

مكية اجماعاً وآيها ثمان وعشرون وكلمها مائتان واربع وعشرون وحروفها تسعمائة وتسعة وقيل آيها ثلاثون وقيل: تسع وعشرون وعنه ﷺ «من قرأ سورة نوح عليه السلام كان من المؤمنين الذي تدركهم دعوة نوح ومن لازم قراءتها لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة وكذا من قرأها وطلب حاجة تيسر قضاؤها ومن لازم قراءتها وهو في هم وغم زالا عنه ومن استقبل بها ظالما كفي أمره».

بسم الله الرحمن والرحيم

﴿إنا ارسلنا نوحاً الى قومه ان انذر قومك﴾ خوفهم وحذرهم وان مفسرة لان الارسال فيه معنى القول تضمينا دون حروفه او حرف مصدر والباء مقدرة قبلها اي ارسلناه اليهم بالانذار بناء على جواز دخول المصدرية على الامر والاقدار القول اي بان قلنا انذار وقرأ ابن مسعود بترك ان فيقدر القول او يضمن ارسلنا معنى قلنا.

﴿من قبل ان يأتيهم عذاب اليم﴾ موجع عذاب الآخرة وقيل الطوفان وهو الظاهر ويجوز ان يكون المراد كليها.

﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾ واضح الانذار او موضح للشريعة. ﴿ان﴾ مفسرة للنذير او لمبين اعني للحدث فيهما او مصدرية على تقدير الباء كما مر.

﴿اعبدوا الله واتقوه﴾ وحدوه قولا وعبادة وخافوا عقابه. ﴿واطيعون﴾فيما امركم به ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ من للتبعيض والمفعول محذوف اي ذنبا من ذنوبكم وهو ما قبل الاسلام فانه الذي يغفر بالاسلام ولا يؤاخذ به في الآخرة عند كثير ولو مات صاحبه منافقا او مرتدا

ومن اجاز زيادة من في الاثبات والتنكير جعلها زائدة واعترض بانه يعمر اللفظ ما تقدم وما تأخر والاسلام انما يجب ما قبله والجواب انها تغفر جميعاً إن ماتوا على مقتضى الاسلام قيل: أو من تبعضية لاخراج حقوق العباد قلنا حقوق الله أيضا بعد الاسلام لا تغفر إلا بالتوبة.

﴿**ويؤخركم إلى اجل مسمى**﴾ اجل الموت والتأخير اليه مشروط لا بأيمان والطاعة وقضى الله انه يهلكهم على رأس تسعمائة وانهم لا يؤمنون ولا يطيعون واخبر انهم ان آمنوا واطاعوا غفر لهم واخراجا لهم الى تمام الف سنة وهذا كما يقول لمن سبق في علمه انه شقى ان أطعتني أدخلتك جنتي وفائدته الاشعار بان له من الخير ما لغيره لولا انه اختار موجبات الشر وبانه مجبر.

كذا ظهر لي ويدل له قوله ﴿**إن أجل الله**﴾ بالاهلاك والعذاب ﴿**إذا جاء لا يؤخر**﴾ لا يؤخره مؤخر فبادروا وقت الامهال والتأخير وقال الحسن: الاجل يوم القيامة والاول اولى لأن الاصل ان النكرة اذا اعيدت معرفة كانت عين الاولى.

﴿**لو كنتم تعلمون**﴾ اي لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم انه لا تؤخر او لاسرعتم الى التوبة والاستغفار او لأمنتم او لعلمتم ان القيامة جائية فجواب لو محذوف من غير جنس ما قبلها ويجوز كونه منه بناء على ان يراد ان أجل الله لا تؤخر عندكم اي يظهر لكم عدم تأخيره لو كنتم من اهل العلم والنظر اما ان قيل: الاجل يوم القيامة فالامر واضح وان قيل: الموت ففي الآية دليل على انهم لانهماكهم في حب الحياة كالشاك في الموت.

﴿**قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا**﴾ اي دعوتهم دعاء متصلا دائما الى الايمان و الطاعة قال ذلك بعد طول عمره واياسه منهم.

﴿**فلم يزدهم دعائي إلا فرارا**﴾ عن الايمان والطاعة الذين زاد الفرار هو الله بمعنى انه خالقه وفعلوه باختبار ووسوسة الشيطان والنفس واسند الزيادة الى الدعاء لانه سببها كان اذا دعاهم نهض فيهم العناد واسكن الياء حفص.

﴿وإنــي كلمــا﴾ كل ظرف زمان وما مصدرية والمصدر المسبوق مضافة اليه كل وهي متعلقة بجعلوا. ﴿دعــوتـهم﴾ الى الايمان والطاعــة.

﴿لتغــفر لهــم﴾ بسببها ذنوبهم ﴿جعلــوا اصابعهــم في آذانهــم﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا قولي كما يفعل من يكره سماع كلام أشد كراهية وهم كذلك وقيل: لم يجعلوا أصابعهم في آذانهم على الحقيقة ولكن كرهوا قوله ونفروا منه فكانوا بمنزلة من لا يسمع اما لسد سمعه ولصممه فذلك كناية.

﴿واسـتغشــوا ثيــابهم﴾ غطوا رؤوسهم بها لئــلا يبصروا الي لشــدة كراهتهم لي لأجـل دعـوتي أو لئـلا أعـرفهم فأدعـوهم أو غطوا وجوههم فقط ويقوي كون الاستغشاء لئلا يعرفهم فيدعوهم قوله إلا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم وذلك لشدة كراهتهم من ينصحهم الله وقد كثر مثل هذا في هذه الامة الان والاستغشاء اما غشاة الامر ورد عليه او من غشيه ترضاه يقال استغشى ثوبه واستغشى بثوبه والتاء للطلب وكأنهم طلبوا من ثيابهم ان ترد عليهم او تغطيهم فهذه مبالغة او للتصيير اي صيروها غاشية وان قلت لم قال لتغفـر لهم وهلا تركه قلت ذكره تقبيحا لهم بانهم اعرضوا عن حفظهم ونفعهم وهو الغفران في الجنة.

﴿وأصــروا﴾ داموا على الكفر والمعاصي وحبسوا انفسهم فيها واعتقدوا انهم لا يرجعون عما هم فيه ويقال اصر الحمار على العانة وهي القطيع من بقر الوحش اذا اصر اذيته واقبل عليها يطردها ويضرها شبهوا به.

﴿واسـتـكـبـروا﴾ عن الايمـان بك واتبــاعـي ﴿اسـتكبـارا﴾ توكيد لاستكبارهم او تنويع اي استكبارا عظيما.

﴿ثــم انـي دعـوتــهم جهــارا﴾ مفعول مطلق مؤكد على ان دعوتهم مستعمل في معنى جاهرتهم او نوعي على ابقاء الدعاء على اصله اي دعاء جهارا فحذف المضاف أو دعاء جهارا فحذف المنعوت أي مجهارا به لفتح الهاء او ذا جهار او حال اي مجاهرا بكسرها او ذا جهار والجهار مصدر جاهر وهو

اعلاء الصوت وكذا الاعلان ولكن عطف عليه بثم لانه دعاهم بالجهر مدة ما شاء الله.

وبعد ذلك جمع بينه وبين الاسرار كما قال ﴿ثم إني﴾ واسكن الكوفيون الياء ﴿اعلنت لهم﴾ الصوت ﴿واسررت لهم﴾ الكلام ﴿اسرارا﴾ والحاصل من مجموع الكلام انه افرغ جهده في دعائهم وتحري ما يتبعونه به واستغرق الوقت فإنه دعاهم ليلا ونهارا مرة بعد اخرى على سبيل الترقي اشد فاشدوا بعد السهولة بدأ بالسر فلم يقبلوا ثم اجهر فلم يؤثر ثم جمع بين الاجهار والاسرار فقوله ثم اني دعوتهم جهارا عطف على قوله اني دعوت قومي اي سرا والعطف بثم لتباعد وجه عن آخر في الشدة فإن الاجهار اغلظ من الاسرار وهما اعلظ من افراد احدهما او للتباعد في الوجود وكذلك ينبغي للامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ من الشرك والمعاصي بالتوبة ﴿انه كان غفارا﴾ للمستغفرين التائبين كأنهم قالوا ان لم نكن على الحق فكيف يقبلنا فامرهم بالاسلام القاطع للمعاصي الموجب المقبول وخير الآجلة من الجنة والعاجلة من الماء وغيره ترغيبا في الايمان وتوقيفا على بركته من خير الاخرة كما اشار اليه.

وخير الدنيا كما قال ﴿يرسل السماء﴾ الجزم في جواب الامر والسماء المطر حقيقة لغوية لانه يعلونا ويظلنا او مجاز لانه الى جهة السماء او لانه ينزل منها الى السحاب قيل: او المراد السحاب او يقدر مضاف أي مطر السماء او مطر السحاب.

﴿عليكم مدرارا﴾ حال من السماء ولو كان السماء مؤنثا لان المراد المطر ولان مفعالا لايستوي فيه المؤنث مع المذكر نحو امرأة معطار وامرأة متفال وامرأة مصبار او مضراب والمدرار كثير النزول او التتابع.

﴿ويمددكم﴾ يقوكم ويكثركم ﴿بأموال وبنين ويجعل لكم جنات﴾ بساتين في الدنيا ﴿ويجعل لكم﴾ فيها ﴿انهارا﴾ جارية

وذلك كله مما يميل الطبع اليه فقدم لهم الوعد بما هو اوقع في نفوسهم وقرأ بادغام لام يجعل في لام لكم في الموضعين وتركه وروي انه لما طالت دعوته واصرارهم حبس عنهم المطر وأعقمت نساؤهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة وهلكت مواشيهم واموالهم فاشتد شوقهم للولادة والمطر فامرهم بالاسلام ليتوصلوا الى ذلك فإن الكفر سبب لهلاك الدنيا والآخرة.

وعنه ﷺ «من لزم الاستغفار وفي رواية من اكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب» وعن بكر بن عبد الله: ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا أقلهم ذنوبا وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر فقال استغفر الله، وآخر قلة نتاج أرضه فقال: استغفر الله، وآخر قلة النيل فقال: استغفر الله، فقال له الربيع بن صبح: أتاك رجال يشكون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الحسن «فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل» الخ....

وخرج عمر بن الخطاب يستسقي فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح المساء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ فقلت استغفروا ربكم الخ.... شبه الاستغفار بالانواء التي لا تخطي فإن المجاديح هو الانواء والنوء سقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله في ساعته ويطلق على النجم نفسه خاطبهم بما تعرف العرب في زعمها من شأن المطر قيل واحد المجاديح الدهران وقيل هي ثلاثة كالاناء.

﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ بأن تؤمنوا به ما للاستفهام التوبيخي مبتدأ ولكم خبر وجملة لا ترجون حال اي لا يأملون ولله حال من وقارا أو متعلق بـ (ترجون) أو بـ (وقارا) إن أجزنا تقديم معمول المصدر مطلقا أو إن كان ظرفا والوقار التعظيم بمعنى التوقير ولو تأخر لله عن وقارا لصح تعليقه به وصح ما ذكر ايضا وذكر لبيان من له التوقير وهو الله اي ما لكم لا تأملون له توقيراً فيمن عبده واطاعه وهو نوح كقولك مالك لم تراع حق زيد عليك حتى ضربت ابنه وفي توقير عابده ومطيعة توقير له او المعنى ما لكم لا

تعتقدون لله عظمة فوقعتم فيما نهاكم او مالكم لا تكونون على حال فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب.

وعن ابن عباس: لاترجون لاترون وقال ابو عبيدة: لا تخافون فهو تهديد واما على ابقاء الرجاء على الصله فتحبيب وفي التعبير بالرجاء اشارة الى انه لم يظنوا لله وقاراً فضلا عن ان يعتقدوه جزماً.

﴿وقد خلقكم اطوارا﴾ الجملة حال من الله او من واو ترجون واطوارا حال من كاف خلقكم اي ذوي صفات واحوال حال مقدرة او اطوارا معناه اصنافاً مختلفون لا يشبه بعضكم بعضاً حتى لا يفرز بين المتشابهين او اطوارا ظرف اي تارت خلق التراب مرة والنطفة مرة والعلقة مرة والمضغة مرة والعظم مرة واللحم مرة وهذه صفات واحوال ايضا وفيها ما ينبهكم على كمال قدرته فيعيدكم كما بدأكم فيجازيكم بالخير ان عملتم وامنتم وقيل: الوقار الحلم وترك المعاجلة بالعقاب وعن ابن عباس: والوقار العاقبة لانها حال استقرار الامور ووقر الامر ثبت واستقر ومفرد الاطوار طور.

﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه ثم على النظر في العالم ومعنى طباقا بعضها فوق بعض.

﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾ هو في السماء الدنيا ولكن قال انه في السموات لما بين السموات من الملابسات ككونهن طباقا علويات مقابلات للارض كما يقال في المدينة عالم وهو في دار من دورها لانارته فهن كما ينور في الارض.

﴿وجعل الشمس سراجا﴾ اي كالسراج في محو ظلمة الليل وابصار ما يحتاج الى ابصار وليس القمر بهذه المنزلة فعبر بالنور لانه اضعف من الضوء المشار اليه بالسراج المصرح به في قوله جعل الشمس ضياء والقمر نورا والاستعارة في ذلك لذكر لفظ المشبه والمشبه به خلافا لبعضهم ومثل ذلك زيد اسد.

وعن ابن عباس وابن عمر وابن العاص؛ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض ويؤيد هذا في الشمس لفظ السراج فإن اقبال نوره الى فوق ولو كان مضيئاً للجوانب ايضاً قال يزيد بن حفص لعبد الله بن عمر ما بال الشمس تصلانا احيانا وتبرد احيانا قال اما في الصيف فهي في السماء الخامسة واما في الشتاء ففي السابعة قال ما كنا نراها إلا في السماء الدنيا قال لو كانت فيها لم يقم لها شيء قلت الذي نحفظ انها في الرابعة وانها في الصيف يتوجه اليها بعض وجهها.

قال الحسن: وليسا ملتزقين بالسماء بل يجريان في فلك دون السماء وإلا لم يجريا والفلك هو الدائر بهما كالطاحونة وقيل كالسراج في ايدي ملائكة وكذلك النجوم.

﴿والله انبتكم من الارض نباتا﴾ اي خلق اياكم منها خلقا او خلقه منها خلق لكم شبه الخلق منها بالانبات منها بجامع مجر الايجاد فاستعار له لفظ الانبات فاشتق من لفظه لفظ انبت بمعنى خلق والانبات ادل على الحدوث من الانشاء ولذلك يقال نجم فلان بأرض كذا اذا جاء بها لم يعهدوه والحشوية ثابتة لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير تقدم والنبات اسم عين لما ينبت انيب عن لفظ الانبات واستعمل في معناه فهو مفعول مطلق او هو اسم مصدر كالغسل والاغتسال والخروج والاخراج نائب عن الانبات لأن انبت مشير الى النبات او هو مصدر لنبت الثلاثي محذوفا اي انبتكم فنبتهم نبات وإلا نباتا مستلزم لنبات فحذف لفظ نبت واختصر بانبت وعلى الاول اقتصر ابن هشام والتنكير للتعظيم ويجوز بقاء نبات اسم عين مجازاً فيكون حالا مقارنة اي اخرجكم حال كونكم نباتا عجبا.

﴿ثم يعيدكم فيها﴾ يميتكم فتتفتتون وتكونون من جنسها كما قال القرطبي وقيل: معناه تكونون مقبورين بسبب اماتته اياكم.

﴿ويخرجكم﴾ منها بالحشر **﴿اخراجا﴾** مصدر مؤكد محقق للاعادة كما تحقق الابداء **﴿والله جعل لكم الارض بساطا﴾** مبسوطة او

تشبيه بالبساط وهو الفراش تنقلبون عليه كما شئتم وظاهر الاية ان الارض بسيطة غير كروية الشكل ولا يلحق عليه فساد البتة واستدل ابن مجاهد على ذلك بماء البحر المحيط فلو كانت كروية ما استقر عليها وقيل: هي كروية الشكل لكن لا يتبين لنا ذلك لوسعها والآية لاتنافي هذا فانها لوسع سطحها كأن كرويتها بساطا لنا كما يكون أعلى البيضة بساطا لنحو القملة او لعلها تكورت في أطرافها فتقول: إن وراء المحيط أرضا فاستقر ماؤه كما استقر ماء هذا البحر وبعد فاعتقاد أحد الأمرين غير قادح في الشرع بنفسه قيل: اللهم إلا أن يتركب على القول ماؤه نظر فاسد.

﴿لتسلكوا﴾ تطأوا ﴿منها﴾ أي فيها متعلق بتسلكوا أو بمحذوف حال من (سبلا) وعليه يجوز كون من للتبعيض ﴿سبلا فجاجا﴾ أي واسعة جمع فج، وسبلا مفعول تسكلوا وان فسرناه بالمشي فسبلا ظرف وان فسر بتتخذوا فمفعول به ومن للابتداء او للتبعيض.

﴿قال نوح رب﴾ يا رب ﴿انهم عصوني﴾ فيما امرتهم به وما نهيتهم عنه والضمير لجميع قومه خلا من أمن.

﴿واتبعوا﴾ اي السفلة والفقراء منهم ﴿من لم يزده ماله وولده إلا خسارا﴾ طغيانا وكفرا من رؤسائهم المبطرين باموالهم المغترين باولادهم حتى صارت اموالهم واولادهم سبباً لزيادة الخسارة بإن استعملوها في المعاصي وجلبوا بها للكفر الفقراء ورسموا لهم عبادة الاصنام ويجوز عود ضمائر الجمع للفقراء والسفلة ويستفاد كفر غيرهم من قوله من لم يزده ماله وولده إلا خسارا وقرأ غير نافع وعاصم وابن عامر بضم الواو واسكان اللام وهو لغة في المفرد، كالبخل بضم الباء واسكان الخاء والبخل بفتحها والحزن بضم الحاء واسكان الزاء والحزن بفتحها لو جمع ولد بفتحتين كأسد وأسد وقرىء ولده بكسر الواو واسكان اللام.

﴿ومكروا﴾ اي الرؤساء فالعطف على من لم يزده الى اخره والجمع نظر للمعنى. ﴿مكرا كبارا﴾ عظيما جدا احتالوا في الذين كذوبا نوحا واذوه

ومن تبعه وصدوا الناس عنه واغروا الناس باذاه وافتروا على الله الكذب وبهتوا نوحا وقالوا لاتذرن آلهتكم وكبارا صفة مبالغة غير مقيسة او قيل: مقيسة وليست محولة عن وزن فاعل كما هو شأن صفات المبالغة ووزنها فعال بالضم فتشديد وهو ابلغ من فعال بالفتح والتشديد وهذا ابلغ من فعال لضم وترك التشديد وهذا ابلغ من فعال بالكسر وترك التشديد وهذا ابلغ من فعيل وقرىء كباراً بضم وبكسر مع ترك التشديد فيهما وقال ابن الانباري: المكسور جمع كبير ككريم وكرام ونعت (مكرا) بالجمع لأنه مصدر واقع على كثير.

﴿**وقالوا**﴾ للسفلة ﴿**لا تذرُن آلهتكم**﴾ أي لا تتركن عبادتها ﴿**ولا تذرن ودا**﴾ وقرأ غير نافع بفتح الواو ﴿**ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا**﴾ هؤلاء اعظم آلهتهم ولذا خصت بعد التعميم قال محمد بن كعب: هي اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح صوروهم تبركا بهم ولما طال الزمان عبدوا من دون الله فعبدتهم قوم نوح وروي ان ابليس قال لاتباعهم لو صورتموهم لكان انشط لكم في العبادة ففعلوا ولما ماتوا قال ابليس لمن نشأ بعدهم ان الذين قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فابتدأ عبادة الاوثان.

كان من ذلك الى ان وصلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمذان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل كان ود لكلب دومة الجندل وسواع لهذيل وكان الناس يحجون اليه ويغوث لمراد ثم لبني غطف بالجرف عند سبأ.

وأما يعوق فكان لجدان ونسرا لحمير وكانت الصور في مجالس هؤلاء الصالحين ثم نقلت وعن ابن عباس دفنها الطوفان ثم اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اللات والعزى ومناة واساف ونائلة وهبل كانت الثلاثة الاولى لاهل مكة وكانت العرب تسمي عبد ود وعبد يغوث وعبد العزى وقيل: كانت الاسماء المذكورة في السورة اسماء اولاد لآدم صالحين صوروهم وقيل: كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقيل: كان يعوق رجلا من صالحي زمانه مات وجزعوا عليه فاتاهم الشيطان في صورة انسان فقال امثله

لكم في محرابكم حتى تروه كلما صليتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم.

ثم تمادى بهم الامر الى ان اتخذوا تلك الامثلة اصناماً يعبدونها وادعى بعضهم ان الضمير في قالوا للعرب وان قوله ولاتزد الظالمين إلا ضلالا رجوع الى قصة نوح والحق ان الكل في نوح وصرف سواعا لتناسب رؤوس الآي وود او نسرا تبعا له كذا قيل والظاهر انها اسماء عربية فصرفت لبقاء العملية وحدها بلا عجمية ولا تأنيث ولا نسلم ان سواعا رأس ايه نعم، قرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف المتناسب اعني متابعة لود او سواعا وطباقا لنسرا كما قرىء وضحاها بالامالة تبعا لما اكتنفه من المهالاة وإلا فحقها منع الصرف اما للعلمية ووزن الفعل ان كانا عربيين واما للعلمية والعجمة ان كانا اعجمين.

﴿**وقد اضلوا كثيرا**﴾ بشرا كثيرا واضلوا الناس اضلالا كثيرا والواو للرؤساء او الاصنام ونسبة الاضلال اليها مجاز حيث كانت واسطة مثل انهن اضللن كثيرا من الناس وابلغ من ذلك ان يجعل الواو للرؤساء ويجعل المعنى انهم اضلوا كثيرا قبل ان يقولوا لهؤلاء لاتذرن الهتكم وليس هؤلاء بأول من اضلوهم ويجوز ان تكون الهمزة لغير التعدية بل للدخول او الصيرورة فيكون كثيرا حالا ومفعول مطلق اي ان الناس وقعوا في الضلال كثيرين او قوعا كثيرا وعود الواو للاصنام تفسير الحسن.

﴿**ولا تزد الظالمين إلا ضلالا**﴾ عطف على قوله رب انهم عصوني فهو من مقول نوح عليه السلام وقال بعض ان العطف على قد اضلوا فهو ايضا من القول وانما دعا على الظالمين بالضلال لعلمه انهم لايؤمنون ان لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن دعا ان يزيدهم ضلالا بعبادة الاصنام فينتقم الله منهم وفي ذلك شفاء غيظه وغضبه عليهم لله وقد امتلأ غيظا وغضبا او لأذن الله له في الدعاء عليهم لانهم لا يؤمنون وعن بعضهم ان ذلك دعاء بالخذلان لتصميمهم على الكفر ووقوع الاياس منهم وان هذا دعاء حسن جميل وانه لا يحسن الدعاء لخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك

او الضلال في بطلان مكرهم وفي مصالح دنياهم.

﴿مما خطيئاتهم اغرقوا﴾ قدم الجار والمجرور للحصر والاهتمام بذكر الخطيئات لانهن الموجبات للاغراق ومن للتعليل وعبارة بعضهم المسببية وما زائدة بين الجار والمجرور لتأكيد كون الاغراق بالخطيئات وكونه اغراقا عظيما وهو الاغراق بالطوفان وقرأ ابو عمر ومما خطاياهم وقرأ ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتأخير ما الزائدة ويجوز كون ما نكرة وخطيئاتهم بدل وقيل من للابتداء اي ابتدأهم الاغراق من خطيئاتهم والظاهر ان المراد بالخطيئات الشرك وغيره من المعاصي وقيل الشرك وقيل المعاصي فلا يتكل الموحد الخاطىء على اسلامه وقرىء خطاياتهم بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وخطيئتهم بالافراد على ارادة الجنس او ارادة شركهم.

﴿فاخلوا نارا﴾ عوقبوا بها بعد العقاب بالطوفان فهم معذبون في نار جهنم من يومئذ او لان الآخرة لتحققها كأنها متصلة بالاغراق او عذبوا فيها كعذاب القبر او لان المسبب بالميم ولو تأخر عن السبب بلا ميم كأنه متصل به من حيث التسبب وعن الضحاك يغرقون من جانب ويحرقون من جانب والتنكير للتعظيم او للتنويع.

﴿فلم يجدوا لهم﴾ اما ان فسرنا الوجود بالعلم فتعديته لضميرين متصلين لمسمي واحد ظاهرة وان فسرناه بالقاء قدر مضاف ولو تعدى لاحدهما باللام اي لانفسهم.

﴿من دون الله انصارا﴾ يمنعونهم من العذاب تعريض وتهكم بهم حيث اتخذوا الهة لا تمنع من العذاب اي فلم يجدوا الهة تنصرهم وقد اتخذوا الهة ظنوا بها ذلك فلم تنفعهم.

﴿وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا﴾ احد وهو لازم النفي فيقال من الداراري نازل دار او من الدواري احد يدور في الارض يجيىء ويذهب اصله ديوار قلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء لافعال ولو كان فعالا لقيل دوارا فان الدال غير مكسورة فضلا عن قلب الواو ياء ويجوز ان

يكون ديار نسبا للدار او الدور.

واما من غير الكافرين فقد ترك جماعة المسلمين لم يغرقوا علاهم الماء من جوانبهم كالجبال وناداهم مناد خطوا على ما تنتفعون به من الارض لانفسكم ودوا بكم روي انه لما نزل من السفينة سار في الارض معتبرا فوجد رجلا حوله مضارب كثيرة وخيام وحوله خلق كثير وعندهم جمال وخيل واغنام كثيرة فدنا منه نوح عليه السلام فسلم فرد عليه السلام.

وقال له نوح: انت من الانس او من الجن فقال له الشيخ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له نحن من الانس فقال له نوح واين كنت وقت الطوفان فقال له وما الطوفان فقال نوح: سألت الله الطوفان الى الارض فمات جميع من فيها قال الشيخ: وما كان السبب في ذلك قال: عصيانهم قال: من انت قال: انا نوح قال: انت الداعي عليهم قال: نعم قال: كيف دعوت قال: قلت رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال: صدقت لم اكن انا وهذا القوم من الكافرين.

قال اخبرني ما رأيت وقت نزول الماء من السماء قال سمعت مناديا ينادي باسمي ويقول يا فلان اقسم هذه البقعة التي انت فيها اربع قسم وارع بدوابك ودواب اهلك كل عشرة ايام في بقعة ففعلت ذلك وها انا في البقعة الرابعة فقال له نوح كيف رأيت الماء فقال رأيته دائرا حول تلك البقعة كمثل السور قال نوح وما كنت تصنع قبل هذا الزمان من الخير حتى صرف عنك الغرق قال كنت اذا حال الحول آخذ زكاة الاموال من هذا القوم جميعا واقسمه ثلاثة ثلث ادخره وثلث افرقه على الضعفاء وثلث احمله الى فقراء غيرنا فقال نوح سبحان الله ما أكرمه يدفع عن العبد الصالح سبعين نوعا من البلاء ثم اضاف نوحا واكرمه وطلب الدعاء منه قيل وقت الطوفان ثمانية اشهر وقيل ستة وقيل اربعة وقيل اربعين يوما وقيل عشرةايام وما تقدم من قسم البقعة اربع قسم لكل قسمة عشرة ايام تدل على الاربعين.

﴿انك ان تذرهم يضلوا عبادك﴾ وكانوا ينطلقون باولادهم الى نوح

ويقولون احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك او اراد انهم يضلون من امن وقد علمت ان كل مولود يولد على الفطرة.

﴿ولا يــلدوا إلا فاجـرا كفــارا﴾ كثير الكفر وعظيمه لبث فيهم تسع مائة سنة وخمسين سنة فذاقهم واكلهم اعني انه بالغ في معرفته بهم وبطباعهم واحوالهم وكانوا كما مر يحذرون اولادهم منه فعلم انهم لا يلدون مسلما وقيل: اخبره الله انهم لا يؤمنون ولايلدون مؤمنا وقيل: انما قال ذلك حين اخرج الله كل مؤمن من اصـلابهم واعقم نساءهم وايبس اصلابهم وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل: بسبعين ولم يكن فيهم صبي حين العذاب وقيل كان فيهم صبيان اصابهم عذاب الدنيا معهم ايلاما لآبائهم وامهاتهم كما يموتون بالامراض وغيرها.

وعنه صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى او اماتهم بلا الم وقيل كان فيهم صبيان علم الله انهم لو بلغوا لم يؤمنوا.

﴿رب اغــفر لــي﴾ ذنوبي قيل اراد غفران ذنبه وهو ترك ما هو افضل وقيل ذنبه دعاءه على قومه وقيل: هو انه دعا عليهم وحضر في نفسه بعض الانتقام لنفسه.

﴿ولوالــدي﴾ لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين وعن ابن عباس لم يكفر لنوح أب بينه وبين آدم وكان بينهما عشرة آباء وقرأ بسكون الياء وقرأ أبي بن كعب لأبوي وقيل: أراد آدم وحواء وقرأ الحسن: لوالدي بفتح اللام وترك الألف وأراد ساما وحاما.

﴿ولمــن دخـل بيـتي مؤمنــا﴾ اراد حقيقة داره وكأنه لم يعلم باسلام احد سوى من آمن من أهل بيته كذا قيل ولا نحتاج اليه في ادخال من آمن من غيرهم لانه قد عم بعد هذا وقيل: البيت السفينة وقيل: المسجد وخصهم ثم عم الانهم احق واولى وقيل البيت الدين استعارة كما يقال فيها قبة الاسلام وفسطاط الدين.

﴿وللمؤمـــنين والمؤمـــنات﴾ الى يوم القيامة ومن تقدم انسا وجنا وهكذا ينبغي للداعي في دعائه على هذا الترتيب ولا يذكر الكافر والمنافق بالغفران.

﴿ولا تـــزد الظالمـــين إلا تبـــارا﴾ هلاكا وان الذي استجاب لنوح فاغرق اهل الارض الكفار بدعوته لجدير ان يستجيب له فيرحم بدعوته المؤمنين.

اللهم ببركة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبركة السورة اخز النصاري واهنهم واكسر شوكتهم ولا تزدهم إلا تبارا وغلب المسلمين الموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المحتويات

رقم الايـداع
٩١/١٢٤

المطابع الذهبيـة ت : ٦٩٩٩٧٢
ص.ب ٦٨٩٦ روي